

﴿ترجمة المؤلف رضى الله عنه مع فهرست الجزء الاول﴾

الامام أبى العباس أحمد بن نيمية الحنبلى رحمه الله ملخصه من كتاب
(جلاء العينين فى محامدة الاحمد بن) للعلامة خير الدين الشاهره بابر
الاولوسى ومن كتابه القول الجلبى فى ترجمة الشيخ تقي الدين ابن
نيمية الحنبلى ، للعلامة المحدث السيد صفى الدين الحنفى البخارى ومما
ذكره العلامة الشيخ أبو بكر بن محمد المبكى الحنبلى السافى فى الكتاب
الاول مانصه

هو شيخ الاسلام وحافظ الانام المجتهد فى الاحكام تقي الدين أبو
العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم
ابن الخضر بن محمد بن نيمية الحرانى الحنبلى وفى تاريخ أربل أن جده
سئل عن اسم نيمية فأجاب أن جده حج وكانت امرأته حاملا فلما كان
بتيام بلدة قرب تبوك رأى جارية حسنة الوجه قد خرجت من خباء
فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية فلما رفعوها اليه قال يا نيمية
يا نيمية يعنى أنها تشبه التى رآها بتيام فسمى بها اه وقد ولد بجران يوم
الاثنين عاشر ربيع الاول سنة احدى وستين وثمانئة وقدم به والده
وباخويه عند استيلاء التتار على البلاد الى دمشق سنة سبع وستين
وثمانئة فاخذ الفقه والاصول عن والده وسمع عن خلق كثيرين منهم
الشيخ شمس الدين والشيخ زين الدين بن المنجا والمجد بن عساكر
وقرأ العربية على ابن عبد القوى ثم أخذ كتاب سيديويه فتأمله وفهمه

وعنى بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرات وأقبل على تفسير
القرآن الكريم فبرز فيه وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب
والجبر والمقابلة وغير ذلك من سائر العلوم ونظر في الكلام والفلسفة
ويرز في ذلك على أهله ورد على رؤسائهم وأكابرهم ومهر في هذه
الفضائل وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة وتضاعف في
علم الحديث وحفظه حتى قالوا ان كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ايس
بحديث وأمد الله تعالى بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الادراك
والفهم وبطء النسيان حتى قال غير واحد انه لم يكن يحفظ شيئا فينساه
وألف في أغلب العلوم التأليفات العديدة وصنف التصانيف المفيدة
في التفسير والفقه والاصول والحديث والكلام والردود على الفرق
الضالة والمبتدعة وله القتاوى المفصلة وحل المسائل المعضلة

ومن تصانيفه التي تبلغ ثلاثمائة تصنيف (تعارض العقل والنقل)
أربع مجلدات * والجواب الصحيح ردا على التصاري أربع مجلدات
وشرح عقيدة الاصفهاني مجلد * والرد على الفلاسفة أربع مجلدات
وكتاب اثبات المعاد والرد على ابن سينا * وكتاب ثبوت النبوات عقلا
ونقلا * والمعجزات والكرامات * وكتاب اثبات الصفات مجلد وكتاب العرش
وكتاب رفع الملام عن الائمة الاعلام * وكتاب الرد على الامامية ردا على
ابن المطهر الحلي في مجلدين كبيرين * وكتاب الرد على القدرية * وكتاب
الرد على الاتحادية والحلولية * وكتاب في فضائل أبي بكر وعمر رضى الله
عنهما على غيرها وكتاب تفضيل الائمة الاربعة وكتاب شرح العمدة في

الفقه أربع مجلدات* وكتاب الدررة المضية في فتاوى ابن تيمية* وكتاب
الناسك الكبرى والصغرى* والصارم المسلول على من سب الرسول
* وكتاب في الطلاق* وكتاب في خالق الافعال والرسالة البغدادية* وكتاب
التحفة العراقية* وكتاب اصلاح الراعي والرعية* وكتاب في الرد على
تأسيس التقديس لارازى في سبع مجلدات* وكتاب في الرد على المنطق
وكتاب الفرقان وكتاب منهاج السنة النبوية* وكتاب الاستقامة في
مجلدين وغير ذلك

قال الذهبي وما أبعد أن تصانيفه الي الان تبلغ خمسمائة مجلد وترجمه
في مهجم شيوخه بترجمة طويلة منها قوله شيخنا وشيخ الاسلام وفريد
العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً اهلها وكرماً ونصحاً للامة
وأمر بالمعروف ونها عن المنكر سمع الحديث وأكثر بنفسه من
طابه وكتابه وخرج ونظر في الرجال والطبقات وحصل ما لم يحصله
غيره وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال
وخاطر وقاد الى مواضع الاشكال مهال واستنبط منه أشياء لم يسبق
اليها وبرع في الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث
مع شدة استحضاره له وقت الدليل وفاق الناس في معرفة الفقه
واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين وأتقن العربية أصولاً
وفروعاً ونظر في العقليات وعرف أفعال المتكلمين ورد عليهم ونبه
على خطئهم وحذر منهم وانصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين
وأوذي في ذات الله تعالى من المخالفين وأخيف في نصر السنة المحفوظة

حتى أعلى الله تعالى مناره وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له وكبت أعداءه وهدى به رجلا كثيرة من أهل الممل والنحل وجبل قلوب الملوك والامراء على الانقياد له غالبا وعلى طاعته وأحيا به الشام بل الاسلام بعد أن كاد ينلّم خصوصا في كائنة النار وهو أكبر من أن ينهه علي سيرته مثل فلو حلفت بين الركن والمقام أني مارأيت بعيني مثله وأنه مارأى مثل نفسه لما حدثت انتهى

قال الحافظ ابن كثير وفي رجب سنة سبعمائة وأربع راح الشيخ تقي الدين بن تيمية الى مسجد النارج وأمر أصحابه وتلاميذته بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها فأزال عن المسلمين شبهة كان شرها عظيما وبهذا وأمثاله أبرزوا له المداوة وكذلك بكلامه في ابن عربي وأتباعه فحسد وعودى ومع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم ولم يبالي بمن عاداه ولم يصلوا اليه بمكروه وأكثر ما نالوا منه الحبس مع أنه لم ينقطع في بحثه لا بمصر ولا بالشام ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالحاء كسبائتي اه قيل ومن جملة أسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعى ويطلب الامارة فأتى أعداؤه عليه طريقاً من ذلك فحسبوا للأمرء حبسه لسد تلك المسالك

وقال ابن الوردي في تاريخه وقد عاصره ورآه وكان له خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتمديلهم وطبقاتهم ومعرفة بفنون الحديث مع حفظه لمتونه الذي انفرد به وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه

الجزء الاول

من مجموعة الرسائل الكبرى

تأليف

شبيخ الاسلام نقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم

ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفى

سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى

(الاولي)

رسالة الفرقان بين الحق والباطل

وهو مما صنفه أخيراً بقلعة دمشق المحروسة

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٣)

بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر

(على نفقة شركة طبع الكتب العلمية بمصر)



BP
166
I497
1906
v. 1

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له
وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما
قال الامام أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية رحمه الله وهو
مما صنفه بقلعة دمشق أخيراً

(فصل في الفرقان بين الحق والباطل) وان الله بين ذلك بكتابه
ونبيه فمن كان أعظم اتباعا لكتابه الذي أنزله ونبيه الذي أرسله كان أعظم
فرقانا ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول كان أبعد عن الفرقان
واشبهه عليه الحق بالباطل كالذين اشبهه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان
والنبي الصادق بالمتنبي الكاذب وآيات النبيين بشبهات الكذابين حتى
شبهه عليهم الخالق بالخلق فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً بالهدى
ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور فينرق به بين الحق
والباطل والهدى والضلال والرشاد والني والصدق والكذب والعلم
والجهل والمعروف والمنكر وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء
وبين ماعيه الناس من الاختلاف وكذلك النبيون قبله قال الله تعالى

(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال تعالى (نالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزينا لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) وقال سبحانه وتعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال تعالى (ان الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان

قال جماهير المفسرين هو القرآن * روى ابن أبي حاتم باسناده عن الربيع بن أنس قال هو الفرقان فرق بين الحق والباطل قال وروى عن عطاء ومجاهد ومقسم وقنادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وروى باسنادة عن شيبان عن قتادة في قوله وأنزل الفرقان قال هو القرآن الذي أنزله الله على محمد ففرق به بين الحق والباطل وبين فيه دينه وشرع فيه شرائعه وأحل حلاله وحرم حرامه وحد حدوده وأمر بطاعته ونهى عن معصيته وعن عباد بن منصور سألت الحسن عن قوله تعالى وأنزل الفرقان قال هو كتاب بحق * والفرقان مصدر فرق فرقانا مثل الرجحان والكفران والحسران وكذلك القرآن هو في الاصل مصدر قرأ قرأنا ومنه قوله (ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا

يانه) ويسمى الكلام المقروء نفسه قرآنا وهو كثير كما في قوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) كما ان الكلام هو اسم مصدر كلم تكليما وتكلم تكلما ويراد به الكلام نفسه وذلك لان الانسان اذا تكلم كان كلامه بفعل منه وحركة هي مسمى المصدر وحصل عن الحركة صوت يقطع حروفا هو نفس التكلم فالكلام والقول ونحو ذلك يتناول هذا وهذا ولهذا كان الكلام تارة يجعل نوعا من العمل اذا أريد به المصدر وتارة يجعل قسيما له اذا أريد ما يشكك به وهو يتناول هذا وهذا وهذا مبسوط في غير هذا الموضوع

والمقصود هنا ان لفظ الفرقان اذا أريد به المصدر كان المراد أنه أنزل الفصل والفرق بين الحق والباطل وهذا منزل في الكتاب فان في الكتاب الفصل وانزال الفرق هو انزال الفارق وان أريد بالفرقان ما يفرق فهو الفارق أيضا فهما في المعنى سواء وان أريد بالفرقان نفس المصدر فيكون انزاله كانزال الايمان وانزال العدل فانه جعل في القلوب التفريق بين الحق والباطل بالقرآن كما جعل فيها الايمان والعدل وهو سبحانه وتعالى أنزل الكتاب والميزان والميزان قد فسر بالعدل وفسر بانه ما يوزن به ليعرف العدل وهو كالفارقان يفسر بالفرق ويفسر بما يحصل به الفرق وهما ملازمان فاذا أريد الفرق نفسه فهو نتيجة الكتاب وثمرته ومقتضاه واذا أريد الفارق فالكتاب نفسه هو الفارق ويكون له اسمان كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة الاخرى سمي كتابا باعتبار أنه مجموع مكتوب تحفظ حروفه ويقرأ ويكتب وسمى فرقانا باعتبار أنه

يفرق بين الحق والباطل كما تقدم كما سمى هدى باعتبار أنه يهdy الى الحق وشفاء باعتبار أنه يشفي القلوب من مرض الشهات والشهوات ونحو ذلك من أسمائه وكذلك أسماء الرسول كالمقتفي والمأحي والحاشر وكذلك أسماء الله الحسنى كالرحمن والرحيم والملك والحكيم ونحو ذلك والعطف يكون لتغاير الاسماء والصفات وان كان المسمى واحداً كقوله سبيح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى * وقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن ونحو ذلك * وهنا ذكر أنه نزل الكتاب فانه نزله متفرقا وانه أنزل التوراة والانجيل وذكر أنه أنزل الفرقان وقد أنزل سبحانه وتعالى الايمان فى القلوب وأنزل الميزان والايمنان والميزان مما يحصل به الفرقان أيضاً كما يحصل بالقرآن واذا أنزل القرآن حصل به الايمان والفرقان ونظير هذا قوله (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكر!) قيل الفرقان هو التوراة وقيل هو الحكيم بنصره على فرعون كما فى قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان)

وكذلك قوله (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قيل النور هو محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام وقوله (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نور أميناً) قيل البرهان هو محمد وقيل هو الحجة والدليل وقيل القرآن والحجة والدليل يتناول الآيات التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لكنه هناك جاء بالفظ آتينا وجاءكم وهنا قال وأنزل الفرقان جاء بلفظ الانزال فلهمذاشاع بينهم ان القرآن والفرقان يحصل بالعلم والبيان

كما حصل بالقرآن ويحصل بالنظر والتمييز بين أهل الحق والباطل بان
ينجى هؤلاء وينصرهم ويعذب هؤلاء فيكون قد فرق بين الطائفتين
كما يفرق المفرق بين أولياء الله وأعدائه بالاحسان الي هؤلاء وعقوبة
هؤلاء وهذا كقوله في القرآن في قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على
عبدنا يوم الفرقان يوم التنبي الجمعان والله على كل شىء قدير) قال الوالى
عن ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل
قال ابن أبى حاتم وروى عن مجاهد ومقسم وعبد الله بن عبد الله
والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وبذلك فسراً أكثرهم ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا كما في قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً *
أى من كل ما ضاق على الناس قال الوالى عن ابن عباس فى قوله ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى مخرجاً قال ابن أبى حاتم وروى عن
مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدى ومقاتل بن حيان كذلك
غير ان مجاهداً قال مخرجاً فى الدنيا والآخرة وروى عن الضحاك عن
ابن عباس قال نصراً قال وفى آخر قول ابن عباس والسدى نبأه وعن
عروة بن الزبير يجعل لكم فرقانا أى فصلاً بين الحق والباطل يظهر
الله به حقهكم ويطفىء به باطل من خالفكم وذكر البغوى عن مقاتل
ابن حيان قال مخرجاً فى الدنيا من الشبهات لكن قد يكون هذا تفسيراً
لمراد مقاتل بن حيان كما ذكر أبو الفرج بن الجوزى عن ابن عباس
ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن قتيبة أنهم قالوا هو المخرج ثم قال
والمعنى يجعل لكم مخرجاً فى الدنيا من الضلال وليس مرادهم وإنما

مرادهم المخرج المذكور في قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا والفرقان المذكور في قوله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وقد ذكر عن ابن زيد أنه قال هدى في قلوبهم يعرفون به الحق من الباطل ونوعا الفرقان فرقان الهدى والبيان وهو النصر والنجاة هو نوعا الظهور في قوله تعالي هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله يظهره بالبيان والحجة والبرهان ويظهر باليد والعز والسنان وكذلك السلطان في قوله واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً فهذا النوع وهو الحجة والعلم كما في قوله أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر وقوله ان هي الا أسماء سميت وها أتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان وقد فسر السلطان بساطان القدرة واليد وفسر بالحجة والبيان فمن الفرقان مانعته الله به في قوله ورسمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ففرق بين المعروف والمنكر امر بهذا ونهى عن هذا وبين الطيب والخبث أحل هذا وحرم هذا

ومن الفرقان أنه فرق بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار والضالين المفسدين أهل

السيات قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المنتهين كالفجار وقال تعالى أفنجعل المساجين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون وقال تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب وقال تعالى وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وقال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال تعالى أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون فهو سبحانه بين الفرق بين أشخاص أهل الطاعة لله والرسول والمعصية لله والرسول كما بين الفرق بين ما أمر به وبين ما نهى عنه

وأعظم من ذلك أنه بين الفرق بين الخالق والمخلوق وان المخلوق لا يجوز أن يسوى بين الخالق والمخلوق في شيء فيجعل المخلوق نداً للخالق قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (هل تعلم له سمياً ولم

يكن له كفوواً أحد ليس كمثل شيء وضرب الامثال في القرآن على من لم يفرق بل عدل بربه وسوى بينه وبين خلقه كما قالوا وهم في النار يضطربون فيها تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم رب العالمين وقال تعالى افسر يخلق كمن لا يخلق اذ لا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وان الذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون

فهو سبحانه الخالق العالم الحق الحى الذى لا يموت ومن سواه لا يخلق شيئاً كما قال ان الذين تدعون من دون الله ان يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره

وهذا مثل ضرب به الله فان الذباب من اصغر الموجودات وكل من يدعى من دون الله لا يخلقون ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه فاذا تبين انهم لا يخلقون ذباباً ولا يقدرون على انتزاع ما يسألهم فهم عن خلق غيره وعن مغالته أعجز وأعجز

والمثل هو الاصل والتنظير المشبه به كما قال ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون أى لما جعلوه نظيراً قاسوا عليه آلهتهم وقالوا اذا كان قد عبد وهو لا يعذب فكذلك آلهتنا فضرربوه مثلاً لآلهتهم وجعلوا يصدون أى يضجون ويعجبون منه احتجاجاً به على الرسول والفرق بينه وبين آلهتهم ظاهر كما بينه في قوله تعالى ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقال في فرعون وجعلناه سلفا ومثالا
 للآخرين أى مثلا يعتبر به ويقاس عليه غيره فمن عمل بمثل عمله
 جوزى بجزائه ليعتظ الناس به فلا يعمل بمثل عمله وقال تعالى ولقد
 أنزلنا اليكم آيات مبيّنات ومثالا من الذين خلوا من قبلكم وهو ما ذكره
 من أحوال الامم الماضية التي يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلية
 كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب فمن كان من أهل الايمان
 قيس بهم وعلم ان الله يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل
 الكفر قيس بهم وعلم ان الله يشقيه في الدنيا والآخرة كما قال في حق
 هؤلاء، أ كفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر وقد قال قد
 خات من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة
 المكذبين وقال في حق المؤمنين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
 الصالحات ليستخافنهم في الارض كما استخاف الذين من قباهم وقان وذا
 النون اذ ذهب مغاضبا نظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله
 الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناها من الغم وكذلك
 نجى المؤمنين وقال في قصة أيوب رحمة من عندنا وذكروا لعلهم ايتونا
 وذكرى لاولى الالباب وقال أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال
 أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
 البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر
 الله ألا ان نصر الله قريب وقال وكلا نقص عليك من أنباء الرسل
 ما نثبت به فؤادك * فلنظ المنى يراد به التظير الذي يقاس عليه ويعتبر

به ويراد به مجموع انقياس قال سبحانه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم أى لا أحد يحييها وهي رميم * فمثل الخالق بالخلق في هذا النفي فجعل هذا مثل هذا لا يقدر على احياها سواء نظمه قياس تمثيل أو قياس شمول كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضوع وبين ان معنى القياسين قياس بالشمول وقياس بالتمثيل وان المثل المضروب المذكور في القرآن فاذا قلت النبيذ مسكر وكل مسكر حرام وأقت الدليل على المقدمة الكبرى بقوله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام فهو كقوله صلى الله عليه وسلم قياساً على الخمر لان الخمر انما حرمت لأجل الاسكار وهو موجود في النبيذ فقوله ضرب مثل فاستمعوا له جبل ماهو من أصغر المخلوقات مثلا وانظيراً يعتبر به فاذا كان أدون خالق الله لا يقدر على خاقه ولا منازعته فلا يقدر على خالق ما سواه فيعلم بها من عظمة الخالق وان كما يعبدون من دون الله في السماء والارض لا يقدر على ماهو أصغر مخلوقاته وقد قيل انهم جعلوا آلهتهم مثلا لله فاستمعوا لذكرها وهذا لانهم لم يفقهوا المثل الذي ضرب به الله جعلوا المنزكين هم الذين ضربوا هذا المثل ومثل هذا في القرآن قد ضرب به الله يبين أنه لا يقاس المخلوق بالخالق ويجعل له ندا ومثلا كقوله ذل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بهد الحق الا الضلال فاني تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين نسوا انهم

لا يؤمنون قل هل من شركائكم من بدأ الخلق ثم يعيدهم الله ببدء الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فمن هدى الى الحق احق ان يتبع أم من لا يهدي الا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عالم بما يفعلون

ولما قرر الوجدانية قرر النبوة كذلك فقال وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا به لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله وهؤلاء مثلوا المخلوق بالخالق وهذا من تكذيبهم اياه ولم يكن المشركون يسوون بين آلهتهم وبين الله في كل شيء بل كانوا يؤمنون بان الله هو الخالق المالك لهم وهم مخلوقون لم يكون له ولكن كانوا يسوون بينه وبينها في المحبة والتمظيم والدعاء والعبادة والنذر لها ونحو ذلك مما يخص به الرب فمن عدل بالله غيره في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى فهو مشرك بخلاف من لا يعدل به ولكن يذنب مع اعترافه بان الله ربه وحده وخضوعه له خوفا من عقوبة الذنب فهذا يفرق بينه وبين من لا يعترف بتحريم ذلك

(فصل) وهو سبحانه وتعالى كما يفرق بين الامور المختلفة فانه يجمع ويسوي بين الامور المتماثلة فيحكم في الشيء خاتما وأمرا بحكم مثله لا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين شئيين غير متماثلين بل ان كانا

مختلفين متضادين لم يـو بينهما

وانط الاختلاف في انقرآن يراد به التضاد والتعارض لا يراد به مجرد عدم التماثل كما هو اصطلاح كثير من النظار ومنه قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً وقوله انكم انى قول مختلف يؤفك عنه من أفك وقوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر

وقد بين سبحانه وتعالى ان السنة لا تبدل ولا تحول في غير موضع * والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب

والاعتبار أن يقرن اشئء بمثله فبعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرت الاصابع بالاسنان فاذا قال فاعتبروا يا اولى الابصار وقال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزى مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار ويرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال تعالى وان كادوا اليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافاك الا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا نجد لسنتنا تحويلا وقال تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا

ماعونين أيما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلا وهذه الآية أنزلها الله قبل الاحزاب وظهور الاسلام وذل المنافقين فلم يستطيعوا أن يظهروا بعد هذا ما كانوا يظهرونه قبل ذلك قبل بدر وبمدها وقبل أحد وبمدها فاحفوا النفاق وكتموه فلهذا لم يقتلهم انبي صلى الله عليه وسلم وبهذا يجب من لم يقتل الزنادقة ويقول اذا اخفوا زندقته لم يمكن قتلهم ولكن اذا اظهروها قتلوا بهذه الآية بقوله ماعونين أيما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلا

قال قتادة ذكر لنا ان المنافقين كانوا يظهرون ما في أنفسهم من انفاق فوعدهم الله بهذه الآية فلما أوعدهم بهذه الآية أسروا ذلك وكتموه سنة الله في الذين خلوا من قبل يقول هكذا سنة الله فيهم اذا اظهروا النفاق قال مقاتل ابن حبان قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني كما قتل أهل بدر وأسروا فذلك قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل

قال السدي كان النفاق على ثلاثة أوجه نفاق مثل نفاق عبد الله ابن أبيّ وعبد الله بن نفيل ومالك بن داعس فكان هؤلاء وجوها من وجوه الانصار فكانوا يستحبون أن يأتوا الزنا يصونون بذلك أنفسهم والذين في قلوبهم مرض قال الزناة ان وجدوه عملوا به وان لم يجدوه لم يتبعوه ونفاق يكابرون النساء مكابرة وهم هؤلاء الذين يجاسون على

الطريق ثم قل لمدونين ثم فصات الآية أينما تقفوا يعملون هذا العمل
مكابرة النساء * قال السدي هذا حكم في القرآن ليس يعمل به لو أن
رجلا أو أكثر من ذلك اقصوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها فنجروا
بها كان الحكم فيهم غير الجلد والرجم أن يؤخذوا فتضرب أعناقهم

قال السدي قوله سنة كذلك كان يفعل بمن مضى من الأمم قال
فنكار امرأة على نفسها فقتل فإيس على قتله دية لانه مكابر

قلت هذا على وجهين أحدهما أن يقتل دفعا لصوله تنها مثل أن
يقهرها فهذا دخل في قوله من قتل دون حرمته فهو شهيد وهذه
لها أن تدفعه بالقتل لكن اذا طاعت ففيه نزاع وتفصيل وفيه قضيتان عن
عمر وعلى معروفان وأما اذا جربها مستكرها ولم تجرد من بينهما عايه فهو لاء
نوعان أحدهما أن يكوزله شوكة كالمحاربين لاخذ المال وهؤلاء محاربون
للفاحشة فقتلوا قال السدي قتله غيره وذكر أبوالمؤني ان هذه جرت
عنده ورأى ان هؤلاء، أحق بأن يكونوا محاربين والثاني أن لا يكونوا
ذوى شوكة بل يفعلون ذلك غيلة واحتيالاً حتى اذا صارت عندهم المرأة
أكبرها وهذا المحارب غيلة كقال السدي يقتل أيضا واركانوا جماعة
في المعر فهم كالمحاربين في المعر وهذه المسائل لها مواضع أخر

والمقصود ان الله أخبر ان سه ان تبدل وان تتحول وسنته عادة
التي يسوى فيها بن النبي وبين نظيره الماضي وهذا يقتضى انه سبحانه
يحكم في الامور المتماثلة بأحكام متماثلة ولهذا قال اكفاركم خير من
أولئكم وقال احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أى أشباههم ونظرأهم

وقال واذا انفوس زوجت قرن النظير بنظيره وقال تعالى أم حسبكم
 أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال قد كانت
 لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم
 ومما تعبدون من دون الله ككفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم الهدى والفضاء
 أبدا وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
 باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها
 الانهار خالدون فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

فجعل التابعين لهم باحسان مشاركين لهم فيما ذكر من الرضوان
 والجنة وتد قال تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم
 فأولئك منكم وقال تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
 ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا
 انك رؤوف رحيم وقال تعالى وآخريين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز
 الحكيم فمن اتبع السابقين الاولين كان منهم وهم خير الناس بعد الانبياء
 فان أمة محمد خير أمة أخرجت للناس وأولئك خير أمة محمد كما ثبت في
 الصحاح من غير وجه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الفرون القرن
 الذى بنت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم * ولهذا كان معرفة أقوالهم
 فى العلم والدين وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم
 فى جميع علوم الدين وأعماله كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد
 والعبادة والاخلاق والجهاد وغير ذلك فانهم أفضل من بعدهم كإدراك
 عليه الكتاب والسنة فالإقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم ومعرفة

اجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفع من معرفة ما يذكرون اجماع
غيرهم ونزاعهم

وذلك أن اجماعهم لا يكون الا معصوما واذ تنازعوا فالحق لا يخرج
عنه فيمكن طاب الحق في بعض أقاويلهم ولا يحكم بخطأ قول من أقوالهم
حتى يعرف دلالة الكتاب والسنة على خلافه قال تعالى أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى
الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
وأحسن تأويلا

وأما المتأخرون الذين لم يتحروا متابعتهم وسلكوا سبيلهم ولا هم
خبرة بأقوالهم وأفعالهم بل هم في كثير مما يتكلمون به في العلم ويعملون
به ولا يعرفون طريق الصحابة والتابعين في ذلك من أهل الكلام والرأى
والزهد والتصوف فهؤلاء تجردت عندهم في كثير من الامور المهمة في
الدين انما هو عما يظنونه من الاجماع وهم لا يعرفون في ذلك أقوال
السلف البينة أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها فتارة يحلون الاجماع
ولا يعلمون الا قولهم وقول من ينازعهم من الطوائف المتأخرين طائفة
أو طائفتين أو ثلاث وتارة عرفوا أقوال بعض السلف والاول كثير
في مسائل أصول الدين وفروعه كما تجردت كتب أهل الكلام مشحونة
بذلك يحلون اجماعا ونزاعا ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البينة بل
قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم كما تجرد ذلك في مسائل أقوال
الله وأفعاله وصفاته مثل مسألة القرآن والرؤية والقدر وغير ذلك وهم

اذا ذكروا اجماع المسلمين لم يكن لهم علم بهذا الاجماع فانه لو أمكن العلم
باجماع المسلمين لم يكن هؤلاء من أهل العلم به لمدم علمهم بأقوال السلف
فكيف اذا كان المسلمون يشهدون القطع باجماعهم في مسائل النزاع
بخلاف السلف فانه يمكن العلم باجماعهم كثيرا واذا ذكروا نزاع
المتأخرين لم يكن بمجرد ذلك أن يجعل هذه من مسائل الاجتهاد التي
يكون كل قول من تلك الاقوال سائغا لم يخالف اجماعا لان كثيرا من
أصول المتأخرين محدث مبتدع في الاسلام مسبق باجماع السلف على
خلافه والنزاع الحادث بعد اجماع السلف خطأ قطعاً كخلاف الخوارج
والرافضة والقدرية والمرجئة ممن قد اشتهرت لهم أقوال خالفوا فيها
النصوص المستفيضة المعلومة واجماع الصحابة بخلاف ما يعرف من نزاع
السلف فانه لا يمكن أن يقال انه خلاف الاجماع وانما يرد بالنص واذا
قيل قد أجمع التابعون على أحد قوايمهم فارتفع النزاع فمثل هذا مبني على
مقدمتين احدهما العلم بأنه لم يبق في الامة من يقول بقول الآخر وهذا
منعذر* انني ان مثل هذا هل يرفع النزاع مشهور فنزاع السلف
يمكن القول به اذا كان معه حجة اذ على خلافه ونزاع المتأخرين
لا يمكن هذا لان كثيرا منه قد تقدم الاجماع على خلافه كدلت
النصوص على خلافه ومخالفة اجماع السلف خطأ قطعاً وأيضاً فلم يبق
مسئلة في الدين الا وقد تكلم فيها السلف فلا بد أن يكون لهم قول يخالف
ذلك القول أو يوافقه وقد بسطنا في غير هذا الموضوع ان العواب في
أقوالهم أكثر وأحسن وان خطأهم أخف من خطأ المتأخرين وان

المتأخرين أكثر خطأ وأخس وهذا في جميع علوم الدين ولهذا أمثلة
 كثيرة يضيق هذا الموضع عن استقصائها والله سبحانه أعلم
 (فصل ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف
 تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى أقوال أهل
 اللغة فانه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي صلى الله عليه وسلم
 لم يحتج في ذلك الى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم ولهذا قال
 الفقهاء الاسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة
 ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف
 كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله وعاشروهن بالمعروف
 وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة
 فكان من الاصول المنفق عاينها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان انه
 لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لبرأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا
 قياسه ولا وجوده فانهم ثبت عنهم بالبراهين القطعية والآيات البيّنات
 أن الرسول جاء بهدي ودين الحق وان القرآن يهدي للتي هي أقوم فيه
 نبأ من قبلهم وخبر ما بعدهم وحكم ما بينهم هو الفصل ايس بالهزل من
 تركه من حبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله
 المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا يزيغ به
 الالهواء ولا تلتبس به الا لاسن فلا يستطيع أن يزيغه الى هواء ولا يحرف
 به لسانه ولا يخلق عن كثرة الرداد فاذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق ولم يبدل
 كغيره من الكلام ولا ينقصى عجائبه ولا تشبه منه العلماء من قال به

صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ون دعى اليه هدى الى صراط مستقيم .

فكان القرآن هو الامام الذى يقتدى به ولهذا لا يوجد فى كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ولا بدوق ووجد ومكاشفة ولا قال قط قد تمارض فى هذا العقل والنقل فضلا عن أن يقول فيجب تقديم العقل والنقل يعنى القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين امان يفوض واما أن يؤول* ولا فيهم من يقول ان له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعى أحدهم انه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذى يأتى الرسول* وانه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والانبياء كلهم يأخذون عن مشكاته أو يقول الولي أفضل من النبي ونحو ذلك من مقالات أهل الالحاد* فان هذه الاقوال لم تكن حدثت بعد فى المسلمين* وانما يعرف مثل هذه اما من ملاحدة اليهود والنصارى فان فيهم من يجوز ان غير النبي أفضل من النبي كما قد يقوله فى الحوار بين فانهم عندهم رسل وهم يقولون أفضل من داود وسليمان بل ومن ابراهيم وموسى وان سموهم أنبياء الى أمثال هذه الامور* ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية الابائية أخرى تفسرها ونسخها أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تفسرها* فان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعتبر عنه وكانوا يسمون ما عارض الآية ناسخا لها قال نسخ عندهم اسم عام لكل ما يرفع دلالة الآية على معنى باطل وان كان ذلك المعنى لم يرد بها

وان كان لا يدل عليه ظاهر الآية بل قد وقد فهمه
 منها قوم فيسمون ما رجع ذلك الابهام والافهام نسخا هذه
 التسمية لا تؤخذ عن كل واحد منهم وأصل ذلك الشيطان
 ثم يحكم الله آياته فما ألقاه الشيطان في الاذنان من ظن دلالة الآية
 على معنى لم يدل عليه سعى هؤلاء ما يرفع ذلك الظن نسخا كما سموا
 قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخا لقوله فاتقوا الله حتى نقائه وقوله لا يكلف
 الله نفسا الا وسعها ناسخا لقوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه
 يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويمتدب من يشاء وامثال ذلك مما ليس
 هذا موضع بسطه

اذ المقصود انهم كانوا متفقين على ان اقرآن لا يعارضه الا قرآن
 لا رأى ومعقول وقياس ولا ذوق ووجد والهام ومكاشفة
 وكانت البدع الاولى مثل بدعة الخوارج انما هي من سوء فهمهم
 للقرآن لم يقصدوا مدارضته لكن فهموا انه ما لم يدل عليه فظنوا انه
 يوجب تكفير ارباب الذنوب اذ كان المؤمن هو البر التقي قالوا فمن لم
 يكن برا تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار ثم قالوا وعثمان وعلى ومن
 والاها ليسوا بمؤمنين لانهم حكموا بغير ما أنزل الله فكانت بدعتهم لها
 مقدمة الواحدة ان من خالف القرآن بعمل أو برأى أخطأ فيه فهو
 كافر واثنية ان عثمان وعابا ومن والاها كانوا كذلك ولهذا يجب
 الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فانه أول بدعة ظهرت
 في الاسلام فكفر أهاها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم وقد ثبت

عن النبي صلى الله عليه وسلم الأحاديث الصحيحة في ذمهم والامر
بقتالهم قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صح فيهم الحديث من
عشرة أوجه ولهذا قد أخرجها مسلم في صحيحه وأفرد البخارى قطعة
منها وهم مع هذا الذم انما قصدوا اتباع القرآن فكيف بمن يكون بدعته
مما رضة القرآن والاعراض عنه وهو مع ذلك يكفر المسلمين كالجهمية
ثم الشيعة لما حدثوا لم يكن الذي ابتدع التشيع قصده الدين بل كان
غرضه فاسداً وقد قيل انه كان منافقاً زنديقاً فاصل بدعتهم مبنية على
الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكذيب الأحاديث الصحيحة
ولهذا لا يوجد في فرق الامة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف
الخوارج فانه لا يعرف فيهم من يكذب

(والشيعة) لا يكاد يوثق برواية أحد منهم من شيوخهم لكثرة الكذب
فيهم ولهذا أعرض عنهم أهل الصحيح فلا يروى البخارى ومسلم
أحاديث على الا عن أهل بيته كاولاده مثل الحسن والحسين ومثل محمد
ابن الحنفية وكتبه عبيد الله بن أبي رافع أو أصحاب ابن مسعود وغيرهم
مثل عبيدة السلماني والحريث التيمي وقيس بن عباد وأمثالهم اذهؤلاء
صادقون فيما يروونه عن علي فلهمذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم

وهذان الطائفتان الخوارج والشيعة حدثوا بعد مقتل عثمان وكان
المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان في السنة
الاولى من ولايته متفيعين لانتازع بينهم ثم حدث في أواخر خلافة عثمان
أمور أوجبت نوعاً من التفرق وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا

عثمان فذفرق المسلمون بعد مقتل عثمان ولمسا اقتتل المسلمون بصفيين
واتفقوا على تحكيم حكيمين

خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه وفارقوا
جماعة المسلمين الى مكان يقال له حروراء فكشف عنهم أمير المؤمنين وقال
لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفئ ولا نمنعكم المساجد الى أن
استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقلوا لعبد الله بن حباب وأغاروا
على مروح المسلمين فعلم على أنهم الطائفة التي ذكرهم رسول الله صلي
الله عليه وسلم حيث قال يحقر أخذكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع
صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية آيتهم فيهم رجل مخدج اليد عايبا بضمة
عليها شعرات وفي رواية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان
نخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال
هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على مروح الناس فقاتلهم
ووجد العلامة بعد أن كاد لا يوجد فسجد لله شكراً

وحدث في أيامه الشيعة لكن كانوا مختلفين بقولهم لا يظهره لعل
وشيعته بل كانوا ثلاثة طوائف

طائفة تقول انه اله وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار وخذلهم
أخاديد عند باب مسجد بني كنده وقيل انه أنشد

لما رأيت الامر أمراً منكراً * أجمت ناري ودعوت قنبراً

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال أتني علي بزنادقة

فخرتهم بالنار ولو كنت أنا لم أحرقهم انهي النبي صلى الله عليه وسلم
 أن يمدب بمداب الله واضربت أعناقهم لقوله من بدل دينه فاقتلوه
 وهذا الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء وقد روى
 أنه أجلبهم ثلاثاً

(والثانية) السابغة وكان قد بلغه عن أبي السوداء انه كان يسب أبا بكر
 وعمر فطابه قيل انه طابه ليقته فهرب منه
 (والثالثة) المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فتواتر عنه انه قال
 خير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر ثم عمر وروى ذلك البخاري في صحيحه
 عن محمد بن الحنفية انه سأل أباه من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال أبو بكر قال ثم من قل عمر وكانت الشيعة الاولى لا يتنازعون
 في تفضيل أبي بكر وعمر وانما كان النزاع في علي وعثمان ولهذا قال شريك
 ابن عبد الله ان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر
 وعمر فقيل له تقول هذا وأنت من الشيعة فقال كل الشيعة كانوا على هذا
 وهو الذي قال هذا على اعداء منبره أفتكذبه فيما قال ولهذا قل سفيان
 الثوري من فضل علياً على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين
 والانصار وما أرى يصعد له الى الله عز وجل عمل وهو كذلك رواد
 أبو داود في سنته وكأنه يعرض بالحسن بن صالح بن حنيفة فان الزيدية
 الصالحة وهم أصلح طوائف الزيدية ينسبون اليه

ولكن الشيعة لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة المسلمين ولا امام
 ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين وانما كان هذا للخوارج تميزوا

بالامام والجماعة والدار وسموا دارهم دار الهجرة وجعلوا دار المسلمين
دار كفر وحرب

وكلا الطائفتين تطمن بل تكفر ولاة المسلمين وجمهور الخوارج
يكفرون عثمان وعابا ومن تولاهما والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان
ومن تولاهما واكن الفساد الظاهر كان في الخوارج من سفك الدماء وأخذ
الاموال والخروج بالسيف فلهمذا جاءت الاحاديث الصحيحة بقتالهم
والاحاديث في ذمهم والامر بقتالهم كثيرة جداً وهي متواترة عند أهل
الحديث مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنه وأحاديث الشفاعة
والحوض

(وقد رويت أحاديث في ذم القدرية والمرجئة) روى بعضها أهل
السنن كابن داود وابن ماجه وبعض الناس يثبتها ويقويها ومن العلماء
من طعن فيها وضمها ولكنها التي ثبتت في ذم القدرية ونحوهم هو عن
الصحابة كابن عمر وابن عباس

(وأما لفظ الرافضة) فهذا اللفظ أول ما ظهر في الاسلام لما خرج
زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد
الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما
فرفضه قوم فقل رفضتموني رفضتموني فسموا الرافضة فالرافضة تتولى
أخاه أبا جعفر محمد بن علي زيديه والزيدية يتولونه وينسبون اليه ومن
حينئذ انتمت الشيعة الى زيدية والرافضة امامية

(ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية) وأصل بدعتهم كانت من

عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله والايمان بامرہ ونهيہ ووعدہ ووعيده وظنوا ان ذلك ممتنع وكانوا قد آمنوا بدين الله وأمره ونهيہ ووعدہ ووعيده وظنوا أنه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الامر من يطيع ومن يعصى لانهم ظنوا أن من علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه وظنوا ايضا انه اذا علم انهم نفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم انه يفسد فلما بلغ قولهم بانكار القدر السابق للمحابة أنكروا انكاراً عظيماً تبرؤاً منهم حتى قال عبد الله بن عمر أخبر أولئك أني برىء منهم وانهم في برآء والذي يخاف به عبد الله بن عمر لو أن لاحدهم مثل أحد ذهباً فانفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر وذكر عن أبيه حديث جبريل وهذا أول حديث في صحيح مسلم وقد أخرجه البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة أيضاً مختصراً

ثم كثرت الخوض في القدر وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بانقدر السابق وبالكتاب المتقدم وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد فصاروا في ذلك حزبيين * النفاة يقولون لارادة الالهي المشيئة وهو لم يرد الا ما أمر به ولم يخلق شيئاً من أفعال العباد * وقابلهم الخائضون في القدر من الحجرة مثل الجهم بن صفوان وأمثاله فقالوا ليست الارادة الالهي المشيئة والامر والنهي لا يستلزم ارادة وقالوا العبد لا يفعل له البتة ولا قدرة بل الله هو الفاعل القادر فقط وكان جهم مع ذلك ينفي الاسماء والصفات يذكر عنه انه قال لا يسمى الله شيئاً ولا غير ذلك من

الاسماء التي تسمى بها العباد الا القادر فقط لان العبد ليس بقادر * وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة وقالوا انهم كفار مخلدون في النار نحاض الناس في ذلك وخاض في ذلك القدرية بعد موت الحسن البصرى فقال عمرو بن عبيد وأصحابه لاهم مسلمون ولا كفار بل لهم منزلة بين المنزلتين وهم مخلدون في النار فوافقوا الخوارج على أنهم مخلدون وعلي انه ليس معهم من الاسلام والايمان شئ ولكن لم يسموهم كفارا واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصرى مثل قتادة وأيوب السخيتاني وأمثالهما

(فسموا معتزلة من ذلك الوقت بسند موت الحسن) وقيل ان

قتادة كان يقول أولئك المعتزلة

وتنازع الناس في الاسماء والاحكام أى في أسماء الدين مثل مسلم ومؤمن وكافر وفاسق وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة فالله منزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دماءهم وأموالهم ما استحقته الخوارج وفي الاسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا فيها وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم

(وحدثت المرجئة) وكان أكثرهم من أهل الكوفة ولم يكن

أصحاب عبد الله من المرجئة ولا ابراهيم النخعي وأمثاله فصاروا تقيض الخوارج والمعتزلة فقالوا ان الاعمال ليست من الايمان وكانت هذه البدعة أخف البدع فان كثيرا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ

دون الحكم اذ كان الفقهاء الذين يضاف اليهم هذا القول مثل حماد بن
أبي سايمان وأبي حنيفة وغيرهما هم مع سائر أهل السنة متفقين على ان
الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار ثم يخرجهم بالشفاعة كما
جاءت الاحاديث الصحيحة بذلك وعلي انه لا بد في الايمان أن يتكلم
بلسانه وعلي ان الاعمال المنروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والمقاب
فكان في الاعمال هل هي من الايمان وفي الابداء ونحو ذلك وعاءته
نزاع لفظي فان الايمان اذا أطاق دخلت فيه الاعمال لقول النبي صلى
الله عليه و- لم الايمان بضع وستون شعبة أو بضع وسبعون شعبة
أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياء
شعبة من الايمان واذا عطف عليه العمل كقوله ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فقد ذكر مقيدا بالطف فهنا قد يقال الاعمال دخلت فيه
وعطف عطف الخاص على العام وقد يقال لم تدخل فيه ولكنه مع العطف
كما في اسم الفقير والمسكين اذا أفرد أحدهما تناول الآخر واذا عطف
أحدهما على الآخر فهما صنفان كما في آية الصدقات كقوله انما الصدقات
للفقراء والمساكين وكما في آية الكفارة كقوله فكفارته اطعام عشرة
مساكين وفي قوله وان تحزوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فالفقير
والمسكين شيء واحد وهذا التفصيل في الايمان هو كذلك في لفظ البر
والتقوي والمعروف وفي الاثم والعدوان والمنكر تخلف دلالتها في
الافراد والاقتران لمن تدر القرآن وقد بسط هذا بسطاً كبيراً في
الكلام على الايمان وشرح حديث جبريل الذي فيه بيان ان الايمان

أصله في القلب وهو الايمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله كما في المسند عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب فاذا كان الايمان في القلب فقد صلح القلب فيجب أن يصلح سائر الجسد فلذلك هو ثمرة ما في القلب فلهذا قال بعضهم الاعمال ثمرة الايمان وصحته لما كانت لازمة لصلاح القلب دخلت في الاسم كما نطق بذلك الكتاب والسنة في غير موضع وفي الجملة الذين رموا بالارجاء من الاكابر مثل طلق بن حبيب وابراهيم التيمي ونحوهما كان ارجاؤهم من هذا النوع

(وكانوا أيضا) لا يستثنون في الايمان وكانوا يقولون الايمان هو الايمان الموجود فينا ونحن نقطع بانام صدقون وبرون الاستثناء شكاً وكان عبد الله بن مسعود وأصحابه يستثنون وقد روى في حديث انه رجع عن ذلك لما قاله بعض أصحاب معاذ ماقال لكن أحمد أنكروا هذا وضمف هذا الحديث وصار اناس في الاستثناء على ثلاثة أقوال قول انه يجب الاستثناء ومن لم يستثن كان مبتدعا وقول ان الاستثناء محذور فانه يقتضى الشك في الايمان والقول الثالث أوسطها وأعدلها انه يجوز الاستثناء باعتبار وتره باعتبار فاذا كان مقصوده اني لأعلم اني قائم في كل ما أوجب الله على وانه يقبل أعمالى ليس مقصوده الشك فيما في قلبه فهذا استثناءه حسن وقصده أن لا يزكي نفسه وأن لا يقطع بأنه

عمل مملا كما أمر فقبل منه والذنوب كثيرة والنفاق مخوف على عامة الناس قال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد منهم يخاف النفاق على نفسه لا يقول واحد منهم ان ايمانه كايما جبريل وميكائيل والبخاري في أول صحيحه بوب أبو ابا في الايمان والرد على المرجئة وقد ذكر بمض من ضعف في هذا الباب من أصحاب أبي حنيفة قال وأبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد كرهوا أن يقول الرجل ايماني كايما جبريل وميكائيل قال محمد لانهم أفضل يقينا أو ايماني كايما جبريل أو ايماني كايما أبي بكر أو كايما هذا ولكن يقول آمنت بما آمن به جبريل وأبو بكر

وأبو حنيفة وأصحابه لا يجوزون الاستثناء في الايمان بكون الاعمال منه ويذمون المرجئة والمرجئة عندهم الذين لا يوجبون الفرائض ولا اجتناب المحارم بل يكتبون بالايمان وقد علل تحريم الاستثناء فيه بانه لا يصح تعاقبه على الشرط لان المعلق على الشرط لا يوجد الا عند وجوده كما قالوا في قوله أنت طالق ان شاء الله فاذا عاق الايمان بالشرط كسائر المعاقمات بالشرط لا يحصل الا عند حصول الشرط قالوا وشرط المشيئة الذي يترجاه القائل لا يتحقق حصوله الى يوم القيامة فاذا علق العزم بالفعل على التصديق والاقرار فقد ظهرت المشيئة وصح العقد فلا معنى للاستثناء ولان الاستثناء عقيب الكلام يرفع الكلام فلا يبقى الاقرار بالايمان والعقد مؤنورا وربما يتوهم هذا القائل القارن بالاستثناء على الايمان بقاء التصديق وذلك يزيله

(قلت) فتعليقهم في المسئلة انما يتوجه فيمن يعلق انشاء الايمان

عني المشيئة كالذي يريد الدخول في الاسلام فيقال له آمن فيقول
أنا أو من ان شاء الله أو آمنت ان شاء الله أو أسلمت ان شاء الله أو
أشهد ان شاء الله أن لا اله الا الله وأشهد ان شاء الله أن محمدا رسول
الله والذين استثنوا من السلف والخلف لم يقصدوا في الانشاء
وانما كان استثناءهم في اخباره عما قد حصل له من الايمان فاستثنوا اما
ان الايمان المطابق يقضي دخول الجنة وهم لا يعلمون الخاتمه كانه اذا
قيل للرجل أنت مؤمن قيل له أنت عند الله مؤمن من أهل الجنة
فيقول أنا كذلك ان شاء الله أو لانهم لا يعرفون انهم أتوا بكمال الايمان
الواجب ولهذا كان من جواب بعضهم اذا قيل له أنت مؤمن بالله
وملائكته وكتبه فيجزم بهذا ولا يعلقه أو يقول ان كنت تريد الايمان
الذي يعصم دمي ومالي فأنا مؤمن وان كنت تريد قوله انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجات قلوبهم واذا تلايت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون
الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا
بقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون فأنا مؤمن ان شاء
الله وأما الاستثناء لم يستثن فيه أحد ولا شرع الاستثناء فيه بل كل من
آمن وأسلم آمن وأسلم جزما بلا تعليق

فتبين ان النزاع في المسئلة قد يكون لفظيا فان الذي حرمه هؤلاء
غير الذي استحسنته وأمر به أولئك ومن جزم جزم بما في قلبه من

الحال وهذا حق لاينافي تعليق الكمال والعاقبة ولكن هؤلاء عندهم
الاعمال ليست من الايمان فصار الايمان هو الاسلام عند أولئك
(والمشهور عند أهل الحديث أنه لا يستثنى في الاسلام) وهو
المشهور عن أحمد رضى الله عنه وقد روي عنه فيه الاستثناء كما قد بسط
هذا في شرح حديث جبريل وغيره من نصوص الايمان التى فى الكتاب
والسنة

(ولو قال لامرأته أنت طالق ان شاء الله) ففيه نزاع مشهور
وقد رجحنا التفصيل وهو ان الكلام يراد به شيئاً يراد به ايقاع
الطلاق تارة ويراد به منع ايقاعه تارة فان كان مراده أنت طالق بهذا
اللفظ فقوله ان شاء الله مثل قوله بمشيئة الله وقد شاء الله الطلاق حين
أنى بالناطق فيقع وان كان قد علق لئلا يقع أو علقه على مشيئة توجده
بعد هذا لم يقع به الطلاق حتى يطلق بعد هذا فانه حينئذ شاء الله أن
يطلق وقول من قال المشيئة تنجزه ليس كما قال بل نحن نعلم قطعاً أن الطلاق
لا يقع الا اذا طلقت المرأة بان يطلقها الزوج أو من يقوم مقامه من ولى
أو وكيل فاذا لم يوجد تطليق لم يقع طلاق قط فاذا قال أنت طالق
ان شاء الله وقصد حقيقة التعليق لم يقع الا بتطليق بعد ذلك وكذلك
اذا قصد تعليقه لئلا يقع الآن وأما ان قصد ايقاعه الآن وعلقه بالمشيئة
توكيداً وتحققاً فهذا يقع به الطلاق

وما أعرف أحداً أنشأ الايمان فعلقه على المشيئة فاذا علقه فان
كان مقصوده أنا مؤمن ان شاء الله أنا أو من بعد ذلك فهذا لم يصر مؤمناً

مثل الذي يقال له هل تصير من أهل دين الاسلام فقال اصبر ان شاء الله فهذا لم يسلم بل هو باق على الكفر وان كان قصده اني قد آمنت وايماني بمشيئة الله صار مؤمنا لكن اطلاق اللفظ يحتمل هذا وهذا فلا يجوز اطلاق مثل هذا اللفظ في الانشاء وأيضا فان الاصل انه انما يماق بالمشيئة ما كان مستقبلا فأما الماضي والحاضر فلا يماق بالمشيئة والذين استثنوا لم يستثنوا في الانشاء كما تقدم كيف وقد أمروا أن يقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وقال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فآخبر انهم آمنوا فوقع الايمان منهم قطعا بلا استثناء

وعلى كل أحد أن يقول آمنا بالله وما أنزل الينا كما أمر الله بلا استثناء وهذا متفق عليه بين المسلمين ما استثنى أحد من السلف قط في مثل هذا وانما الكلام اذا أخبر عن نفسه بأنه مؤمن كينجبر عن نفسه بأنه برآق فيقول القائل له أنت مؤمن هو عندهم كقوله هل أنت برآق فاذا قال أنبرآق فقد زكى نفسه فيقول ان شاء الله وأرجو أن أكون كذلك وذلك ان الايمان التام يتعقبه قبول الله له وجزاؤه عليه وكتابة الملك له فالاستثناء يعود الى ذلك لالى ما علمه هو من نفسه وحصل واستقر فان هذا لا يصح تعليقه بالمشيئة بل يقال هذا حاصل بمشيئة الله وفضله واحسانه وقوله فيه ان شاء الله بمعنى اذ شاء الله وذلك لتحقيق لا تعليق والرجل قد يقول والله ليكونن كذا ان شاء الله وهو جازم

بأنه يكون فالملق هو الفمل كقوله لندخلن المسجد الحرام ان شاء الله
والله عالم بأنهم سيدخلونه وقد يقول الآدمي لأفعلن كذا ان شاء الله
وهو لا يجزم بأنه يقع لكن يرجوه فيقول يكون ان شاء الله ثم عزمه
عليه قد يكون جازما ولكن لا يجزم بوقوع المعزوم عليه وقد يكون العزم
مترددا معلقا بالمشيئة أيضا ولكن متى كان المعزوم عليه معلقا لزم تعليق
بقاء العزم فانه بتقدير ان تعليق العزم ابتداء أو دواما في مثل ذلك ولهذا
لم يحنث المطلق المعلق وحرف أن لا يكون لا يبق العزم فلا بد اذا دخل
على الماضي صار مستقبلا تقول ان جاء زيد كان كذلك فان آمنوا بمثل
ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ واذا أريد الماضي
دخل حرف كان كقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني فيفرق بين قوله
أنا مؤمن ان شاء الله وبين قوله ان كان الله شاء ايماني * وكذلك اذا
كان مقصوده اني لأعلم بماذا يختم لي كما قيل لابي مسعود ان فلانا يشهد
انه مؤمن قال فليشهد أنه من أهل الجنة فهذا مراده اذا شهد انه مؤمن
عند الله يموت على الايمان وكذلك ان كان مقصوده ان ايماني حاصل
بمشيئة لله * ومن لم يستثن قال أنا لأشك في ايمان قلبي فلا جناح عليه
اذا لم يترك نفسه ويقطع بأنه عامل كما أمر وقد تقبل الله عمله وان لم يقل
ان ايمانه كايما جبريل وأبي بكر وعمر ونحو ذلك من أقوال المرجئة كما
كان مسعر بن كدام يقول أنا لأشك في ايماني قال أحمد ولم يكن من
المرجئة فان المرجئة الذين يقولون الاعمال ليست من الايمان وهو كان
يقول هي من الايمان لكن أنا لأشك في ايماني

وكان الثورى يقول لسفيان بن عيينة ألا تنهاه عن هذا فانهما من
 قبيلة واحدة وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضوع
 والمقصود هنا أن النزاع في هذا كان بين أهل العلم والدين من جنس
 المنازعة في كثير من الاحكام وكلهم من أهل الايمان والقرآن

﴿ وأما جهنم ﴾ فكان يقول ان الايمان مجرد تصديق القلب وان لم
 يتكلم به وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الائمة وأئمتها بل أحد
 ووكيح وغيرهما كفروا من قال به - هذا القول ولكن هو الذى نصره
 الاشعري وأكثرا أصحابه ولكن قالوا مع ذلك ان كل من حكم الشرع بكفره
 حكمنا بكفره واستدلنا بتكفير الشارع له على خلو قلبه من المعرفة وقد
 بسط الكلام على أقوالهم وأقوال غيرهم في الايمان

والاصل الذى منه نشأ النزاع اعتقاد من اعتقد أن من كان مؤمنا لم
 يكن معه شيء من الكفر والنفاق وظن بعضهم ان هذا اجماع كما ذكر
 الاشعري ان هذا اجماع فهذا كان أصل الارجاء كما كان أصل القدر
 عجّزهم عن الايمان بالشرع والقدر جميعا فلما كان هذا أصلهم صاروا
 حزينين قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينا أن الاعمال من الايمان
 فمن تركها فقد ترك بعض الايمان واذا زال بهضه زال جميعه لان
 الايمان لا يتبعض ولا يكون في العبد ايمان ونفاق فيكون أصحاب
 الذنوب مخلدين في النار اذا كان ليس معهم من الايمان شيء وقالت
 المرجئة مقصدتهم وغلاتهم كالجهمية قد علمنا ان أهل الذنوب من أهل
 القبلة لا يخلدون في النار بل يخرجون منها كما تواترت بذلك الاحاديث

وعلمنا بالكتاب والسنة واجماع الأئمة انهم ليسوا كفارا مرتدين فان
الكتاب قد أمر بقطع السارق لا بقتله وجاءت السنة بجلد الشارب لا بقتله
فلو كان هؤلاء كفارا مرتدين لوجب قتلهم وبهذا ظهر للاعتزلة ضعف
قول الخوارج نخلفوهم في أحكامهم في الدنيا

والخوارج لا يتمسكون من السنة الا بما فسر مجملها دون ماخالف
ظاهر القرآن عندهم فلا يرجون الزاني ولا يرون للمسرفة نصابا وحينئذ
فقد يقولون ليس في القرآن قبل المرتد فقد يكون المرتد عندهم نوعين
وأقوال الخوارج انما عرفناها من نقل الناس عنهم لم نقف لهم
على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة والزيدية
والكرامية والاشعرية والسابلية وأهل المذاهب الاربعة والظاهرية
ومذاهب أهل الحديث والفلاسفة والصوفية ونحو هؤلاء وقد بسط
الكلام علي تفصيل القوم في أقوال هؤلاء في غير هذا الموضوع

(وان الناس في ترتيب أهل الاهواء تلي أقسام) منهم من يرتبهم
علي زمان حدوثهم فيبدأ بالخوارج ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم
وغاظه فيبدأ بالمرجئة ويختم بالجهمية كما فعله كثير من أصحاب أحمد
رضى الله عنه كما عبد الله ابنه ونحوه وكالحلال وأبي عبد الله بن بطة
وأمثالهما وكأبي الفرج المقدسي وكلا الطائفتين تختم بالجهمية لانهم أغلظ
البدع وكأبي بخارى في صحيحه فانه بدأ بكتاب الايمان والرد على المرجئة
وختمه بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية ولما صنف الكتاب
في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات فيكون الكلام أولا مع

الجهمية وكذلك رتب أبو القاسم الطبري كتابه في أصول السنة والبيهقي أفرد لكل صنف مصنفين فله مصنف في الصفات ومصنف في القدر ومصنف في شعب الايمان ومصنف في دلائل النبوة ومصنف في البعث والنشور وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا أن منشأ النزاع في الاسماء والاحكام في الايمان والالام انهم لما ظنوا انه لا يتبعهض قال أوئك فاذا فعل ذنبا زال بهضه فيزول كله فيجند في النار فقالت الجهمية والمرجئة قد علمنا أنه ليس يجند في النار وانه ليس كافرا مرتدا بل هو من المسامحين واذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمنا تام الايمان به بهض الايمان لان الايمان عندهم لا يتبعهض فاجتاجوا أن يجملوا الايمان شيئا واحدا يشترك فيه جميع أهل القبلة فقال فقهاء المرجئة هو التصديق بالقلب والقول باللسان فقالت الجهمية بمد تصديق اللسان قد لا يجب اذا كان الرجل أخرس أو كان مكرها فالذي لا بد منه تصديق القلب وقالت المرجئة الرجل اذا ألم كان مؤمنا قبل أن يجب عليه شئ من الافعال وأنكر كل هذه الطوائف أنه ينقص (والصحابة) قد ثبت عنهم ان الايمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السنة وكان ابن المبارك يقول هو يتفاضل ويتزايد ويمسك عن لفظ ينقص وعن مالك في كونه لا ينقص رواه ابن والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص على نقصه كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو ذلك لكن لم يعرف هذا اللفظ الا في قوله في النساء ناقصات عقل ودين وجعل من نقصان

دينها انها اذا حاضت لاتصوم ولا تصلى وبهذا استدل غير واحد على أنه ينقص

وذلك ان أصل أهل السنة ان الايمان يتفاضل من وجهين من جهة أمر الرب ومن جهة فعل العبد أما الاول فانه ليس الايمان الذي أمر به شخص من المؤمنين هو الايمان الذي أمر به كل شخص فان المسلمين في أول الامر كانوا مأمورين بمقدار من الايمان ثم بعد ذلك أمروا بغير ذلك وأمروا بترك ما كانوا مأمورين به كالتبليغ فكان من الايمان في أول الامر الايمان بوجوب استقبال بيت المقدس ثم صار من الايمان تحريم استقباله ووجوب استقبال الكعبة فقد تنوع الايمان في الشريعة الواحدة وأيضا فن وجب عليه الحج والزكاة أو الجهاد يجب عليه من الايمان أن يعلم ما أمر به ويؤمن بان الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره الا مجالا وهذا يجب عليه فيه الايمان المفصل وكذلك الرجل أول ما يسلم انما يجب عليه الاقرار بالمحمل ثم اذا جاء وقت الصلاة كان عليه ان يؤمن بوجوبها ويؤديها فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الايمان وهذا من أصول غلط المرجئة فانهم ظنوا انه شيء واحد وانه يستوى فيه جميع المكلفين فقالوا ايمان الملائكة والانبياء وأفسق الناس سواء كما انه اذا تلفظ الفاسق بالشهادتين أو قرأ فاتحة الكتاب كان لفظه كلفظ غيره من الناس فيقال لهم قد تبين ان الايمان الذي أوجبه الله على عباده يتنوع ويتفاضل ويتباينون فيه تباينا عظيما فيجب على الملائكة من الايمان ما لا يجب على البشر ويجب على الانبياء من الايمان

مالا يجب على غيرهم ويجب على العلماء مالا يجب على غيرهم ويجب على الامراء مالا يجب على غيرهم وليس المراد انه يجب عليهم من العمل فقط بل ومن التصديق والاقرار فان الناس وان كان يجب عليهم الاقرار المجمل بكل ما جاء به الرسول فاكثرهم لا يعرفون تفصيل كل ما أخبر به وما لم يعلموه كيف يؤمرون بالاقرار به مفصلا وما لم يؤمروا به العبد من الاعمال لا يجب عليه معرفته ومعرفة الامر به فن امر بالحج وجب عليه معرفة ما أمر به من أعمال الحج والايان بها فيجب عليه من الايمان والعمل مالا يجب على غيره وكذلك من أمر بالزكاة يجب عليه معرفة ما أمر الله به من الزكاة ومن الايمان بذلك والعمل به مالا يجب على غيره فيجب عليه من العلم والايمان والعمل مالا يجب على غيره اذا جعل العلم والعمل ليسا من الايمان وان جعل جميع ذلك داخلا في مسمى الايمان كان أبلغ في كل حال قد وجب عليه من الايمان مالا يجب على غيره

ولهذا كان من الناس من قد يؤمن بالرسول مجملا فاذا جاءت أمور أخرى لم يؤمن بها فيصير منافقا مثل طائفة نافقت لما حوت القبلة الى الكعبة وطائفة نافقت لما انهمزت المسلمون يوم أحد ونحو ذلك ولهذا وصف الله المنافقين في القرآن بانهم آمنوا ثم كفروا كما ذكر ذلك في سورة المنافقين وذكر مثل ذلك في سورة البقرة فقال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عنى فهم لا يرجعون وقال

طائفة من السلف عرفوا ثم أنكروا وأبصروا ثم عموا
 فمن هؤلاء من كان يؤمن أولا ايمانا مجملا ثم يأتي أمورا يؤمن بها
 فيناقق في الباطن وما يمكنه اظهار الردة بل يتكلم بالنفاق مع خاصته
 وهذا كما ذكر الله عنهم في الجهاد فقال واذا أنزلت سورة محكمة وذكر
 فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض يظنون اليك نظر المغشى
 عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عنزم الامر فلو
 صدقوا الله لكان خيرا لهم

وبالجملة فلا يمكن المنازعة ان الايمان الذي أوجبه الله يتباين فيه
 أحوال الناس ويتفاضلون في ايمانهم ودينهم بحسب ذلك ولهذا قال النبي
 صلى الله عليه وسلم في النساء ناقصات عقل ودين وقال في نقصان دينهن
 انها اذا حاضت لا تصوم ولا تصلي وهذا مما أمر الله به فليس هذا المقص
 ديننا لها تعاقب عليه لكن هو نقص حيث لم تؤمر بالعبادة في هذا
 الحال والرجل كامل حيث أمر بالعبادة في كل حال فدل ذلك على ان
 من أمر بطاعة يفعلها كان أفضل ممن لم يؤمر بها وان لم يكن عاصيا فهذا
 أفضل ديننا وايماننا وهذا المفضل ليس بتعاقب ومذموم فهذه زيادة
 كزيادة الايمان بالتطوعات لكن هذه زيادة بواجب في حق شخص
 وليس بواجب في حق شخص غيره فهذه الزيادة وتركها بهذا لا يستحق
 العقاب بتركها وذلك لا يستحق العقاب بتركها ولكن ايمان ذلك أكمل
 قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا
 فهذا يبين تفاضل الايمان في نفس الامر به وفي نفس الاخبار

التي يجب التصديق بها والنوع الثاني وهو تفاضل الناس في الايمان به مع استوائهم في الواجب وهذا هو الذي يظن أنه محل النزاع وكلاهما محل النزاع وهذا أيضا يتفاضلون فيه فليدر ايمان السارق والزاني والشارب كايان غيرهم ولا ايمان من أدى الواجبات كايان من أخل ببعضها كما انه ليس دين هذا وبره وتقواه مثل دين هذا وبره وتقواه بل هذا أفضل ديناً وبراً وتقوى فهو كذلك أفضل ايماناً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وقد يجتمع في العبد ايمان ونفاق كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا أوتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر

وأصل هؤلاء ان الايمان لا يتبعض ولا يتفاضل بل هو شئ واحد يستوى فيه جميع العباد فيما أوجبه الرب من الايمان وفيما يفعله العبد من الاعمال فغاطوا في هذا وهذا ثم نفرقوا كما تقدم وصارت المرجئة على ثلاثة أقوال فعلماء وهم وأئمتهم أحسنهم قولاً وهو ان قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان

وقالت الجهمية هو تصديق القلب فقط فمن تكلم به فهو مؤمن بكامل الايمان لكن ان كان مقرراً ببقائه كان من أهل الجنة وان كان مكذباً بقلبه كان منافقاً مؤمناً من أهل النار

(وهذا القول هو الذي اختصت به الكرامية وابتدعته) ولم يسبقها

أحد الي هذا القون وهو آخر ما أحدث من الاقوال في الايمان وبعض الناس يحكى عنهم ان من تكلم به بلسانه دون قلبه فهو من أهل الجنة وهو غلط عليهم بل يقولون انه مؤمن كامل الايمان وانه من أهل النار فيلزمهم ان يكون المؤمن الكامل الايمان معذباً في النار بل يكون مخلداً فيها وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وان قالوا لا يخلد وهو منافق لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قد قال الله فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن نجد لهم نصيراً

وقد نهى الله نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وقال له استغفر لهم أولاً تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقال ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون وقد أخبر انهم كفروا بالله ورسوله فان قالوا هؤلاء فقد كانوا يتكلمون بالسنتهم سرّاً فكفروا بذلك وانما يكون مؤمناً اذا تكلم بلسانه ولم يتكلم بما ينقضه فان ذلك رده عن الايمان قيل لهم ولو أضغروا النفاق ولم يتكلموا به كانوا منافقين قال تعالى يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما يحذرون وأيضاً قد أخبر الله عنهم أنهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم واتهم كاذبون فقال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وقال تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان في القلب
وقد قال الله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا
ولما بدخل الايمان في قلوبكم وفي الصحيحين عن سعدان النبي صلى الله
عليه وسلم أعطي رجلاً ولم يعط رجلاً فقلت يا رسول الله أعطيت فلانا
وفلانا وتركت فلانا وهو مؤمن فقال أو مسلم مرتين أو ثلاثاً وبسط
الكلام في هذا له مواضع آخر وقد صنفت في ذلك مجلداً غير ما صنفت
فيه غير ذلك

وكلام الناس في هذا الاسم ومساها كثير لأنه قطب الدين الذي
يدور عليه وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاء والمدح والدم
والنواب والعقاب أعظم من اسم الايمان والكفر ولهذا سمي هذا الاصل
مسائل الاسماء والاحكام وقد رأيت لابن الهيثم فيه مصنفاً في أنه قول
اللسان فقط ورأيت لابن الباقلاني فيه مصنفاً أنه تصديق القلب فقط
وكلاهما في عصر واحد وكلاهما برد على المعتزلة والرافضة

(والمقصود هنا ان السلف كان اعتصامهم بالقرآن والايمان)
فلما حدث في الامة ما حدث من التفرق والاختلاف صار أهل التفرق
والاختلاف شيعاً صار هؤلاء عمدتهم في الباطن ليست على القرآن
والايمان ولكن على أصول ابتدعها شيوخهم عليها يعتمدون في التوحيد
والصفات والقدر والايمان بالرسول وغير ذلك ثم ما ظنوا أنه يوافقها
من القرآن احتجوا به وما خالفها تأولوه فلهذا تجردهم اذا احتجوا
بالقرآن والحديث لم يعتنوا بتحرير دلائلها ولم ينسقصوا ما في القرآن

من ذلك المعنى اذ كان اعتمادهم في نفس الامر الي غير ذلك والآيات التي نخالفهم بشرعون في تأويلها شروع من قصد ردها كيف أمكن ليس مقصوده ان يفهم مراد الرسول بل ان يدفع منازعه عن الاحتجاج بها

ولهذا قال كثير منهم كأبي الحسين البصرى ومن تبعه كل رازى والآمدى وابن الحاجب ان الامة اذا اختلفت في تأويل الآية على قولين جاز لمن بعدهم احداث قول ثالث بخلاف ما اذا اختلفوا في الاحكام على قولين فجوزوا ان تكون الامة مجتمعة على الضلال في تفسير اقرآن والحديث وان يكون الله أنزل الآية وأراد بها معنى لم يفهمه الصحابة والتابعون ولكن قالوا ان الله أراد معنى آخر وهم لو تصوروا هذه المقالة لم يقولوا هذا فان أصلهم أن الامة لا تجتمع على ضلالة ولا يقولون قواين كلاهما خطأ والصواب قول ثالث لم يقولوه لكن تداعنوا ان يتأولوا ما خالفهم والتأويل عندهم مقصوده بيان احتمال في لفظ الآية يجوز ان يراد ذلك المعنى بذلك اللفظ ولم يستشعروا أن المتأول هو مبين لمراد الآية مخبر عن الله تعالى أنه أراد هذا المعنى اذا حملها على معنى وكذلك اذا قال يجوز أن يراد بهذا المعنى والامة قبله لم يقولوا أريد بها الا هذا أو هذا فقد جوزوا أن يكون ما أراده الله لم يخبر به الامة وأخبرت أن مراده غير ما أراده لكن الذى قاله هؤلاء يمتشى اذا كان التأويل أنه يجوز أن يراد هذا المعنى من غير حكم بانه مراد وتكون الامة قبلهم كلها كانت جاهلة بمراد الله ضالة عن

معرفة و انقرض عصر الصحابة والتابعين وهم لم يعلموا الآية ولكن طائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وطائفة قالت يجوز أن يريد هذا المعنى وليس فيهم من علم المراد فجاء الثالث وقال ههنا معنى يجوز ان يكون هو المراد فاذا كانت الامة من الجهل بمعانى القرآن والضلال عن مراد الرب بهذه الحال توجه ماقلوه واسط هذا له موضع آخر والمقصود ان كثيراً من المتأخرين لم يصيروا يعتمدون في دينهم لاعلى القرآن ولا على الايمان الذى جاء به الرسول بخلاف السلف فلهذا كان الساف أكمل علماً و ايماناً وخطوهم أخف وصوابهم أكثر كما قدمناه وكان الاصل الذى أسسوه هو ما أمرهم الله به فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم فان هذا أمر للمؤمنين بما وصف به الملائكة كما قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين فوصفهم سبحانه بانهم لا يسبقونه بالقول وانهم بأمره يعملون فلا يخبرون عن شىء من صفاته ولا غير صفاته الا بعد أن يخبر سبحانه بما يخبر به فيكون خبرهم وقولهم تبعاً لخبره وقوله كما قال لا يسبقونه بالقول وأعمالهم تابعة لأمره فلا يعملون الا ما أمرهم هو أن يعملوا به فهم مطيعون لأمره سبحانه وقد وصف سبحانه بذلك ملائكة النار فقال قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شديد لا يعصون الله
 ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد ظن بعضهم ان هذا توكيد وقال
 بعضهم بل لا يعصونه في الماضي ويفعلون ما أمروا به في المستقبل وأحسن
 من هذا وهذا أن العاصي هو الممنوع من طاعة الامر مع قدرته على
 الامتثال فلو لم يفعل ما أمر به اعجزه لم يكن عاصياً فاذا قال لا يعصون
 الله ما أمرهم لم يكن في هذا بيان انه يفعلون ما يؤمرون فان العاجز
 ليس بعاص ولا فاعل لما أمر به فقال ويفعلون ما يؤمرون ليعين
 أنهم قادرون على فعل ما أمروا به فهم لا يتركونه لا عجزاً ولا معصية
 والامور انما يترك ما أمر به لأحد هذين اما أن لا يكون قادراً واما أن
 يكون عاصياً لا يريد الطاعة فاذا كان مطيعاً يريد طاعة الامر وهو قادر
 وجب وجود فعل ما أمر به فكذلك الملائكة انذكروا لا يعصون
 الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد وصف الملائكة بأنهم عباد
 مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما
 خلفهم ولا يشفقون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن
 يقل منهم انى الله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
 فالملائكة مصدقون بنجبر ربهم مطيعون لأمره ولا يخبرون حتى
 يخبر ولا يعملون حتى يأمر كما قال تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بأمره
 يعملون وقد أمر الله المؤمنين أن يكونوا مع الله ورسوله كذلك فان
 البشر لم يسمعوا كلام الله منه بل بينهم وبينه رسول من البشر فعليهم
 أن لا يقولوا حتى يقول الرسول ما ينطقهم عن الله ولا يعملوا الا بما

أمرهم به كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله واتقوا الله ان الله سميع علم

قال مجاهد لا تفتاتوا عليه بشيء حتى يقضيه الله على لسانه تقدموا
معناه تقدموا وهو فعل لازم وقد قرئ يقدموا يقال قدم وتقدم كما
يقال بين وتبين وقد يستعمل قدم منعدياً أى قدم غيره لكن هنا هو
فعل لازم فلا تقدموا معناه لا تقدموا بين يدي الله ورسوله

فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم فى شئ من الدين الا تبعاً لما جاء به
الرسول ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله
وعلمه تبعاً لامره فهذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين
لهم باحسان وأئمة المسلمين فلماذا لم يكن أحد منهم يعارض النصوص
بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول واذا أراد معرفة شئ
من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول فنه يتعلم وبه يتكلم
وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة وأهل البدع
لا يجعلون اعتمادهم فى الباطن ونفس الامر على ما تلقوه عن الرسول
بل على ما رووه أو ذاقوه ثم ان وجدوا السنة توافقه والا لم يبالوا بذلك
فاذا وجدوها تخالفه أعرضوا عنها تفويضاً أو حرفوها تأويلًا

فهذا هو الفرقان بين أهل الايمان والسنة وأهل النفاق والبدعة
وان كان هؤلاء لهم من الايمان نصيب وافر من اتباع السنة لكن
فيهم من النفاق والبدعة بحسب ما تقدموا فيه بين يدي الله ورسوله
وخالفوا الله ورسوله ثم ان لم يعلموا ان ذلك يخالف الرسول ولو علموا

لما قالوه لم يكونوا منافقين بل ناقصي الايمان مبتدعين وخطؤهم مغفور لهم لايه اقبون عليه وان نقصوا به

(فصل) وكل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عنه علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنه الا جهل وظلم وظن وما تهوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وذلك لان ما أخذ به الرسول فهو حق باطنا وظاهرا فلا يمكن أن يتصور أن يكون الحق في نقيضه وحينئذ فمن اعتقد نقيضه كان اعتقاده باطلا والاعتقاد الباطل لا يكون علما وما أمر به الرسول فهو عدل لانظلم فيه فنهي عنه فهو نهي عن العدل ومن أمر بضده فقد أمر بالظلم فان ضد العدل الظلم فلا يكون ما يخالفه الا جهلا وظلما ظنا وما تهوى النفس وهو لا يخرج عن قسمين أحسنهما أن يكون كان شرعا لبعض الانبياء ثم نسخ وأدناها أن يكون ما شرع قط بل يكون من المبدل فمكل ما خالف حكم الله ورسوله فاما شرع منسوخ واما شرع مبدل ما شرعه الله بل شرعه شارح بغير اذن من الله كما قال أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله لكن هذا وهذا قد يقعان في خفي الامور ودقيقها باجتهاد من أصحابها استفرغوا فيه وسمهم في طلب الحق ويكون لهم من الصواب والاتباع ما يغمر ذلك كما وقع مثل ذلك من بعض الصحابة في مسائل الطلاق والفرائض ونحو ذلك ولم يكن منهم مثل هذا في جلي الامور وجليها لان بيان هذا من الرسول كان ظاهرا بينهم فلا يخالفه الا من يخالف الرسول وهم معتصمون بحبل الله محكمون الرسول فيما شجر بينهم لا يتقدمون

بين يدى الله ورسوله فضلا عن تعدد مخالفة الله ورسوله
 فلما طال الزمان خفي على كثير من الناس ما كان ظاهرا لهم ودق
 على كثير من الناس ما كان جليا لهم فكثر من المتأخرين مخالفة الكتاب
 والسنة ما لم يكن مثل هذا في السلف
 وان كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يفتقر الله لهم خطاياهم
 ويشيدهم على اجتهادهم

وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين
 رجلا يعملها في ذلك الزمان لانهم كانوا يجردون من يعينهم على ذلك
 وهؤلاء المتأخرون لم يجردوا من يعينهم على ذلك لكن تضعيف الاجر
 لهم في أمور لم يضعف للصحابة لا يلزم ان يكونوا أفضل من الصحابة
 ولا يكون فضلهم كفضل الصحابة فان الذى سبق اليه انصحابة من
 الايمان والجهاد ومعاداة أهل الارض في موالاته الرسول وتصديقه
 وطاعته فيما ينجز به ويوجبه قبل أن تنتشر دعوته وتظهر كتبه وتكثر
 أعوانه وأنصاره وتنتشر دلائل نبوته بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين
 والمنافقين وانفاق المؤمنين، وأولهم في سبيل الله ابتغاء وجهه في مثل تلك
 لحال أمر ما بقى يحصل مثله لاحد كما فى الصحيحين عنه صلى الله عليه
 وسلم لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً
 ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه

وقد اتفقت النصوص الصحيحة عنه انه قال

خير القرون قرنى الذين بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

فجملة القرن الاول أفضل من القرن الثانى والثانى أفضل من الثالث
والثالث أفضل من الرابع لكن قد يكون في الرابع من هو أفضل من
بعض الثالث وكذلك في الثالث مع الثانى وهل يكون فيمن بعد الصحابة
من هو أفضل من بعض الصحابة المفضولين لا الفاضلين هذا فيه نزاع
وفيه قولان حكاهما القضى عياض وغيره ومن الناس من يفرضها في
مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فان معاوية له منزلة الصحبة والجهاد
مع النبي صلى الله عليه وسلم وعمر له منزلة فضيلته من العدل والزهد
والخوف من الله تعالى وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان من خالف الرسول فلا يعر وأن يتبع الظن وماتموي
الانفس كما قال تعالى في المشركين الذين يعبدون اللات والعزى ان
يتبعون الا الظن وماتموي الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى
وقال في الذين يخبرون عن الملائكة انهم أنك ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة ليمسكون الملائكة نسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغنى عن الحق شيئا فأعرض عنم تولى عن
ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم
بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى وهم جعلوهم انا كما قال وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا وفي القراءة الاخرى عند الرحمن
انا انا اشهدوا خلقهم ستمكتب شهادتهم ويسئلون وهؤلاء قال عنهم
ان يتبعون الا الظن لانه خبر محض ليس فيه عمل وهناك وماتموي
الانفس لانهم كانوا يعبدونها ويدعونها فهناك عبادة وعمل بهوى أنفسهم

فقال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس * والذي جاء به الرسول كما قال والنجم اذا هوى ماض صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى وكل من خالف الرسول لا يخرج عن الظن وما تهوى الانفس فان كان ممن يعتقدا مقاله وله فيه حجة يستدل بها كان غايته الظن الذي لا يغني من الحق شيئا كاحتجاجهم بقياس فالد أو نقل كاذب أو خطاب ألقى اليهم اعتقدوا انه من الله وكان من القاء الشيطان

وهذه الثلاثة هي عمدة من يخالف السنة بما يراه حجة ودليلا اما أن يحتج بادلة عقلية و يظنها برهانا وأدلة قطعية وتكون شبهات فاسدة مركبة من ألفاظ مجملة ومعاني متشابهة لم يميز بين حقاها وباطلها كما يوجد مثل ذلك في جميع ما يحتج به من خالف الكتاب والسنة انما يركب حججه من ألفاظ متشابهة فاذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وهذه هي الحجج العقلية وان تمسك المبطل بحجج سمعية فاما أن تكون كذب على الرسول أو تكون غير دالة على ما احتج بها أهل البطول فالمنع اسفي الاسناد واما في المتن ودلالاته على مذكر وهذه الحجة السمعية هذه حجج أهل العلم الظاهر

وأما حجة أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة فان أهل الحق من هؤلاء لهم (له مات صحيحة) مطابقة كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي أحد فعمر وكان عمر يقول اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا

منهم ما يقولون فانها تجلي لهم أمور صادقة * وفي الترمذي عن أبي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور
الله ثم قرأ قوله ان في ذلك لايات للمتوسمين * وقال بعض الصحابة
أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم * وفي صحيح البخارى
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ولا يزال عبدى يتقرب
الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره
الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها * وفي رواية فبى
يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى فقد أخذ برأيه يسمع بالحق ويبصر به
وكانوا يقولون ان السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله عنه
* وقال صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن
لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده وقال الله تعالى نور
على نور الايمان مع نور القرآن * وقال تعالى أفمن كان على بينة من ربه
ويتلوه شاهد منه وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله
* وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ما عليه المؤمن من بينة الايمان
وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما تكلموا فى وجوب النظر
وتحصيله للعالم فليل لهم أهل التصفية والرياضة والعبادة ولتأله يحصل
لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون لنظر كما قال الشيخ الملقب بالكبرى
(لارازى) ورفيقه وقد قال له يا شيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال
نعم فقلا كيف تعلم ونحن نتناظر فى زمان طويل كما ذكر شيئاً أفسدته
وكما ذكرت شيئاً أفسده فقال هو واردات ترد على النفوس تعجز

النفوس عن ردها فجاءه - لا يعجب ان من ذلك ويكرران الكلام وطلب
أحدهما أن يحصل له هذه الواردات فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له
وكان من المعتزلة النفاة

فبين له ان الحق مع أهل الاثبات وان الله سبحانه فوق سمواته
وعلم ذلك بالضرورة رأيت هذه الحكاية بخط القاضي نجم الدين أحمد
ابن محمد بن خلف المقدسي وذكر ان الشيخ الكبير حكاه له وكان
قد حدثني بهاعنه غير واحد حتى رأيتها بخطه وكلام المشايخ في مثل
هذا كثير وهذا الوصف الذي ذكره الشيخ جواب لهم بحسب
ما يعرفون فانهم قد قسموا العلم الى ضروري ونظري والنظري مستند
الى الضروري والضروري هو العلم الذي يلزم نفس الخلق لزوما
لا يمكنه معه الانفكاك عنه وهذا حد القاضي أبي بكر الطيب وغيره
نخاصته انه يلزم النفس لزوما لا يمكن مع ذلك دفعه فقال لهم علم اليقين
عندنا هو من هذا الجنس وهو علم يلزم النفس لزوما لا يمكنه مع ذلك
الانفكاك عنه وقال وارادات لانه يحصل مع العلم طمأنينة وسكينة
توجب العمل به فالواردات تحصل بهذا وهذا وهذا قد أقر به كثير من
حذاق النظر متقدميهم كالكياء الهراسي والغزالي وغيرهما ومتأخريهم
كالرازي والآمدي وقالوا نحن لا نتكر أن يحصل لناس علم ضروري
يما يحصل لنا بالنظر هذا لا يدفعه لكن ان لم يكن علما ضروريا
فلا بد له من دليل والدليل يكون مستلزما للمدلول عليه بحيث يلزم
من انتفاء الدليل انتفاء المدلول عليه قالوا فان كان لو دفع ذلك الاعتقاد

الذي حصل له لزم دفع شئ مما يعلم بالضرورة فهذا هو الدليل وان لم يكن كذلك فهذا هوس لا يلتفت اليه وبسط هذا له موضع آخر والمقصود ان هذا الجنس واقع لكن يقع أيضا ما يظن انه منه كبير أولا يميز كثير منهم الحق من الباطل كما يقع في الادلة العقلية والسمعية فمن هؤلاء من يسمع خطابا أو يرى من يأمره بقضية ويكون ذلك الخطاب من الشيطان ويكون ذلك الذي يخاطبه الشيطان وهو يحسب أنه من أولياء الله من رجال الغيب

ورجال الغيب هم الجن وهو يحسب انه انسي وقد يقول له أنا الحضرة أو الياس بل أنا محمد أو ابراهيم الخليل أو المسيح أو أبو بكر أو عمر أو أنا الشيخ فلان أو الشيخ فلان ممن يحسن بهم الظن وقد يطير به في الهواء أو يأتيه بطعام أو شراب أو نفقة فيظن هذا كرامة بل آية ومعجزة تدل على ان هذا من رجال الغيب أو من الملائكة ويكون ذلك شيطانا البس عليه فهذا ومثله واقع كثيرا أعرف منه وقائع كثيرة كما أعرف من الغلط في السمعيات والعقليات فهؤلاء يتبعون ظنا لا يغني عن الحق شيئا ولو لم يتقدموا بين يدي الله ورسوله بل اعتصموا بالكتاب والسنة لتبين لهم ان هذا من الشيطان وكثير من هؤلاء يتبع ذوقه ووجدته وما يجده محبوبا اليه بغير علم ولا هدى ولا بصيرة فيكون متبعا لهواه بلا ظن وخيارهم من يتبع الظن وما نهوى الأنفس وهؤلاء اذا طلب من أحدهم حجة ذكر تقليده لمن يحبه من آباءه وأسلافه كقول المشركين انا وجدنا آباءنا على أمة وأنا

على آثامهم مقتدون وان عكسوا احتجوا بالقدر وهو ان الله أراد هذا وسلطانا عليه فهم يعملون بهواهم وارادة نفوسهم بحسب قدرتهم كالمملك المساطين وكان الواجب عليهم أن يعملوا بما أمر الله فيتبعون أمر الله وما يحببه ويرضاه لا يتبعون ارادتهم وما يحبونه هم ويرضونه وأن يستعينوا بالله فيقولون اياك نعبد و اياك نستعين لا حول ولا قوة الا بالله لا يعتمدون على ما أوتوه من القوة والتصرف والحال فان هذا من الجبد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عقب الصلاة وفي الاعتدال بعد الركوع اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجبد منك الجبد

فالذوق والوجد هو يرجع الى حب الانسان ووجده بحلاوته وذوقه وطعمه وكل صاحب محبة فله في محبوبه ذوق ووجد فان لم يكن ذلك بساطان من الله وهو ما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم كان صاحبه متبعا لهواه بغير هدي وقد قال الله تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وقال تعالى وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثير الضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وكذلك من اتبع ما يرد عليه من الخطايا أو ما يراه من الانوار والاشخاص الغيبية ولا يعتبر ذلك بالكتاب والسنة فانما يتبع ظنا لا يغني من الحق شيئا

فليس في المحمدين الملهمين أفضل من عمر كما قال صلى الله عليه

وسلم انه قد كان في الامم قبلكم محدثون فان يكن في أمي منهم أحد
 قعمر منهم وقد وافق عمر ربه في عدة أشياء ومع هذا فكان عليه أن
 يعتصم بما جاء به الرسول ولا يقبل ما يرد عليه حتي يعرضه علي الرسول
 ولا يتقدم بين يدي الله ورسوله بل يجعل ماورد عليه وكان اذا تبين
 له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له فيرجع الى السنة وكان أبو بكر
 يبين له أشياء خفيت عليه فيرجع الى بيان الصديق وارشاده وتعليمه
 كما جرى يوم الحديبية ويوم مات الرسول ويوم ناظره من مانع الزكاة
 وغير ذلك وكانت المرأة ترد عليه ما يقوله وتذكر الحجة من القرآن
 فيرجع اليها كما جرى في مهور النساء ومثل هذا كثير ؛

فكل من كان من أهل الالهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل
 من عمر فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعاً لما
 جاء به الرسول لا يجعل ما جاء به الرسول تبعاً لما ورد عليه وهؤلاء الذين
 أخطؤا وضلوا وتركوا ذلك واستغنوا بما ورد عليهم وظنوا ان ذلك
 يغنيهم عن اتباع العلم المنقول

وصار أحدهم يقول أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا
 عن الحي الذي لا يموت فيقال له أما ما نقله الثقات عن المعصوم فهو
 حق ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك اما من المشركين واما
 من اليهود والنصارى وأما ماورد عليك فمن أين لك انه وحي من الله
 ومن أين لك انه ليس من وحي الشيطان

والوحي وحيان وحي من الرحمن ووحى من الشيطان قال تعالى

وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين وتد كان المختار بن أبي عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمرو ابن عباس قيل لاحدهما انه يقول انه يوحى اليه فقال وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وقيل للآخر انه يقول انه ينزل عليه فقال هل انبئكم على من تنزل الشياطين فهؤلاء يحتاجون الى الفرقان الايماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم وهؤلاء لهم حسيات يرونها ويسمعونها والحسيات يضطر اليها الانسان بغير اختياره كما قد يرى الانسان أشياء ويسمع أشياء بغير اختياره كما ان النظار لهم قياس ومعقول وأهل السمع لهم أخبار منقولات وهذه الانواع الثلاثة هي طرق العلم الحس والخبر والنظر وكل انسان من هذه الثلاثة في بعض الامور لكن يكون بعض الانواع أغلب على بعض الناس في الدين وغير الدين كالطبيب فانه تجربات وقياسات وأهله منهم من يغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس والقياس أصله التجربة والتجربة لا بد فيها من قياس لكن مثل قياس العاديات لا يعرف فيه العلة والمناسبة وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية فلا بد له من الحسيات التي هي الاصل ليعتبر بها والحس ان لم يكن مع صاحبه عقل والا فقد يغلط

والناس يقولون غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه فان الحس يرى أمرا معينا فيظن صاحبه فيه شياً آخر فيؤتي من ظنه فلا بد له من العقل

ولهذا النائم يرى شياً وتلك الامور لها وجود وتحقيق ولكن هي خيالات وأمثلة فلما عذب ظنها الرائي نفس الحقائق كالذي يرى نفسه في مكان آخر يكلم أمواتا ويكلمونه ويفعل أموراً كثيرة وهو في النوم يجزم بانه نفسه الذي يقول ويفعل لان عقله عذب عنه وتلك الصورة التي رآها مثال صورته وخيالها ليكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن ان ذلك المثال هو نفسه فلما ثبت اليه عقله علم ان ذلك خيالات ومثالات ومن الناس من لا يغيب عقله بل يعلم في المنام أن ذلك في المنام وهذا كالذي يرى صورته في المرآة أو صورة غيره فاذا كان ضعيف العقل ظن أن تلك الصورة هي الشخص حتى انه يفعل به ما يفعله بالشخص وهذا يقع للسميان والبله كما يخيل لاحدهم في الضوء شخص يتحرك ويصعد وينزل فيظنونونه شخصاً حقيقاً ولا يعلمون انه خيال فالحس أحسن صحیحاً لم يغلط لكن معه عقل لم يميز بين هذا العين والمثال فان العقل قد عقل قبل هذا أن مثل هذا يكون مثالا وقد عقل لوازم الشخص بعينه وانه لا يكون في الهواء ولا في المرآة ولا يكون بدنه في غير مكانه وأن الجسم الواحد لا يكون في مكانين

وهؤلاء الذين لهم مكاشفات ومخاطبات يرون ويسمعون ماله وجود في الخارج ومالا يكون موجوداً الا في أنفسهم كحال النائم وهذا يعرفه

كل أحد ولكن قد يرون في الخارج أشيخاً برها عياناً وما في خيال
الإنسان لا يراه غيره ويخاطبهم أو لك الأشيخاخاص ويحملونهم ويذهبون بهم
إلى عرفات فيقفون بها وأما إلى غير عرفات ويأتونهم بذهب وفضة
وطعام ولباس وسلاح وغير ذلك يخرجون إلى الناس ويأتونهم أيضاً
بمن يطلبونه مثل من يكون له ارادة في امرأة أو صبي فيأتونه بذلك أما
محمولاً في الهواء وأما بسعى شديد ويخبر أنه وجد في نفسه من الباعث
القوى ما لم يمكنه المقام معه أو يخبر أنه سمع خطاباً وقد يقتلون له من يريد
قتله من أعدائه أو يمرضونه فهذا كله موجود كثيراً لكن من الناس من
يعلم أن هذا من الشيطان وأنه من السحر وأن ذلك حصل بما قاله ويعلمه
من السحر ومنهم من يعلم أن ذلك من الجن ويقول هذا كرامة أكرمنا
بتسخير الجن لنا ومنهم من لا يظن أولئك الأشيخاخاص إلا آدميين أو ملائكة
فإن كانوا غير معروفين قال هؤلاء رجال الغيب وإن يسموا قالوا هذا هو
الحضر وهذا هو الياس وهذا هو أبو بكر وعمر وهذا هو الشيخ عبد القادر
أو الشيخ عدى أو الشيخ أحمد الرفاعي أو غير ذلك ظن أن الأمر كذلك
فهنأ لم يغلط لكن غلط عقوله حيث لم يعرف أن هذه شياطين تمتد على
صور هؤلاء وكثير من هؤلاء يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه أو
غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي
صلى الله عليه وسلم أو الشيخ وهو صادق في أنه آياه من قال أنه النبي
أو الشيخ أو قيل له ذلك فيه لكن غلط حيث ظن صدق أولئك والذي
له عقل وعلم يعلم أن هذا ليس هو النبي صلى الله عليه وسلم تارة لما يراه

منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمره بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة يعلمه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا لي وتارة يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه في الجنة لا تصير في الدنيا هكذا وهذا يقع كثيراً لكثير من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رفيقة فلان وقد يقولون هو معناه يشكل وقد يقولون روحايته ومن هؤلاء من يقول اذا مات فلا تدعوا أحداً يغسلني ولا فلانا يحضرني فاني أنا أغسل نفسي فاذا مات رأوه قد جاء وغسل ذلك البدن ويكون ذاك جنياً قد قال لهذا الميت انك تجميء بمد الموت واعتقد ذلك حقاً فانه كان في حياته يقول له أموراً ومرض الشيطان أن يضل أصحابه وأما بلاد المشركين كالهند فهذا كثيراً ما يرون الميت بعد موته جاء وفتح حانوته ورد ودائع وقضي ديوناً ودخل الي منزله ثم ذهب وهم لا يشكون أنه الشخص نفسه وانما هو شيطان تصور في صورته

(ومن هؤلاء) من يكون في جنازة أبيه أو غيره والميت على سريره وهو يراه أخذاً يمشي مع الناس بيد ابنه وأبيه قد جعل شيخاً مد أبيه فلا يشك ابنه أن أباه نفسه هو كان الماشي معه الذي رآه هو دون غيره وانما كان شيطانا ويكون مثل هذا الشيطان قد سمي نفسه خالداً وغير خالد وقال لهم انه من رجال الغيب وهم يعتقدون أنه من الانس الصالحين ويسمونه خالداً الغيبي وينسبون الشيخ اليه فيقولون محمداً الخالدي ونحو ذلك

(فان الجن مأمورون ومنهيون) كالانس وقد بعث الله الرسل من الانس اليهم والى الانس وأمر الجميع بطاعة الرسل كما قال تعالى يامعشر الجن والانس ألبأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين وهذا بعد قوله ويوم نحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض وبلغنا أجانا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله * قال غير واحد من السلف أى كثير من أغويتهم من الانس وأضلائهم وهم قال البغوى قال بعضهم استمتع الانس بالجن ما كانوا ياقون لهم من الاراحيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التى يهيئونها ويسهل سبيلها عليهم واستمتع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً وذكر ابن أبى حاتم عن الحسن البصري قال ما كان استمتع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس * وعن محمد بن كعب قال هو الصحابة فى الدنيا وقال ابن السائب استمتع الانس بالجن استعاضتهم بهم واستمتع الجن بالانس ان قالوا قد أسرنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفاً في أنفسهم وعظماً في نفوسهم وهذا كقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً * قلت الاستمتاع بالشئ هو أن يتمتع به ينال به ما يطلبه ويريده ويهواه ويدخل فى ذلك استمتاع الرجال بالنساء

بعضهم لبعض كما قال فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فربضة
ومن ذلك الفواحش كاستمتاع الذكور بالذكور والاناث بالاناث
ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياضة كما يتمتع الملوك
والسادة بجنودهم ومماليكهم ويدخل في ذلك الاستمتاع بالاموال كاللباس
ومنه قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وكان من
السلف من يتمتع المرأة بمخادم فهي تستمتع بخدمة ومنهم من يتمتع بكسوة
أو نفقة ولهذا قال الفقهاء أعلى انعمة خادم وأدناها كسوة يجزى
فيها الصلاة

وفي الجملة استمتع الانس بالخن والخن بالانس يشبه استمتاع
الانس بالانس قال تعالى لأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وقال تعالى وتقطع بهم السباب قال مجاهد هي المودات التي كانت لغير
الله وقال الخليل انما اتخذتم من دون الله اوتانا مودة بينكم في الحياة
الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً وقال
تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه فالمشرك يعبد ما يهواه واتباع الهوي
هو استمتاع من صاحبه بما يهواه وقد وقع في الانس والخن هذا كله
وتارة يخدم هؤلاء لهؤلاء في أغراضهم وهؤلاء لهؤلاء في أغراضهم
فالخن تأتيه بما يريد من سورة أومال أو قتل عدوه والانس تطيع
الخن فتارة يسجد له وتارة يسجد لما يأمره بالسجود له وتارة يمكنه
من نفس فيفعل به الفاحشة وكذلك الجنيات منهن من يريد من الانس
الذي يخدمه ما يريد نساء الانس من الرجال وهذا كثير في رجال الجن

ونسائهم فكثير من رجالهم ينال من نساء الانس ما يناله الانسى وقد يفعل ذلك بالذكران

(وصرع الجن للانس هو لأسباب ثلاثة) تارة يكون الجنى يجب المصروع فيصرعه ليمتتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل وتارة يكون الانسى آذاهم إذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حاراً أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى وهذا أشد الصرع وكثيراً ما يقتلون المصروع وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبت سفهاء الانس ببناء السبيل

ومن استمتع الانس بالجن استخدامهم في الاخبار بالامور الغائبة كما يخبر الكهان فان في الانس من له غرض في هذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك فان كان القوم كفاراً كما كانت العرب لم تبال بأن يقال انه كاهن كما كان العرب كهاناً وقدّم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم الى الكهان وكان أبو أبرق الاسلمى أحد الكهان قبل أن يسلم وان كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن بل يجهل ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان فانه لا يخدم الانسى بهذه الاخبار الا لما يستمتع به من الانسى بان يطبعه الانسى في بعض ما يريد اماً في شرك واما في فاحشة واما في أكل حرام واما في قتل نفس بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة في الشر والفتن يحبون ذلك وان لم يكن فيه منفعة لهم وهم يقولون بأمر السارق أن يسرق ويذهب الى

أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا يقابل القوة الملكية والبهيمية والسبعية والشیطانية فان الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمية فيها الشهوات كالاكل والشرب والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤذى وأما الشیطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة

والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشاطين لا يعرفون هذه وإنما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العدوان فيهما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذي لا ينفعه فيه ويحب ذلك كما فعل ابليس بأدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود لكن يبغض ذلك وقد يكون بغضه لفوات غرضه وقد لا يكون

ومن استمتع الانس بالجن استخدامهم في احضار بعض ما يطلبونه من مال وطعام وثياب ونفقة فقد يأتون ببعض ذلك وقد يدلونه على كنز وغيره واستمتع الجن بالانس استعمالهم فيما يريد الشيطان من كفر وفسوق ومعصية

ومن استمتع الانس بالجن استخدامهم فيما يطلبه الانس من شرك وقتل وفواحش فتارة يتمثل الجنى في صورة الانمي فاذا استغاث به بعض أتباعه أتاه فظن انه الشيخ نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به ياسيدي فلان فينقل الجنى ذلك الكلام الى الشيخ بمثل صوت الانمي حتى يظن الشيخ انه صوت الانمي بعينه ثم ان الشيخ يقول نعم ويشير اشارة يدفع بها ذلك المكروه فيأتي الجنى بمثل ذلك الصوت والفعل

يظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذي أجابه وهو الذي فعله ذلك حتى ان تابع الشيخ قد يكون يده في اناء يأكل فيضع الجنيّ يده في صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام فيظن ذلك التابع انه شيخه حاضر معه والجنيّ يمثل للشيخ نفسه ، مثل ذلك الاناء فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ ان يده في ذلك الاناء فاذا حضر المرید ذكر له الشيخ ان يدي كانت في الاناء فيصدقه ويكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده لم تطل ولكن الجنيّ مثل للشيخ ومثل للمرید حتى ظن كل منهما ان أحدهما عند الآخر وانما كان عنده ما مثله الجنيّ وخيله واذا سئل الشيخ المخدم عن أمر غائب اما سرقة واما شخص مات وطاب منه ان يخبر بحاله أو علة في النساء أو غير ذلك فان الجنيّ قد يمثل ذلك فير به صورة المسروق فيقول الشيخ ذهب لكم كذا وكذا ثم ان كان صاحب المال معظما وأراد ان يدلّه علي سرقة مثل له الشيخ الذي أخذه أو الميكان الذي فيه المال فيذهبون اليه فيجدونه كما قال والاكثر منهم أنهم يظهرون صورة المال ولا يكون عليه لان الذي سرق المال معه أيضا حتى يخدمه والجنيّ يخاف بعضهم من بعض كما ان الانس يخاف بعضهم بعضا فاذا دل الجنيّ عليه جاء اليه أولياء السارق فأذوه وأحيانا لا يدلّ السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه كما يصيب مرّف اللصوص من الانس تارة يعرف السارق ولا يعرف به امل الرغبة ينالها منه وامل الرهبة وخوف منه واذا كان المال المسروق لكبير يخافه ويرجوه عرف سارقه فهذا وأمثله من استمتاع بعضهم ببعض

(والجن مكلفون كتكليف الانس) ومحمد صلى الله عليه وسلم
مرسلا الى الثقلين الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بنصوص
واجماع المسلمين (وأمام مؤمنهم) ففهم قولان وأكثر العلماء على
أنهم يثابون أيضا ويدخلون الجنة وقد روى أنهم يكونون في ربضها
يراهم الانس من حيث لا يرون الانس عكس الحال في الدنيا وهو
حديث رواه الطبراني في معجمه الصغير يحتاج النظر في اسناده
* وقد احتج ابن أبي ليلى وأبو يوسف على ذلك بقوله تعالى ولكل درجات
مما عملوا وقد ذكر الجن والانس الابرار والنجار في الاحقاف
والانعام * واحتج الاوزاعي وغيره بقوله تعالى لم يطعمهن انس قباهم
ولا جان وقد قال تعالى في الاعراف أولئك الذين حق عليهم القول في
أمر قد خلت من قبلهم من الجن والانس أنهم كانوا خسرين ولكل
درجات مما عملوا وقد تقدم قبل هذا ذكر أهل الجنة وقوله أولئك
الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة
ثم قال ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون قال
عبدالرحمن بن زيد بن أسلم درجات أهل الجنة تذهب علوا ودرجات
أهل النار تذهب سفلا وقد قال تعالى عن قول الجن منا الصالحون
ومنا دون ذلك منا طرائق قد دنا وقالوا وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم
حطبا ففهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم من أفيه عبادة ودين بنوع
من قلة العلم كما في الانس وكل نوع من الجن يميل الى نظيره من الانس

فاليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمسلمون مع المسلمين
والفساق مع الفساق وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع
واستخدام الانس لهم مثل استخدام الانس للانسان بشئ * منهم من
يستخدمهم في المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله
بلاء - لم وقد يظنون ذلك من كرامات الصالحين وانما هو من أفعال
الشياطين * ومنهم من يستخدمهم في أمور مباحة اما احضار ماله أو
دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم أو دفع من يؤذيه ونحو
ذلك فهذا كاستمارة الانس بعضهم ببعض في ذلك * والنوع الثالث أن
يستعملهم في طاعة الله ورسوله كما يستعمل الانس في مثل ذلك فيأمرهم
بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الانس
وينهاهم وهذه حال نبينا صلي الله عليه وسلم وحال من اتبعه واقتدي به
من أمته وهم أفضل الخلق فانهم يأمرون الانس والجن بأمرهم الله به
ورسوله وينهون الانس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله اذ كان نبينا
محمد صلي الله عليه وسلم مبعوثا بذلك الى الثقيلين الانس والجن وقد
قال الله له قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني
وسبحان الله وما أنا من المشركين وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (وعمر رضى الله عنه
للمانادي ياسارية الحبل قال ان لله جنودا يملغون صوتي) وجنود الله هم
من الملائكة ومن صالحى الجن فجنود الله يملغوا صوت عمر الى سارية
وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر والانفس صوت عمر لا يصل نفسه

في هذه المسافة البعيدة وهذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه فيقول
يافلان فيعان على ذلك فيقول الواسطة بينهما يافلان وقد يقول لمن هو
بعيد عنه يافلان احبس الماء انا وهو لا يسمع صوته فيناديه
الواسطة بمثل ذلك يافلان احبس الماء ارسل الماء اما بمثل صوت الاول
ان كان لا يقبل الاصوته والا فلا يضر بأي صوت كان اذا عرف ان
صاحبه قد ناداه وهذا حكاية كان عمر مرة قد ارسل جيشا فجاء شخص
وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر فقال عمر من أين لكم
هذا قالوا شخص صفته كيت وكيت فأخبرنا فقال عمر ذلك أبو الهيثم
يريد الجن وسيجيء بريد الانسان بعد ذلك بأيام

وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويستتكمه اياه فيخرج فيرى
الناس يتحدثون به فان الجن تسمعه وتخبر به الناس والذين يستخدمون
الجن في المباحات يشبه استخدام سليمان لكن أعطى ملكا لا ينبغي لاحد
بعده وسخرت له الانس والجن وهذا لم يحصل لغيره والنبي صلى
الله عليه وسلم لما تفلت عليه العفريت ليقطع عليه صلته قال فأخذته
فدعته حتى سال لعابه عنى يدي وأردت أن أربطه الى سارية من
سوارى المسجد ثم ذكرت دعوة أخي سليمان فأرسلته فلم
يستخدم الجن أصلا لكن دعاهم الى الايمان بالله وقرأ عليهم
القرآن وبلغهم الرسالة وبايعهم كما فعل بالانس * والذي أوتيته
صلى الله عليه وسلم أعظم مما أوتيته سليمان فانه استعمل الجن
والانس في عبادة الله وحده وسعادتهم في الدنيا والآخرة لا لغرض

يرجع اليه الا ابتداء وجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون نبياً ملكاً فداود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسل عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الابرار أصحاب اليمين وكثير من يرى هذه العجائب الحارقة يعتقد أنها من كرامات الاولياء وكثير من أهل الكلام والملم لم يعرفوا الفرق بين الأنبياء والصالحين في الآيات الحارقة وما لاولياء الشيطان من ذلك من السحرة والكهان والكفار من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والضلال من الداخلين في الاسلام جعلوا الخوارق جنساً واحداً وقالوا كلها يمكن أن تكون معجزة اذا اقترنت بدعوى النبوة والاستدلال بها والتجدي بمثلها

واذا ادعى النبوة من ليس بنبي من الكفار والسحرة فلا بد أن يسلبه الله ما كان موهباً من ذلك وأن يقبض له من يعارضه ولو عارض واحد من هؤلاء النبي لأعجزه الله بخفاصة المعجزات عندهم مجرد كون المرسل اليهم لا يأتون بمثل ما أتى به النبي كان معتاداً للناس قالوا ان عجز الناس عن المعارضة خرق عادة فهذه هي المعجزات عندهم وهم ضاهوا سلفهم من المعتزلة الذين قالوا المعجزات هي خرق العادة لئلا ينكروا كرامات الصالحين وأنكروا أن يكون السحر والكهانة الا من جنس الشعبذة والحيل لم يعلموا أن الشياطين تعين على ذلك وأولئك أتبعوا الكرامات ثم زعموا أن المسلمين أجمعوا على أن هذه لا تكون الا لرجل صالح أو نبي قالوا فاذا ظهرت على يد رجل كان صالحاً بهذا الاجماع

وهؤلاء أنفسهم قد ذكروا أنها تكون للسهرة ما هو مثلها ويتأقنوا
في ذلك كما قد بسط في غير هذا الموضوع

فصار كثير من الناس لا يعلمون ما للسهرة والكهان وما يفعله
الشياطين من العجائب وظنوا أنها لا تكون الا لرجل صالح فصار من
ظهرت هذه له يظن أنها كرامة فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة
الاولياء وكذلك غيرهم يظن فيه ذلك ثم يقولون الولي اذا تولى لا يعترض
عليه فمنهم من يراه مخالفاً لما علم بالاضطرار من دين الرسول مثل ترك
انصلاة المفروضة وأكل الحباث كالحمر والحشيشة والميتة وغير ذلك وفعل
الفواحش والفحش والتفحش في المنطق وظلم الناس وقتل النفس بغير
حق والشرك بالله وهو مع ذلك يظن فيه أنه ولي من اولياء الله قد
وهبه هذه الكرامات بلا عمل فضلاً من الله تعالى ولا يعلمون ان هذه
من أعمال الشياطين وان هذه من اولياء الشياطين يضل به الناس
ويغوهم

(ودخلت) الشياطين في أنواع من ذلك فتارة يأتون الشخص
في النوم يقول أحدهم أنا أبو بكر الصديق وأنا أتوبك لى وأصير شيخك
وأنت تتوب الناس لى ويلبسه فيصبح وعلى رأسه ما ألبسه فلا يشك ان الصديق
هو الذى جاءه ولا يعلم أنه الشيطان وقد جرى مثل هذا لعدة من
المشايخ بالعراق والجزيرة والشام وتارة يقص شمره في النوم فيصبح
فيجد شعره مقصوصاً وتارة يقول أنا الشيخ فلان فلا يشك ان الشيخ
نفسه جاءه وقص شعره

وكثيراً ما يستغيث الرجل بشيخه الحى أو الميت فيأتونه في صورة ذلك الشيخ وقد يخلصونه مما يكره فلا يشك ان الشيخ نفسه جاءه أو ان ملكاً تصور بصورته وجاءه ولا يعلم ان ذلك الذي تمثل انما هو الشيطان لما اشرك بالله أضلته الشياطين والملائكة لا تجيب مشركاً وتارة يأتون الى من هو خال في البرية وقد يكون ملكاً أو أميراً كبيراً ويكون كافرأ وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت فيأتيه في صورة انسى ويسقيه ويدعوه الى الاسلام ويتوبه فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه ويدله على الطريق ويقول من أنت فيقول أنا فلان ويكون في موضع (كما جرى مثل هذا الى) كنت في مصر في قلعها وجري مثل هذا الى كثير من الترك من ناحية المشرق وقال له ذلك الشخص أنا ابن تيمية فلم يشك ذلك الامير انى أنا هو وأخبر بذلك ملك ماردين وأرسل بذلك ملك ماردين الى ملك مصر رسولا وكنت في الحبس فاستعظموا ذلك وأنا لم أخرج من الحبس ولكن كان هذا جنياً يحبنا فيصنع بالترك الترتير مثل ما كنت أصنع بهم لما جاؤا الى دمشق كنت أدعوهم الى الاسلام فاذا نطق أحدهم بالشهادتين أطعمتهم ما تيسر فعمل معهم مثل ما كنت أعمل وأراد بذلك اكرامى ليظن ذلك انى أنا الذى فعلت ذلك

(قال لى طائفة من الناس فلم لا يجوز أن يكون ملكاً قلت لا) ان الملك لا يكذب وهذا قد قال أنا ابن تيمية وهو يعلم أنه كاذب في ذلك (وكثير من الناس) رأى من قال انى أنا الخضر وانما كان جنياً

ثم صار من الناس من يكذب بهذه الحكايات انكار الموت الحضر والذين قد صرفوا صدقها يقطعون بحياة الحضر وكلا الطائفتين مخطيء فان الذين رأوا من قال اني أنا الحضر هم كثيرون صادقون والحكايات متواترات لكن اخطوا في ظنهم انه الحضر وانما كان جنياً ولهذا يجرى مثل هذا لليهود والنصارى فكثيرا ما يأتهم في كنائسهم من يقول انه الحضر وكذلك اليهود يأتهم في كنائسهم من يقول انه الحضر وفي ذلك من الحكايات الصادقة ما يضييق عنه هذا الموضوع يبين صدق من رأي شخصاً وظن انه الحضر وانه غلط في ظنه انه الحضر وانما كان جنياً وقد يقول أنا المسيح أو موسى أو محمد أو أبو بكر أو عمر أو الشيخ فلان فكل هذا قد وقع والنبي صلى الله عليه و- لم قال من رآني في المنام فقد رآني حقاً فان الشيطان لا يتمثل في صورتى قال ابن عباس في صورته التي كان عليها في حياته وهذه رؤية في الامم وأما في اليقظة فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيء بنفسه للناس عيانا قبل يوم القيامة فمن جهله أتى

(ومن هنا) ضلت النصارى حيث اعتقدوا ان المسيح بعد ان صلب كما يظنون انه أتى الى الحواريين وكلمهم ووصاهم وهذا مذكور في أناجيلهم وكلها تشهد بذلك وذاك الذي جاء كان شيطانا قال أنا المسيح ولم يكن هو المسيح نفسه ويجوز أن يشبهه مثل هذا على الحواريين كما اشبهه على كثير من شيوخ المسلمين ولكن ما أخبرهم المسيح قبل أن يرفع بتبليغه فهو الحق الذي يجب عليهم تبليغه ولم يرفع حتى بلغ

رسالات ربه فلا حاجة الى مجيئه بعد ان رفع الى السماء
 (وأصحاب الحلاج) لما قتل كان يأتهم من يقول أنا الحلاج فيرونه
 في صورته عيانا وكذلك شيخ بمصر يقال له الدسوقي بعد أن مات كان
 يأتي أصحابه من جهته رسائل وكتب مكتوبة وأراني صادق من أصحابه
 الكتاب الذي أرسله فرأيت به بخط الجن وقد رأيت خط الجن غير مرة
 وفيه كلام من كلام الجن وذلك المعتقد يعتقد ان الشيخ حيّ وكان يقول
 انتقل ثم مات وكذلك شيخ آخر كان بالمشرق وكان له خوارق من
 الجن وقيل كان بعد هذا يأتي خواص أصحابه في صورته فيعتقدون أنه
 هو وهكذا الذين كانوا يعتقدون بقاء عليّ أو بقاء محمد بن الحنفية قد كان
 يأتي الى بعض أصحابهم حتى في صورته وكذا منتظر الراضة قد يراه
 أحدهم أحيانا ويكون المرئي جنباً فهذا باب واسع واقع كثيراً وكما كان
 القوم أجهل كان عندهم أكثر في المشركين أكثر مما في النصارى وهو
 في النصارى كما هو في الداخلين في الاسلام وهذه الامور يسلم بسببها
 ناس ويتوب بسببها ناس يكونون أضل من أصحابها فينتقلون بسببها الى
 ما هو خير مما كان عليه كالشيخ الذي فيه كذب وفجور من الانس
 قد يأتيه قوم كفار فيدعوهم الى الاسلام فيسلمون ويصيرون خيراً مما
 كانوا وان كان قصد ذلك الرجل فإدماً وقد قال النبي صلى الله عليه
 وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم
 وهذا كان كالحجج والادلة التي يذكرها كثير من أهل الكلام والرأى
 فانه بنقطع بها كثير من أهل الباطن ويقوى بها قلوب كثير من أهل

الحق وان كانت في نفسها باطلة فغيرها ابطال منها والخير والشر درجات فينتفع بها اقوام فينتقلون مما كانوا عليه الى ما هو خير منه وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم الى بلاد الكفار فاسلم على يديه خاق كثير وانتفعوا بذلك وصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا كفاراً وكذلك بعض الملوك قد ينفذون وغزوا ويظلم فيه المسلمين والكفار ويكون آثماً بذلك ومع هذا فيحصل به نفع خاق كثير كانوا كفاراً فصاروا مسلمين وذلك كان نيراً بالنسبة الى القائم بالواجب وأما بالنسبة الى الكفار فهو خير وكذلك كثير من الاحاديث الضعيفة في الترغيب والترهيب والفضائل والاحكام والقصص قد يسمعها اقوام فينتقلون بها الى خير مما كانوا عليه وان كانت كذبا وهذا كالرجل يسلم رغبة في الدنيا ورهبة من السيف ثم اذا سلم وطال مكثه بين المسلمين دخل الايمان في قلبه فنفس ذل الكفر الذي كان عليه وانقهاره ودخوله في حكم المسلمين خير من أن يبقى كافراً فانتقل الى خير مما كان عليه وخفف الشر الذي كان فيه ثم اذا اراد الله هدايته ادخل الايمان في قلبه والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتعليها والنبى صلى الله عليه وسلم دعا الخلق بغاية الامكان ونقل كل شخص الى خير مما كان عليه بحسب الامكان ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون وأكثر المنتكمين يردون باطلاً بباطل وبدعة ببدعة لكن قد يردون باطل الكفار من المشركين وأهل الكتاب بباطل المسلمين فيصير الكافر

مسلمًا مبتدعًا وأخص من هؤلاء من يرد البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها وهي بدعة أهل السنة وقد ذكرنا فيما تقدم أصناف البدع

ولا ريب أن المعتزلة خير من الرافضة ومن الخوارج فإن المعتزلة تقر بخلافة الخلفاء الأربعة وكلهم يتولون أبا بكر وعمر وعثمان وكذلك المعروف عنهم أنهم يتولون عليًا ومنهم من يفضله علي أبي بكر وعمر ولكن حكى عن بعض متقدميهم أنه قال فسق يوم الجمل إحدى الطائفتين ولا أعلم غيرها وقالوا أنه قال لو شهد علي والزبير لم أقبل شهادتهما فسق أحدهما إلا بعينه ولو شهد علي مع آخر ففي قبول شهادته قولان وهذا القول شاذ فيهم والذي عليه عامتهم أعظم على

ومن المشهور عندهم ذم معاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص لأجل علي ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم بخلاف طلحة والزبير وعائشة فأنهم يقولون إن هؤلاء تابوا من قتاله وكلهم يتولي عثمان ويعظمون أبا بكر وعمرو ويعظمون الذنوب فهم يحجرون الصدق كالخوارج لا يمتثلون الكذب كالرافضة ولا يرون أيضًا اتخاذ دار غير دار الإسلام كالخوارج ولهم كتب في تفسير القرآن وانصر الرسول ولهم محاسن كثيرة يترجحون علي الخوارج والروافض وهم تصدقهم أثبات توحيد الله ورحمته وحكمته وصدقه وطاعته وأصولهم الخمس عن هذه الصفات الخمس لكنهم غلطوا في بعض ما قالوه في كل واحد من أصولهم الخمس فجعلوا من التوحيد نفي الصفات وإنكار الرؤية والقول بأن القرآن

مخلوق فوافقوا في ذلك الجهمية وجعلوا من العدل انه لا يشاء ما يكون
 ويكون ما لا يشاء وانه لم يخلق أفعال العباد فنفوا قدرته ومشيتته وخلقته
 لانبات العدل وجعلوا من الرحمة نفي أمور خلقها لم يعرفوا ما فيها من
 الحكمة وكذلك هم والخوارج قالوا بانفاذ الوعيد ليثبتوا ان الرب صادق
 لا يكذب اذ كان عندهم قد أخبر بالوعيد العام فتي لم يقل بذلك لزم
 كذبه وغلطوا في فهم الوعيد وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن
 المنكر بالسيف قصدوا به طاعة الله ورسوله كما قصدوا الخوارج والزبدي
 فغلطوا في ذلك وكذلك انكارهم للخوارج غير المعجزات قصدوا به
 اثبات النبوة وانصرها وغلطوا فيما سلوكوه فان النصر لا يكون بتكذيب
 الحق وذلك لكونهم لم يحققوا خاصة آيات الانبياء والاشعرية مارودوه
 من بدع المعتزلة والرافضة والجهمية وغيرهم وبينوا ما ينووه من تناقضهم
 وعظموا الحديث والسنة ومذهب الجماعة فحصل بما قالوه من بيان
 تناقض أصحاب البدع الكبار ورددهم ما انتفع به خلق كثير

فان الاشعري كان من المعتزلة وبقى على مذهبه أربعين سنة يقرأ
 على أبي علي الجبائي فلما انتقل عن مذهبه كان خبيراً باصولهم وبالرد
 عليهم وبيان تناقضهم وأما ما بقي عليه من السنة فليس هو من خصائص
 المعتزلة بل هو من القدر المشترك بينهم وبين الجهمية وأما خصائص
 المعتزلة فلم يوالهم الاشعري في شيء منها بل ناقضهم في جميع أصولهم
 ومال في مسائل العدل والاسماء والاحكام الى مذهب جهم ونحوه
 وكثير من الطوائف كالتجارية أتباع حسين النجار والضرارية أتباع

ضرار بن عمر ويخالفون المعتزلة في القدر والاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد والمعتزلة من أبعد الناس عن طريق أهل الكشف والحوارق والصوفية يذمونها ويعيبونها وكذلك يبالغون في ذم النصارى أكثر مما يبالغون في ذم اليهود وهم الي اليهود أقرب كما أن الصوفية ونحوهم الي النصارى أقرب فان النصارى عندهم عبادة وزهد وأخلاق بلا معرفة ولا بصيرة فهم ضالون واليهود عندهم علم ونظر بلا قصد صالح ولا عبادة ولا زهد ولا أخلاق كريمة فهم مغضوب عليهم والنصارى ضالون

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين وروى بإسناد عن أبي روق عن ابن عباس وغير طريق الضالين وهم النصارى الذين أضاهم الله بزيهم عليه يقول فالهمنا دينك الحق وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له حتى لا تنضب علينا كما غضبت على اليهود ولا تضلنا كما أضلت النصارى فتمم ذنبنا كما تمذهبهم يقول امنعنا من ذلك برفقك ورحمتك ورأفتك وقدرتك قال ابن أبي حاتم ولا أعلم في هذا الحرف اختلافًا بين المفسرين وقد قال سفيان ابن عيينة كانوا يقولون من فسد من عامائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى

فاهل الكلام أصل أمرهم هو النظر في العلم ودليله فيعظون العلم وطريقه وهو الدليل والسلوك في طريقه وهو النظر وأهل الزهد يعظمون الارادة والمريد وطريق أهل الارادة

فهم هؤلاء يبنون أمرهم على الارادة وأولئك يبنون أمرهم على النظر وهذه هي القوة المامية ولا بد لاهل الصراط المستقيم من هذا وهذا ولا بد أن يكون هذا وهذا موافقا لما جاء به الرسول

فلايمان قول وعمل وموافقة السنة وأولئك عظموا النظر وأعرضوا عن الارادة وعظموا جنس النظر ولم يلتزموا النظر الشرعي فغاطوا من جهة كون جانب الارادة لم يعظموه وان كانوا يوجبون الاعمال الظاهرة فهم لا يعرفون أعمال القلوب وحقائقها ومن جهة ان النظر لم يميزوا فيه بين النظر الشرعي الحق الذي أمر به الشارع وأخبر به وبين النظر البدعي الباطل المنهى عنه

وكذلك الصوفية عظموا جنس الارادة ارادة القلب وذموا الهوى وبالغوا في الباب ولم يميز كثير منهم بين الارادة الشرعية الموافقة لامر الله ورسوله وبين الارادة البدعية بل أقبلوا على طريق الارادة طريقة النظر

وأعرض كثير منهم فدخل عليهم الداخل من هاتين الجهتين ولهذا سار هؤلاء بميل اليهم النصارى ويميلون اليهم وأولئك يميل اليهم اليهود ويميلون اليهم وبين اليهود والنصارى غاية التنافر والتباغض وكذلك بين أهل الكلام والرأى وبين أهل التصوف والزهد تنافر وتباغض وهذا وهذا من الخروج عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

نسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر اخواننا الصراط المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين

(فصل) فان قبل فاذا كان في كتب الاناجيل التي عندهم ان المسيح صلب وانه بعد الصلب بياض اثنى اليهم وقال لهم انا المسيح ولا يقولون ان الشيطان تمثل على صورته فاشيطان ليس هو لحم وعظم وهذه اثر الممير أو نحو هذا الكلام فابن الانجيل الذي قال الله عز وجل فيه وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه وقال قبل هذا وقفنا على آثارهم ببسبي ابن مريم مصداقاً لما بين يديه من التوراة وآياته الانجيل فيه هدى ونور ومصداقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وقد قال قل هذا وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمومنين انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقال أيضا ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال أيضا قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم. ولا يزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بان يقول لا ملل الكتاب الذين بعث اليهم وهو من كان في وقتهم ومن يأتي من بعدهم الي يوم القيامة لم يؤمر ان يقول ذلك

لمن قد تاب منهم وكذلك قوله وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله اخبار عن اليهود الموجودين وان عندهم التوراة فيها حكم الله وكذلك قوله

وايحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه هو أمر من الله على لسان محمد لاهل الانجيل ومن لا يؤمر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قيل قبل هذا انه قد قيل ليس في العالم نسخة بنفس ما أنزل الله في لتوراة والانجيل بل ذلك مبدل فان التوراة انقطع تواتره والانجيل نما أخذت من أربعة ثم من هؤلاء من زعم ان كثيرا مما في التوراه او الانجيل باطل ليس من كلام الله ومنهم من قال بل ذلك قليل وقيل لم يحرف احد شيئا من حروف الكتب وانما حرفوا معانيها بالتأويل وهذا القولان قال كلا منهما كثير من المسلمين والصحيح القول الثالث وهو ان في الارض نسخة صحيحة وبقيت الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونسخة كثيرة محرفة ومن قال انه لا يحرف شيء من النسخ فقد قال ما لا يمكنه فقيه ومن قال جميع النسخ بعد النبي صلى الله عليه وسلم حرفت فقد قال ما يعلم انه خطأ والقرآن يأمرهم أن يحكموا بما أنزل الله في التوراة والانجيل ويخبران فيما حكمه وليس في القرآن خبر أنهم غيروا جميع النسخ واذا كان كذلك فنقول هو سبحانه قال ولبيحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه وما أنزله الله هو ما تلقوه عن المسيح فاما حكايته لحاله بعد ان رفع فهو مثلها في التوراة ذكر وفاة موسى عليه السلام ومعلوم ان هذا الذي في التوراة والانجيل من الخبر عن موسى

وعيسى بعد توفيهما ليس هو مما أنزله الله ومما تلقوه عن موسى وعيسى بل هو مما كتبوه مع ذلك لتعريف بحال توفيهما وهذا خبر محض من الموجودين بعدها عن حالهما ليس هو مما أنزله الله عليهما ولا هو مما أمر به في حياتهما ولا مما أخبر به الناس

وكذلك لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وقوله ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم فان اقامة الكتاب العمل بما أمر الله به في الكتاب من التصديق بما أخبر به على لسان الرسول وما كتبه الذين نسخوه من بعد وفاة الرسول ومقدار عمره ونحو ذلك ليس هو مما أنزله الله على الرسول ولا مما أمر به ولا أخبر به وقد يقع مثل هذا في الكتب المصنفة يصنف الشخص كتابا فيذكر ناسخه في آخره عمر المصنف ونسبه وسنه ونحو ذلك مما ليس هو من كلام المصنف

(ولهذا) أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن وان لا يكتب في المصحف غير القرآن فلا يكتب أسماء السور ولا التخميس والتعشير ولا آمين ولا غير ذلك والمصاحف القديمة والتي كتبها أهل العلم على هذه الصفة وفي المصاحف من قد كتب ناسخها أسماء السور والتخميس والتعشير والوقف والابتداء وكتب في آخر المصحف تصديقه ودعا وكتب اسمه ونحو ذلك وليس هذا من القرآن فهكذا ماني الانجيل من الخبر عن صاب المسيح وتوفيه ومجيئه بعد رفعه الي الخوايين ليس

هو م. قاله المسيح وانما هو م. رآه من بعده والذي أنزله الله هو م. سمع
من المسيح المبلغ عن الله

فان قيل فاذا كان الحواريون قد اعتقدوا أن المسيح صلب
وانه أنتم بعد أيام وهم الذين نقلوا عن المسيح الانجيل والدين فقد
دخلت الشبهة

قيل للحواريون وكل من نقل عن الانبياء انما يجب أن يقبل منهم
ما نقلوه عن الانبياء فان الحججة في كلام الانبياء وما سوى ذلك فهو قوف
على الحججة ان كان حقاً قبل والارد ولهذا كان ما نقله الصحابة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من القرآن والحديث يجب قبوله لاسيما المتواتر
كالقرآن وكثير من السنن وأما ما قالوه فما أجمعوا عليه فاجماعهم معصوم
وما تنازعوا فيه رد الى الله والرسول وعمر قد كان أولاً أنكر موت
النبي صلى الله عليه وسلم حتى رد ذلك عليه أبو بكر وقد تنازعوا في
دفعه حتى فضل أبو بكر بالحديث الذي رواه وتنازعوا في تجهيز جيش
اسامة وتنازعوا في قتال مائى الزكاة فلم يكن هذا قادحاً فيما نقلوه عن
النبي صلى الله عليه وسلم والنصارى ليسوا منفقين على صلب المسيح ولم
يشهد أحد منهم صلبه فان الذى صلب انما صلبه اليهود ولم يكن أحد من
أصحاب المسيح حاضراً وأولئك اليهود الذين صلبوه قد اشتهب عليهم
المصلوب بالمسيح وقد قيل انهم عرفوا أنه ليس هو المسيح ولكنهم
كذبوا وشبهوا على اناس والاول هو المشهور وعليه جمهور الناس
وحينئذ فليس عند النصارى خبر عمن يصدقونه بأنه صلب لكن عمدتهم

على ذلك الشخص الذي جاء بعد أيام وقال أنا المسيح وذات شيطان وهم يمتدحون بأن الشياطين كثيراً ما تجيء ويدعي أنه نبي أو صالح ويقول أنا فلان النبي أو الصالح ويكون شيطاناً وفي ذلك حكايات متعددة مثل حكاية الراهب الذي جاءه جاء وقال أنا المسيح جئت لاهدئك فعرف أنه الشيطان فقال أنت قد بلغت الرسالة ونحن نعمل بها فان جئت اليوم بشيء يخالف ذلك لم تقبل منك

فأيس عند النصارى واليهود علم بأن المسيح صلب كما قال تعالى وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وأضاف الخبر عن قتله الى اليهود بقوله وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله فانهم بهذا الكلام يستحقون العقوبة اذ كانوا يعتقدون جواز قتل المسيح ومن جوز قتله فهو كمن قتله فهم في هذا القول كاذبون وهم آثمون واذا قالوه نخراً لم يحصل لهم الفخر لانهم لم يقتلوه وحصل الوزر لاستحلالهم ذلك وسميهم فيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فاقاتل والمقتول في النار قولوا يارسول الله فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه وقوله وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل هم اليهود وقيل النصارى والآية تعم الطائفتين وقوله لفي شك منه قيل من قتله وقيل منه أي في شك منه هل صلب أم لا كما اختلفوا فيه فقالت اليهود هو ساحر وقالت النصارى انه اله فاليهود والنصارى اختلفوا هل صلب أم لا وهم في شك من ذلك ما لهم به من علم فاذا كان هذا في الصلب فكيف في

الذي جاء بعد لرفع وقال انه هو المسيح
فان قيل كان الحواريون الذين أدركوه قد حصل هذا في ايمانهم
فأين المؤمنون به الذين قال فيهم
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا وقوله فأيدنا الذين آمنوا
على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

قيل ظن من ظن منهم أنه صلب لايقدر في ايمانه اذا كان لم يحرف
ما جاء به المسيح بل هو مقر بأنه عبد الله ورسوله وكتبته ألقاها الي مريم
وروح منه فاعتقاده بمد هذا أنه صلب لايقدر في ايمانه فان هذا
اعتقاد موته على وجه معين وغاية الصلب أن يكون قتلا له وقتل النبي
لايقدر في نبوته وقد قتل بنو اسرائيل كثيراً من الانبياء وقال تعالى
وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الآية وقال تعالى وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم
وكذلك اعتقاد من اعتقد منهم أنه جاء بعد الرفع وكلهم هو مثل اعتقاد
كثير من مشايخ المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في اليقظة
فانهم لا يكفرون بذلك بل هذا كان يعتقد من هو من أكثر الناس
اتباعاً للسنة واتباعاً لها وكان في الزهد والعبادة أعظم من غيره وكان
يأتيه من يظن أنه رسول الله فهذا غلط منه لا يوجب كفره فكذلك
ظن من ظن الحواريين ان ذلك هو المسيح لا يوجب خروجهم عن
الايمان بالمسيح ولا يقدر فيما نقلوه عنه وعمر لما كان يعتقد أن النبي صلى
الله عليه وسلم لم يمت ولكن ذهب الي ربه كما ذهب موسى وأنه لا يموت

حتى يوت أصحابه لم يكن هذا قادحا في إيمانه وإنما كان غاطاً ورجع عنه
 (نصل وقوله تعالى في هذه ما لهم به من علم الا اتباع الظن)
 هو ذم لهم على اتباع الظن بلا علم وكذلك قوله ان هي الأسماء سميتوها
 أتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى
 الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وكذلك قوله وما لهم به من علم
 ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا وقوله تعالى وما
 يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم
 الا يخرصون وقوله أفمن يهدى الي الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى
 الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع أكثرهم الا ظناً ان الظن
 لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون

فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون الا الظن وكذلك
 قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أتم
 الا تخرصون قل فله الحجة البالغة مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما
 عنده علم وكذلك قوله نبؤني بعلم ان كنتم صادقين وقوله وان كثيراً
 ليضلون باهوائهم بغير علم وامثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن
 وقد ثبت في السنة المتواترة واجماع الامة ان الحاكم يحكم بشاهدين
 وان لم يكن شهود حلف الخصم* وفي الصحيحين عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال انكم تختصمون اليّ وامل بعضكم أن يكون الحن
 بحجته من بعض وإنما أقضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه
 غللاً يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار

والاجتهاد في تحقيق المناط مما اتفق المسلمون عليه ولا بد منه
حكيم ذوى عدل بالمثل في جزاء الصيد وكالاستدلال على الكعبة عند
الاشتباه ونحو ذلك فلا يقطع به الانسان بل يجوز أن تكون القبلة في
غير جهة اجتهاده كما يجوز اذا حكم أن يكون قد قضى لاحدهما بشئ
من حق الآخر وأدلة الاحكام لا بد فيها من هذا فان دلالة العموم في
الظواهر قد تكون محتملة للتقيض وكذلك خبر الواحد والقياس وان
كان قوم نازعوا في القياس فالفقهاء منهم لم ينازعوا في خبر الواحد
كالظاهرية ومن نازع في هذا وهذا لم ينازع في العموم كالمعتزلة
البغداديين وان نازع في العموم والقياس منازع كبعض ارافضة مثل
الموسوى ونحوه لم ينازع في الاخبار فان الامامية عمدتهم على ما نقل
تن الاتى عثر فلا بد لهم من الرواية ولا يوجد من يستغنى عن
الظواهر والاخبار والاقيسة بل لا بد أن يعمل ببعض ذلك مع تجوز
تقيضه وهذا عمل بالظن والقرآن قد حرم اتباع الظن وقد تنوعت
طرق اناس في جواز هذا فطائفة قالت لا يتبع قط الا العلم ولا يعمل
بالظن أصلاً وقالوا ان خبر الواحد يفيد العلم وكذلك يقولون في
الظواهر بل يقولون تقطع بخطأ من خالفنا ونتقض حكمه كما
يقوله داود وأصحابه وهؤلاء عمدتهم انما هو ما يظنونه ظاهراً واما
الاستصحاب والاستصحاب في كثير من المواضع من أضعف الأدلة وهم
في كثير مما يحتجون به قد لا يكون ما احتجوا به ظاهر اللفظ بل الظاهر
خلافه فطائفة قالت لما قام الدليل على وجوب العمل بالظن الراجح

كنا متبين للعلم فنحن نعمل بالعلم عند وجود العلم لانعمل بالظن وهذه
طريقة القاضي أبي بكر وأتباعه

وهنا السؤال المشهور في حد الفقه انه العلم بالاحكام الشرعية العملية
وقال الرازي العلم بالاحكام الشرعية العمارة المسندل على أعيانها بحيث
لا يعلم كونها من الدين ضرورة قال

(فان قات) الفقه من باب الظنون فكيف جعلته علما

(قات) المجتهد اذا غاب على ظنه مشاركة صورة الصورة في مناط الحكم
قطع بوجوب العمل بما أدى اليه ظنه فالعلم حاصل قطعا والظن واقع في
طريقه وحقبة هذا الجواب ان هنا مقدمتين احدهما انه قد حصل
عندي ظن والثانية قد قام الدليل القطعي على وجوب اتباع هذا الظن
فالمقدمة الاولى وجدائية والثانية عملية استدلالية فليس الظن هنا مقدمة
في الدليل كما توهمه بعضهم لكن يقال العمل بهذا الظن هو حكم أصول
الفقه ليس هو الفقه بل الفقه هو ذلك الظن الحاصل بالظاهر وخبر
الواحد والقياس والاصول يفيدان العمل بهذا الظن واجب والا
فالفقهاء لا يترضون لهذا فهذا الحكم العملي الاصولي ليس هو الفقه
وهذا الجواب جواب القاضي أبي بكر وهو بناء على أصله فانه عنده
كل مجتهد مصيب وليس في نفس الامر أمر مطلوب ولا على الظن دليل
يوجب ترجيح ظن على ظن بل الظنون عنده بحسب الاتفاق

وقال الغزالي وغيره ممن نصر قوله قد يكون بحسب ميل النفس

الى أحد القولين دون الآخر كمثل ذى الشدة الى قون وذى اللين الى

قول وحيدئذ فعندهم متى وجد المجتهد ظنا في نفسه فحكم الله في حقه اتباع هذا الظن وقد أنكروا أبو المعالي وغيره عليه هذا القول انكارا بليغا وهم معذورون في انكاره فان هذا أولا مكابرة فان الظنون عاينها أمارات ودلائل يوجب وجودها ترجيح ظن على ظن وهذا أمر معلوم بالضرورة والشريعة جاءت به ورجحت شيئا على شيء والكلام في شيئين في اتباع الظن وفي الفقه هل هو من الظنون

أما الاول فالجواب الصحيح هو الجواب الثالث وهو ان كل ما أمر الله تعالى به فانما أمر بالعلم وذلك انه في المسائل الحفية عليه ان ينظر في الادلة ويعمل بالراجح وكون هذا هو الراجح أمر معلوم عند أمر مقطوع به وان قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به واذا ظن الرجحان فانما ظنه لقيام دليل عنده على ان هذا راجح وفرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد وأما اعتقاد الرجحان فقد يكون عاما وقد لا يعمل حتى يعلم الرجحان واذا ظن الرجحان أيضا فلا بد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر ورجحان هذا غير معلوم فلان ينتهي الامر الى رجحان معلوم عنده فيكون متبعا لما علم انه أرجح وهذا اتباع للعلم لا للظن وهو اتباع الاحسن كما قال نخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها وقال الذين يسمعون اقول فيتبعون أحسنه وقال واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم فاذا كان أحد الدليلين هو الارجح فاتباعه هو الاحسن وهذا معلوم

فالواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم أنه أرجح من غيره وهو العمل بأرجح الدليتين المتعارضتين وحينئذ فما عمل الأبا لعلم وهذا جواب الحسن البصري وأبي وغيرهم والقرآن ذم من لا يتبع إلا الظن فلم يستند ظنه إلى علم فإن هذا أرجح من غيره كما قال ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وهكذا في سائر المواضع يذم الذين إن يتبعون إلا الظن فعندهم ظن مجرد لا علم معه وهم يتبعونه والذي جاءت به الشريعة وعاليه عقلاء الناس أنهم لا يعلمون إلا بعلم فإن هذا أرجح من هذا فيعتقدون الرجحان اعتقاداً عملياً لكن لا يلزم إذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو الثابت في نفس الأمر وهذا كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال واعلم بامضكم أن يكون الحق بحجته من بعض وإنما أقضي بحجتي مما أسمع فإذا أتى أحد الخصمين بحجة مثل بينة تشهد له ولم يأت الآخر بشاهد معها كان الحاكم عالماً بأن حجة هذا أرجح فما حكم إلا بعلم لكن الآخر قد يكون له حجة لا يعلمها أولاً يحسن أن يبينها مثل أن يكون قد قضاه أو أبرأه وله بينة تشهد بذلك وهو لا يعلمها أولاً يذكرها أولاً يجسر أن يتكلم بذلك فيكون هو المضيع بحقه حيث لم يبين حجته والحاكم لم يحكم إلا بعلم وعدل وضياع حق هذا كان من عجزه وتفريطه لا من الحاكم وهكذا أدلة الأحكام فإذا تعارض خبران أحدهما مسند ثابت والآخر مرسل كان المسند الثابت أقوى من المرسل وهذا معلوم لأن المحدث بهذا قد علم عدله وضيطة والآخر لم يعلم عدله ولا

ضبطه كشاهدين زكى أحدهما ولم يرك الآخـر فهـذا المزكى أرجح
وان جاز أن يكون في نفس الامر قول الآخـر هو الحق لكن المجتهد
انما عمل بعلم وهو علمه برجحان هذا علي هذا ليس ممن لم يتبع الا
الظن ولم يكن تبيين له الا بعد الاجتهاد التام فيمن أرسل ذلك الحديث
وفي تزكية هذا الشاهد فان المرسل قد يكون راويه عدلا حافظا كما قد
يكون هذا الشاهد عدلا ومن ليس معنا علم بانتفاء عدالة الراوى لكن
معنا عدم العلم بهما انتهى وقد لا بهـ لم عدالتهما مع تقويتها ورجحانها في
نفس الامر فن هنا يقع الخطأ في الاجتهاد لكن هذا لا سبيل الي أن
يكلفه العالم أن يدع ما يعلمه الي أمر لا يعلمه لامكانه ثبوته في نفس الامر
فاذا كان لا بد من ترجيح أحد القولين وجب ترجيح هذا الذي علم
ثبوته على ما لا يعلم ثبوته وان لم يعلم انتفاؤه من جهته فانهما اذا تعارضا
وكانا منناقضين فانبات أحدهما هو نفي الآخـر فهذا الدليل المعلوم قد
علم أنه يثبت هذا وينفي ذلك وذلك المجهول بالعكس فاذا كان لا بد من
الترجيح وجب قطعا ترجيح المعلوم بثبوته على ما لم يعلم ثبوته ولكن
قد يقال انه لا يقطع بثبوته وقد قلنا فرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان
الاعتقاد أما اعتقاد الرجحان فهو علم والمجتهد ما عمل الا بذلك العلم
وهو اعتقاد رجحان هذا على هذا وأما رجحان هذا الاعتقاد على
هذا الاعتقاد فهو الظن لكن لم يكن من قال الله فيه ان يتبعون الا
الظن بل هنا ظن رجحان هذا وظن رجحان ذلك وهذا الظن هو
الراجح ورجحانه معلوم فحكم بما علمه من الظن الراجح ودلله الراجح

وهذا معلوم له لا مظنون عنده وهذا يوجد في جميع العلوم والصناعات
كالطب والتجارة وغير ذلك

وأما الجواب عن قولهم الفقه من باب لظنون فقد أجاب طائفة
منهم أبو الخطاب بجواب آخر وهو ان العلم المراد به العلم الظاهر وان
جوز أن يكون الامر بخلافه كقوله فان علمتموهن مؤمنات

والتحقيق أن عنه جوابين أحدهما أن يقال جمهور مسائل الفقه
التي يحتاج اليها الناس ويفتون بها هي ثابتة بالنص أو الاجماع وانما يقع
الظن والنزاع في قليل مما يحتاج اليه الناس وهذا موجود في - ائمه العلوم
وكثير مسائل الخلاف هي في أمور قليلة الوقوع ومقدرة وأما ما لا بد
لناس منه من العلم مما يجب عليهم ويحرم ويباح فهو معلوم مقطوع به
وما يعلم من الدين ضرورة جزء من الفقه واخرجه من الفقه قول
لم يعلم أحد من المتقدمين قاله ولا احترز بهذا القيد أحد الا الرازي
ونحوه وجميع الفقهاء يذكرون في كتب الفقه وجوب الصلاة والزكاة
والحج واستقبال القبلة ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة وتحريم
الخمر والفواحش وغير ذلك مما يعلم من الدين ضرورة

وأياها فكون الشيء معلوما من الدين ضرورة أمر اضافي فحديث
العهد بالاسلام ومن نشأ ببادية بعيدة قد لا يعلم هذا بالكلية فضلا عن
كونه يعلمه بالضرورة وكثير من العلماء يعلم بالضرورة أن النبي صلى
الله عليه وسلم سجد لله وهو وقضى بالدية على العاقلة وقضى أن الولد
للغراش وغير ذلك مما يعلمه الخاصة بالضرورة وأكثر الناس لا يعلمه

البته *الجواب الثانى أن يقال الفقه لا يكون فقها الا من المجتهد المستدل وهو قد علم ان هذا الدليل أرجح وهذا الظن أرجح فالفقه هو عامه برجحان هذا الدليل وهذا الظن ليس الفقه قطعه بوجود العمل أى بما أدى اليه اجتهاده بل هذا القطع من أصول الفقه والاصولى يتكلم فى جنس الادلة ويتكلم كلاما كليلا فيقول يجب اذا تعارض دليلان أن يحكم بأرجحهما ويقول أيضا اذا تعارض المسام والخاص فالخاص أرجح واذا تعارض المسند والمرسل فالمسند أرجح ويقول أيضا العام المجرد عن قرائن التخصيص شموله الافراد أرجح من عدم شموله وبجب العمل بذلك

فاما الفقيه فيتكلم فى دليل معين فى حكم معين مثل أن يقول قوله وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لىكم وطعامكم حل لهم والمحضات من المؤمنات والمحضات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم خاص فى أهل الكتاب ومتأخر عن قوله ولا تنكحوا المشركات وتلك الآية لاتناول أهل الكتاب وان تناولتهم فهذا خاص متأخر فيكون ناسخا ومخصصا فهو يعلم أن دلالة هذا النص على الحل أرجح من دلالة ذلك النص على التحريم وهذا الرجحان معلوم عنده قطعا وهذا الفقه الذى يختص به الفقيه وهو علم قطعى لا ظنى ودين لم يعلم كان مقلدا للائمة الاربعة والجمهور الذين جوزوا نكاح الكتابيات واعتماد المقلد ليس بفقه ولهذا قال المسندل على أعيانها والفقيه قد استدل على عين الحكم المطلوب والمسؤل عنه وحيث لا يعلم الرجحان فهو متوقف لا قول له واذا قيل له فقد قال ولا تمسكوا

بمعصم الكوافر قال هذا نزل عام الحديبية والمراد به المشركات فان سبب النزول يدل على انهن مرادات قطعاً وسورة المائدة بعد ذلك فهي خاص متأخر وذلك عام مقدم والخاص المتأخر أرجح من العام المتقدم ولهذا لما نزل قوله ولا تمسكوا بمعصم الكوافر فارق عمر امرأة مشركة وكذلك غيره فدل على انهم كانوا ينكحون المشركات الى حين نزول هذه الآية ولو كانت آية البقرة قد نزلت قبل هذه لم يكن كذلك فدل على أن آية البقرة بعد آية المتحنة وآية المائدة بعد آية البقرة * فهذا النظر وأمثاله هو نظر الفقيه العالم برجحان دليل وظن على دليل وهذا علم لا ظن.

فقد تبين أن الظن له أدلة تقتضيه وان العالم انما يعلم بما يوجب العلم بالرجحان لا بنفس الظن الا اذا علم رجحانه وأما الظن الذي لا يعلم رجحانه فلا يجوز تباعه وذلك هو الذي ذم الله به من قال فيه ان يتبعون الا الاظن فهم لا يتبعون الا الاظن ليس عندهم علم ولو كانوا عالمين بأنه ظن راجح لكانوا قد اتبعوا علما لم يكونوا ممن يتبع الا الاظن والله أعلم

﴿فصل﴾ فههنا ثلاثة أشياء، أحدها الظن الراجح في نفس المستدل المجتهد

والثاني الأدلة التي يسببها بعض المتكلمين أمارات التي تعارضت وعلم المستدل بأن التي أوجبت ذلك الظن أقوى من غيرها الثالث انه قد يكون في نفس الامر دليل آخر على القول الآخر

لم يعلم به المسـ. تدل وهذا هو الواقع في عامة موارد الاجتهاد فان الرجل
تقديم نصابا عاما كما سمع ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن قطع الخفين وانه أمر أن لا يخرج أحد حتى يودع البيت أو ان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الحرير وظاهره العموم وهذا
راجع على الاستصحاب النسائي لتحريم فعملوا به هذا الراجح وهم
يعلمون قطعا ان النهي أولي من الاستصحاب لكن يجوز أن يكون مع
الاستصحاب دليل خاص ولكن المالم يعلموه لم يجز لهم أن يعدلوا عما
علموه الى ما لم يعلموه فكانوا يفتون بأن الخائض عليها الوداع وعليها
قطع الخفين وان قليل الحرير وكثيره حرام وابن الزبير كان يحرمه
على الرجل والنساء لعموم قوله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في
الآخرة وكان في نفس الامر نصوص خاصة بأن النبي صلى الله عليه
وسلم رخص للحائض أن تنفر بلاوداع وانها تلبس الخفين وغيرهما
نهى عنه المحرم ولكن تجذب النقاب والقفازين وانه رخص في موضع
أصبعين أو ثلاث أو أربعة من الحرير كما بين ذلك في الصحيح في رواية
عمر ولم يعرف به ابنه عبدالله وكان له جبة مكفوفة بالحرير فلما سمع
ابن عمر ونحوه هذه النصوص الخاصة رجحوا وعلموا حينئذ انه كان في
نفس الامر دليل أقوى من الدليل الذي يستصحبوه ولم يعلموا به وهم
في الحالين انما حكموا به لم لم يكونوا ممن لم يتبع الا الظن فانهم أولا
رجحوا العموم على استصحاب البراءة الاصلية وهذا ترجيح يعلم فان
هذا راجح بلا ريب والشرع طامح بهذا

فما أوجبه الله أو حرمه كتابه كالوضوء والصلاة والحج وغيرها هي
نصوص عامة وما حرمه كالميتة والدم ولحم الخنزير حرمه بنصوص عامة
وهي راجحة ومقدمة على البراءة الأصلية النافية للوجوب والتحریم فمن
رجح ذلك فقد حكم بعلم وحكم بأرجح الدليبين المعلوم الرجحان ولم
يكن ممن لم يتبع الا الظن لئكن لتجويزه أن يكون النص مخصوصا صار
عنده ظن راجح ولو علم انه لا يخصص هناك قطع بالعموم وكذلك لو
علم ارادة نوع قطع بانتفاء النصوص وهذا القول في سائر الأدلة مثل
أن يتمسك بنصوص وتكون منسوخة ولم يبلغه النسخ كالذين نهوا عن
الانتباز في الاوعية وعن زيارة القبور ولم يبلغهم النص النسخ
وكذلك الذين صلوا الى بيت المقدس قبل أن يبلغهم النسخ مثل من
كان من المسلمين بالوادى وبمكة والحبشة وغير ذلك وهؤلاء غير
الذين كانوا بالمدينة وصلى بعضهم صلاة الى القبلتين بعضها الى هذه
القبلة وبعضها الى هذه القبلة لم يبلغهم النسخ وهم في أثناء الصلاة
فاستداروا في صلاتهم من جهة بيت المقدس الى جهة الكعبة من جهة
الشام الى جهة اليمن

فالقاضي أبو بكر ونحوه من الذين ينفون أن يكون في الباطن حكم
مطلوب بالاجتهاد أو دليل عاينه يقولون ما ثم الا الظن الذي في نفس
المجتهد والامارات لاضابط لها وليست أمارة أقوى من امارة فانهم اذا
قالوا ذلك لزمهم أن يكون الذي عمل بالرجوح دون الراجح مخطئا
وعندهم ليس في نفس الامر خطأ

وأما السلف والائمة الاربعه والجمهور فيقولون بل الامارات بعضها أقوى من بعض في نفس الامر (وعلى الانسان أن يجتهد) ويصلب الاقوى فاذا رأى دليلاً أقوى من غيره ولم ير ما يعارضه عمل به ولا يكف الله نساء الا وسعها واذا كان في الباطن ما هو أرجح منه كان مخطئاً معذوراً وله أجر على اجتهاده وعمله بما بين له رجحانه وخطؤه مغفور له وذلك الباطن هو الحكم لكن بشرط القدرة على معرفته فمن عجز عن معرفته لم يؤاخذ بتركه

فاذا أريد بالخطأ الاثم فليس المجتهد بمخطيء بل كل مجتهد مصيب مطيع لله فاعل ما أمره الله به واذا أريد به عدم العلم بالحق في نفس الامر فالمصيب واحد وله اجران كما في المجتهدين في جهة الكعبة اذا صلوا الى أربع جهات فالذي أصاب الكعبة واحد وله اجران لاجتهاده وعمله كان أكمل من غيره واؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن الضعيف ومن زاده الله علماً وعمله زاده اجرا بما زاده من العلم والعمل قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء قال مالك عن زيد بن اسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم

وقد تبين ان جميع المجتهدين انما قالوا بعلم واتبعوا العلم وان الفقه من أجل العلوم وانهم ليسوا من الذين لا يتبعون الا الظن لكن بعضهم قد يكون عنده علم ليس عند الآخر اما بان سمع ما لم يسمع الآخر

واما بان فهم ما لم يفهم الآخر كما قال تعالى ودارد سليمان اذ يحكماز في
الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان
وكلا آتينا حكما وعلما

وهذه حال أهل الاجتهاد والنظر والاستدلال في الاصول والفروع
ولم يفرق أحد من السلف والائمة بين أصول وفروع

بل جعل الدين قسامين أصولا وفروعا لم يكن معروفا في الصحابة
والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين ان المجتهد الذي
استفرغ وسعه في طلب الحق يأنم لافي الاصول ولا في الفروع ولكن
هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة وأدخله في أصول الفقه من نقل
ذلك عنهم وحكوا عن عبيد الله بن الحسن العنبري انه قال كل مجتهد
مصيب ومراده انه لا يأنم

وهذا قول عامة الائمة كابي حنيفة والشافعي وغيرها

ولهذا يقبلون شهادة أهل الاهواء ويصلون خلفهم ومن ردها
كالك وأحمد فليس ذلك مسئلما لانهما لكن المقصود انكار المنكر
وهجر من أظهر البدعة فاذا هجر ولم يصل خلفه ولم تقبل شهادته كان
ذلك مناه له من اظهار البدعة ولهذا فرق أحمد وغيره بين الداعية
لابدعة المظاهر لها وغيره وكذلك قال الخرقى ومن صلى خلف من يجهر
ببدعة أو منكر عاد وبسط هذا له موضع آخر

والذين فرقوا بين الاصول والفروع لم يذكرها ضابطا يميز بين
النوعين بل تارة يقولون هذا قطي وهذا ظني وكثير من مسائل

الاحكام قعامي وكثير من مسائل الاصول ظني عند بعض الناس فان كون الشيء قطيا ووظفيا امراضا في وتارة يقولون الاصول هي العمليات الخبريات والفروع العمليات وكثير من العمليات من ججدها ككفر كوجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتارة يقولون هذه عقليات وهذه سمعيات واذا كانت عقليات لم يلزم تكفير المخطيء فان الكافر حكم شرعي يتعاق بالتسرع وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع

واذا تدبر الانسان تنازع الناس وجد عند كل طائفة من العلم ما ليس عند الاخرى كما في مسائل الاحكام مثال ذلك متقدم في الاصول الخمسة التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين ومسائل الاسماء والاحكام وانفاذ الوعيد وهي التي تولى المعتزلة بين المنزلتين ووافقهم عليها ويثبرؤن ممن خالفهم فيها وقد قدمنا انهم قصدوا توحيد الرب وثبات عدله وحكمته ورحمته وصدقه وطاعة أمره لكن غلطوا في كل واحدة من هذه الامور كما تقدم وكذلك الذين ناقضوهم من الجهمية ومن سلك مسلكهم كابي الحسن الاشعري وأصحابه فانهم ناقضوهم في الاصول الخمسة وكان عندهم علم ليس عند أولئك وكان عند أولئك علم ليس عند هؤلاء وكل من الطائفتين لم تحط علما بما في الكتاب والسنة من بيان هذه الامور بل علموا بعضها وجهلوا بعضها فان هؤلاء المجبرة هم في الحقيقة لا يثبتون لله عدلا ولا حكمة ولا رحمة ولا صدقا ولا ملكا قصدوا اثبات هذه الامور أما العدل فعندهم كل ممكن فهو عدل والظلم عندهم هو الممتنع فلا يكون ثم عدل يقصد فعله وظلم يقصد تركه ولهذا

يجوزون عليه فعل كل شيء وان كان قبيحا ويقولون القبيح هو ما نهى عنه وهو لا نهى له ويجوزون الامر بكل شيء وان كان منكرًا وشركًا والنهي عن كل شيء وان كان توحيدًا ومعروفًا فلا ضابط عندهم للفعل فلهذا ألزموهم جواز اظهار المعجزات على يد الكاذب ولم يكن لهم عن ذلك جواب صحيح ولم يذكروا فرقًا بين المعجزات وغيرها ولا ما به يعلم صدق النبي صلى الله عليه وسلم الا اذا نقضوا أصلهم وقد قال الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط وعندهم هذا لافائدة فيه فليس في الممكن قسط وجور حتى يكون قائمًا بهذا دون هذا وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع

وكذلك الحكمة عندهم لاتفعل الحكمة وقد فسروا الحكمة اما بالعلم واما بالقدر واما بالارادة ومعلوم ان القادر قد يكون حكيمًا ويكون غير حكيم كذلك المرید قد يكون ارادته حكمة وقد يكون سفها والعلم يطابق المعلوم سواء كان حكمة أو سفها فليس عندهم في نفس الامر ان الله حكيم وكذلك الرحمة ما عندهم في نفس الامر الا ارادة ترجيح احد الثملين بلا مرجح نسبتها الى نفع العباد وضررهم سواء فليس عندهم في نفس الامر رحمة ولا محبة أيضا وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع وبين تناقضهم في الصفات والافعال حيث أثبتوا الارادة مع نفي المحبة والرضا ومع نفي الحكمة وبين تناقضهم وناقض كل من أثبت بعض الصفات دون بعض وان المتفلسفة نقاة الارادة أعظم تناقضاتهم فان الرازي ذكر في المطالب العلية مسألة الارادة ورجح فيها نفي الارادة

لانه لم يمكنه أن يجيب عن حجة المتفلسفة على أصول أصحابه الجهلية
 والمعتزلة ففر اليهم وكذلك في غير هذامن المسائل فهو تارة يرجح قوله
 قول المتفلسفة وتارة يرجح قول المتكلمة وتارة يحار ويقف واعترف
 في آخر عمره بان طريق هؤلاء وهؤلاء لا تشفى عليلا ولا تروى غليلا
 وقال قد تأمات الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى
 عليلا ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في
 الانبات الرحمن على العرش استوى اليه يصعد الكلم الطيب وقرأ
 في النبي ليس كمثل شيء ولا يحيطون به علما ومن جرب مثل تجربتي
 عرف مثل امراني فقد تبين انهم لا يثبتون عدل الرب ولا حكمته ولا
 رحمته وكذلك الصدق فانهم لما أرادوا أن يقيموا الدليل على ان الله
 صادق تعذر ذلك عليهم فقالوا الصدق في الكلام النفساني واجب لانه
 يعلم الامور ومن يعلم يتمتع أن يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه وعلي
 هذا اعتماد الغزالي وغيره فقل لهم هذا ضعيف لوجهين أحدهما الصدق
 في ذلك المعنى لا ينفع ان لم يثبت الصدق في العبارات الدالة عليه ويتميز
 بين الافعال عندهم انثاني انهم أثبتوا الخبر النفساني فان الانسان يخبرك
 بالكذب فيقوم في نفسه ، معني ليس هو العلم وهو معني الخبر فهذا يقتضى
 انهم يتولون ان العلم قد يقوم في نفسه خبر بخلاف علمه والرازي
 لما ذكر مسألة انه لا يجوز أن يتكلم بكلام ولا يعنى به شيئا خلافا
 لما حشوية قيل له هل قال أحد من طوائف الامة ان الله لا يعنى بكلامه
 شيئا وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم العباد معناه وقيل لهم هب ان في

هذا نزاعا فهو لم يقم دليل على امتناع ذلك بل قال هذا عيب أو نقص
والله منزه عنه فقييل له اما أن يريد المعنى القائم بالذات أو العبارات
المخلوقة أما الاول فلا يجوز ارادته هنا لان المعنى ثلثة هي فيمن يتكلم
بالحروف المنظومة ولا يعنى به شيئا وذلك القائم بالذات هو نفس المعنى
وان أردت الحروف وهو مراده فتلك عندك مخلوقة ويجوز عندك
أن يخفق كل شئ ليس منزها عن فعل من الافعال والعيب عندك هو مالا
تريده فهذا ممنوع فدين انه ليس لهم حجة لاعلى صدقه ولا على تنزيهه
عن العيب في خطابه فان ذلك انما يكون ممن تنزيهه عن بعض الافعال
وتبين بذلك أنهم لا يثبتون عدله ولا حكمته ولا رحمته ولا صدقه
والمعتزلة قصدهم اثبات هذه الامور ولهذا يذكرونها في خطبة الصفات
كما يذكرونها أبو الحسين البصرى وغيره كما ذكر في أول صور الادلة
خطبة مضمونها ان الله واحد عدل لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس
أنفسهم يظالمون وانه بالناس لرؤف رحيم وأظن فيها اثبات صدقه ولهذا
يكفرون من يجوره أو يكذبه أو يسفهه أو يشبهه ولكن قد غلطوا في
مواضع كثيرة كما قد نبه علي هذا في غير موضع فكلا الطائفتين معها
حق وباطل ولم يستوعب الحق الامن اتبع المهاجرين والاصار وآمن
بما جاء به الرسول كله على وجهه لم يؤمن ببعض ويكفر ببعض وهؤلاء
هم أهل الرحمة الذين لا يختافون بخلاف أوائك المختلفين قال تعالى
ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم

(فصل) والجهمية والمعتزلة مشتركون في نفي الصفات وابن كلاب

ومن تبعه كالاشعري وأبي العباس انقلاني ومن تبعهم أثبتوا الصفات
 لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته ومثل كون
 فعله الاختياري يقوم بذاته ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد
 ايمانهم ويغضب ويبغض الكافرين بعد كفرهم ومثل كونه يرى أفعال
 العباد بعد أن يعملوها كما قال تعالى وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
 ورسوله والمؤمنون فثبت رؤية مستقلة وكذلك قوله تعالى ثم جعلناكم
 خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ومثل كونه نادي
 موسى حين أتى لم يناده قبل ذلك بنداء قام بذاته فان المعزلة والجهمية
 يقولون خلق نداء في الهواء والكلابية والسالية يقولون النداء قام بذاته
 وهو قديم لكن سمعه موسى فاستجدوا سمع موسى والا فما زال
 عندهم مناديا

والقرآن والاحاديث وأقوال السلف والائمة كلها يخالف هذا
 وهذا وتبين انه ناداه حين جاء وانه يتكلم بمشيئته في وقت بكلام معين
 كما قال ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
 وقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له
 كن فيكون والقرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الاصل وأما
 الاحاديث فلا تحصى وهذا قول ائمة السنة والسلف وجهور العقلاء
 ولهذا قال عبد الله بن المبارك والامام أحمد بن حنبل وغيرهما لم يزل
 متكلمنا ادا شاء وكيف شاء وهذا قول عامة أهل السنة فلماذا اتفقوا
 على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ولم نعرف عن أحد من

السالف أنه قال هو قديم لم يزل والذين قالوا من المتأخرين هو قديم كثير منهم من لم يتصور المراد بل منهم من يقول هو قديم في عامه ومنهم من يقول قديم أي متقدم الوجود متقدم على ذات زمان المبعث لأنه أزل لم يزل ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أنه على هذا الأصل اذا خلق المخلوقات رآها وسمع أصوات تباده وكان ذلك بمشيئته وقدرته اذ كان خلقه لهم بمشيئته وقدرته وبذلك صاروا يرون ويسمع كلامهم وقد جاء في القرآن والسنة في غير موضع أنه ينخص بالنظر والاستماع بعض المخلوقات كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم ملك كذاب وشيخ زان وعائل مستكبر وكذلك في الاستماع قال تعالى وأذنت لربها وحقت أي استمعت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه ابي حسن الصوت يتغني بالقرآن يجهر به وقال الله أشداذا الى صاحب القرآن من صاحب القينة الى قيمته فهذا تخصيص بالاذن وهو الاستماع لبعض الاصوات دون بعض وكذلك سمع الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده وقول الحليل انك سميع الدعاء وقوله ان ربي سميع قريب يقضى التخصيص بهذا السمع فهذا التخصيص ثابت في الكتاب والسنة وهو تخصيص بمعنى يقوم بذاته بمشيئته وقدرته كما تقدم وعند النفاة هو تخصيص بامر مخلوق منفصل لا بمعنى يقوم بذاته وتخصيص من يحب ومحبه بالنظر والاستماع المذكور يقتضى ان هذا النوع منتف

عن غيرهم

(لكن مع ذلك هل يقال) ان نفس الرؤية والسمع الذي هو مطلق الادراك هو من لوازم ذاته فلا يمكن وجوده مسموع ومرئي الا وقد تعلق به كالملم أو يقال انه أيضا بمشيئته وقدرته فيمكنه أن لا ينظر الى بعض المخلوقات هذا فيه قولان والاول قول من لا يجعل ذلك متعلقا بمشيئته وقدرته وأما الذين يجعلونه متعلقا بمشيئته وقدرته فقد يقولون متى وجد المرئي والمسموع وجب تعلق الادراك به

(والقول الثاني) ان جنس السمع والرؤية يتعلق بمشيئته وقدرته فيمكن أن لا ينظر الى شيء من المخلوقات وهذا هو المأثور عن طائفة من السلف كما روى ابن أبي حاتم عن أبي عمران الجوني قال ما نظر الله الي شيء من خلقه الا رحمه ولكنه قضى أن لا ينظر اليهم وقد يقال هذا مثل الذكر والنسيان فان الله تعالى قال اذكروني اذكركم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان أناني بمشيئتي أنه هولة فهذا الذكر يختص بمن ذكره فمن لا يذكره لا يحصل له هذا الذكر ومن آمن به وأطاعه ذكره برحمته ومن أعرض عن الذكر الذي أنزله أعرض عنه كما قال ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومثله قوله
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن
المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم

وقد فسروا هذا النسيان بأنه وهذا النسيان ضد ذلك المذكور وفي
الصحيح في حديث الكافر يحاسبه قال أفضننت أنك ملاقي قال لا قال
فاليوم أنساك كما نسيتني فهذا يقتضى أنه لا يذكره كما يذكر أهل طاعته
هو متعلق بمشيئته وقدرته أيضاً وهو سبحانه قد خالق هذا العبد وعلم
ما سيعمله قبل أن يعملها ولما عمل علم ما عمل ورأى عمله فهذا النسيان
لا يناقض ما علمه سبحانه من حال هذا

(فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل) والهدى والضلال
والرشاد والنى وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك ان
يجعل ما بعث الله به رساله وأنزل به كتيبه هو الحق الذى يجب اتباعه وبه
يحصل الفرقان والهدى والعلم والايمان فيصدق بأنه حق وصدق وما
سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فان وافقه فهو حق وان خالفه
فهو باطل وان لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجحلاً
لا يعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء
الرسول بتصديقه أو تكذيبه فانه يملك فلا يتكلم الا بعلم

(والعلم ما قام عليه الدليل) والنافع منه ما جاء به الرسول وقد
يكون علم من غير الرسول لكن في أمور دنيوية مثل الطب والحساب
والملاحة والتجارة وأما الامور الالهية والمعارف الدينية فهذه العلم فيها

ما نخذ عن الرسول فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق
بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة
والارادة وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ومن سوي الرسول اما أن يكون
في علمه بها نقص أو فساد واما أن لا يكون له ارادة فيما علمه من ذلك
فلم يبينه اما لرغبة واما لرهبة واما لغرض آخر واما أن يكون بيانه ناقصا
ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان

وبيان الرسول على وجهين تارة يبين الادلة العقلية الدالة عليها
والقرآن مملوء من الادلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الالهية
والمطالب الدينية وتارة يخبر بها خبراً مجرداً لما قد أقامه من الآيات
البيّنات والدلائل اليقينية على أنه رسول الله المبلغ عن الله وأنه لا يقول
عليه الا الحق وان الله شهد له بذلك وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق
مصدق فيما باغه عنه والادلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متبوعة
وهي أدلة عقلية يعلم حجتها بالعقل وهي أيضاً شرعية سمعية لكن الرسول
بينها ودل عليها وأرشد اليها وجميع طوائف النظار متفقون على أن
القرآن اشتمل على الادلة العقلية في المطالب الدينية وهم يذكرون ذلك
في كتبهم الاصولية وفي كتب التفسير وعامة النظار أيضاً يحتجون بالادلة
السمعية الخبرية المجردة عن المطالب الدينية فانه اذا ثبت صدق الرسول
وجب تصديقه فيما يخبر به

(والعلوم ثلاثة أقسام) منها ما لا يعلم الا بالادلة العقلية وأحسن
الادلة العقلية التي بينها القرآن وأرشد اليها الرسول فينبغي أن يعرف

أن أجل الأدلة العقلية وأكملها وأفضاها مأخوذ عن الرسول فإن من الناس من يذهل عن هذا ففهم من يقدح في الدلائل العقلية مطلقاً لأنه قد صار في ذهنه أنها هي الكلام المبتدع الذي أحدثه من المتكلمين ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه لأنه قد صار في ذهنه أن القرآن إنما يدل بطريق الخبر فقط فلا بد أن يعلم بالعقل قبل ذلك ثبوت النبوة وصدق الخبر حتى يستدل بعد ذلك بخبر من ثبت بالعقل صدقه ومنها ما لا يعلمه غير الأنبياء الأبخبر الأنبياء وخبرهم المجرد هو دليل سمعي مثل تفاصيل ما أخبروا به من الأمور الإلهية والملائكة والعرش والجنة والنار وتفاصيل ما يؤمر به وينهى عنه فإما نفس اثبات الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته ورحمته ونحو ذلك فهذا لا يعلم بالأدلة العقلية وإن كانت الأدلة والآيات التي يأتي بها الأنبياء هي أكمل الأدلة العقلية لكن معرفة هذه ليست مقصورة على الخبر المجرد وإن كان أخبار الأنبياء المجردة تفيد العلم اليقيني أيضاً فيعلم بالأدلة العقلية التي أرشدوا إليها ويعلم بمجرد خبرهم لما علم صدقهم بالأدلة والآيات والبراهين التي دلت على صدقهم

(وقد تنزع الناس في العلم بالأماد وبحسن الأفعال وقبحها) فأكثر الناس يقولون أنه يعلم بالعقل مع السمع والقائلون بأن العقل يعلم به الحسن والقبح أكثر من القائلين بأن المعاد يعلم بالعقل قال أبو الخطاب هو قول أكثر الفقهاء والمتكلمين ومنهم من يقول المعاد والحسن والقبح لا يعلم إلا بمجرد الخبر وهو قول الأشعري وأصحابه ومن وافقهم

من أتباع الأئمة كالفاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وأبي الواسع التاجي وغيرهم وكلامهم متفقون على أن من العلوم ما يعلم بالعقل والسمع الذي هو مجرد الخبر . مثل كون أفعال العباد مخلوقة لله أو غير مخلوقة وكون رؤيته ممكنة أو ممتنة ونحو ذلك وكتب أصول الدين بجميع الطوائف ملوءة بالاحتجاج بالدلة السمعية الخبرية لكن الرازي طعن في ذلك في المطالب العالية قل لان الاستدلال بالسمع مشروط بان لا يعارضه عقلي فاذا عارضه العقلي وجب تقديمه عليه قال والعلم بانتفاء المعارض العقلي متعذر وهو انما يثبت بالسمع ما علم بالاضطرار ان الرسول أخبر به كالمعاد وقد يظن أن هذه طريقة أئمة الواصفة في الوعيد كالاشعري والفاضي أبي بكر وغيرهما وليس كذلك فان هؤلاء انما وقفوا في اخبار الوعيد خاصة لان العموم عندهم لا يفيد القطع اولانهم لا يقولون بصريح العموم وقد تعارضت عندهم الادلة والافهم يثبتون الصفات الخبرية لله كالوجه والهدى بتجرد السمع والخبر ولم يختلف قول الاشعري في ذلك وهو قول أئمة أصحابه لكن أبو المعالي وأتباعه لا يثبتون الصفات الخبرية بل فيهم من ينفها و منهم من يقف فيها كالرازي والاشعري فيمكن أن يقال قول الاشعري ينزع من قول هؤلاء بأن يقال لا يعرف أنهم ائمة في الاصول على دليل سمعي لكن يقال المعاد يحتاجون عليه باقرآن والاحاديث ولكن الرازي هو الذي سلك فيه طريق العلم الضروري ان الرسول جاء به وفي الحقيقة فجميع الادلة اليقينية توجب علما ضروريا والادلة السمعية الخبرية توجب علما ضروريا بأخبار

الرسول لكن منها ما تكثر أدلته كخبر الاخبار المتواترة ويحصل به علم ضروري من غير تعيين دليل وقد يعين الأدلة ويستدل بها وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا أن يؤخذ من الرسول العلوم الالهية الدينية سمعها وعقلها وبجمل ما جاء به هو الاصول لدلالة الأدلة اليقينية البرهانية على أن ما قاله حق جملة وتفصيلا فدلائل النبوة فاءلامها تدل على ذلك جملة وتفصيل الأدلة العقلية الموجودة في القرآن والحديث يدل على ذلك تفصيلا وأيضا فان الانبياء والرسل انما بعثوا بتعريف هذا فهم أعلم الناس به وأحقهم بقيامه وأولاهم بالحق فيه وأيضا فمن جرب ما يقولونه ويقوله غيرهم وجد الصواب معهم والخطأ مع مخالفيهم كما قال الرازي مع انه من أعظم الناس طعنا في الأدلة السمعية حتى ابتدع قولا منعرف به قائل مشهور غيره وهو أنها لا تنفذ اليقين ومع هذا فانه يقول لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروى غليلا ووجدت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الأنبات اليه يصمد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى واترأ في النفي ليس كمثلته شيء ولا يحيطون به عالما قال ومن جرب مثل تجربتي صرف مثل معرفتي وأبضا (فمن اعتبر ما عند الطوائف) الذين لم يعتصموا بتعليم الانبياء وارشادهم واخبارهم وجددهم كلهم حائرين ضالين شاكين مرتابين أو جاهلين جهلا مركبا فهم لا يخرجون عن المنلين للذين في القرآن والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه

لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سميع الحساب أو
كظلمات في بحر لحيّ ينفشاه موج من فوقه موج من فوقه سيحاب
ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكده يراها ومن لم يجعل
الله نورا فما له من نور

﴿ فصل ﴾ وأهل الضلال الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وهم
كما قال مجاهد أهل البدع والشبهات يتمسكون بما هو بدعة في الشرع
ومشبهه في العتق كما قال فيهم الامام أحمد قل هم مختلفون في الكتاب
مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب يحجون بالمشابهة من
الكلام ويضلون الناس بما يشبهون عليهم والموفقة من أهل الضلال
تجعل لها دينا وأصول دين قد ابتدعوه برأيهم ثم يعرضون على ذلك
القرآن والحديث فان وافقه احتجوا به اعتقادا لا اعتمادا وان خالفه
فتارة يحرفون الكلم عن مواضعه ويتأولونه على غير تأويله وهذا فعل
أثمهم وتارة يعرضون عنه ويقولون نفوض معناه الى الله وهذا فعل
عامتهم وعمدة الطائفتين في الباطن غير ماجاء به الرسول يحملون أقوالهم
البدعية بحكمة يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف اما كافر واما
جاهل لا يعرف هذا الباب وليس له علم بالمعقول ولا بالاصول ويحملون
كلام الله ورسوله الذي يخالفها من المتشابه الذي لا يعرف معناه الا الله
أولا يعرف معناه الا الراسخون في العلم والراسخون عندهم من كان
موافقا لهم على ذلك القول وهو لاء أضل ممن تمسك بما تشابه عليه من
آيات الكتاب ويترك المحكم كالتصاري والحوارج وغيرهم اذ كان

هؤلاء أخذوا بالمتشابه من كلام الله وجعلوه محكما وجعلوا المحكم متشابهها وأما أولئك كتنفأة الصفات من الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم (وكالفلاسفة) فيجعلون ما يتدعوهم برأيهم هو المحكم الذي يجب اتبانه وان لم يكن معهم من الانبياء والكتب والسنة ما يوافقهم ويجعلون ما جاءت به الانبياء وان كان صريحا قد يعلم معناه بالضرورة يجعلونه من المتشابه ولهذا كان هؤلاء أعظم مخالفة للانبياء من جميع أهل البدع حتى قال يوسف بن اسباط وعبدالله بن المبارك وغيرها كطائفة من أصحاب أحمد ان الجهمية نفاة الصفات خارجون عن الثنتين وسبعين فرقة قالوا وأصولها أربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية* وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ان قوله تعالى يقال منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات في المتشابهات قولان أحدها أنها آيات بعضها تتشابه على كل الناس* والثاني وهو الصحيح ان التشابه أمر نسبي فقد تشابه عند هذا ما لا يتشابه عند غيره ولكن ثم آيات محكمات لا يتشابه فيها على أحد وتلك المتشابهات اذا عرف معناها صارت غير متشابهة بل القول كما محكم كما قال أ- حكمت آياته ثم فصلت وهذا كقوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور لا يعلمهن كثير من الناس وكذلك قولهم ان البقر تشابه علينا وقد صنف أحمد كتابا في الرد على الزنادقة والجهمية فيما سكت فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله وفسر تلك الآيات كلها وذهبهم على أنهم تأولوا ذلك المتشابه على غير تأويله وعامتها آيات معروفة قد نكسها العلماء في تفسيرها مثل

الآيات التي سألت عنها نافع بن الأزرق لابن العباس قال الحسن البصري ما نزل الله آية الا وهو يجب أن يعلم فيم أنزات وما ذاعني بها ومن قال من السلف ان المنشابه لا يعلم تأويله الا الله فقد أصاب أيضا ومراده بالتأويل ما استأثر الله به مماهه مثل وقت الساعة ومجيء اشراطها ومثل كيفية نفسه وما أعده في الجنة لاوليائه وكان من أسباب نزول الآية احتجاج النصارى بما تشابهه عندهم كقوله انانحن وهذا يعرف العلماء أن المراد به الواحد عند المعظم الذي له أعوان لم يرد به ان الآلهة ثلاثة فتأويل هذا الذي هو تفسيره يعلمه الراسخون ويفرقون بين ما قيل فيه ايا وما قيل فيه بالدخول الملائكة فيما يرسلهم فيه اذ كانوا رسلا وأما كونه هو المعبود الإله فهو له وحده وله هذا لا يقول قايانا فاعبدوا ولا ايانا فارهبوا بل متى جاء الامر بالعبادة والتتوى والحشية والتوكل ذكر نفسه وحده باسمه الخاص واذا ذكر الافعال التي يرسل فيها الملائكة قال انافحننا لك فتحا . بينا فاذا قرأناه فاتبع قرآنه تنلو عليك من نبا . موسى وفرعون بالحق ونحو ذلك مع ان تأويل هذا وهو حقيقة ما دل عليه من الملائكة وصفاتهم وكيفية ارسال الرب لهم لا يعلمه الا الله كما قد بسط في غير هذا الموضوع

والمقصود هنا ان الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الاصل ويتدبر معناه ويمقل ويعرف برهانه ودليله اما المعنى واما الخبرى السمعى ويعرف دلالة القرآن على هذا وهذا ويجعل أقوال الناس التي قد توافقه وتخالفه متشابهة مجملة فيقال لاصحاب هذه الالفاظ يحتمل كذا وكذا

ويحتمل كذا وكذا فان أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول قبل وان أرادوا بها ما يخالفه رد وهذا مثل لفظ المركب والجسم والمتحيز والجوهر والجهة والعرض ونحو ذلك وانمض الحيز ونحو ذلك فان هذه الالفاظ ما لا يوجد في الكتاب والسنة بالمعنى الذى يريده أهل هذا الاصطلاح بل ولا في اللغة أيضا بل هم يختصمون بالتعبير بها على معان لم يعبر غيرهم عن تلك المعانى بهذه الالفاظ فيفسر تلك المعانى بعبارات أخرى ويبطن ما دل عليه القرآن الأدلة العقلية والسمعية واذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل وعرف وجه الكلام على أدلتهم فانها مافقة من مقدمات مشتركة يأخذون اللفظ المشترك فى احدى المقدمتين بمعنى وفى المقدمة الاخرى بمعنى آخر فهو فى صورة اللفظ دليل وفى المعنى ليس بدليل كمن يقول سهيل بعيد من الثريا لا يجوز أن يقرن بها ولا يتزوجها والذى قال

* أيها المنكح الثريا سهيلا *

أراد امرأة اسمها الثريا ورجل اسمه سهيل ثم قال

عمرك الله كيف يلتقيان * هى شامية اذا ما استقلت

* وسهيل اذا استقل يمان *

وهذا لفظ مشتق فعمل يعجبه وانكاره من الظاهر من جهة اللفظ

المشترك وقد بسط الكلام على أدلتهم المفصلة فى غير موضع

والاصل الذى نبى عليه نفاة الصفات وعطلوا ما عطلوه حتى صار

منهاهم الى قول فرعون الذى جحد الخالق وكذب رسوله موسى فى

أن الله كلمه هو استدلالهم على حدوث العالم بأن الاجسام محدثة واستدلالهم على ذلك بأنها لا تخلو من الحوادث ولم تسبقها ومالم يخل من الحوادث ولم يسبقها فهو محدث وهذا أصل قول الجهمية الذين أطبق السلف والائمة على ذمهم وأصل قول المتكلمين الذين أطبقوا على ذمهم وقد صنف الناس مصنفات متعددة فيها أقوال السلف والائمة في ذم الجهمية وفي ذم هؤلاء المتكلمين

﴿ والسلف لم يذموا جنس الكلام ﴾ فان كل آدمي يتكلم ولاذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به رسوله والاستدلال بما بينه الله ورسوله بل ولا ذموا كلاما هو حق بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل

فالكلام الذي ذمه السلف هو الكلام الباطل وهو المخالف للشرع والعقل ولكن كثير من الناس خفي عليه بطلان هذا الكلام فتمهم من اعتقده موافقاً للشرع والعقل حتى اعتقد ان ابراهيم الخليل استدل به ومن هؤلاء من يجعله أصل الدين ولا يحصل الايمان أو لا يتم الا به ولكن من عرف ماجاء به الرسول وما كان عليه الصحابة علم بالاضطرار أن الرسول والصحابة لم يكونوا يسلمكون هذا المسلك فصار من عرف ذلك يعرف أن هذا بدعة وكثير منهم لا يعرف أنه فاسد بل يظن مع ذلك أنه صحيح من جهة العقل ولكنه طويل أو تبعد المعرفة أو هو طريق مخيفة مخطر يخاف على سالكه فصاروا يعيبونه كما يعاب الطريق العويل والطريق الخيف مع اعتقادهم أنه يوصل إلى المعرفة وأنه صحيح

في نفسه* وأما الحذاق العارفون بحقيقة فعلهموا أنه باطل عقلا وشرحا
وأنه ليس بطريق موصل الى المعرفة بل انما يوصل لمن اعتقد صحته الى
الجهل والضلال ومن تبين له تناقضه أوصله الى الحيرة والشك

ولهذا صار حذاق سالكيه يتهون الى الحيرة والشك اذ كان حقيقته
أن كل موجود فهو حادث مسبوق بالعدم وليس في الوجود قديم وهذا
مكبرة فان الوجود مشهود وهو اما حادث واما قديم والحادث لا بد له
من قديم فثبت وجود القديم على التقديرين

وكذلك ما ابتدعه في هذه الطريق ابن سينا وأتباعه من الاستدلال
بلممكن على الواجب أبطل من ذلك كما قد بسط ذلك في غير هذا
الموضع وحقيقته ان كل موجود فهو ممكن ليس في الوجود موجود
بنفسه مع أنهم جمعوا هذا طريقاً لا يثبت الواجب بنفسه كما يجعل أوامك
هذا طريقاً لا يثبت القديم وكلاهما يناقض ثبوت القديم والواجب فليس
في واحد منهما اثبات قديم ولا واجب بنفسه مع ان ثبوت موجود
قديم وواجب بنفسه معلوم بالضرورة ولهذا صار حذاق هؤلاء الى أن
الموجود الواجب والقديم هو العالم بنفسه وقالوا هو الله وأنكروا أن
لا يكون العالم رب مابين للعالم اذ كان ثبوت القديم الواجب بنفسه لا بد
مه على كل قول وفرعون ونحوه ممن أنكروا الصانع ما كان ينكر هذا
الوجود المشهود فلما كان حقيقة قول أولئك يستلزم أنه ليس موجود
قديم ولا واجب لكنهم لا يعرفون ان هذا يلزمهم بل يظنون أنهم أقاموا
الدليل على اثبات القديم الواجب بنفسه

(ولكن وصفوه) بصفات الممتنع فقالوا لا داخل العالم ولا خارجه ولا هو صفة ولا موصوف ولا يشار اليه ونحو ذلك من الصفات السالبة التي تستلزم عدمه وكان هذا مما تنفر عنه العقول والفطر ويعرف أن هذا صفة المعدم الممتنع لاصفة الموجود فدليلهم في نفس الامر يستلزم أنه ماثم قديم ولا واجب ولكن ظنوا أنهم أثبتوا القديم والواجب وهذا الذي أثبتوه هو ممتنع فما أثبتوا قديماً ولا واجباً فجاء آخرون من جهتهم فرأوا هذا مكابرة ولا بد من اثبات القديم والواجب فقالوا هو هذا العالم فكان قدماء الجهمية يقولون انه بذاته في كل مكان وهؤلاء قالوا هو غير الموجودات والموجود القديم الواجب هو نفس الوجود المحـدث الممكن والحلول هو الذي أظهرته الجهمية للناس حتى عرفه السلف والائمة وردوه وأما حقيقة قولهم فهو النفي أن لا داخل العالم ولا خارجه ولكن هذا لم تسمعه الائمة ولم يعرفوا أنه قولهم الا من باطنهم ولهذا كان الائمة يحكون عن الجهمية انه في كل مكان ويجكون عنهم وصفه بالصفات السالبة وشاع عند الناس أن الجهمية يصفونه بالسلوب حتى قال أبو تمام

جهمية الاوصاف الا أنها * قد حليت بمحاسن الاشياء

وهم لم يقصدوا نفي القديم والواجب فان هذا لا يقصده أحد من العقلاء لا مسلم ولا كافر اذ كان خلاف ما يعلمه كل أحد ببديهة عقته فانه اذا قدر أن جميع الموجودات حادثة عن عدم لزوم ان كل الموجودات حدثت بانفسها ومن المعلوم ببداهة العقول ان الحادث لا يحدث بنفسه

ولهذا قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وقد قيل خلقوا من غير شيء من غير رب خلقهم وقيل من غير مادة وقيل من غير عاقبة وجزاء والاول مراد قطعاً فان كل ما خلق من مادة أو لغاية فالابد له من خالق

(ومعرفة الفطر) أن المحدث لا بد له من محدث أظهر فيها من أن كل محدث لا بد له من مادة خلق منها وغاية خلق لها فان كثيراً من العقلاء نازع في هذا وهذا ولم ينازع في الاول طائفة قال ان هذا العالم حدث من غير محدث أحدثه بل من الطوائف من قال انه قديم بنفسه واجب بنفسه ليس له صانع واما أن يقول انه محدث حدث بنفسه بلا صانع فهذا لا يعرف عن طائفة معروفة واما يحكى عن لا يعرف ومثل هذا القول وأمثاله يقوله من يقوله ممن حصل له فساد في عقله صار به الى السفسطة والسفسطة تعرض لآحاد الناس وفي بعض الامور ولكن أمة من الامم كلهم سوفسطائية في كل شيء هذا لا يتصور فلهذا لا يعرف عن أمة من الامم انهم قالوا بمحدث العالم من غير محدث وهوؤلاء لما اعتقدوا ان كل موصوف أو كل ما قامت به صفة أو فعل بمشيئته فهو محدث ويمكن لزعمهم القول بمحدث كل موجود اذ كان الخالق جل جلاله متصفا بما يقوم به من الصفات والامور الاختياريات مثل أنه متكلم بمشيئته وقدرته ويخلق ما يخلقه بمشيئته وقدرته لكن هؤلاء اعتقدوا انتفاء هذه الصفات عنه لاعتقادهم صحة القول بأن ما قامت به الصفات والحوادث فهو حادث لان ذلك لا يخلو

من الحوادث ومالم يخل من الحوادث فهو حادث واذا كان حادثا كان له محدث قديم واعتقدوا أنهم أثبتوا الرب وانه ذات مجردة عن الصفات ووجوده مطلق لا يشار اليه ولا يعين ويقولون هو بلا اشارة ولا تعيين وهذا الذي أثبتوه لاحقيقة له في الخارج وانما هو في الذهن فكان ما أثبتوه واعتقدوا أنه الصانع للعالم انما يتحقق في الازهان لاني الاعيان وكان حقيقة قولهم تعطيل الصانع فجاء اخوانهم في أصل المقالة وقالوا هذا الوجود المطلق المجرد عن الصفات هو الوجود السارى في الموجودات فقالوا بجلوله في كل شيء وقال آخرون منهم هو وجود كل شيء ومنهم من فرق بين الوجود والثبوت ومنهم من فرق بين التعيين والاطلاق ومنهم من جعله في العالم كالمادة في الصورة ومنهم من جعله في العالم كالزبد في اللبن وكالزيت والشيرج في السمسم والزيتون وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن الاصل الذي أضلهم قولهم ما قامت به الصفات والافعال والامور الاختيارية أو الحوادث فهو حادث ثم قالوا والجسم لا يخلو من الحوادث وأثبتوا ذلك بطرق منهم من قال لا يخلو عن الاكوان الاربعة الحركة والسكون والاجتماع والافتراق ومنهم من قال لا يخلو عن الحركة والسكون فقط ومنهم من قال لا يخلو عن الاعراض والاعراض كلها احادثة وهي لاتبقي زمانين وهذه طريقة الآمدى وزعم أن أكثر أصحاب الاشعرية اعتمدوا عليها والرازي اعتمد على طريقة الحركة والسكون

وقد بسط الكلام على هذه الطرق وجميع ما احتجوا به على حدوث الجسم
وامكانه وذكروا في ذلك كلامهم هم أنفسهم في فساد جميع هذه الطرق
وانهم هم بنوا فساد جميع ما استدلل به على حدوث الجسم وامكانه وبنوا
فسادها طرقاً بربما ذكروه كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع

وأما الهشامية والكرامية وغيرهم ممن يقول بأنه جسم قديم فقد
شاركوهم في أصل هذه المقالة لكن لم يقولوا بحدوث كل جسم ولا
قالوا ان التجسم لا ينفك عن الحوادث اذ كان القديم عندهم جسماً
قديمًا وهو خال من الحوادث وقد قيل أول من قال في الاسلام ان
القديم جسم هو هشام بن الحكم كما ان أول من أظهر في الاسلام في
الجسم هو الجهم بن صفوان وكلام السالف والائمة في ذم الجهمية كثير
مشهور فان مرض التعطيل شر من مرض الجسم وانما كان السالف
يذمون المشبهة كما قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه واهـ حـ
ابن راهويه وغيرهما قالوا المشبهة الذين يقولون بصر كعصرى ويد كيدى
وقدم كقدمى وابن كلاب ومن تبعه أثبتوا الصفات التي لا تثبت بمشيتته
وقدرته فينفونها قالوا لانها حادثة ولو قامت به الحوادث لكان حادثان
ما قبل الشيء لم يخل عنه وعن ضده فلو قبل بعض هذه الحوادث لم
يخل منه ومن ضده فلم يخل من الحوادث فيكون حادثاً

ومحمد بن كرام فكان بعد ابن كلاب في عصر مسـ لم بن الحجاج
أثبت انه يوصف بالصفات الاختياريات ويتكلم بمشيتته وقدرته ولكن
عنده يمتنع انه كان في الاول متكلماً بمشيتته وقدرته لامتناع حوادث

لأول لها فلم يقل بقول السلف انه لم يزل متكلما اذا شاء بل قال انه
 صارتة كلهم بمشيئته وقدرته كما صار يفعل بمشيئته وقدرته بعد ان لم يكن
 كذلك وقال هو وأصحابه في المشهور عنه ان الحوادث التي تقوم به
 لا يخلو منها ولا يزول عنها لانه لو قامت به الحوادث ثم زالت عنه كان
 قابلا لحدوثها وزوالها واذا كان قابلا كذلك لم يخل منه وما لم يخل من
 الحوادث فهو حادث وانما يقبل علي أصلهم انه تقوم به الحوادث فقط
 كما يقبل أن يفعلها ويحدثها ولا يلزم من ذلك أنها لم تخل منه كما لم يلزم
 أنه لم يزل فاعلا لها والحدوث عندهم غير الاحداث والقرآن عندهم
 حادث لا يحدث لان المحدث يفتقر الي احداث بخلاف الحدوث وهم
 اذا قالوا كان خاليا منها في الازل وكان ساكنا لم يقولوا انه قام به حادث
 بل يقولون السكون أمر عدسي كما يقوله الفلاسفة ولكن الحركة أمر
 وجودي بخلاف ما يقوله من المعتزلة والاشعرية ان السكون أمر وجودي
 كالحركة فاذا حصل به حادث لم يكن ثم عدم هذا الحادث فانما يعدم
 الحادث باحداث يقوم به وهذا ممتنع وهم يقولون انه يمتنع عدم الجسم
 وعندهم ان البارئ يقوم به احداث المخلوقات وانماؤها فالحوادث
 التي تقوم بهم تقوم به لو أنفأها لقام به الاحداث والاقناء فيكون قابلا
 لان يحدث فيه حادث ويفنى ذلك الحادث وما كان كذلك لم يخل من
 احداث واقناء فلم يخل من الحوادث وما لم يخل منها فهو حادث وانما
 كان كذلك لان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده كما قات الكلابية
 لكن المعتزلة يقولون السكون ضد الحركة فالقابل لاحدهما لا يخلو عنه

وعن الآخر وهؤلاء يقولون السكون ليس بضد وجودي بل هو
 عدمي وإنما الوجودى هو الاحداث والافناء فلو قبل قيام الاحداث
 والافناء به لكان قابلا لقيام الاضداد الوجودية والقابل لاشئ لا يخلو
 عنه وعن ضده وهؤلاء لما أراد منازعهم ابطال قولهم كان عمدتهم بيان
 تناقض أقوالهم كما ذكر ذلك أبو المعالي وأتباعه وكما ذكر الآمدى
 تناقضهم من وجوه كثيرة قد ذكرت في غير هذا الموضع وغايتها انها
 تدل على مناقضتهم لاعلى صحة مذهب المنازع

وتم طائفة كثيرة تقول انه تقوم به الحوادث وتزول وانه كلم موسى
 بصوت وذلك الصوت عدم وهذا مذهب أئمة السنة والحديث من السلف
 وغيرهم وأظن الكرامية لهم في ذلك قولان والا فالقول بفناء الصوت
 الذى كلم به موسى من جنس القول بقدمه كما يقول ذلك من يقوله
 من أهل الكلام والحديث والفقهاء من السالمية وغيرهم ومن الخبيلية
 والشافعية والمالكية يقول انه كلم موسى بصوت سمعه موسى وذلك
 الصوت قديم وهذا القول يعرف فساده ببديهية العقل وكذلك قول
 من يقول كلمه بصوت حادث وان ذلك الصوت باق لا يزال هو وسائر
 ما يقوم به من الحوادث هي أقوال يعرف فسادها بالبديهية

وانما أوقع هذه الطوائف في هذه الاقوال ذلك الاصل الذى
 تلقوه عن الجهمية وهو أن ما لم يخل من الحوادث فهو حادث وهو
 باطل عقلا وشرعا وهذا الاصل فاسد مخالف للعقل والشرع وبه
 استطالت عليهم الفلاسفة الدهرية فلا الاسلام نصروا ولا لعدوه كسروا

بل قد خالفوا السلف والائمة وخالفوا العقل والشرع وساطوا عليهم
وعلى المسلمين عدوهم من الفلاسفة والدهرية والملاحدة بسبب غلطهم
في هذا الاصل الذي جعلوه أصل دينهم ولو اعصموا بما جاء به الرسول
لوافقوا المقول والمعقول وثبت لهم الاصل ولكن ضيعوا الاصول
فحرموا الوصول والاصول اتباع ما جاء به الرسول

وأحدثوا أصولا لاظنوا انها أصول ثابتة وكانت كما ضرب الله المثلين
مثل البناء والشجرة فقال في المؤمنين والمنافقين أفمن أسس بنيانه على
تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار
فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين وقال ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل
حين باذن ربها وبضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل
كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله
الظالمين ويفعل الله ما يشاء والاصول مأخوذة من أصول الشجرة
وأساس البناء ولهذا يقال فيه الاصل ما يتقى عليه غيره أو ما يفرع
عنه غيره

فلاصول الثابتة هي أصول الانبياء كما قيل

أيها المغتدى لتطلب علما * كل علم عبد لمعلم الرسول

تطلب الفرع كي تصحح حكما * ثم أغفلت أصل أصل الاصول

والله يهدينا وسائر اخواننا المؤمنين الى صراطه المستقيم صراط

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وهذه الاصول ينبى عليها مافي القلوب ويتفرع عليها وقد ضرب الله مثل الكلمة الطيبة التي في قلوب المؤمنين ومثل الكلمة الخبيثة التي في قلوب الكافرين

والكلمة هي قضية جازمة وعقيدة جامعة ونبينا صلى الله عليه وسلم أوتى فوائح الكلام وخواتمه وجوامعه فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الاولية والآخرية على أتم قضية فالكلمة الطيبة في قلوب المؤمنين وهي العقيدة الايمانية التوحيدية كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء فاصل أصول الايمان ثابت في قلب المؤمن كنبات أصل الشجرة الطيبة وفرعها في السماء اليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه والله سبحانه مثل الكلمة الطيبة أي كلمة التوحيد بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

فبين بذلك ان الكلمة الطيبة لها أصل ثابت في قلب المؤمن ولهذا فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت كما قال ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فالمؤمن منده يقين وطمأنينة والايمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثابت على الايمان مستقر لا يتحول عنه والكلمة الخبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض استؤصلت واجتثت كما يقطع الشيء يجثت من فوق الارض ما لها من قرار لا مكان تستقر فيه ولا استمرار في المكان فان القرار يراد به مكان الاستمرار كما قال تعالى بأس القرار وقال جعل لكم الارض قرارا

ويقال فلان ماله قرار أى ثبات وقد فسر القرار فى الآية بهذا وهذا فالبطل ليس قوله ثابتاً فى قلبه، ولا هو ثابت فيه ولا يستقر كما قال تعالى فى المثل الآخر فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض فانه وان اعتقده مدة فانه عند الحقيقة يخونه كالذى يشرك بالله فمعد الحقيقة يضل عنه ما كان يدعو من دون الله وكذلك الافعال الباطلة التى يعتقدها الانسان عند الحقيقة تخونه ولا تنفعه بل هى كالشجرة الخبيثة التى اجثت من فوق الارض ما لها من قرار فمن كان معه كلمة طيبة أصلها ثابت كان له فرع فى السماء يوصله الى الله فانه سبحانه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن لم يكن معه أصل ثابت فانه يحرم الوصول لانه ضيع الاصول ولهذا تجد أهل البدع والشبهت لا يصلون الى غاية محمودة كما قال تعالى له دعوة الحق ولذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال

والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب بان يكون هو المعبود وحده لا شريك له وانما يعبد بما أمر به على السن رساله وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه فى كتابه وما وصف به رساله ولهذا كان مذهب السلف انهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رساله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل والذين يشكرون بعض ذلك ما فادروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه حق عبادته

والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ما قدروا الله حق قدره في ثلاث مواضع اثبت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وانه لا يستحق العبادة الا هو وليثبت ما أنزله على رساله فقل في الزمر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة الآية وقال في الحج ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره وقال في الانعام وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء والمواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار فدل ذلك على انه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده وقال اتقوا الله حق تقاته والمصدر هنا مضاف الى المفعول والفاعل مراد أي حق جهاده الذي أمركم به وحق تقاته التي أمركم بها واقدروه قدره الذي بينه اياكم وأمركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر وأما ما يخرج عن طاقة البشر فذلك لا يذم أحد على تركه قالت عائشة فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو * ودات الآية على ان له قدرا عظيما لاسيما قوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وفي تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال من آمن بأن الله على كل شيء قدير فقدر الله حق قدره

وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية لما ذكر له بعض اليهود ان الله يحمل السموات

على أصبع والارضين على أصبع والحيال على أصبع والشجر والثري
على أصبع وسائر الخلق على أصبع فضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم تمجبا وتصديقا لقول الخبر وقرأ هذه الآية

وعن ابن عباس قال مر بهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا أبا القاسم ما تقول اذا وضع الله السماء على ذه والارض على ذه
والحيال والماء على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله تعالى وما
قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات يمينه رواه الامام أحمد والترمذي من حديث أبي الضحى عن
ابن عباس وقال غريب حسن صحيح

وهذا يقتضي ان عظمه أعظم مما وصف ذلك الخبر فان الذى فى
الآية أبانغ كافي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء يمينه ثم يقول أنا
الملك أين ملوك الارض وفى الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يطفى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن
بيده اليمنى ثم يقول أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون ورواه
مسلم أبسط من هذا وذكر فيه انه يأخذ الارض بيده الاخرى

وقد روى ابن حاتم حدثنا أبو نثار عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن
عبدالله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود فى صفة الرب
تبارك وتعالى فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فجعل صفته التي وصفوا بها شركا
وقال حدثنا أبي ثنا أبو نعيم ثنا الحكم يعني أبا معاذ عن الحسن
قال عمدت اليهود فنظروا في خلق السموات والارض والملائكة
فلما فرغوا أخذوا يقدرونه فأنزل الله تعالى على نبيه وما قدروا الله
حق قدره وهذا يدل على انه أعظم مما وصفوه وانهم لم يقدروه حق قدره
وقوله عما يشركون فكل من جعل مخلوقا مثلا للخالق في شيء من
الاشياء فأحبهه مثل ما يحب الخالق أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق
فهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الاشياء فعدل بربه
والرب تعالى لا كفؤ له ولاسمى له ولا مثل له ومن جعله مثل المعدوم
والممتنع فهو شر من هؤلاء فانه معدل بمثل والمعدل شر من المشرك
﴿ والله ثنى قصة فرعون ﴾ في القرآن في غير موضع لاحتياج الناس الي
الاعتبار بها فانه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلوم
يحصل مثله لاحد من المعطلين وكانت عاقبته الى ما ذكر الله تعالى وليس
لله صفة يمانه فيها غيره فلهذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمسك
ولا قياس السموك الذي يسوى افراده فان ذلك شرك اذ سوى فيه
بالمخلوق بل قياس الاولى فانه سبحانه له المثل الاعلى في السموات
والارض فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتزيه
عن صفات النقص وقد بسط هذه الامور في غير هذا الموضع وبين
ان من جعله الوجود المطابق والمقيد بالسلب أو ذاتا مجردة فهو لاء مثله
بأنقص المعقولات الذهنية وجملوه دون الموجودات الخارجية والنفاء

الذين قصدوا اثبات حدوث العالم باثبات حدوث الجسيم لم يثبتوا بذلك حدوث شيء كما قد بين في موضعه

ثم انهم جاءوا عمدهم في تزويه الرب عن النقائص على نفى الجسيم ومن سلك هذا المسلك لم ينزه الله عن نقي من النقائص البتة فانه مامن صفة ينفيها لانها تستلزم التجسيم وتكون من صفات الاجسام الا يقال له فيما أثبتته نظير ما يقوله هو في نفس تلك الصفة فان كان مثبتا لبعض الصفات قيل له القول في هذه الصفة التي ينفيها كقول فيما أثبتته فان كان هذا تجسيما وقولا باطلا فهذا كذلك وان قلت أنا أثبت هذا على الوجه الذي يليق بالرب قيل له وكذلك هذا كذلك وان قلت أنا أثبتته وأنفي التجسيم قيل ذلك وهذا كذلك فليس لك أن تفرق بين المتماثلين وان ممن يثبت الاسماء وينفي الصفات كالمترلة قيل له في الصفات ما يقوله هو في الاسماء فاذا كان يثبت حيا عالما قادرا وهو لا يعرف من هو متصف بذلك الاجساما كان اثبات ان له علما وقدرة كما نطق به الكتاب والسنة كذلك وان كان ممن لا يثبت لا الاسماء ولا الصفات كالجهمية المحضة والملاحدة قبله فلا بد أن تثبت موجودا قائما بنفسه وأنت لاتعرف ذلك الاجساما وان قال لاسميه باسم لا اثبات ولا نفى قيل له سكوتك لا ينفي الحقائق ولا واسطة بين النفي والاثبات فاما أن يكون حقا ثابتا موجودا واما أن يكون باطلا معدوما وأيضا فان كنت لم تعرفه فانت جاهل فلا تتكلم وان عرفته فلا بد أن تميز بينه وبين غيره بما يختص به مثل أن يقول رب العالمين أو القديم الازلي

أو الموجود بنفسه ونحو ذلك وحينئذ فقد أثبت حيا موجودا قائما بنفسه وأثبتته فاعلا وأنت لا تعرف ما هو كذلك الا الجسم وان قدر انه جاحد له قيل له فهذا الوجود مشهود فان كان قديما أزليا موجودا بنفسه فقد ثبت جسم قديم أزلي موجود بنفسه وهو ما فررت منه وان كان مخلوقا مصنوعا فله خالق خلقه ولا بد أن يكون قديما أزليا فقد ثبت الموجود القم بنفسه القديم الازلي علي كل تقدير وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

وهنا قد نهينا على ذلك وانه كل من بنى تزييه لارب عن انقائص والعيوب على نفي الجسم فانه لا يمكنه أن ينزهه عن عيب أصلا به هذه الحجة وكذلك من جعل عمدته نفي التركيب

ومن تدبر مذكروه في كتبهم تبين له أنهم لم يقيموا حجة على وجوده فلا هم أثبتوه وأثبتوا له ما يستحقه ولا نزوه ونفوا عنه ما لا يجوز عليه اذ كان اثباته هو اثبات حدوث الجسم ولم يقيموا على ذلك دليلا والنفي اعتمدوا فيه على ذلك وهم متناقضون فيه لو كانوا أقاموا دليلا على نفي كونه جسما فكيف اذا لم يقيموا على ذلك دليلا وتناقضوا

وهذا مما يتبين لك ان من خرج عن الكتاب والسنة فليس معه علم لاعقلي ولا سمعي لاسيما في هذا المطلوب الاعظم لكنهم قد يكونون معتقدين لمقائد صحيحة عرفوها بالفطرة العقلية وبما سمعوه من القرآن ودين المسلمين فقلوبهم تثبت ما تثبت وتنفي ما تنفي بناء على هذه الفطرة المكملة بالشرعة المنزلة لكنهم سلكوا هذه الطرق البدعية وليس فيها

علم أصلاً ولكن يستفاد من كلامهم ابطال بعضهم لقول المبطل الآخر
 وبيان تناقضه. ولهذا لما ذكروا المقالات الباطلة في الرب جعلوا يردونها
 بان ذلك تجسيم كما فعل الفاضل أبو بكر في هداية المسترشدين وغيره
 فلم يقيموا حجة على أولئك المبطلين وردوا كثيراً مما يقول اليهود بأنه
 تجسيم وقد كان اليهود عند النبي صلى الله عليه و لم بالمدينة وكانوا أحياء
 يذكرون له بعض الصفات كحديث الخبر وقد ذم الله اليهود على أشياء
 كقولهم ان الله فقير وان يده مغلولة وغير ذلك ولم يقل النبي صلى الله
 عليه و لم قط انهم يجسمون ولا ان في التوراة تجسماً ولا عابهم بذلك
 ولا رد هذه الاقوال الباطلة بأن هذا تجسيم كما فعل ذلك من فعله من
 النفاة فيبين ان هذه الطريقة مخالفة للشرع والعقل وانها مخالفة لما بعث
 الله به رسوله ولما فطر عليه عباده وان أهامها من جنس الذين قالوا لو
 كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقد بينا في غير هذا الموضع
 فساد ما ذكره الرازي من ان طريقة الوجود والامكان من أعظم
 الطرق وبيننا فسادها وانها لا تفيد علماً وانهم لم يقيموا دليلاً على اثبات
 واجب الوجود وان طريقة الكمال أشرف منها وعابها اعتماد المقلاء
 قديماً وحديثاً وهو قد اعترف في آخر عمره بأنه قد تأمل الطرق
 الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدها تشفى عايلاً ولا تروى غيلاً إلا
 ووجد أقرب الطرق طريقة القرآن وطريقة الوجود والامكان لم
 يسلكها أحد قبل ابن سينا وهو أخذها من كلام المتكلمين الذين قسموا
 الوجود الى محاث وقديم فقسمه هو الى واجب وممكن ليكنه القول

بأن الفك ممكن مع قدرته وخالف بذلك عامة العقلاء من سلفه وغير سلفه وخالف نفسه فانه قد ذكر في المنطق ما ذكره سلفه من أن الممكن لا يكون الا محدثا كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضوع

(ثم) ان هؤلاء الذين سلكوا هذه الطريقة انتهت بهم الى قول فرعون فان فرعون جحد الخالق وكذب موسى في أن الله كلمه وهؤلاء ينتهي قولهم الى جحد الخالق وان أنبتوه قالوا انه لا يتكلم ولا نادي أحداً ولا ناجاه وعمدتهم في نفي ذاته على نفي الجسم وفي نفي كلامه وتكليمه لموسى على أنه لا تحمله الحوادث فلا يبقى عندهم رب ولا مرسل حقيقة قولهم تناقض شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله فان الرسول هو المبالغ لرسالة مرسله والرسالة هي كلامه الذي بعث به فاذا لم يكن متكلماً لم تكن رسالة ولهذا اتفق الانبياء على أن الله يتكلم ومن لم يقل انه يتكلم بمشيئته وقدرته كلاماً يقوم بذاته لم يقل انه يتكلم والنفاة منهم من يقول

الكلام صفة فعل بمعنى أنه مخلوق بائن عنهم ومنهم من يقول هو صفة ذات بمعنى أنه كالحياة يقوم بذاته وهو لا يتكلم بمشيئته وقدرته وكل طائفة مصيبة في ابطال باطل الاخرى

والدليل بقوم على أنه صفة ذات وفعل تقوم بذات الرب والرب يتكلم بمشيئته وقدرته فادلة من قال انه صفة فعل كلها انما تدل على أنه يتكلم بقدرته ومشيئته وهذا حق وأدلة من قال انه صفة ذات انما تدل على أن كلامه يقوم بذاته وهذا - حق وأما من أثبت أحدهما كمن

قال ان كلامه مخلوق اوقال انه لا يتكلم بمشيئة، وقد رته فهو لاء في الحقيقة لم يثبتوا أنه يتكلم ولا أنبتوا له كلاما ولهذا يقولون مالا يعقل هذا يقول انه معنى واحد قام بالذات وهذا يقول حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته وهذا يقول مخلوق بأئ عه

ولهذا لما ظهر لطائفة من أتباعهم ما في قلوبهم من الفساد ولم يعرفوا عين هذه الاقوال الثلاثة حاروا وتوقفوا وقالوا نحن نقر بما عاينه عموم المسلمين من ان القرآن كلام الله وأما كونه مخلوقا أو بحرف وصوت أو معنى قائم بالذات فلا نقول شيئا من هذا ومعلوم أن الهري في هذه الاصول ومعرفة الحق فيها ومعرفة ما جاء به الرسول وهو الموافق لصريح المقول أنفع وأعظم من كثير مما يتكلمون فيه من العلم لاسيما والقلوب تطالب معرفة الحق في هذه بالفطرة ولما قدر رأوا من اختلاف الناس فيها وهؤلاء يذكرون هذا الوقف في عقائدهم وفيما صنّفوه في أصول الدين كما قد رأيت منهم من أكابر شيوخ العلم والدين بمصر والشام قد صنّفوا في أصول الدين ما صنّفوه ولما تكلموا في مسألة القرآن وهل هو مخلوق أو قديم أو هو الحروف والاصوات أو معنى قائم بالذات نهوا عن هذه الاقوال وقالوا الواجب أن يقال ما قاله المسلمون كلهم ان القرآن كلام الله وبمسك عن هذه الاقوال وهؤلاء توقفوا عن حيرة وشك وهم رغبة في العلم والهدى والدين وهم من أحرص الناس على معرفة الحق في ذلك وغيره لكن لم يعلموا الا هذه الاقوال الثلاثة قول المتزلة والكلاية والسامية وكل طائفة تبين فساد قول الاخرى وفي كل

قول من الفساد ما يوجب الامتناع من قبوله ولم يلموا قولاً غير هذه
فرضوا بالجهل البسيط وكان أحب اليهم من الجهل المركب وكان أسباب
ذاك أنهم وافقوا هؤلاء على أصل قولهم ودينهم وهو الاستدلال على
حدوث الاجسام وحدوث العالم بطريقة أهل الكلام المبتدع كما سلكها
من ذكرته من أجلاء شيوخ أهل العلم والدين والاستدلال على إمكانها
بكونها مركبة كما سلك الشيخ الآخر وهذا ينفي عن الواجب أن يكون
جسيماً بهذه الطريقة وذلك، نفي منه أنه جسيم بتلك الطريقة وحذاق النظار
الذين كانوا أخبر بهذه الطرق وأعظم نظراً واستدلالاً وبغيرها قد
صرفوا فسادها كما قد بسط في غير هذا الموضوع

والله سبحانه قد أخبر أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وأخبر أنه ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا والله
سبحانه يجزي الانسان بحسن عمله فالجزاء من جنس العمل فمن خالف
الرسول عوقب بمنزلة ذنبه فان كان قد قدح فيهم ونسب ما يقولونه الى أنه
جهل وخروج عن العلم والعقل ابتلى في عقله وعلمه وظهر من جهله
ما عوقب به ومن قل عنهم انهم تعمدوا الكذب أظهر الله كذبه ومن قال
انهم جهال أظهر الله جهله ففرعون وهامان وقارون لما قالوا عن موسى
انه ساحر كذاب أخبر الله بذلك عنهم في قوله ولقد أرسلنا موسى بآياتنا
الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وطلب فرعون اهلاكه
بالقتل وصار ينفذ بالعيوب كقولهم وقال فرعون ذروني أقتل موسى
وايدع ربه اني أخف أن يبدل دينكم أو ان يظهر في الارض الفساد

وقال أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين عليك الله فرعون وأظهر كذبه وافتراءه على الله وعلى رسوله وأذله غاية الاذلال وأعجزه عن الكلام النافع فلم يبين حجة وفرعون هذه الامة أبو جهل كان يسمى أبا الحكم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه أبا جهل وهو كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو جهل أهلك به نفسه وأتباعه في الدنيا والآخرة

(والذين) قالوا عن الرسول انه أبتروا انه يموت فينقطع ذكره عوقبوا بابتارهم كما قال تعالى ان شأنك هو الا بتر فلا يوجد من شئت الرسول الا بتره الله حتى أهل البدع المخالفون لسنته قيل لابي بكر ابن عيش ان بالمسجد قوما يجاسون للناس ويتكلمون بالبدعة فقال من جاس للناس جاس الناس اليه لكن أهل السنة يبقون ويبقى ذكركم وأهل البدعة يموتون ويموت ذكركم

وهؤلاء المشبهون لفرعون الجهمية نفاة الصفات الذين وافقوا فرعون في جرده وقالوا انه ليس فوق السموات وان الله لم يكلم موسى تكليماً كما قال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاطنه كاذبا وكان فرعون جاحداً للرب فلولا أن موسى أخبره أن ربه فوق العالم لما قال أطلع الى اله موسى وانى لاطنه كاذبا قال تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وقال تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فلو قد لي يا هامان على الطير فاجعل

لي صرحاً لعلى أطاع الى الله موسى وانى لأظنه من الكاذبين واستكبر هو
وجنوده فى الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناهم وجنوده
فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون
الى انار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة وبوم
القيامة هم من المقبوحين

ومحمد صلى الله عليه وسلم لما صرح به الى ربه وفرض عليه الصلوات
الحسنى ذكر انه رجع الى موسى وان موسى قال له ارجع الى ربك
فسله الترخيف الى أمك كما تواتر هذا فى أحاديث المعراج فموسى صدق
محمد فى أن ربه فوق وفرعون كذب موسى فى ان ربه فوق فالقرون
بذلك متبعون لموسى ومحمد والمكذبون بذلك موافقون لفرعون

وهذه الحججة مما اعتمد عليها غير واحد من النظار وهى مما اعتمد
عليه أبو الحسن الاشعري فى كتابه فى الابانه وذكر عدة أدلة عقلية
وسمعية على ان الله فوق العالم وقال فى أوله

فان قال قائل تد أنكرتم قول الجهمية والقدرية والحوارج
والروافض والمعتزلة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم
التي بها تدينون

قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا
وسنة نبينا وما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وبما كان يقول به
أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل قائلون ولما خالف قوله مجانبون
فانه الامام الكامل والرئيس الفاضل الذي أبان الله به الحق وأوضح به

المناهج وقع به بدع المبتدعين وزينغ الزائعين وشك الشاكين فرحمه الله من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين وذکر جملة الاعتقاد والكلام على علو الله على العرش وعلى الرؤية ومسئلة القرآن ونحو ذلك وهذا مبسوط في غير هذا الموضوع

والمقصود هنا ان المعطلة نفاة الصفات أو نفاة بعضها لا يعتمدون في ذلك على ما جاء به الرسول اذ كان ما جاء به الرسول انما يتضمن الاثبات لا النفي لكن يعتمدون في ذلك على ما يظنونه أدلة عقلية ويعارضون بذلك ما جاء به الرسول وحقية قولهم ان الرسول لم يذكر في ذلك ما يرجع اليه لامن سمع ولا عدل فلم يخبر بذلك خبرا بين به الحق على زعمهم ولا ذكر أدلة عقلية تبين الصواب في ذلك على زعمهم بخلاف غير هذا فانهم معترفون بان الرسول ذكر في القرآن أدلة عقلية على ثبوت الرب وعلى صدق الرسول وقد يقولون أيضا انه أخبر بالمعاد لكن نفوا الصفات لما رأوا ان ما ذكره من النفي لم يذكره الرسول فلم يخبر به ولا ذكر دليلا عقليا عليه بل انما ذكر الاثبات وليس هو في نفس الامر حقا فاحوج الناس الى التأويل أو التفويض فلما نسبوا ما جاء به الرسول الي انه ليس فيه لادليل سمعي ولا عقلي لاخبر يبين الحق ولا دليل يدل عليه عاقبهم الله بجنس ذنوبهم فكان ما يقولونه في هذا الباب خارجا عن العقل والسمع مع دعواهم انه من العقليات البرهانية فاذا اختبره العارف وجدده من الشبهات الشيطانية من جنس شبهات أهل السفسطة والاحاد الذين يقدحون في العقليات

والسمعيات وأما السمع مع نخلافهم له ظاهر لكل أحد وإنما يظن من
يعظمهم ويتبهم أنهم أحكموا العتليات فإذ حقق الأمر وجدهم كما قال
أهل النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وكما قال تعالى
والذين كفروا أعمالهم كسراب بثيمة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه
لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سيع الحساب
أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه - حجاب
ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل
الله نورا فما له من نور

فلما كان حقيقة قوهم ان القرآن والحديث ليس فيه في هذا الباب
دليل سمعي ولا عقلي سلمهم الله في هذا الباب معرفة الادلة السمعية
والعقلية حتى كانوا من أضل البرية مع دعواهم أنهم أعلم من الصحابة
والتابعين وأئمة المسلمين بل قد يدعون أنهم أعلم من النبيين وهذا
ميراث من فرعون وحزبه اللعين

وقد قيل ان أول من عرف انه أظلم في الاسلام التعطيل الذي
تضمنه قول فرعون هو الجعد بن درهم فضحي به خالد بن عبد الله
القسري وقال أيها الناس ضحوا لقبول الله ضحاياكم اني مضح بالجعد بن
درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خايلا ولم يكلم موسى تكليما
تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه وشكر له علماء
المسلمين ما فعله كالحسن البصري وغيره وهذا الجعد اليه ينسب مروان
ابن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية وكان شؤمه عاد عايه حتى زالت

الدولة فانه اذا ظهرت البدع التي تخالف دين الرسل انتقم الله ممن
خالف الرسل وانتصر لهم ولهذا لما ظهرت الملاحدة الباطنية وملكوا
الشام وغيرها ظهر فيها النفاق والزندقة الذي هو باطن أمرهم وهو
حقيقة قول فرعون انكار الصانع وانكار عبادته وخيار ما كانوا
يتظاهرون به الرفض فكانوا خيارهم وأقربهم إلى الاسلام الراضية
وظهر بسببهم الرفض والاحاد حتى كان من كان ينزل الشام مثل بنى
حمدان العالية ونحوهم متشيعين وكذلك من كان من بنى بويه في المشرق
وكان ابن سينا وأهل بيته من أهل دعوتهم قال وبسبب ذلك
استغلت في الفلسفة وكان مبدأ ظهورهم من حين تولى المقتدر ولم يكن
بلغ بعد وهو مبدأ انحلال الدولة العباسية ولهذا سمي حينئذ بامير المؤمنين
الاموى الذى كان بالاندلس وكان قبل ذلك لا يسمى بهذا الاسم ويقول
لا يكون للمسلمين خليفان فلما ولي المقتدر قال هذا صبي لا تصح
ولايته فسمى بهذا الاسم

وكان بنو عبيد الله القديح الملاحدة يسمون بهذا الاسم لكن
هؤلاء كانوا في الباطن ملاحدة زنادقة منافقين وكان نسبهم باطلا كدينهم
بخلاف الاموى والعباسى فان كلاهما نسبه صحيح وهم مسلمون كما ملهم
من خلفاء المسلمين

فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت
عليهم الاعداء نخرجت الروم النصرى الى الشام والجزيرة مرة بعد
مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء الى أن أخذوا بيت المقدس

في أواخر المائة الرابعة وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق وكان أهل الشام بأسوء حال بين الكفار النصاري والمنافقين الملاحدة إلى أن تولى نور الدين الشهيد وقام بما قام به من أمر الإسلام والطهارة والجهاد لاعدائه ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصاري فأنجدهم وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي وخطب بها لبني العباس فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة

فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا خيرا الدنيا والآخرة وبالعكس البدع والالحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الالحاد والبدع ساطع عليهم الكفار ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والبدعيين نصرهم الله على الكفار تحميقا لقوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تجيبكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين

وكذلك لما كان أهل المشرق قائلين بالإسلام وكانوا منصورين على الكفار المشركين من الترك والهند والصين وغيرهم فلما ظهر منهم

ماظهر من البدع والالحاد والفجور ساط عليهم الكفار قال تعالي وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعمان علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولها بعثنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدنا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم ثم وأمددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما عملوا قديرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

وكان بعض المشايخ يقول هولاء كوك ملك الترك التتار الذي قهر الخليفة بالعراق وقتل ببغداد مقتلة عظيمة جدا يقال قتل منهم ألف ألف وكذلك قتل بحلب دار الملك حينئذ كان بعض الشيوخ يقول هو للمسلمين بمنزلة نجت نصر لبنى اسرائيل

وكان من أبواب دخول هؤلاء ديار المسلمين ظهور الالحاد والنفاق والبدع حتى انه صنف الرازي كتابا في عبادة الكواكب والاصنام وعمل السحر مماه السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم ويقال انه صنفه لام سلطان علاء الدين محمد بن لكش بن جلال الدين خوارزم شاه وكان من أعظم ملوك الارض وكان لرازي به اتصال رهوى حتى انه وصى اليه على اولاده وصنف له كتابا سماه الرسالة العلائية في الاختيارات السماوية

وهذه الاختيارات لاهل الضلال بدل الاستحارة التي علمها النبي

صلى الله عليه وسلم المسلمين كما قال جابر في الحديث الصحيح الذي رواه البخارى وغيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم انى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر وتسميه باسمه خير لى في دينى ومعايشى وعاقبته أمرى فاقدره لى ويسره ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لى في دينى ومعايشى وعاقبته أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به (وأهل النجوم) لهم اختيارات اذا أراد أحدهم أن يفعل فعلاً أخذ طالعا سعيدا فعمل فيه ذلك العمل لينجح بزعمهم وقد صنف الناس كتباً في الرد عليهم وذكروا كثرة ما يقع من خلاف مقصودهم فيما يخبرون به وبأمروهم به وكم يخبرون من خبر فيكون كذبا وكم يأمرون باختيار فيكون شرا والرازي صنف الاختيارات لهذا الملك وذكر فيه الاختيار لشرب الخمر وغير ذلك كما ذكر في السر المكتوم في عبادة الكواكب ودعوتها مع السجود لها والشرك بها ودعائها مثل ما يدعو الموحدون ربهم بل أعظم والتقرب اليها بما يظن انه مناسب لها من الكفر والفسوق والنهيان فذكر انه يتقرب الى الزهرة بفعل الفواحش وشرب الخمر والغناء ونحو ذلك مما حرمه الله وروله وهذا في نفس الامر يقرب الى الشياطين الذين يأمرونهم بذلك ويقولون لهم ان الكواكب نفسه يجب ذلك والا

قالوا كب مسخرات بأمر الله مطيعة لله لا تأمر بشرك ولا غـيره من المعاصي ولكن الشياطين هي التي تأمر بذلك ويسـمونها روحانية الكواكب وقد يجعلونها ملائكة وانما هي شياطين فلما ظهر بأرض المشرق نسب مثل هذا الملك ونحوه ومثل هذا العالم ونحوه ما ظهر من الالحاد والبدع سلط الله عليهم الترك المشركين الكذابر فأبادوا هذا الملك وحجرت له أمور فيها عبرة لمن يعتبر ويهلم بتحقيق ما أخبر الله به في كتابه حيث يقول سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أى ان القرآن حق وقال سأريكم آياتي فلا تستمعجلون وبسط هذا موضعا آخر

والمقصود هنا أن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجهد المعطل وغيره من الاسباب التي أوجبت اديارها وفي آخر دولتهم (ظهر الجهم بن سفوان) بخراسان وقد قيل ان أصله من ترمذ وأظهر قول المعطلة النفاء الجهمية وقد قتل في بعض الحروب وكان أئمة المساميين بالمشرق أعلم بحقيقة قوله من علماء الحجاز والشام والعراق ولهذا يوجد لعبدالله بن المبارك وغيره من علماء المسلمين بالمشرق من الكلام في الجهمية أكثر مما يوجد لغيرهم مع ان عامة أئمة المسلمين تكلموا فيهم ولكن لم يكونوا ظاهرين الا بالمشرق لكن قوى أمرهم لما مات الرشيد وتولى ابنه الملقب بالمأمون بالمشرق وثلقى عن هؤلاء ماتلقاه

ثم لماولى الخلافة اجتمع بكثير من هؤلاء ودعا الى قولهم في آخر عمره

وكتب الى بغداد وهو (بالنغر بطرسوس) التي ببيلدسيس وكانت اذ ذلك أعظم ثغور بغداد ومن أعظم ثغور المسلمين يقصدها أهل الدين من كل ناحية ويرابطون بهارابط بها الامام أحمد رضى الله عنه والسرى السقطى وغيرها وتولى قضاءها أبو عبيد وتولى قضاها أيضا صالح بن أحمد بن حنبل ولهذا ذكرت في كذب الفقه كثيرا فانها كانت ثغرا عظيما فكتب من الثغر الى نائبه ببعداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب كتابا يدهو الاس فيه الى أن يقولوا (القرآن مخلوق) فلم يجبه أحد ثم كتب كتابا ثانيا يأمر فيه بتقييد من لم يجبه وارر الله اليه فأجاب أكثرهم ثم قيدوا سبعة لم يجيبوا فأجاب منهم خمسة بعد التقييد وبقي اثنان لم يجيبا الامام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فارسلوها اليه فمات قبل أن يصل اليه ثم أوصى الى أخيه أبي اسحاق وكان هذا سنة ثمان عشرة ومائتين وبقي أحمد في الحبس الى سنة عشرين فجري ماجرى من المناظرة حتى قطعهم بالحجة ثم لما خافوا الفتنة ضربوه وأطلقوه وظهر مذهب الفناء الجهمية وامتحنوا الناس فصار من أجابهم أعطوه والا منعهوا العطاء وعزلوه من الولايات ولم يقبلوا شهادته وكانوا اذا افتكوا الاسرى يتحنون الاسير فان أجابهم افتدوه والالم يفتدوه

وكتب قاضهم أحمد بن أبي داود على ستارة الكعبة ليس كتابه شيء وهو العزيز الحكيم لم يكتب وهو السميع البصير ثم ولي الواثق واشتد الامر الى أن ولي المتوكل فرفع الخنة وظهرت حينئذ السنة وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود ان أئمة المسلمين لما عرفوا حقيقة قول الجهمية بينوه
حتى قال عبدالله بن المبارك اننا نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع
أن نحكي كلام الجهمية وكان ينشد

عجبت لشیطان دعا الناس جهرة * الى النار واشتق اسمه من جهنم
وقيل له بماذا يعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بأئن من خلقه
قيل له يحد قال يحد وكذلك قال أحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن
راهويه وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم من أئمة السنة

وحقيقة قول الجهمية المظلمة هو قول فرعون وهو جحد الخالق
وتعطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل فكان يجحد الخالق جل
جلاله ويقول ما علمت انكم من اله غيرى ويقول موسى لئن انخذت
الها غيرى لاجعلنك من المسجونين ويقول أنا ربكم الاعلى وكان ينكر
أن يكون الله كام موسى أولاً يكون لموسى اله فوق السموات ويريد أن
يبطل عبادة الله وطاعته ويكون هو المعبود المطاع فلما كان قول الجهمية
المعطلة انفاة يؤول الى قول فرعون كان منتهى قولهم انكار رب المالمين
وانكار عبادته وانكار كلامه حتى ظهوروا بدعوى التحقيق والتوحيد
والعرفان فصاروا يقولون العالم هو الله والوجود واحد والموجود القديم
الازلى الخالق هو الموجود المحدث الخلق والرب هو الابد مائم
رب وعبد وخلق ومخلوق بل هو عندهم فرقان ولهذا صاروا يهيمون
على الانبياء وينقصونهم يهيمون على نوح وعلى ابراهيم الخليل وغيرها
ويمدحون فرعون ويجوزون عبادة جميع المخلوقات وجميع الاصنام

ولا يرضن بأن تعبد الاصنام حتى يقولوا ان عباد الاصنام لم يعبدوا
 الا الله وان الله نفسه هو العابد وهو المعبود وهو الوجود كله فوجدوا
 الرب وأبطلوا دينه وأمره ونهيه وما أرسل به رساله وتكليمه لموسى وغيره
 وقد ضل في هذا جماعه ولهم معرفة بالكلام والفلسفة والتصوف
 المناسب لذلك كابن سبعين والصدر القنوي تلميذ ابن عربي والبلباني
 والنلمساني وهو من حذاقهم علماء ومعرفة وكان يظهر المذهب بالفعل
 في شرب الخمر ويأتي المحرمات

وحدثني الثقة أنه قرأ عليه فصوص الحكم لابن عربي وكان يظنه
 من كلام أولياء الله العارفين فلما قرأه رآه يخالف القرآن قال فقلت له
 هذا الكلام يخالف القرآن فقال القرآن كله شرك وانما التوحيد في
 كلامنا وكان يقول ثبت عندنا في الكشف ما يخالف صريح المقول

وحدثني من كان معه ومع آخر نظير له فقرأ على كلب أجرب ميت
 بطريق عند دار الطعم فقال له رفيقه هذا أيضاً هو ذات الله فقال
 وهل ثم شيء خارج عنها نعم الجميع في ذاته

وهؤلاء حقيقة قولهم هو قول فرعون لكن فرعون ما كان
 يخالف أحداً فينا فقه فلم يثبت الخالق وان كان في الباطن مقراً به وكان
 يعرف أنه ليس هو الا مخلوق لكن حب الملو في الارض والظلم ذعاه
 الى الجحود والانكار كما قال فلما جاتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر
 مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان
 عاقبة المفسدين وأما هؤلاء فهم من وجه ينافقون المسلمين فلا يمكنهم

اظهار جحود الصانع ومن وجههم ضلال يحسبون أنهم على حق وان الخالق هو المخلوق فان كان قولهم هو قول فرعون لكن فرعون كان معانداً مظهراً للجحود والعناد وهؤلاء اما جهال ضلال واما منافقون مبطنون الاحاد والجحود ويوافقون المسلمين في الظاهر

وحدثني الشيخ عبد السيد الذي كان قاضي اليهود ثم أسلم وكان من أصدق الناس ومن خيار المسلمين وأحسنهم اسلاماً أنه كان يجتمع بشيخ منهم يقال له الشرف البلاسى يطلب منه المعرفة والعلم قال فدعاني الى هذا المذهب فقلت له قولكم يشبه قول فرعون قال ونحن على قول فرعون فقلت لعبد السيد واعترف لك بهذا قال نعم وكان عبد السيد اذ ذاك قد ذاكرني بهذا المذهب فقلت له هذا مذهب فاد وهو يؤول الى قول فرعون فحدثني بهذا فقلت له ما ظننت أنهم يعترفون بأنهم على قول فرعون لكن مع قرار الخصم ميجتاج الى بيينة قال عبد السيد فقلت له لا ادع موسى وأذهب الي فرعون فقال ولم قلت لان موسى أغرق فرعون فانقطع واحتج عليه بالظهور الكوني فقلت لعبد السيد وكان هذا قبل أن يسلم نفعتمك اليهودية يهودى خير من فرعونى وفيهم جماعات لهم عبادة وزهد وصدق فيما هم فيه وهم يحسبون أنه حق وعامتهم الذين يقرون ظاهراً وباطناً بأن محمد أرسول الله وأنه أفضل الخلق أفضل من جميع الأنبياء والأولياء لا يفهمون حقيقة قولهم بل يحسبون أنه تحديق ماجاء به الرسول وأنه من جنس كلام أهل المعرفة الذين يتكلمون في حقائق الايمان والدين وهم من خواص أولياء

الله فيحسبون هؤلاء من جنس أوائك من جنس الفضيل بن عياض
 وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني والسري السقطي والجنيد بن
 محمد وسهل بن عبد الله وأمثال هؤلاء

وأما عرفهم الذين يعلمون حقيقة قولهم فيعلمون أنه ليس الأمر
 كذلك ويقولون مايقول ابن عربي ونحوه ان الاولياء أفضل من الانبياء
 وان خاتم الاولياء أفضل من خاتم الانبياء وان جميع الانبياء يستفيدون
 معرفة الله من مشكاة خاتم الاولياء وأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ
 منه الملك الذي يأتي خاتم الانبياء فانهم متجهمة متفلسفة يخرجون
 أقوال الفلاسفة والجهمية في قلب الكاشف وعند المتفلسفة أن جبريل
 إنما هو خيال في نفس النبي ليس هو ملكا يأتي من السماء والنبي عندهم
 يأخذ من هذا الخيال وأما خاتم الاولياء في زعمهم فانه يأخذ من العقل
 المجرد الذي يأخذ منه الخيال فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه
 الملك الذي يوحى به الى الرسول وهم يعظمون فرعون ويقولون ماقاله
 صاحب الفصوص قال ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت
 وان جاز في العرف الزاموسى لذلك قال أنا ربكم الاعلى أى وان كان
 الكل أربابا بنسبة ما فانا الاعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم
 قال ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله لم ينكروه وأقروا له
 بذلك وقالوا له اقض ماأنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا قال فصح
 قول فرعون أنا ربكم الاعلى وان كان فرعون عين الحق
 وحدثني الثقة الذي كان منهم ثم رجع عنهم ان أبغض الناس اليهم

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال واذا نهق الحمار ونبح الكلب سجدوا له وقالوا هذا هو الله فانه مظهر من المظاهر قال فقلت له محمد ابن عبد الله أيضاً مظهر من المظاهر فاجبـ لوه كسائر المظاهر وأتم تعظمون المظاهر كلها أو اكتبوا عنه قال فقالوا الى محمد نبغضه فانه أظهر الفرق ودعا اليه وعاقب من لم يقل به قال فتناقضوا في مذهبهم الباطل وجعلوا الكلب والحمار أفضل من أفضل الخلق قال لي وهم يصرحون بالامنة له ولغيره من الانبياء ولا ريب أنهم من أعظم الناس عبادة للشيطان وكفراً بالرحمن

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمار ونباح الكلب فنعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا فهم اذا سمعوا نهيق الحمار ونباح الكلب تكون الشياطين قد حضرت فيكون سجدوهم للشياطين

وكان فيهم شيخ جليل من أعظمهم تحقيقاً لكن هذا لم يكن من هؤلاء الذين يسبون الانبياء وقد صنف كتابا سماه فك الازرار عن أعناق الاسرار ذكر فيه مخاطبة جرت له مع ابليس وأنه قال له ما معناه انكم قد غلبتموني وقهرتموني ونحو هذا لكن جرت لي قصة تعجبت منها مع شيخ منكم فاني تجليت له فقلت أنا الله لا اله الا أنا فسجد لي فتعجبت كيف سجد لي قال هذا الشيخ فقلت له ذلك أفضلنا وأعلمنا وأنت لم تعرف قصده مارأي في الوجود اثنين وما رأي الا واحداً فسجد لذلك

الواحد لا يميز بين ابليس وغيره فجعل هذا الشيخ ذاك الذي سجد
لابليس لا يميز بين الرب وغيره بل جعل ابليس هو الله هو وغيره من
الموجودات جعله أفضلهم وأعلمهم

ولهذا عاب ابن عربي نوحاً أول رسول بعث الى أهل الارض
وهو الذي جعل الله ذريته هم الباقين وأنجاه ومن معه في السفينة
وأهلك سائر أهل الارض لما كذبوه فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين
عاماً وعظم قومه الكفار الذين عبدوا الاصنام وانهم ما عبدوا الا الله
وان خطاياهم خبط بهم ففرقوا في بحار العلم بالله وهذا عادته ينتقص
الانبياء و يمدح الكفار كما ذكر مثل ذلك في قصة نوح وابراهيم وموسى
وهرون وغيرهم ومدح عباد العجل وتنقص هرون وافترى على موسى
فقال وكان موسى أعلم بالامر من هرون لانه علم ما عبده أصحاب العجل
لعلمه بأن الله قد قضى أن لا يعبد الا اياه وما قضى الله بشيء الا وقع
فكان عتب موسى أخاه هرون لما وقع الامر في انكاره وعدم اتساعه
فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء فذكر
عن موسى انه عتب على هرون أنه أنكر عليهم عبادة العجل وانه لم
يسع ذلك فلم ينكره فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه
عين كل شيء

وهذا من أعظم الافتراء على موسى وهرون وعلى الله وعلى عباد
العجل فان الله أخرج عن موسى أنه أنكر العجل انكاراً أعظم من انكار
هرون وانه أخذ بلحية هرون لما لم يدعهم ويتبع موسى لمعرفة

قال تعالي وما أعجلك عن قومك يا موسى! قال هم أولاء على أرى
وعجبت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم
السامري فرجع موسى الي قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم
ربكم وعدا -نا أفضال عليكم المه-د أم أردتم أن يحل عليكم غضب
من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك مملكتنا ولاكننا حملنا
أوزارا من زينة القوم فقدفناها فبئناك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا
جسداله خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فذى أفلا يرون أن لا يرجع
اليهم قولوا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا واقد قال لهم هارون من قبل
يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا ان
نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ
رأيتهم صلوا ألا تبعن أفصيت أمرى قال يا ابن أم لا نأخذ بلحيتى ولا
برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى
قلت ليهض هؤلاء هذا الكلام الذى ذكره هذا عن موسى
وهارون يوافق القرآن أو يخالفه فقال لا بل يخالفه قلت فاختر
انفسك اما القرآن واما كلام ابن عربى وكذا قال عن نوح قال لو
أن نوحا جمع لقومه بين الدعوتين لاجابوه أى ذكر لهم فدعاهم جهارا
ثم دعاهم اسرارا الى أن قال ولما علموا ان الدعوة الى الله مكر بالمدعو
لانه ماعدم من البداية فيدعى الى الغاية ادعوا الى الله فهذا عين المكر
على بصيرة فنبه ان الامر كله لله فاجابوه مكررا كما دعاهم نجاء المحمدي
وعلم أن الدعوة الى الله ماهى من حيث هويته وانما هى من حيث

أسماؤه فقال يوم نحشر المنتقمين الي الرحمن وفدا فجاء بحرف الغاية
 وقرنها بالاسم فعرفنا ان العالم كان تحت حيطه اسم الهي اوجب عليهم
 أن يكونوا متقين فقالوا في مكرهم لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا
 ولا سواعا ولا يغوث ويموث ونسرا فاتهم اذا تركوهم جهلوا من
 الحن بقدر ماتركوا من هؤلاء فان لالحق في كل معبود وجهه يعرفه
 من يعرفه ويجهله من يجهله كما قال في الحمديين وقضى ربك
 أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا أى حكم فالعارف يعرف من
 عبد وفي أى صورة ظهر حتى عبد وان التفريق والكثرة كالأعضاء
 في الصورة المحسوسة وكالتوي المعنوية في الصورة الروحانية فاعبد غير
 الله في كل معبود

وهو دائما يحرف القرآن عن مواضعه كما قال في هذه القصة مما
 خطاياهم فهم اتى خطت بهم ففرقوا في بحار العلم بالله وهى الحيرة
 فادخلوا نارا في عين الماء في الحمديين واذا البحار سمجرت سمجرت
 اننور أوقدته فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا فكان الله عين أنصارهم
 فهلكوا فيه الي الابد وقوله وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه بمعنى أمر
 وأوجب وفرض وفي القراءة الاخرى ووصى ربك أن لا تعبدوا الا
 اياه فجعل معناه انه قدر وشاء أن لا تعبدوا الا اياه وما قدره فهو كأن
 فجعل معناها كل معبود هو الله وان أحدا ما عبد غير الله قط وهذا من
 أظهر القرية على الله وعلى كته به وعلى دينه وعلى أهل الارض فان الله
 في غير موضع أخبر ان المشركين عبدوا غير الله بل يعبدون الشيطان

كما قال تعالى ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
 مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا
 أفلم تكونوا تعقلون وقال تعالى عن يوسف انه قال يا صاحبي السجن
 أ أرباب متفرقون خير أم الله او احد القهار ماتم يدون من دونه الا
 أسماء سميتوهما أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا
 لله أمر أن لا نعبدوا الا اياه ذك الدين القيم ولكن أكثر الناس
 لا يعلمون وقال تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا علي قوم
 يعكفون علي أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آله قال
 انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال
 أغير الله أبغيتكم الها وهو فضلكم علي العالمين وقال تعالى عن الخليل اذ
 قال لانيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت
 اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد
 الشيطان ان الشيطان كان لارحمنا عصيا يا أبت اني أخف أن يمسك عذاب
 من لرحمن فتكون للشيطان وليا قال أرأغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم
 لئن لم تنته لارجنك واحجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه
 كان بى حفييا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى
 أن لا أكون بدعاء ربى شقييا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
 وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا
 لهم لسان صدق عليا
 فهو سبحانه يقول فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله هؤلاء

المخدون يقولون ما عبدنا غير الله في كل معبود

وقال تعالى وأخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلات جسدها له
خوار ألم روا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سيلا أخذوه وكانوا ظالمين ولما
سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا
لنكونن من الخاسرين الى قوله ان الذين أخذوا العجل سينالهم غضب
من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين

قال أبو قلابة هي لكل مفتر الى يوم القيامة أ يذله الله

والجهمية النفاة كلهم مفترين كما قال الامام أحمد بن حنبل انما
يقودون قولهم الى فرية على الله وهؤلاء من أعظمهم افتراء على الله
فان القائمين بان وجود الخالق هو وجود المخلوق هم أعظم افتراء ممن
يقول انه يحل فيه وهؤلاء يجهلون من يقول بالحلول أو يقول بالاتحاد
وهو ان الخالق اتحاد مع المخلوق فان هذا انما يكون اذا كان شيئان
متباينان ثم أحد أحدهما بالآخر كما بقوله النصارى من اتحاد اللاهوت
مع الناسوت وهذا انما يقال في شيء معين وهؤلاء عندهم ماثم وجود
لغيره حتى يحد مع وجوده وهم من أعظم الناس تناقضا فانهم يقولون
ما ثم غير ولا سوى ويقول السبعينية ليس الا الله بدل قول المسلمين
لا اله الا الله ثم يقولون هؤلاء المحجوبون لا يرون هذا فاذا كان ماثم
غير ولا سوى فمن المحجوب ومن الحاجب ومن الذي ليس بمحجوب
وعما حجب فقد أثبتوا أربعة أشياء قوم محجوبون وقوم ليسوا
بمحجوبين وأمرا انكشف لهؤلاء وحجب عن أولئك فأين هذا من

قولهم ما ثم انسان ولا وجودان كما حدثني الثقة انه قال لتلمساني فعلى قولكم لافرق بين امرأة الرجل وأمه وبنته قال نعم الجميع عندنا - واء لكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام عليكم فقليل لهم فمن المخاطب للمحجوبين أهوهم أم غيرهم فان كانوا هم فقد حرم على نفسه لما زعم انه حرام عليهم دونه وان كانوا غيره فقد أثبت غيرين وعندهم ما ثم غير وهؤلاء انتبه عليهم الواحد بالنوع بالواحد بالعين فانه يقال الوجود واحد كما يقال الانسانية واحدة والحيوانية واحدة أى يعنى واحد كلى وهذا الكلى لا يكون كليا الا في الذهن لافي الخارج فظنوا هذا الكلى ثابتا في الخارج ثم ظنوه هو الله

وليس في الخارج كلى مع كونه كليا وانما يكون كليا في الذهن واذا قدر في الخارج كلى فهو جزء من المعينات وقائم بها ليس هو متميزا قائما بنفسه فحيوانية الحيوان وانسانية الانسان سواء قدرت معينة أو مطلقة هي صفة له ويمتنع أن يكون صفة الموصوف مبدعة له ولو قدر وجودها مجردا عن العيان على رأى من أثبت المثل الانلاطونية فنثبت الماهيات الكلية مجردة عن الموصوفات ويدعى انها قديمة أزلية مثل انسانية مجردة وحيوانية مجردة وهذا خيال باطل وهذا الذى جعله مجردا هو مجرد في الذهن وليس في الخارج كلى مجرد واذا قدر ثبوت كلى مجرد في الخارج وهو مسمى الوجود فهذا يتناول وجود المحادثات كلها كما يتناول وجود القديم وهذا لا يكون مبدعا لشيء ولا اختصاص له بصفات الكمال فلا يوصف بأنه حي علم قدير اذ ليس وصفه بذلك باولى من

وصفه بأنه عاجز جاهل ميت والخالق لا بد أن يكون حيا عابها قديرا سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم لو قدر أن هذا هو الخالق فهذا غير الاعيان الموجودة المخلوقة فقد ثبت وجودان أحدهما غير الآخر وأحدهما محدث مخلوق فيكون الآخر الخالق غير المخلوق ولا يمكن جسد وجرد الاعيان المعينة ولكن الواحد من هؤلاء قد تغيب عن شهود المغيبات كما يغيب عن شهود نفسه فيظن ان مالم يشهده قد عدم في نفسه وفي وليس كذلك فان ما عدم وفي شهوده له وعلمه به ونظره اليه فالمعدوم الفاني صفة هذا الشخص والا فالموجودات في نفسها باقية على حالها لم تتغير وعدم العلم ليس عاما بالمعدوم وعدم المشهود ليس شهودا للمعدم ولكن هذه الحال يعترى كثيرا من السالكين يغيب أحدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات وقد يسمون هذا فناء واصطلاما وهذا فناء عن شهود تلك المخلوقات لانها في نفسها فنية ومن قال فني مالم يكن وفي مالم يزل فالتحقيق اذا كان صادقا انه فني شهوده لمالم يكن وفي شهوده لم يزل لان مالم يكن فني في نفسه فانه باق موجود واكن يتوهمون اذا لم يشهدوه انه قد عدم في نفسه

ومن هنا دخات طائفة في الاتحاد والحلول فأحدهم قد يذكر الله حتى يغاب على قلبه ذكر الله ويستغرق في ذلك فلا يبقى له مذكور مشهود لقبه الا الله ويفني ذكره وشهوده لما سواه فيتوهم أن الاشياء قد فئت وان نفسه فنية حتى يتوهم انه هو الله وان الوجود هو الله

ومن هذا الباب غاظ أبي يزيد ونحوه حيث قال ما في الحجة الا الله وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين انه يعبر بالغناء عن ثلاثة أمور * أحدها أنه يعني بعبادة الله عن عبادة ما سواه وبمحبته وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل عليه عن محبة ما سواه وطاعته وخشيته ورجائه والتوكل عليه وهذا هو حقيقة التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله فقد في من قلبه التأله لغير الله وبقى في قلبه تأله الله وحده وفي من قلبه حب غير الله وخشية غير الله والتوكل على غير الله وبقى في قلبه حب الله وخشية الله والتوكل على الله وهذا الفناء يجمع البناء فيحلى القلب عن عبادة غير الله مع تجلي القلب بعبادة الله وحده كما قال صلى الله عليه وسلم - لم لرجل قل أمانت لله ونخلت وهو تحقيق شهادة أن لا اله الا الله بالنفي مع الاثبات نفي الهية غيره مع اثبات الهية وحده فانه ليس في الوجود له لا الله ليس فيه معبود يستحق العبادة الا الله فيجب أن يكون هذا ثابتا في القلب فلا يكون في القلب من يأله القلب ويعبده الا الله وحده ويخرج من القلب كل تأله لغير الله ويثبت فيه تأله الله وحده اذ كان ليس ثم اله الا الله وحده وهذه الولاية لله مقرونة بالبراءة والعداوة لكل معبود سواه ولمن عبدهم قال تعالى عن الحليل عليه السلام واذا قال ابراهيم لآبيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجملة ما كلفه باقية في عقبه لعلهم يرجعون وقال أفرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الا قدّمون فانهم عدولى

الارب العالمين

وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كافرينا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده

قلت لبعض ما خاطبته من شيوخ هؤلاء قول الحليل اني برآء مما تعبدون ممن تبرأ الحليل تبرأ من الله تعالى وعندكم ما عبد غير الله قط والحليل قد تبرأ من كل ما كانوا يعبدون الا من رب العالمين وقد جعل الله لنا وفيمن معه أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر قال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كافرينا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الاقول إبراهيم لابيهِ لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد وقد قال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد *ألا كل شيء ما خلا الله باطل* وهذا تصديق قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير وقال تعالى فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون وقال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه قال طائفة من السلف كل عمل باطل الا ما يريد به وجهه وقد قال سبحانه ولا يصعدنك عن آيات الله بما دأنت اليك

و ادع المربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر والا له هو المألوه أى المستحق لان يؤله أى يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد الا الله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه باطل وفعال بمعنى مفعول مثل لفظ الركاب والحمال بمعنى المراكب والمحمول وكان الصحابة يرتجزون في جفر الخندق يقولون
هذا الحمال لاحمال خبير * هذا أبر ربنا وأظهر

واذا قيل هذا هو الامام فهو الذى يستحق أن يؤتم به كما قال تعالى لابراهيم انى جاءك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين فعنده بالامامة لا ينال الظالم فالظالم لا يجوز أن يؤتم به فى ظلمه ولا يركن اليه كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فمن اثم بمن لا يصلح الامامة فقد ظلم نفسه فمكيف بمن جعل مع الله الها آخر وعبد من لا يصلح للعبادة والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء (وقد غلط) طائفة من أهل الكلام فظنوا ان الا له بمعنى الفاعل وجعلوا الألية هى القدرة والربوبية فالاله هو القادر وهو الرب وجعلوا العباد مألوهين كما أنهم مربوبون * فالذين يقولون بوحدة الوجود منازعون فى أمور لكن امامهم ابن عربى يقول الاعيان ثابتة فى العدم ووجود الحق فاض عليها فلهذا قال فنحن جماناه بمألوهيتنا الها فزعم ان المخلوقات جملة الرب الها لها حيث كانوا مألوهين ومعنى مألوهين عنده مربوبين وكونهم مألوهين حيث كانت أعيانهم ثابتة فى العدم وفى كلامهم من هذا وأمثاله مما فيه تنقص بالربوبية مالا

يخصي فتعالى الله عما عرف ظالمون علوا كبيرا

والتحقيق ان الله خالق كل شيء والمعدوم ليس بشيء في الخارج
ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون ويكتبه وقد يذكره ويجريه فيكون
سببا في العلم والذكر والكتابة لافي الخارج كما قال انما أمره اذا أراد
شيئا أن يقول له كن فيكون والله سبحانه خالق الانسان ومعلمه فهو
الذي خلق خالق الانسان من علق وهو الاكرم الذي علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم ولو قدر أن الاله بمعنى الرب فهو الذي جعل الرب
مربوبا فيكون على هذا هو الذي جعل المألوه مألوها والمربوب لم يجعله
ربا بل ربوبيته صفة وهو الذي خلق الربوب وجعله مربوبا وهو اذا
أمر بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبلغ ربا
سوى الله ولم يتخذ ربا - واه كما قال تعالى قل أغير الله أبني ربا وهو
رب كل شيء وقال تعالى أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض
وقال ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أي أمركم
بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون وهو أيضا في نفسه هو الاله الحق لا اله
غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده من لم يجعل معه الها آخر ولا اتخذ
الها غيره قال تعالى فلا تجعل مع الله الها آخر فتكون من المخذبين وقال
تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر فتقدم مذموسا مخذولا وقال ابراهيم
لابيه آزر أتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين فالمحبوب
ليس باله في نفسه لكن عبده اتخذها وجملة الها وسماه الها وذلك كله
باطل لا ينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا

وقاضيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يؤم ولا يفتى ولا يتقاضى وغير الله
لا يصلح أن يتخذها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه
لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجبد منه الجبد ومن دعا من
لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال وكل من
سوى الله امانه لا يسمع دعاء الداعي أو يسمع ولكن لا يستجيب له فان
غير الله لا يستقل بفعل شيء البتة وقد قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم
فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن
له فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء بل
قد يكون له شفاعاة اذ كان من الملائكة والانباء والصالحين ولكن
لا تنفع الشفاعاة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وأن يأذن
للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعاة البتة فلا يصلح
من - واه لان يكون الها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله
الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

(فصل) وهؤلاء كان من أعظم أسباب ضلالهم مشاركتهم
لفلاسفة وتلقينهم عنهم فان أولئك القوم من أبعث الناس عن الاستدلال
بما جاء به الرسول فان الرسول بعث بالبينات والهدى بين الأدلة العقلية
ويخبر الناس بالغيب الذي لا يمكنهم معرفته بمقولهم وهؤلاء المنفاسفة
يقولون انه لم يفد الناس علما بخبره ولا بدلاته وانما خاطب خطابا جمهوريا
ليصلح به العامة فيبتعدوا في الرب وانما اعتقادا فمعهم وان كان كذبا

وباطلا وحقبة كلامهم ان الانبياء تكذب فيما نخبر به لكن كذبا
 للمصلحة فامتنع أن يطلبوا من خبرهم علما واذا لم تكن اخبارهم مطابقة
 للمخبر فكيف يثبتون أدلة عقلية على ثبوت ما أخبروا به والمتكلمون
 الذين يقولون انهم لا يخبرون الا بصدق ولكن يسلكون في العقليات
 غير طريقتهم مبتدعون مع اقرارهم بأن القرآن اشتمل على لادلة العقلية
 فكيف هؤلاء الملاحدة المغترين ولهذا لا يمتنون بالقرآن ولا تفسيره
 ولا بالحديث وكلام السلف وان تعلموا من ذلك شيئا فلاجل تعلق
 الجمهور به ليمشوا بينهم بذكره لا لاعتقادهم ، ووجهه في الباطن وهذا
 بخلاف طوائف المتكلمين فانهم يمتنون بالقرآن في الجملة وتفسيره مع
 ما فهم من البدع * ولهذا لما استولى انتشار على بغداد وكان الطوسي
 منجما لهولا كواستولى على كذب الناس الوقف والملا ، فكان كتب
 الاسلام مثل التفسير والحديث والفقهاء والرقائق يهدمها وأخذ كتب الطب
 والنجوم والفلسفة والعربية فهذه عنده هي الكتب المعظمة وكان بعض
 من أعرافه قارئنا خطيبا لكن كان يعظم هؤلاء ويرتاض رياضة فلسفية
 سخرية حتى يستخدم الجن وكان بعض الشياطين التي اليه ان هؤلاء
 يستولون على دار الاسلام فكان يقول لبعض أصحابنا يا فلان عن قليل
 يرى هذا الجامع جامع دمشق يقرأ فيه المنطق والطبيعي والرياضي
 والاهلي ثم يرضيه فيقول والعربية أيضا والعربية انما احتاج المسلمون
 اليها لاجل خطاب الرسول بها فاذا أعرض عن الاصل كان أهل العربية
 بمنزلة شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات السبع ونحوهم من حطاب النار

(فصل) أول التفرق والابتداع في الاسلام بعد مقتل سيدنا عثمان وافتراق المسلمين فلما اتفق على ومعاوية على التحكيم أنكرت الحوارج وقالوا لا حكم الا لله وفارقوا جماعة المسلمين فارسل اليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نصفهم والآخرون أغاروا على ماشية الناس واستحلوا دماءهم فقتلوا ابن خباب وقالوا كنا قتله فقاتلهم علي وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب أتباعه لكن خرجوا عن السنة والجماعة فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن كالرجم وnbsp;انصاب السرقة وغير ذلك فضلوا فان الرسول أعلم بما أنزل الله عليه، والله قد أنزل عليه الكتاب والحكمة وجوزوا على النبي أن يكون ظالما فلم ينفذوا لحكم النبي ولا لحكم الأئمة بعده بل قالوا ان عثمان وعليا ومن والاهما قد حكموا بغير ما أنزل الله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فكفروا المسلمين بهذا وبغيره وتكفبرهم وتكفبر سائر أهل البدع مبنى على مقدمتين باطلتين احدهما ان هذا يخالف القرآن والثانية ان من خالف القرآن يكفر ولو كان مخطئا أو مذنبا معتقدا للوجوب والتحريم

وبازاتهم الشيعة غلوا في الأئمة وجعلوهم معصومين يعلمون كل شيء وأوجبوا الرجوع اليهم في جميع ما جاءت به الرسل فلا يرجعون لاعلى القرآن ولا على السنة بل على قول من ظنوه معصوما وانتهى الامر الى الائتمام بامام معدوم لاحقيقة له فكانوا أضل من الحوارج فان أولئك يرجعون الى القرآن وهو حق وان غاطوا فيه وهو لا يرجعون

الى شئ بل الى ممدوم لاحقيقة له ثم انما يتمسكون بما ينقل لهم عن بعض
 الموتى فيتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ولهذا كانوا
 أكذب الطوائف والحوارج صادقون فحديثهم من أصح الحديث وحديث
 الشيعة من أكذب الحديث ولكن الحوارج دينهم المعظم مفارقة
 جماعة المسلمين واستحلال دماءهم وأموالهم والشيعة تختار هذا لكنهم
 عاجزون والزيدية تفعل هذا والامامية تارة تفعله وتارة يقولون لاقتل
 الانح راية امام معصوم والشيعة استتبعوا أعداء الملة من الملاحدة
 والباطنية وغيرهم ولهذا وصت الملاحدة مثل القرامطة الذين كانوا في
 البحرين وهم من أكفر الخلق ومثل قرامطة المغرب ومصر وهم
 كانوا يستترون بالتشيع أو صوابان يدخل على المسلمين من باب التشيع
 فانهم يفتحون الباب لكل عدو للاسلام من المشركين وأهل الكتاب
 والمنافقين وهم من أبعد الناس عن القرآن والحديث كما قد بسط هذا
 في مواضع

والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال انى تارك فيكم الثقلين
 كتاب الله فحضر على كتاب الله ثم قال وعترتى أهل بيتى أذكركم الله
 في أهل بيتى ثلاثا فوصى المسلمين بهم لم يجعلهم أئمة يرجع المسلمون
 اليهم فانحلت الحوارج كتاب الله وانحلت الشيعة أهل البيت وكلاهما غير
 متبوع لما انحله فان الحوارج خالفوا السنة التي أمر القرآن بتباعتها
 وكفروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم ولهذا نأول سعد بن أبي
 وقاص فيهم هذه الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد

الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض وصاروا يتتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم ولا اتباع للسنة ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن واما مخالفة الشيعة لاهل البيت فكثيرة جدا قد بسطت في مواضع

(فصل) ثم حدث في آخر عصر الصحابة القدرية فكانت الحوارج تنكلم في حكم الله الشرعي أمره ونهيه وما يتبع ذلك من وعده ووعيده وحكم من وافق ذلك ومن خالفه ومن يكون مؤمنا وكافرا وهي مسائل الاسماء والاحكام وسماها محكمة لخواصهم في التحكيم بالباطل وكان الرجل اذا قال لاحكم الله قالوا هو محكم أي خائض في حكم الله فخاض أولئك في شرع الله بالباطل وأما القدرية فخاضوا في قدره بالباطل وأصل ضالهم ظنهم ان القدر يناقض الشرع فصاروا حزبين حزبا يمشون الشرع والامر والنهي والوعد والوعيد واتباع ما يحبه الله ويرضاه ومجر ما يبغضه وما يسخطه وظنوا ان هذا لا يمكن أن يجمع بينه وبين القدر فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه كما قطعت الحوارج ما أمر الله به أن يوصل من اتفاق الكتاب والسنة وأهل الجماعة ففرقوا بين الكتاب والسنة وفرقوا بين الكتاب وجماعة المسلمين وفرقوا بين المسلمين فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وكذلك القدرية فصاروا حزبا يغلب الشرع فيكذب بالقدر وبنيته أو ينفي بفضله وحزبا يغلب القدر فينفي الشرع في الباطن أو ينفي حقيقته

ويقول لافرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه في نفس الامر الجميع سواء وكذلك أولياؤه واعدائوه وكذلك ما ذكر انه يحبه وذكر انه يبغضه لكتمه فرق بين المتماثلين بمحض المشيئة بأمر بهذا وينهى عن مثله فوجدوا الفرق والفصل الذي بين التوحيد والشرك وبين الايمان والكفر وبين الصاعة والمعصية وبين الحلال والحرام كما أن أولئك وان أقروا بالفرق فأنكروا الجميع وأنكروا أن يكون الله علي كل شئ قدير ومنهم من أنكر أن يكون الله بكل شئ علما وأنكروا أن يكون خالقا لكل شئ وأن يكون ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنكروا أن يكون الله فعلا لما يشاء وأثبتوا الغير الله الانفراد بالاحداث وشركاء خلقوا خلقه كما فعلت المجوس واعتقدوا انه لا يمكن الايمان بأمره ونهيه الا مع تعجزه أو تجهيله وانه لا يمكن أن يوصف بالاحسان والكرام ان لم يجعل عاجزا والالزم أن يكون بخيلا كما أن القسرية المجبرة قالوا لا يمكن أن يجعل عالما قادرا الاتسفه ونجويره فهؤلاء نفوا حكمته وعدله وأولئك نفوا قدرته ومشيبته أو قدرته ومشيبته وعلمه وهؤلاء ضاهوا المجوس في الاشراك برؤيته حيث جعلوا غيره خالقا وأولئك ضاهوا المشركين الذين لا يفرقون بين عبادته وعبادة غيره بل يجوزون عبادة غيره كما يجوزون عبادته ويقولون لو شاء الله ما أشركنا الآية وهؤلاء منهي توحيدهم توحيد المشركين وهو توحيد الربوبية فاما توحيد الالهية المتضمن الامر والنهي ولكون الله يجب ما أمر به ويبغض ما نهى عنه فهم ينكرونه ولهذا هم أكثر انبعا لاهوائهم وأكثر شركا

ونجوزها من المعثرة ومنهي متكلميهم وعبادهم نجوز عباد الاصنام
وان العارف لا يستحق حسنه ولا يستقبح سيئه كما ذكر ذلك
صاحب منازل السائرين وأما عبادة الاصنام فباح بها متأخروهم كالرازي
صنف فيها مصنفاً وابن عربي وابن سبعين وأماهما يصرحون بجواز
عبادتها وبالانكار على من أنكر ذلك وهم متناقضون في ذلك فالقدريّة
أصلهم انه لا يمكن اثبات قدرته وحكمته اذ لو كان قادراً لفعل عين
ما فعل فلما لم يفعله دل على أنه غير قادر وقالوا يثبت حكمته كما يثبت
حكمه لان نفي ذلك يوجب السفه والظلم وهو منزّه عنه بخلاف ما لم يقدر
عليه فانه معذور اذا لم يفعله فلا يلام عليه وقال المجبرة بل قدرته ثابتة
بالحكمة ولا يجوز أن يفعل الحكمة لان ذلك انما يكون لمن يحتاج الى
الفعل وهو منزّه عن الحاجة ولا عدل ولا ظلم بل كل ما يمكن فعلاه فهو
عدل وليس في الافعال ما هو حسن يذنبى الامر به وقبيح يذنبى النهي
عنه ولا معروف ومنكر بل يجوز أن يأمر بكل شئ وينهى عن كل شئ
ثم من حقق منهم أنكر الشرع بالكليّة وأنكر النبوات مع أنه
مضطر الى أن يأمر بشئ وينهى عن شئ فان هذا لازم لجميع الخلق
لا يجدون عنه محيصاً لكن من اتبع الانبياء يأمر بما ينفعه وينفع غيره
وينهى عما يضره ويضر غيره ومن خالف الانبياء فلا بد أن يأمر بما
يضر وينهى عما ينفع فيستحق عذاب الدنيا والآخرة وأما من كان
منهم مقرأ بالنبوة فأنكر الشرع في الباطن وقال العارف لا يستحق حسن
حسنه ولا يستقبح سيئه فصار منافقاً يظهر خلاف ما يبطن ويقول

اشرع لاجل المارستان ولهذا يسمون باطنية كما سمو الملاحدة باطنية
فان كلاهما يبطن خلاف ما يظهر ببطون تعطيل ما جاء به الرسول من
الامر والنهي

فنتهى الجهمية المجبرة اما مشركون ظاهراً وباطناً واما منافقون
فيبطنون الشرك ولهذا يبطنون بالله ظن السوء وأنه لا ينصر محمداً وأتباعه
كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين
بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم
وساءت مصير اوهم به قلوبون بقوله لا يبطل عما يفعل وأنه يفعل ما يشاء
ولذلك لما ظهر المشركون التتار وأهل الكتاب كثير في عبادهم وعلمائهم
من صار مع المشركين وأهل الكتاب وارتد عن الاسلام اما باطنياً
وظاهراً واما باطنياً وقال انه مع الحقيقة ومع المشيئة الالهية وصاروا
يحتجون لمن هو معظم للرسول عما يوافق على تكذيبه بأن ما يفعله من
الشرك والخروج عن الشريعة والاقامة المشركين وأهل الكتاب والدخول
في دينهم ومجاهدة المسلمين معهم هو بأمر الرسول فتارة يأتيهم شياطينهم
يما يخيلون لهم أنه مكتوب من نور وان الرسول أمر بقتال المسلمين
مع الكفار لكون المسلمين قد عصوا ولما ظهر أن مع المشركين وأهل
الكتاب خفراً لهم من الرجال المسلمين برجال الغيب وان لهم خوارق
يقتضى أنهم أولياء الله صار الناس من أهل العلم الثلاثة أحزاب حزب
يكذبون بوجود هؤلاء ولكن عاينهم الناس وثبت ذلك عن عاينهم أو
حدته الثقة بما رأوه هؤلاء اذ رأوهم أو تيقنوا وجودهم خضعوا لهم

وحزب عرفوهم ورجعوا الى القدر واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً الى الله غير طريقه الانبياء وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا أولياء الله خارجاً عن دائرة الرسول فقالوا يكون الرسول هو ممدداً للطائفتين هؤلاء وهؤلاء فهم هؤلاء معظومون للرسول جاهلون بدينه وشرعه والذين تباهم بجوزون لاتباع دين غير دينه وطريق غير طريقه

وكانت هذه الافوال الثلاثة بدمشق لما فتحت عكة ثم تبين بعد ذلك ان هؤلاء من اتباع الشياطين وان رجل القيب هم الجن وان الذين مع الكفار شياطين وان من وافقهم من الانس فهو من جنسهم شيطان من شياطين الانس أعداء الانبياء كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً

وكان سبب الضلال عدم الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وأصله قول الجهمية الذين يسعون بين المخلوقات فلا يفرقون بين المحبوب والمسخوط ثم أنه بعد ذلك جرت أمور يطول وصفها ولما جاء قازان وقد أسلم دمشق انكشفت أمور أخرى فظهر ان اليونانية كانوا قد ارتدوا وصاروا ككفاراً مع الكفار

وحضر عندي بعض شيوخهم واعترف بالردة عن الاسلام وحدثني بفصول كثيرة فقلت له لما ذكر لي احتجاجهم بما جاءهم من أمر الرسول فهب ان المسلمين كاهل بغداد كانوا قد عصوا وكان في بغداد بضعة عشر بنى فالجيش الكفار المشركون الذين جاؤا كانوا شرأ من

هؤلاء فان هؤلاء كن يزنين اختياراً فأخذ أولئك المشركون عثرات
 ألوف من حرائر المسلمين وسراريهم بغير اختيارهم وردوهم عن الاسلام
 الي الكفر وأظهروا الشرك وعبادة الاصنام ودين الصاري وتعظيم
 الصليب حتي بقى المسلمون مقهورين مع المشركين وأهل الكتاب مع
 تضاعيف ما كان يفعل من المعاصي فهل يأمر محمد صلي الله عليه وسلم
 بهذا ويرضى بهذا فتبين له وقال لا والله وأخبرني عن ردة من ارتد
 من الشيوخ عن الاسلام لما كانت شياطين المشركين تكررهم على الردة
 في الباطن وتعذبهم ان لم يرتدوا

فقلت كال هذا ضعف ايمانهم وتوحيدهم ولمادة التي يشهدونها
 من جهة الرسول والا فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب الموحدن
 وهذا وأمثاله ما كانوا يعتقدون أنهم شياطين بل أنهم رجال من رجال
 الغيب الانس وكلهم الله بتصريف الامر

فبينت لهم ان رجال انيب هم الجن كما قال تعالي وأنه كان رجال
 من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ومن ظن أنهم من
 انس فمن جهله وغلامه فان الانس يؤنسون أي يشهدون ويرون انما
 يحتجب الانس أحياناً لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الانس بخلاف
 الجن فانهم كما قال الله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم وكان غير
 هذا من المشايخ من يذكر عن الشيخ محمد بن السكران ان هو لا كو
 ملك المشركين لما دخل بغداد رأي ابن السكران شيخاً محمولق الرأس
 على صورة شيخ من مشايخ لدين والطريق آخذاً بفرس هو لا كو قال

فلما رأيت أنه أنكرت هذا واستعظمت أن يكون شيخ من شيوخ المسلمين
يقود فرس ملك المشركين لقتل المسلمين فقلت يا هذا أو كلمة نحو هذا
فقال تأمر بأمر أو قال له هل يفعل هذا بأمر أو فعات هذا بأمر فقلت
نعم بأمر فسكت ابن السكران وأقنعه هذا الجواب وكان هذا القلة علمه
بالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وظن أن يؤمر به الشيوخ
في قلوبهم هو من الله وان من قال - حدثني قاضي عن ربي فان الله هو
يناجيه ومن قال أخذتم علمكم مبتاعين ميت وأخذنا علمنا عن الحي
الذي لا يموت هو كذلك وهذا أضل من ادعى الاستغناء عن الانبياء
وانه لا يحتاج الي واسطهم

وجواب هذا أن يقال له بأمر من تأمر فان قال بأمر الله قيل بأمر
الله الذي بعث به رسوله وأنزل به القرآن أم بأمر وقع في قلبك فان
قال بالاول ظهر كذبه فانه ليس فيما بأمر لله به رسوله أن يأتي بالكفار
المشركين وأهل الكتاب لقتل المسلمين وسبهم وأخذ أموالهم لاجل
ذنوب فعلوا ويجعل الدار تعبد بها الاوثان ويضرب فيها بالنواقيس ويقتل
قراء القرآن وأهل العلم بالتمرع ويعظم النجسية علماء المشركين وقساوسة
النصارى وأمثال ذلك فان هؤلاء أعظم عداوة لمحمد صلى الله عليه وسلم
وهو من جنس مشركي العرب الذين قتلوه يوم أحد وأولئك عصاة من
عصاة أمته وان كان فيهم منافقون كثيرون فلما نقون يبطنون نفاقهم وان
قال بأمر وقع في قلبي لم يكذب لكن يقال من أين لك أن هذا رحمني ولم
لا يكون الشيطان هو الذي أمرك بهذا وقد علمت أن ما يقع في قلوب

المشركين وأهل الكتاب هو من الشيطان فان رجيع الى توحيد الربوبية وان الجميع بمشيئته قيل له فحينئذ يكون ما يفعله الشيطان والمشركون وأهل الكتاب هو بالامر ولا ريب انه بالامر الكوني القدرى فجميع الخلق داخلون تحته لكن من فعل بمجرد هذا الامر لا بالامر الرسول فانما يكون من جنس شياطين الانس والجن وهو مستوجب لعذاب الله في الدنيا والآخرة وهو عابد لغير الله منبع لهواه وهو بمن قال الله فيه لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ومن قال فيهم -م الشيطان فبعزتك لا غوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال الله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقال تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون وقال تعالى انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عابها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون فكيف تأمر بالشرك والكفر وتسلط الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين وقتل الكفار للمسلمين هذا لا يأمر الله به كما لا يأمر بالفحشاء فان هذا من أخس الفواحش اذا جعلت الفاحشة اسما لكل ما يعظم قبجه فكانت جميع القبائح السيئة داخلة في الفحشاء

وكان أيضا بالشام بعض أكابر الشيوخ يبعلمك الشيخ عثمان شيخ دير ناعس يأتيه خفير الفرنج النمارى راكبا أسدا ويخلو به ويناجيه ويقول يا شيخ عثمان وكلت بحفظ خنازيرهم فيعذره عثمان وأتباعه في

ذلك ويرون ان الله أمره بهذا كما أمر الحضر أن يفعل ما فعل كما عذر ابن السكران وأمثاله لخصراء المشركين التثار

والجواب لهذا كالجواب لذلك يقال له وكلك الله تعالى بهذا أنزل علي لسان نبيه الدين أمر أن يوالى المساميين وأن لا يتخذ اليهود وانصارى أولياء بل أمرك أن تبغضهم وتجاهدهم بما استطعت هو أمرك أن تتوكل بحفظ خنازيرهم فان قال هذا ظهر كذبه ون قال بل هو أمر ألقى في قلبي لم يكذب وقبل له فهذا من أمر الشيطان لامن أمر الرحمن الذى أنزل به كتبه وأرسل به رسله وليكنه من الامر الذى كونه وقدره كمشرك المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا

ومن هؤلاء من بظن الرجال الذين يؤيد بهم الكفار من المشركين وأهل الكتاب هم أولياء الله ولا يجب عليهم اتباع الرسول كالملائكة الموكلة بيني آدم المعينات

فقات اشيوخ كان من شيوخهم محمد أرسل الى الثقلين الانس والجن ولم يرسل الي الملائكة فكل انسى أو جنى خرج عن الايمان به فهو عدو لله لاولى لله بخلاف الملائكة

ثم يقال له الملائكة لا يماونون الكفار علي المعاصى ولا على قتال المسلمين وانما يماونوهم على ذلك الشياطين ولكن الملائكة قد تكون موكلة بخلقهم ورزقهم وكتابة أعمالهم فان ذلك ليس بمصيبة فهذا الجواب بالفرق بينهم وبين الملائكة من هذين الوجهين وقد ظهر أنهم من جنس الشياطين لامن جنس الملائكة وكان

هذا الشيخ هو وأبوه من خفراء الكفار وكان والده يقال له محمد الخالدي نسبة الى شيطان كان يقربه يقال له الشيخ خالد وهم يقولون انه من الانس من رجال الغيب

وحدثني الثقة عنه انه كان يقول الانبياء ضيعوا الطريق ولعمري لقد ضيعوا طريق الشياطين شياطين الانس والجن وهؤلاء المشايخ الذين يحبون المسلمين ولكن يوالون الشيوخ الذين يوالون المشركين الذين هم خفراء الكفار و يظنون أنهم من أولياء الله اشتركوا هم وهم في أصل ضلالة وهو أنهم جعلوا الخوارق الشيطانية من جنس الكرامات الرحمانية ولم يفرقوا بين أولياء الرحمن كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فهو هؤلاء وهؤلاء عشوا عن ذكر الرحمن الذي أنزله وهو الكتاب والسنة وعن الروح الذي أوحاه الله الى نبيه الذي جعله الله نورا يهدي به من يشاء من عباده وبه يحصل الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولم يفرقوا بين آيات الانبياء ومجازاتهم وبين خوارق السحرة والكهان اذ هذا مذهب الجهمية المجبرة وهؤلاء كلهم يشتركون في هذا المذهب فلا يجملون الله بحب ما أمر به ويفض ما نهي عنه بل يجعلون كل ما قدره وقضاه فانه يحبه ويرضاه فبقي جميع الامور مندهم سواء وانما يتميز بنوع من الخوارق فمن كان له خارق جعلوه من أولياء الله وخضعوا له اما اتباعا له واما موافقة له ومحبة واما ان يساموا له حاله فلا يحبوه ولا يبغضوه اذ كانت قلوبهم لم يبق فيها من الايمان ما يعرفون به المعروف وينكرون به المتكفر في هذا

الموضع

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإلم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان وفي رواية لمسلم من جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وميت الاحياء الذين لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا وفي حديث حذيفة الذي في صحيح مسلم ان الفتنة تعرض على القلوب كعرض الصبر عودا عودا فايما قلب أنكره انكثت فيه نكثة يضاء وأيما قلب أشربها نكثت فيه نكثة سوداء حتى تبقى القلوب على قلبين قلب أبيض مثل الصفا لا يضره فتنة مادامت السماء والارض وقلب أسود مر باد لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرا الا مأثرب من هواه

فهؤلاء العباد الزهاد الذين عبدوا الله بأرائهم وذوقهم ووجدتهم لا بالامر والنهي منتهاهم اتباع أهوائهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله لاسيما اذا كانت حقيقتهم هي قول الجهمية المجبرة فأروا أن جميع الكائنات اشتركت في المشيئة ولم يميز بعضها عن بعض فان الله يحب هذا ويرضاه وهذا يبغضه ويسخطه فان الله يحب المعروف ويبغض المنكر فاذا لم يفرقوا بين هذا وهذا نكت في قلوبهم نكت سود فسود قلوبهم فيكون المعروف ما هوونه ويحبونه ويمجدونه ويدوقونه ويكون المنكر ما هوون يبغضه وتنفر عنه قلوبهم كالشركين الذين كانوا عن

التذكرة . معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ولهذا يوجد في هؤلاء وأتباعهم من ينفرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المستنفرة التي تفر من الرماة ومن الأسد ولهذا يوصفون بأنهم اذا قيل لهم قال المصطفى نفروا

وكان الشيخ ابراهيم بن عصاد يقول لمن رآه من هؤلاء كاليونانية والاحمدية يا خنازير يا أبناء الخنازير ما أرى لله ورسوله عندكم راحة بل يريد كل منهم أن يؤتى صحفاً منشورة كل منهم يريد أن يحدّثه قلبه عن ربه فيأخذ عن الله بلا واسطة الرسول واذا جاءتهم آية قالوا ان تؤمن حتى تؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وبسط هذا له موضع آخر

والمقصود هنا ان قول القدرية الجهمية المجبرة أعظم مناقضة لما جاءت به الرسل من قول النفاة ولهذا لم يكن هؤلاء مظهرين لهذا في زمن السلف بل كلما ضعف نور النبوة أظهروا حقيقة قولهم فانه من جنس قول المشركين المكذبين لا رسل ومنهاهم الشرك وتكذيب الرسل وهذا جماع الكفر كما أن التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ولهذا صاروا مع أهل الكفر المحض من المشركين وأهل الكتاب وبسط هذه الامور له موضع آخر

والمقصود هنا ان القدرية المجبرة من جنس المشركين كما ان النافية من جنس المجوس وان المجبرة ما عندهم سوى القدرة والمشيئة في نفس الامر والنافية تنفي القدرة العاوة والمشيئة التامة وتزعم انها تثبت

الحكمة والعدل وفي الحقيقة كلاهما ناف للحكمة والعدل والمشيشة والقدرة كما تد بسط في مواضع وأولئك يملقون بقوله لا يسأل عما يفعل والله يفعل ما يشاء وهذا ذكره الله اثباتا لقدرة لا نفيا لحكمته وعدله بل بين سبحانه ان يفعل ما يشاء فلا أحد يمكنه أن يعارضه إذا شاء شيئا بل هو قادر على فعل ما يشاء بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنه أن يفعلها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت فان الله لا مكره له ولكن ليعزم المسئلة وذلك انه انما يقال اقل كذا ان شئت ان قد يفعله مكرها فيفعل مالا يريد لدفع ضرر الاكراه عنه والله تعالى لا مكره له الا بفعل الا ما يشاء فقوله تعالى ان الله يفعل ما يشاء ويغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ونحو ذلك هو لاثبات قدرته على ما يشاء وهذا رد لقول القدرية النفاة الذين يقولون انه لم يشأ كل ما كان بل لا يشاء الا الطاعة ومع هذا فقد شاءها ولم يكن ممن عصاه وليس هو قادرا عندهم على أن يجعل العبد لامطيعا ولا عاصيا

فهذه الآيات التي تحتج بها المجبرة تدل على فساد مذهب النفاة كما أن الآيات التي تحتج بها النفاة التي تدل على أنه حكم عادل لا يظلم. ثم قال ذرة وانه لم يخلق الخلق عبثا ونحو ذلك يدل على فساد قول المجبرة وليس في هذه الآيات ولا هذه ما يدل على صحة قول واحدة من الطائفتين بل ما تحتج به كل طائفة يدل على فساد مذهب الاخرى وكلا القولين باطل وهذا هو الذي نهي عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي

في المسند وغيره وبعضه في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج على أصحابه وهم يمارون في القدر وهذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فكانما فقي في وجهه حب الرمان فقال أبهذا أمرتم أم الى هذا دتيم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض ولهذا قال أحمد في بعض مناظراته لمن صار يضرب الآيات بعضها ببعض انا قد نهيت عن هذا

فمن دفع انصوا محتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج
 صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض

وهذا حال أهل الاهواء هم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مخالفة الكتاب وقد تركوا كلهم بعض النصوص وهو ما يجمع تلك الاقوال فصاروا كما قال عن أهل الكتاب ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

فاذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء اذ لم يبق هنا حق جامع يشتركون فيه بل تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهؤلاء كلهم ليس معهم من الحق الا ما وافقوا فيه الرسول وهو ما تمسكوا به من شرعه مما أخبر به وما أمر به * وأما ما ابتدعوه فكله ضلالة كما قال صلى الله عليه وسلم ألم واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة وقد تكون تلك البدعة أعظم عندهم مما أخذوا به من الشرعة يجعلون تلك هي الاصول العقلية كالتقديرية المجبرة

والنفاة فكلاهما يجمل ما أحدثوه من الكلام في الاصول وهو الذي
يسمونه العقليات أعظم عندهم مما تلقوه من الشرع فالمتزلة يجمعون
العقليات هي الخبريات والامريات جميعا فالواحيات الشرعية - لکن يقولون
أيضا ان الشرع أوجبها ولكن لهم فيها تخايط ليس هذا موضعه
وكذلك ما ابتدعه في الخبريات كاثبات حدوث العالم بطريقة الاعراض
واستلزامها للاجسام وهم ينفون الصفات والقدر و يسمون ذلك
التوحيد والمدل

وجهم بن صفوان وأتباعه هم أعظم نفيا منهم فانهم ينفون الاسماء
مع الصفات وهم رؤس المجبرة والاشعرية وافقهم في الجبر لكن
نازعوهم نزاعا لطيفا في اثبات الكسب والقدرة عليه وهم يرون أن
هذه الاصول العقلية وهي العلم بما يجب للرب ويمتنع عليه وما يجوز عليه
من الافعال هي أعظم العلوم وأشرفها وانهم برزوا بها على الصحابة وان
الذي لم يعلمها الصحابة اما لكونه وكلها الى استنباط الامنة واما لكون
الصحابة كانوا مشغولين عنها بالجهاد واما لكونه قال لهم في ذلك ما لم
يباغوه ولم يشغلهم بالادلة لا تتفاهم بالجهاد

وهذه هي الاصول العقلية التي يعتمدون تليها هم ومن يوفقهم
كاقاضي أبي يعلى وأبي المعالي وأبي الوليد الباجي تبعا للقاضى أبي بكر
وأمثاله وهو وأتباعه يناقضون عبد الحيار وأمثاله كما ناقض الاشعري
وأمثاله أباعلى وأبا القاسم
وكل الاصول العقلية التي ابتدعها هؤلاء وهؤلاء باطلة في العقل

والشرع وان كانت كل واحدة من الطائفتين تعتقد أنها أعظم الدين
ويقدمونها على الأصول الشرعية فانهم في ذلك بمنزلة ما يعظمه العباد
والزهاد والفقراء والصوفية من الخوارق الشيطانية ويقضونها على
العبادات الشرعية والعبادات الشرعية هي التي معهم من الاسلام وتلك
كلها باطلة وان كانت أعظم عندهم من العبادات حتى يقولوا انها
الصوفي ابتداء الفقيه ونهاية الفقيه ابتداء الموله وكذلك صاحب منازل
الساثرين يذكر في كل باب ثلاث درجات فالاولى وهي أهونها عندهم
توافق الشرع في الظاهر والثانية قد توافق الشرع وقد لا توافق والثالثة
في الاغلب تخالف لاسيما في التوحيد والفناء والرجاء ونحو ذلك وهذا
الذي ابتدعوه هو أعظم عندهم مما وافقوا فيه الرسل وكثير من العباد
يفضل نوافله على أداء الفرائض وهذا كثير والله أعلم.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد

لله رب العالمين

(تمت الرسالة الاولى من رسائل العلامة ابن تيمية)

(ويلها الرسالة الثانية معارج الوصول له أيضاً)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الشيخ الامام العالم تقي الدين أوحيد المجتهدين أحمد بن تيمية
قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مما كتبه بقلعة دمشق متأخراً
الحمد لله نحمده واستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا
هادي له ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً
عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين جميع الدين
أصوله وفروعه، باطنه وظاهره علمه وعمله) فان هذا الاصل هو أصل
أصول العلم والايمان وكل من كان أعظم اعتصاماً بهذا الاصل كان أولى
بالحق علماً وعملاً ومن كان أبعد عن الحق علماً وعملاً كالقرامطة
والمتفلسفة الذين يظنون أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الالهية
والكلية وإنما يعرف ذلك بزعمهم من يعرفه من المتفلسفة ويقولون
خاصة النبوة هي التخييل ويجعلون النبوة أفضل من غيرها عند الجمهور
لا عند أهل المعرفة كما يقول هذا ونحوه الفارابي وأمثاله مثل بشر بن
فانك وأمثاله من الاسماعيلية وآخرون يمتدحون بأن الرسول علم
الحقائق لكن يقولون لم يبينها بل خاطب الجمهور بالتخييل فيجعلون
التخييل في خطابه لافي علمه كما يقول ذلك ابن سينا وأمثاله وآخرون
يمتدحون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون لا يمكن معرفته
من كلامهم بل يعرف بطريق آخر اما المأقول عند طائفة واما المكاشفة
عند طائفة اما قياس فلا في واما خيال صوفي ثم بعد ذلك ينظر في كلام

الرسول فما وافق ذلك قبل وما خالفه اما أن يعوض واما أن يؤول
وهذه طريقة كثير من أهل الكلام الجهمية والمعتزلة وهي طريقة خيار
الباطنية والفلاسفة الذين يعظمون الرسول وينزهونه عن الجهل
و الكذب لكن يدخلون في التأويل وأبو حامد الغزالي لما ذكر في كتابه
طرق الناس في التأويل وان الفلاسفة زادوا فيه حتى انحلوا وان الحق
بين جحود الخبايا وبين انحلال الفلاسفة وان ذلك لا يعرف من جهة
السمع بل يعرف الحق بنور يقذف في قلبك ثم ينظر في السمع فما وافق
ذلك قبلته والا فلا وكان مقصوده بالفلاسفة المتأولين خيار الفلاسفة وهم
الذين يعظمون الرسول عن أن يكذب للمصلحة ولكن هؤلاء وقعوا
في نظير ما فر وامنه نسبهوه الى التلبيس والتعمية واضلال الحق بل
الى أن يظهر الاطل ويكتم الحق

وابن سينا وأمثاله لما عرفوا أن كلام الرسول لا يحتمل هذه التأويلات
الفلسفية بل قد عرفوا أنه أراد مفهوم الخطاب سلك التخويل وقال انه
خطاب الجمهور بما يخفى اليهم مع علمه أن الحق في نفس الامر ليس
كذلك فهو هؤلاء يقولون ان الرسل كذبوا للمصلحة وهذا طريق
ابن رشد الحفيد وأمثاله من الباطنية فالذين عظموا الرسل من
هؤلاء عن الكذب نسبوهم الى التلبيس والاضلال والذين أقروا بأنهم
بينوا قالوا انهم كذبوا للمصلحة واما أهل العلم ولايمان فمتفقون على أن
الرسل لم يقولوا الا بالحق وانهم بينوه مع عامهم بأنهم أعلم الخلق بالحق
فهم الصادقون المصدوقون عاموا الحق وبينوه فمن قال انهم كذبوا
للمصلحة فهو من اخوان المكذبين للرسل لكن هذا لما رأى ما عملوا

من الخير والعدل في العالم لم يمكنه أن يقول كذبوا لطلب العلو والفساد بل قال كذبوا لمصاحبة الخلق كما يحكي عن ابن التومرت وأمثاله ولهذا كان هؤلاء لا يفرقون بين النبي والساحر الا من جهة حسن القصد فان النبي يقصد الخير والساحر يقصد الشر والافل كل منهما خوارق هي عندهم قوى نفسانية وكلاهما عندهم يكذب لكن الساحر يكذب للعلو والفساد والنبي عندهم يكذب لمصاحبة اذ لم يمكنه اقامة العدل بينهم الا بنوع من الكذب والذين علموا أن النبوة تناقض الكذب على الله وان النبي لا يكون لا صادقا من هؤلاء قالوا انهم لم يبينوا الحق ولو أنهم قالوا سكتوا عن بيانه لكان أقل الحاداً لكن قالوا انهم أخبروا بما يظهر منه للناس الباطل ولم يبينوا لهم الحق فعندهم انهم جمعوا بين شيئين بين كتمان حق لم يبينوه وبين اظهار ما يدل على الباطل وان كانوا لم يقصدوا الباطل فجعلوا كلامهم من جنس المعارض التي يعنى بها المتكلم معنى صحيحاً لكن لا يفهم المستمع منها الا الباطل واذا قالوا قصدوا التعريض كان أقل الحاداً ممن قال انهم قصدوا الكذب

(والتعريض من نوع الكذب) اذ كان كذباً في الافهام ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم لم يكذب الا ثلاث كذبات كلهن في ذات الله وهي معارض لقوله عن سارة انها اختى اذ كان ليس هناك مؤمن الا هو وهي (١) وهؤلاء يقولون ان كلام ابراهيم وعامة الانبياء مما أخبروا به عن الغيب كذب من المعارض

وأما جمهور المتكلمين فلا يقولون بهذا بل يقولون قصدوا البيان

(١) ذكر احدي الثلاث والثانية قوله اني سقيم والثالثة قوله بل فعله كبيرهم هذا

دون التعريض لكن مع هذا يقول الجهمية ونحوهم ان بيان الحق ليس في خطابهم بل انما في خطابهم ما يدل على الباطل والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والاشعرية ونحوهم ممن سلك في اثبات الصانع طريقة الاغراض يقولون ان الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول اما لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضوع

وبين ان أصول الدين الحق الذي أنزل الله به كتابه وأرسل به رسوله وهي الأدلة والبراهين والآيات الدالة على ذلك قد بينها الرسول أحسن بيان وأنه دل الناس وهداهم الى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالب الالهية وبها يعلمون انبات ربوبية الله ووحدانيته وصفاته وصدق رسوله والمعاد وغير ذلك مما يحتاج الى معرفته بالأدلة العقلية بل وما يمكن بيانه بالأدلة العقلية وان كان لا يحتاج اليها فان كثيراً من الامور يعرف بالخبر الصادق ومع هذا فالرسول بين الأدلة العقلية الدالة عليها فجمع بين الطريقتين السمي والمعقني

وبينا أن دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين ليست بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم بل الكتاب والسنة دلا الخلق وهدياهم الى الآيات والبراهين والأدلة المبينة لأصول الدين وهؤلاء الغالطون الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية صاروا اذا صنفوا في أصول الدين أحزابا

حزب يقدمون في كتبهم الكلام في النظر والدليل والعلم وان النظر

يوجب العلم - لم وأنه واجب ويتكلمون في جنس النظر وجنس الدليل
وجنس العلم بكلام قد اختلط فيه الحق بالباطل ثم اذا صاروا الى ما هو
الاصل والدليل للدين استدلوا بحدوث الاعراض على حدوث الاجسام
وهو دليل مبتدع في الشرع وباطل في العقل

والحزب الثاني عرفوا أن هذا الكلام مبتدع وهو مستلزم مخالفة
الكتاب والسنة وعنه ينشأ القول بأن القرآن مخلوق وأن الله لا يرى
في الآخرة وليس فوق العرش ونحو ذلك من بدع الجهمة فصنفوا
كتباً قدموا فيها ما يدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة من
القرآن والحديث وكلام السلف وذكروا أشياء صحيحة لكنهم قد يخلطون
الآثار صحيحةا بضعيفها وقد يستدلون بما لا يدل على المطلوب وأيضاً
فهم انما يستدلون بالقرآن من جهة اخباره لا من جهة دلالاته فلا
يذكرون ما فيه من الادلة على اثبات الربوبية والوحدانية والنبوة والمعاد
وأنه قد بين الادلة العقلية الدالة على ذلك ولهذا سمو كتبهم أصول
السنة والشريعة ونحو ذلك وجعلوا الايمان بالرسول قد اتقر فلا يحتاج
أن يبين الادلة الدالة عليه فذمهم أولئك ونسبواهم الى الجهل اذ لم
يذكروا الاصول الدالة على صدق الرسول وهؤلاء ينسبون أولئك
الى البدعة بل الى الكفر لكونهم أصلوا أصولاً تخالف ما قاله الرسول
والطائفتان باحقةهما الملام لكونهما أعرضتا عن الاصول التي بينها الله
بكتابه فانها أصول الدين وأدلته وآياته فلما أعرض عنها الطائفتان وقع
بينهم العداوة كما قال الله تعالى فتنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم

العداوة والبغضاء الى يوم القيامة

وحزبك قد عرف تفرط هؤلاء وتمدى أولئك وبدعهم فذمهم
 وذم طالب العلم الذكى الذى اشقت نفسه الى معرفة الادلة والخروج
 عن التقاليد اذا سلك طريقهم وقال ان طريقهم ضارة وان السلف لم يسلكوها
 ونحو ذلك بما يقتضى ذمها وهو كلام صحيح لكنه انما يدل على أمر مجمل
 لا تبين دلالة على المطلوب بل قد يعتقد طريق المتكلمين مع قوله انه
 بدعة ولا يفتح أبواب الادلة التى ذكرها الله فى القرآن التى تبين أن ماجاء
 به الرسول حق ويخرج الذكى بمعرفتها عن التقليد وعن الضلال والبدعة
 والجهل فهؤلاء أضل بفرقهم لانهم لم يتدبروا القرآن وأعرضوا عن آيات
 الله التى بينها بكتابه كما يعرض من يعرض عن آيات الله الخـ الموقرة قال
 لله تعالى وكم من آية فى السموات والارض يـمرون عليها وهم عنها
 معرضون وقال تعالى وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
 وقال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا
 بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون
 وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوالالباب
 وقال تعالى ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل وقال تعالى
 وما أرسلنا من قبلك الا رجلا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم
 لاتعلمون بالبينات والزبر الآيه وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من
 قبلك وقال تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم
 بالبينات والزبر والكتاب المنير ومثل هذا كثير لبسطه مواضع أخر

والمقصود ان هؤلاء الفالطين الذين أعرضوا عما في القرآن من الدلائل العقلية والبراهين اليقينية لا يذكرون النظر والدليل والعلم الذي جاء به الرسول والقرآن مملوء من ذلك وانتم تكلمون بما ترفون بأن في القرآن من الأدلة العقلية الدالة على أصول الدين ما فيه لكمهم يساكون طرقاً أخر كطريق الاعراض

ومنهم من يظن ان هذه طريق ابراهيم الخليل وهو غلط والمتنلسفة يقولون القرآن جاء بالطريق الخطابية والمقدمات الاقناعية التي تقنع الجمهور ويقولون ان المتكلمين جاؤا بالطرق الجدلية ويدعون أنهم هم أهل البرهان اليقيني وهم أبعد عن البرهان في الاهليات من المتكلمين والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية في الاهليات والكليات ولكن لانهتفلسفة في الطيبيات خوض وتفصيل تميزوا به بخلاف الاهليات فانهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها وكلام ارسطو معلوم فيها قابل كثير الخطأ فهو لحم جعلت على رأس جبل وعمر لا سهل فيرتقى ولا سدين فبقلي وهذا مبسوط في غير هذا الموضوع

والقرآن جاء بالبينات والهدى بالآيات لينات وهي الدلائل اليقينية وقد قال الله تعالى لرسوله أدع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن والمنفاسفة يفسرون ذلك بطرقهم المنطقية في البرهان والخطابة والجدل وهو ضلال من وجوه قد بسطت في غير هذا الموضوع بل الحكمة هي معرفة الحق والعمل به فالقلوب

التي خافهم وقصدت دعى بالحكمة فيبين لها الحق علما وعملا فتقبله وتعمل به
وآخرون يعترفون بالحق لكن لهم أهواء تصدهم عن اتباعه
فهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة المشتملة على الترغيب في الحق والترهيب
من الباطل والوعظ أمر ونهى بترغيب وترهيب كما قال تعالى ولو انهم
فعلوا ما يوعدون به وقال تعالى بعضكم الله ان تعودوا لمثله أبدا فالدعوة
بهذين الطريقتين لمن قبل الحق ومن لم يقبله فانه يجادل بانتي هي احسن
والقرآن مشتمل على هذا وهذا ولهذا اذا جادل يسأل ويستفهم عن
المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن أحد أن يجحدها لتقرير المخاطب
بالحق ولا اعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله أم خلقوا من غير شيء أم
هم الخالقون وقوله أفعيننا بالخلق الاول بل هم في ابس من خلق جديد
وقوله أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم
وقوله أيحسب الانسان أن يترك سدى أم يك نطفة من منى يعني نعم كان
عاقبة تخلق فسوي فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك
بقادر على أن يحيي الموتى وقوله أفرايتم ما تمنون انتم تخلقونه أم نحن
الخالقون وقوله وقالوا لولاياتنا بآية من ربه أولم تأتهم بيعة ما في الصحف
الاولى وقوله أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وقوله أولم
يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وقوله ألم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين وهدينا للنجدين الى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام التقرير
المنضم اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي تدل على المطلوب
فهو من احسن جدل بالبرهان فان الجدل انما يشترط فيه أن يعلم الخصم

المقدمات وان لم تكن بينة معروفة فاذا كانت بينة معروفة كانت برهانية
والقرآن لا يحتج في مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة
الجديلية عند أهل المنطق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها
الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها ذكر الدالين
على صحتها كقوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من
شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدي لآدم
تجملونه قراطيس تبديونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا
آباؤكم فان الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب
ومع من كرها من المشركين ذكر ذلك بقوله قل من أنزل الكتاب
الذي جاء به موسى وقد بين البراهين الدالة على صدق موسى في غير موضع
وعلى قراءة من قرأ أيديونها كابن كثير وأبي عمرو وجعلوا قوله وعلمتم ما لم
تعلموا واحتجوا على المشركين بما جاء به محمد فالحجة على أولئك نبوة موسى
وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منهما من البراهين ما قد بين بوضوح في غير
موضع وعلى قراءة الاكثرين بالتاء هو خطاب لاهل الكتاب وقوله
علمتم ما لم تعلموا بيان لما جاءت به الانبياء مما أنكروه فعلمهم الانبياء ما لم
يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما صرفوه من أخبار الانبياء وما لم يعرفوه
وفدقص سبحانه قصة موسى وأظهر براهين موسى وآياته التي
هي من أظهر البراهين والادلة حتى اعترف بها السحرة التي جمعهم
فرعون وناهيك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التي علم
بالاضطرار انها من الله وابتاعت عصاه الجبل والعصى التي أتى بها

السحرة بعد ان جاؤا بسحر عظيم وسحروا أعين الناس واسترهبوا
الناس ثم لما ظهر الحق وانقابوا صاغرين قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهرون فقال لهم فرعون آمنتُم به قبل أن آذن لکم انه
لكبيرکم الذي علمکم السحر فلا قطعن أيديکم وأرجلكم من خلاف
ولا صابنکم في - بذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقي قالوا ان نؤثرک
على ماجاءنا من البينات من الدلائل البينات اليقينية القطعية وعلى الذي فطرنا
وهو خالقنا وربنا الذي لا بد لنا منه ان نؤثرک على هذه الدلائل اليقينية
وعلى خالق البرية فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آما
ربنا ابغفر لنا خطايانا وما أکرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقي

وقد ذكر الله هذه القصة في عدة موضع من القرآن يبين في كل
موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى
الله ورسوله وكنابه باسما متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه
الاسم الآخر وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء
النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفي
ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحمة في كل اسم دلالة على معنى ليس
في الاسم الآخر وان كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك
القرآن اذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور
ورحمة وروح فبكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر وكذلك
أسماء الرب تعالى اذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهتمن العزيز
الحيار المتكبر الخالق البارئ المصور فبكل اسم يدل على معنى ليس

هو المعنى الذي في الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا في الاسماء المنفردة وكذلك في الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخرى وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتهما متعددة ففي كل جملة من الجمل معنى ليس في الجمل الآخر

وليس في القرآن تكرار أصلا وأما ما ذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع الاكتفاء بالواحدة وكان الحكمة فيه أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلولم تكن الآيات والقصص متناهة منكرة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فاراد الله أن يشهر هذه القصص في أطراف الارض وأن يلقها الى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج أفنصر علي هذا الجواب في قوله مثاني لما قيل لم ثبت وبسط هذا له موضع آخر فان الثنية هي التويع والتجنيس وهي استيفاء الأقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الأقسام والأمثال

والمقصود هنا التنبيه على ان القرآن اشتمل على أصول الدين التي تستحق هذا الاسم وعلى البراهين والآيات والادلة اليقينية بخلاف ما أحدثه المبذعون والملاحدون كما قال الرازي مع خبرته بطرق هؤلاء لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدتها تشفى عيلا

ولا تروى غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات
اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن على العرش استوى وأقرأ في النفي ليس
كمنه شيء ولا يحيطون به علما قال ومن جرب مثل تجربتي صرف
مثل معرفتي

والخير والسعادة والكمال والصالح منحصر في نوعين في العلم
النافع والعمل الصالح وقد بعث الله محمدا بافضل ذلك وهو الهدى
ودين الحق كما قال هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا وقد قال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحاق ويعقوب أولي الأيدي والابصار فذكر النوعين قال الوالي
عن ابن عباس يقول أولو القوة في العبادة قال ابن أبي حاتم وروى عن
سعيد بن جبير وعطاء الخراساني والحسن والضحاك والسيدي وفتادة
وأبي سنان ومبشر بن عبيد نحو ذلك والابصار قال الابصار الفقه في
الدين وقال مجاهد الابصار الصواب في الحكم وعن سعيد بن جبير
قال البصيرة بدين الله وكتابه وعن عطاء الخراساني أولى الأيدي
والابصار قال أولو القوة في العبادة والبصر والعلم باصر الله وعن مجاهد
وروى عن فتادة قال أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين

وجميع حكماء الأمم يفضلون هذين النوعين مثل حكماء اليونان
والهند والعرب قال ابن قتيبة الحكمة عند العرب العلم والعمل فالعمل
الصالح هو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الدين دين الاسلام والعلم
والهدى هو تصديق الرسول فيما أخبر به عن الله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر وغير ذلك فإلمم بالنافع هر الايمان والعمل
 الصالح هو الاسلام العلم النافع من علم الله والعمل الصالح هو العمل
 بأمر الله ماذا تصديق الرسول فيما أخبر وهذا طاعته فيما أمر وضد
 الاول أن يقول على الله مالا يعلم وضد الثاني أن يشرك بالله مالم ينزل به
 سلطانا والاول أشرف فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمننا قالت
 الاعراب آمنة قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وجميع الطوائف تمض
 هذين النوعين لكن الذي جاء به الرسول هو أفضل ما فهمما كما قال ان
 هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي الفجر تارة سورة
 الاخلاص وقل يأيتها الكافرون ففي قل يأيتها الكافرون عبادة الله
 وحده وهو دين الاسلام وفي قل هو الله أحد صفة الرحمن وأن يقال
 فيه ويخبر عنه بما يستحقه وهو الايمان هذا هو التوحيد القولي وذلك
 هو التوحيد العلمي

وكان تارة يقرأ فيهما في الاولى بقوله في البقرة قولوا آمنا
 بالله وما أنزل اليانا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
 والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق
 بين أحد منهم ونحن له مسلمون وفي الثانية قل يا أهل الكتاب تعالوا
 الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
 قال أبو العالية في قوله فلنسالنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال
 خلتان يسئل عنهما كل أحد ماذا كنت تعبد وماذا أجيبت المرسلين

فالأول تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله والثاني تحقيق الشهادة بان محمدا
رسول الله

والصوفية بنوا أمرهم على الإرادة ولا بد منها لكن بشرط أن
تكون إرادة عبادة الله وحده بما أمر

والمتكلمون بنوا أمرهم على النظر المقتضى للعلم ولا بد منه لكن
بشرط أن يكون علما بما أخبر به الرسول والنظر في الأدلة التي دل
بها الرسول هي آيات الله ولا بد من هذا وهذا

ومن طلب عاما بلا إرادة أو إرادة بلا علم فهو ضال ومن طلب
هذا وهذا بدون اتباع الرسول فيهما فهو ضال بل كمن قال من السلف
الدين والإيمان قول وعمل واتباع السنة وأهل الفقه في الأعمال
الظاهرة يتكلمون في العبادات الظاهرة وأهل التصوف والزهد
يتكلمون في قصد الإنسان وإرادته وأهل النظر والكلام وأهل
العقائد من أهل الحديث وغيرهم يتكلمون في العلم والعرفة والتصديق
الذي هو أصل الإرادة ويقولون العبادة لا بد فيها من القصد والقصد
لا يصح إلا بعد العلم بالمقصود المعبود وهذا صحيح فلا بد من معرفة
المعبود وما يعبد به فالضالون من المشركين والنصارى وأشباهم لهم
عبادات وزهاديات لكن لغير الله أو بغير أمر الله وإنما القصد والإرادة
لنافعة هو إرادة عبادة الله وحده وهو إنما يعبد بما شرع لا بالبدع
وعلى هذين الأصلين يدور دين الإسلام على أن يعبد الله وحده
وأن يعبد بما شرع ولا يعبد بالبدع وأما العلم والمعرفة والتصوف فمدارها

على أن يعرف ما أخبر به الرسول ويعرف أن ما أخبر به حق أما لعلمنا
بأنه لا يقول إلا حقا وهذا تصديق عام وأما لعلمنا بأن ذلك الخبر حق
بما أظهر الله من آيات صدقه فإنه أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس
آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن لقرآن حق

(فصل) وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقهاء
فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فمأمر الله به أو نهى عنه أو
حلله أو حرمه إلا بين ذلك وقد قال تعالى اليوم أكملت لكم
دينكم وقال تعالى ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى ونزلنا عليك
الكتاب تبينا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقال تعالى
كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل
معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى تالله
لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وإهم اليوم
ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا
فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون فقد بين سبحانه أنه ما نزل عليه
الكتاب إلا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه كما بين أنه أنزل جنس الكتاب
مع النبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى وما اختلفتم فيه
من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب وقال
تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون
قد بين للمسلمين جميع ما يتقونه كما قال وقد فصل لكم ما حرم

عليكم الا ما اضطررتم اليه وقال تعالى فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول وهو الرد الى كتاب الله أو الى سنة الرسول بعد موته وقوله فان تنازعتم شرط والفعل منكرة في سياق الشرط فاي شئ تنازعوا فيه ردوه الى الله والرسول ولو لم يكن بيان الله والرسول فاصلا للنازع لم يؤمروا بالرد اليه والرسول أنزل الله عليه الكتاب والحكمة كما ذكر ذلك في غير موضع وقد علم أمة الكتاب والحكمة كما قال ويعلمهم الكتاب وكان يذكر في بيته الكتاب والحكمة وامر ازواج نبيه بذلك فقال واذ كرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فأيات الله هي القرآن اذ كان نفس القرآن يدل على انه منزل من الله فهو علامة ودلالة على منزله والحكمة قال غير واحد من السلف هي السنة وقال أيضا طائفة كالك وغيره هي معرفة الدين والعمل به وقيل غير ذلك وكل ذلك حق فهي تتضمن التمييز بين المأمور والمحذور والحق والباطل وتعليم العلم بالحق دون الباطل وهذه السنة التي فرق بها بين الحق والباطل وبين الاعمال الحسنة من القبيحة والخير من الشر وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلام نحو هذا وهذا كثير في الحديث والآثار يذكرونه في الكتب التي يذكر فيها هذا الآثار كما يذكر مثل ذلك غير واحد فيما يصفونه في السنة مثل ابن بطوة واللائلكاى والطلمسكى وقبلهم المصنفون في السنة كصاحب احمد مثل عبد الله والاثرم و حرب

الكرمانى وغيرهم ومثل الحلال وغيره

والمقصود هنا تحقيق ذلك وان الكتاب والسنة وافيان بجميع أمور الدين وأما اجماع الأمة فهو في نفسه حق لا يجتمع الأمة على ضلالة وكذلك القياس الصحيح حق فان الله بعث رسوله بالعدل وأنزل الميزان مع الكتاب والميزان يتضمن العدل وما يعرف به العدل وقد فسروا انزال ذلك بأن ألهم العباد معرفه ذلك والله ورسوله يسوى بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين وهذا هو القياس الصحيح وقد ضرب الله في القرآن من كل مثل وبين بالقياس الصحيح وهى الامثال المضروبة ما بينه من الحق لكن القياس الصحيح يطابق للنص فان الميزان يطابق الكتاب والله أمر نبيه أن يحكم بما أنزل وأمره أن يحكم بالعدل فهو أنزل الكتاب وانما أنزل الكتاب بالعدل قال تعالى وأن احكم بينهم بما أنزل الله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واما اجماع الأمة فهو حق لا يجتمع الأمة والله الحمد على ضلالة كما وصفها الله بذلك فى الكتاب والسنة فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وهذا وصف لهم بأنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر كما وصف نبيهم بذلك فى قوله الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وبذلك وصف المؤمنين فى قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلو قالت الأمة فى الدين بما هو ضلال لمكانت لم تأمر بالمعروف فى ذلك ولم تنه عن المنكر فيه وقال تعالى

وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً والوسط العدل الحيار

وقد جعلهم الله شهداء على الناس وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بمجنازة فأنشأ عليها خيراً فقال وجبت وجبت ثم مر عليه بمجنازة فأنشأ عليها شراً فقال وجبت وجبت قالوا يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت قال هذه الجنازة أنيتم عليها خيراً فقلت وجبت لها الجنة وهذه الجنازة أنيتم عليها شراً فقلت وجبت لها النار أتم شهداء الله في الأرض

فاذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل فاذا شهدوا ان الله أمر بشيء فقد أمر به واذا شهدوا أن الله نهي عن شيء فقد نهي عنه ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله في الأرض بل زكاهم الله في شهادتهم كما زكى الأنبياء فيما يبلغون عنه أنهم لا يقولون عايبه الا الحق وكذلك الأمة لا تشهد على الله الا بحق وكان تعالى واتبع سبيل من أناب الى والامة منيية الى الله فيجب اتباع سبيلها وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه فرضى عن اتبع السابقين الى يوم القيامة فدل على أن متابعتهم عامل بما رضى الله والله لا يرضى الا بالباطل وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولي ونصله جهنم وساءت مصيرا

وكان عمر بن عبد العزيز يقول كلمات كان مالك يأثرها عنه كثيراً

قال سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الامر من بعده سننا
 الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله ومعونة على دين
 الله ليس لاحد تغييرها ولا النظر في رأى من خالفها فمن خالفها واتبع
 غير سبيل المؤمنين ولاة الله تعالى ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا
 والشافعي رضى الله عنه لما جرد الكلام في أصول الفقه احتج بهذه
 الآية على الاجماع كما كان هو وغيره من مالك ذكر ذلك عن عمر بن
 عبد العزيز والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق
 للوعيد كما أن مشاق الرسول من بعد ماتبين له الهدى مستحق للوعيد
 ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد بمجرد فلو لم يكن الوصف
 الآخر يدخل في ذلك لكان لافائدة في ذكره

وهنا للناس ثلاثة أقوال قيل اتباع غير سبيل المؤمنين هو بمجرد
 مخالفة الرسول المذكورة في الآية وقيل بل مخالفة الرسول مستقلة بالذم
 فكذلك اتباع غير سبيلهم مستقل بالذم وقيل بل اتباع غير سبيل
 المؤمنين يوجب الذم كما دلت عليه الآية لكن هذا لا يقتضى مفارقة
 الاول بل قد يكون مستلزما له فكل متابع غير سبيل المؤمنين هو في
 نفس الامر مشاق للرسول وكذلك مشاق الرسول متبع غير سبيل
 المؤمنين وهذا كما في طاعة الله والرسول فان طاعة الله واجبة وطاعة
 الرسول واجبة وكل واحد من معصية الله ومعصية الرسول موجب
 للذم وهما متلازمان فانه من بطع الرسول فقد أطاع الله وفي الحديث
 الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعنى فقد أطاع الله

وذن أطاع أميري فذند أطاعني ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى
أميري فقد عصاني وقال انما الطاعة في المعروف يعنى اذا أمر أميري
بالمعروف فطاعة. من طاعنى وكل من عصى الله فقد عصى الرسول فان الرسول
يأمر بما أمر الله به بل من أطاع رسولا واحداً فقد أطاع جميع الرسل
ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع ومن عصى واحداً منهم فقد
عصى الجميع ومن كذب واحداً منهم فقد كذب الجميع لان كل رسول
يصدق الآخر ويقول انه رسول صادق ويأمر بطاعته فمن كذب
رسولا فقد كذب الذى صدقه ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته
ولهذا كان دين الانبياء واحداً كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضى
الله عنه عن النبي صلى الله عليه و- لم أنه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد
وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ولذى أوحينا اليك
وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون
عليهم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم
بينهم زبراً كل حزب بما لديهم -م فرحون وقال تعالى فاقم وجهك للدين
حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين
القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين البه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا
تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما
لديهم فرحون ودين الانبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير
موضع وهو الاستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به

في ذلك اوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذلك واستقبال بيت المقدس كما من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله واتبعوا رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ وهكذا كل مبتدع ديناً خالف به سنة الرسول لا يتبع الا ديناً مبدلاً أو منسوخاً بكل ما خالف ما جاء به الرسول اذ أن يكون ذلك قد كان مشروعاً لنبي ثم نسخ على لسار محمد واما أن لا يكون شرعاً فهذا كالأديان التي شرعها الشياطين على السنة أوليائهم قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون وقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ضرورا ولو شريك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولهذا كان الصحابة اذا قال أحدهم برأيه شيئاً يقول ان كان صواباً فمن الله وان كان خطأً فني ومن الشيطان والله ورسوله بريء منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبي بكر وعمر فالاقسام ثلاثة فانه اما أن يكون هذا القول موافقاً لقول الرسول أولاً يكون واما أن يكون موافقاً لشرع غيره واما أن لا يكون فهذا الثالث المبدل كالأديان المشركين والنجوس وما كان شرعاً لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت ونحر يريم كل ذي ظفر وشحم الثرب والكياتين فان اتخذ السبت عيداً ونحر يريم هذه الطيبات

قد كان شرعا نوسى ثم نسخ لى قد قال المسيح ولا حول لكم بعض
 الذى حرم عليكم فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراما
 فى شرع موسى وأما محمد فقال الله فيه الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى
 النوراة والانجيل بأمرهم بالعرف وبنهاهم عن المنكر ويحل لهم
 الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت
 عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه
 أولئك هم المفلحون والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط
 كما قال واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن
 آلهة يعبدون وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه
 أنه لا اله الا أنا فاعبدون

وكذلك ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله فى القرآن
 كالسائبه والوصيلة والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا ذكر
 الله ذلك عنهم فى سورة الانعام بين ان من حرم ذلك فقد كذب على
 الله وذكر تعالى ما حرمه على لسان محمد وعلى لسان موسى فى الانعام
 قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة
 فقال أودما مـفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن
 اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا
 كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
 ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيتهم وانا اسادقون
 وكذلك قال بعد هذا وعلى الذين هادوا حرمنا مقصنا عليك من قبل

فبين ان ما حرمه المشركون لم يجرمه على لسان موسى ولا لسان
 محمد وهذان هما اللذان جاء بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى قل
 فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وقال تعالى ومن قبله
 كتاب موسى امة ورحمة وقال تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء
 به موسى الى قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه
 وقالت الجن لما سمعت القرآن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى
 مصدقا لما بين يديه بهدى الى الحق والى طريق مستقيم وقال ورقة
 ابن نوفل ان هذا والذي جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة
 وكذلك قال النجاشي فالقرآن والتوراة هما كتابان جاء من عند الله لم
 يأت من عنده كتاب أهدى منهما كل منهما أصل مستقل والذي فيهما
 دين واحد وكل منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى والامر بعبادته
 وحده لا شريك له ففيه التوحيد قولاً وعملاً كما في سورتي الاخلاص
 قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وانما في الزبور
 ثناء على الله ودعاء وأمر ونهى بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً وأما المسيح
 فانه قال ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم فاحل لهم بعض المحرمات
 وهو في الاكثر متبع اشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح
 من ان يقرأ التوراة ويتبع ما فيها اذ كان الانجيل تبعاً لها

وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر
 بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة

لا توجد في الكتب فلها كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ ما نسخ الله فيقر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جدا بالنسبة الى المحكم المقرر والانباء كلهم دينهم واحد وتصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم وكذلك التكذيب والمعصية لا يجوز أن يكذب نبي نبي بل ان عرفه صدقه والا فهو يصدق بكل ما أنزل الله مطلقا وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته * ولهذا كان من صدق محمدا فقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقد عصى كل نبي قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا * وقال تعالى أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون

ومن كذب هؤلاء تكذيبا بجنس الرسالة فقد صرح بأنه يكذب الجميع ولهذا يقول تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ولم يرسل اليهم قبل نوح أحد وقال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقتناهم وكذلك من كان من الملاحدة والمتفلسفة طاعنا في جنس الرسل كما قدمنا بأن يزعم أنهم لم يعلموا الحق أو لم يدينوه فهو مكذب لجميع الرسل

كالذين قال فيهم الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسالتنا فسوف يعلمون اذا اغلال في أعينهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون وقال تعالى فلما جاءهم رسالتهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فامرأوا بأسنا قالوا آمنة بالله وحده وكفرتا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وقال تعالى عن الوليد انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر

وأهل الكتاب منهم من يؤمن بجنس الرسالة لكن يكذب ببعض الرسل كالمسيح ومحمد فهؤلاء لما آمنوا ببعض وكفروا ببعض كانوا كافر بن حقا وكثير من لا يكذب الرسل تكذيب صريحاً من الفلاسفة والباطنية وكثير من أهل الكلام والتصوف ولا يؤمن بحقيقة النبوة والرسالة بل يقر بفضاهم في الجملة مع كونه يقول ان غيرهم أعلم منهم أو انهم لم يبينوا الحق أو لبسوه أو ان النبوة هي فيض يفيض على النفوس من العقل انفساً من جنس ما يراه الناس ولا يقر بملائكة مفضلين ولا بالجر ونحو ذلك فهؤلاء يقرون ببعض صفات الانبياء دون بعض بما أتوه دون بعض لا يقرون بجميع ما أتوه الانبياء وهؤلاء قد يكون أحدهم شراً من اليهود والنصارى الذين أقروا بجميع صفات النبوة لكن كذبوا ببعض الانبياء فان الذي أقر به هؤلاء مما جاءت به الانبياء

أعظم وأكثراذ كان هؤلاء يقرون بأن الله خالق السموات والارض في ستة آياه ويقرون بقيام القيامة ويقرون بأنه تجب عبادته وحده لا شريك له ويقرون بالشرائع المتفق عليها وأولئك يكذبون بهذا وانما يقرون ببعض شرع محمد ولهذا كان اليهود والنصارى أقل كفرا من الملاحدة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم لكن من كان من اليهود والنصارى قد دخل مع هؤلاء فقد جمع نوعي الكفر لم يؤمن بجميع صفاتهم ولا بجميع أعيانهم وهؤلاء موجودون في دول الكفار كثيرا كما يوجد أيضا في المنتسبين الى الاسلام من هؤلاء وهؤلاء اذ كانوا في دولة المسلمين وأهل الكتاب كانوا منافقين فيهم من التناق بحسب ما فيهم من الكفر والتناق يتبعه والكفر يتبعه ويزيد وينقص كما ان الايمان يتبعه ويزيد وينقص قال الله تعالى انما الذي زياده في الكفر وقال واذا ما نزلت سورة فهم من يقول أياكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون * وقال ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * وقال وايزيد كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا * وقال ويزيد الله الذين هتدوا هدى * وقال في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * وقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا وكثير من المصنفين في الكلام لا يردون على أهل الكتاب الا ما يقولون انه يعلم بالعقل مثل تليث النصارى ومثلي تكذيب محمد

ولا يناظرونهم في غير هـذا من أصول الدين وهـذا تقصير منهم مخالفة لطريقة القرآن فان الله يبين في القرآن ما خالفوا به الانبياء ويذمهم على ذلك والقرآن مملوء من ذلك اذ كان الكفر والايمان يتعلق بالرسالة والنبوة فاذا تبين ما خالفوا فيه الانبياء ظهر كفرهم وأولئك المتكلمون لما أصلوا لهم ديناً بما أحدثوه من الكلام كالاستدلال بالاعراض على حدوث الاجسام ظنوا ان هذا هو أصول الدين ولو كان ماقالوه حقاً لكان ذلك جزءاً من الدين فكيف ان كان باطلاً

وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للانبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر ولهذا قيل فيه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح فخاطبهم في مقامين أحدهما تبديلهم لدين المسيح

والثاني تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم واليهود خطابهم في تكذيبهم من بعد موسى الى المسيح ثم في تكذيب محمد كما ذكر الله ذلك في سورة البقرة في قوله واقد آتينا موسى الكتاب وقفيناه من بعده بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلمناهم كما رول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون وقالوا قلوبنا غاف بل طبع الله عليها بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ثم قال ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما بعثهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الى أن ذكر أنهم أعرضوا عن كتاب الله مطامقاً واتبعوا السحر فقال ولما جاءهم رسول

من عند الله مصدق لما مهم نبيذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب
الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك
سليمان الى قوله ولقد عاموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق
وابشوا ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة
من عند الله خير لو كانوا يعلمون

والنصارى نذمهم على الغلو والشرك الذي ابتدئوه وعلى تكذيب
الرسول والرهبانية التي ابتدئوها ولا نحمدهم عليها اذ كانوا قد ابتدئوها
وكل بدعة ضلالة لكن اذا كان صاحبها قاصدا للحق فقد يعفى عنه فيبقى
عمله ضائعا لا فائدة فيه وهذا هو الضلال الذي يمذر صاحبه فلا
يعاقب ولا يثاب ولهذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فان المغضوب عليه يعاقب بنفس الغضب والضال فات المقصود ودو
الرحمة والثواب ولكن قد لا يعاقب كما عوقب ذلك بل يكون
ملمعونا مطرودا ولهذا في حديث زيد بن عمرو بن نفيل ان اليهود قالوا
له ان تدخل في ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله وقالوا له النصارى
حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله وقال الضحاك وطائفة ان جهنم طبقات
قالها لصاة هذه الامة والتي نلها للنصارى والتي نلها لليهود فجمعوا
اليهود تحت النصارى والقرآن قد شهد بان المشركين واليهود يوجدون
أشد عداوة للذين آمنوا من الذين قالوا انا نصارى وشدة العداوة
زيادة في الكفر فاليهود أقوى كفرا من النصارى وان كان النصارى
أجهل وأضل لكن أولئك يعاقبون على عملهم اذ كانوا عرفوا الحق

وتركوه عنادا فكانوا مغضوبا عليهم وهؤلاء بالضلال حرموا أجر
المهتدين ولعنوا وطرردوا عما يستحقه المهتدون ثم اذا قامت عليهم الحاجة
فلم يؤمنوا استحقوا العقاب اذ كان اسم الضلال عاما

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح
في خطبة يوم الجمعة خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر
الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ولم يقل وكل ضلالة في النار بل يضل
عن الحق من قصد الحق وقد اجتهد في طلبه فمجز عنه فلا يعاقب وقد
يفعل بعض ما امر به فيكون له اجر على اجتهاده وخطؤه الذي ضل
فيه عن حقيقة الامر مغفور له

وكثير من مجتهدى السلف والحلف قد قالوا وفعلموا ما هو بدعة
ولم يعلموا انه بدعة اما لاحاديث ضميقة ظنوها صحيحة واما لآيات
فهموا منها ما لم يرد منها واما لرأى رأوه وفي المسئلة اصوص لم تبلغهم
واذا اتى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله ربنا لا تؤاخذنا
ان نسيتنا أو اخطأنا وفي الصحيح ان الله قال قد فعلت وبسط هذا له
موضع آخر

والمقصود هنا ان الرسول بين جميع الدين بالكتاب والسنة وان
الاجماع اجماع الامة حق فانها لا تجتمع على ضلالة وكذلك القياس الصحيح
حق يوافق الكتاب والسنة

والآية المشهورة التي يحتج بها على الاجماع قوله ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى

ومن الناس من يقول انها لاتدل على مورد النزاع فان الذم فيها من جمع
الاصريين وهذا لانزاع فيه او لمن اتبع غير سبيل المؤمنين التي بها كانوا
مؤمنين وهي متابعة الرسول وهذا لانزاع فيه او ان سبيل المؤمنين
هو الاستدلال بالكتاب والسنة وهذا لانزاع فيه فهذا ونحوه قول
من يقول لاتدل على محل انزاع وآخرون يقولون بل تدل على وجوب
اتباع المؤمنين مطلقا وتكلفوا ذلك ما تكلفوه كما قد صرف من كلامهم ولم
يحييوا عن أسئلة أوامرك باجوبة شافية

والقول الثالث الوسط انها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين
وتحريم اتباع غير سبيلهم ولكن مع تحريم مشاققة الرسول من بعد
ما تبين له الهدى وهو يدل على ذم كل من هذا وهذا كما تقدم لكن
لاتنفي تلازمهما كما ذكر في طاعة الله والرسول وحينئذ يقول الذم اما
ان يكون لاحقا لمشاققة الرسول فقط او باتباع غير سبيلهم فقط او
ان يكون الذم لا يلحق بواحد منهما بل بهما اذا اجتمعا او يالحق الذم
بكل منهما وان انفرد عن الآخر او بكل منهما لكونه مستلزما للآخر
والاولان باطلان لانه لو كان المؤثر أحدهما فقط كان ذكر الآخر
ضائعا لافائدة فيه وكون الذم لا يلحق بواحد منهما باطل قطعا فان
مشاققة الرسول موجبة للوعيد مع قطع النظر عن أتبعه ولحوق الذم
بكل منهما وان انفرد عن الآخر لاتدل عليه الآية فان الوعيد فيها انما
هو على المجموع بقي القسم الآخر وهو ان كلا من الوصفين يقتضي
الوعيد لانه مستلزم للآخر كما يقال مثل ذلك في معصية الله والرسول

ومخالفة القرآن والاسلام فيقال من خالف القرآن والاسلام أو من خرج عن القرآن والاسلام فهو من أهل النار ومثله قوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا فان الكفر بكل من هذه الاسول يستلزم الكفر بغيره فمن كفر بالله كفر بالجميع ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل فكان كافرا بالله اذ كذب رسوله وكتبه وكذلك اذا كفر باليوم الآخر كذب الكتب والرسل فكان كافرا وكذلك قوله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأتمتعون ذمهم على الوصفين وكل منهما مقتض للذم وهما متلازمان ولهذا نهي عنهما جميعا في قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأتمتعون فانه من لبس الحق بالباطل فغطاه به فغلط به لزم أن يكتم الحق الذي تبين أنه باطل اذ لو بينه زال الباطل الذي لبس به الحق فهكذا مشاققة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين من شقه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقه أيضا فانه قد جعل له مدخلا في الوعيد فدل على انه وصف مؤثر في الذم فمن خرج عن اجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعا والآية توجب ذم ذلك واذا قيل هي انما ذمته مع مشاققة الرسول قلنا لانها متلازمان وذلك لان كل ما أجمع عليه المسلمون فانه يكون نصوفا عن الرسول فالمخالف لهم مخالف للرسول كما أن المخالف للرسول مخالف لله ولكن هذا ينفى ان كل ما أجمع عليه قد بينه الرسول وهذا هو الصواب

فلا يوجد قط مسألة مجمع عليها الا وفيها بيان من الرسول وليكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الاجماع فيستدل به كما أنه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص وهو دليل ثان مع النص كالامثال المضروبة في القرآن وكذلك الاجماع دليل آخر كما يقال قد دل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع وكل من هذه الاصول يدل على الحق مع تلازمها فان ما دل عليه الاجماع فقد دل عليه الكتاب والسنة وما دل عليه القرآن فعن الرسول أخذ فالكتاب والسنة كلاهما مأخوذ عنه ولا يوجد مسألة يتفق الاجماع عليها الا وفيها نص

وقد كان بعض الناس يذكر مثل فيها اجماع بلا نص كالمضاربة وليس كذلك بل المضاربة كانت مشهورة بينهم في الجاهلية لاسيما قریش فان الاغلب كان عليهم التجارة وكان اصحاب الاموال يدفعونها الى العمال ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد سافر بمال غيره قبل النبوة كما سافر بمال خديجة والمير التي كان فيها أبو سفيان كان أكثرها مضاربة مع أبي سفيان وغيرها فلما جاء الاسلام أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اصحابه يسافرون بمال غيرهم مضاربة ولم ينه عن ذلك والسنة قوله وفعله واقراءه فلما أقرها كانت ثابتة بالسنة والاثر المشهور فيها عن عمر الذي رواه مالك في الموطأ ويعتمد عليه الفقهاء لما أرسل أبو موسى بمال أقرضه لابنيه وانجرا فيه وربحا وطلب عمر أن يأخذ الربح كله للمسلمين لكونه خصهما بذلك دون سائر الجيش فقال له أحدهما لو خسرت المال كان علينا فكيف يكون لك الربح وعلينا الضمان فقال له بعض اصحابه اجعله مضاربا

فجمع له مضاربة وإنما قال ذلك لأن المضاربة كانت معروفة بينهم والمهد بالرسول قريب لم يحدث بعده فعلم أنها كانت معروفة بينهم على عهد الرسول كما كانت الفلاحة وغيرها من الصناعات كالخياطة والحجارة وعلى هذا فالمسائل المجمع عليها قد تكون طائفة من المجتهدين لم يعرفوا فيها نصا فقالوا فيها باجتهاد الرأي الموافق للنص لكن كان النص عند غيرهم وابن جرير وطائفة يقولون لا ينعقد الاجماع الا عن نص نقلوه عن الرسول مع قولهم بصحة القياس

ونحن لانشرط أن يكونوا كلهم علموا النص فنقلوه بالمعنى كما تنقل الاخبار لكن استقر أنا موارد الاجماع فوجدنا كلها منصوطة وكثير من العلماء لم يعلم النص وقد وافق الجماعة كما انه قد يحتج بقياس وفيها اجماع لم يعلمه فيوافق الاجماع وكما يكون في المسئلة نص خاص وقد استدل فيها بعضهم بعموم كاستدلال ابن مسعود وغيره بقوله وأولات الاحمال أجلهن أن يضمن حملهن وقال ابن مسعود سورة النساء القصري نزلت بعد الطولى أي بعد البقرة وقوله أجلهن أن يضمن حملهن يقتضى انحصار الاجل في ذلك فلو أوجب عليها أن تعتد بابعاد الاجلين لم يكن أجلاها أن تضع حملها وعلى ابن عباس وغيرها أدخلوها في عموم الآيتين وجاء النص الخاص في قصة سبيعة الإسلامية بما يوافق قول ابن مسعود

وكذلك لما تنازعا في المفوضة اذا مات زوجها هل لها مهر المثل أفق ابن مسعود فيها برأيه أن لها مهر المثل ثم رووا حديث بروع بنت

واشق بما يوافق ذلك وقد خالفه على وزيد وغيرها فقالوا لامهر لها
 فثبت ان بعض المجتهدين قديفتى بعموم أو قياس ويكون في الحادثة
 نص خاص لم يعلمه فيوافقه ولا تعلم مسألة واحدة اتفقوا على انه لانص
 فيها بل عامة ما تنازعوا فيه كان بعضهم يحتج فيه بالنصوص أولئك يحتجوا
 بنص كالمثو في عنها الحامل وهؤلاء احتجوا بشمول الآيتين لها والآخرين
 قالوا انما يدخل في آية الحمل فقط وان آية الشهور في غير الحامل كما
 ان آية القروء في غير الحامل

وكذلك لما تنازعوا في الحرام احتج من جعله يمينا بقوله لم تحرم
 ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض
 الله لكم تحلة أيمانكم

وكذلك لما تنازعوا في المبتوتة هل لها نفقة أو سكنى احتج هؤلاء
 بحديث فاطمة وبان السكنى التي في القرآن للرجعية وأولئك قالوا بل هي
 لهما ودلالات النصوص قد تكون خفية نخص الله بفهمهن بعض
 الناس كما قال على الا فهما يؤتیه الله عبدا في كتابه

وقد يكون النص بينا وبذهل المجتهد عنه كتيمم الجنب فانه بين
 في القرآن في آيتين ولما احتج أبو موسى على ابن مسعود بذلك قال
 الحاضر مادري عبد الله ما يقول الا أنه قال لو أرخصنا لهم في هذا
 لاوشك أحدهم اذا وجد المرء البرد أن يتيمم وقد قال ابن عباس وفاطمة
 بنت قيس وجابر ان المطلقة في القرآن هي الرجعية بدليل قوله لا تدري
 فعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وأى أمر يحدثه بعد الثلاثة

وقد احتج طائفة على وجوب العمرة بقوله وأنموا الحج والعمرة لله واحتج بهذه الآية من منع النسخ وآخرون يقولون إنما أمر بالاتمام فقط وكذلك أمر الشارع أن يتم وكذلك في الفسخ قالوا من فسخ العمرة الي غير حج فلم يتمها أما اذا فسخها ليحج من عامه فهذا قد أتى بما تم مما شرع فيه فانه شرع في حج مجرد فأتى بعمرة في الحج ولو لم يكن هذا اتماما لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عام حجة الوداع

وتنازعوا في الذي بيده عقدة النكاح وفي قوله أو لامستم النساء ونحو ذلك مما ليس هذا موضع استقصائه
وأما مسألة مجردة انفقوا على أنه لا يستدل فيها بنص جلي ولا خفي فهذا ما لا أعرفه

والجد لما قال أكثرهم انه أب استدلوا على ذلك بالقرآن بقوله كما أخرج أبوبيكم من الجنة وقال ابن عباس لو كانت الجن تظن ان الانس تسمى أباالاب جدا لما قالت وانه تعالى جد ربنا نقول انما هو أب لكن أب أبعد من أب

وقد روى عن علي وزيد أنهما احتججا بقياس فن ادعى اجماعهم على ترك العمل بالرأى والقياس مطلقا فقد غلط ومن ادعى ان من المسائل ما لم يتكلم فيها أحد منهم الا بالرأى والقياس فقد غلط بل كان كل منهم يتكلم بحسب ما عنده من العلم فن رأى دلالة الكتاب ذكرها ومن رأى دلالة الميزان ذكرها

والدلائل الصحيحة لاتتناقض لكن قد يخفي وجه اتفاقها أو
ضعف أحدها على بعض العلماء

ولاصحابه فهم في القرآن يخفي على أكثر المتأخرين كما أن لهم
معرفة بأمور من السنة وأحوال الرسول لا يعرفها أكثر المتأخرين
فانهم شهدوا التنزيل وعينوا الرسول ورواهوا من أقواله وأفعاله
وأحواله ما يستدلون به على مرادهم ما لم يعرفه أكثر المتأخرين الذين
لم يعرفوا ذلك فطلبوا الحكم مما اعتقدوه من اجماع أو قياس
ومن قال من المتأخرين ان الاجماع مستند معظم الشريعة فقد
أخبر عن حاله فانه لنقص معرفته بالكتاب والسنة احتاج الى ذلك وهذا
كقولهم ان أكثر الحوادث يحتاج فيها الى القياس لعدم دلالة النصوص
عليها فانما هذا قول من لا معرفة له بالكتاب والسنة ودلالاتهما على الاحكام
وقد قال الامام أحمد رضى الله عنه انه مامن مسألة الا وقد تكلم
فيها الصحابة أو في نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت
جميع أجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة وانما تكلم بعضهم
بالرأى في مسائل قليلة والاجماع لم يكن يحتاج به عامتهم ولا يحتاجون
اليه اذ هم أهل الاجماع فلا اجماع قبلهم لكن لما جاء التابعون كتب عمر
الى شريح اقض بما في كتاب الله فان لم تجر فيما في سنة رسول الله فان لم
تجد فيما به قضى الصالحون قبلك وفي رواية فيما أجمع عليه الناس وعمر
قال قدم الكتاب ثم السنة وكذلك ابن مسعود قال مثل ما قال عمر
قدم الكتاب ثم السنة ثم الاجماع وكذلك ابن عباس كان يفتى بما في

الكتاب ثم بما في السنة ثم بسنة أبي بكر وعمر لقوله اقتدوا باللذين من
بعدي أبي بكر وعمر

وهذه الآثار ثابتة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وهم من
أشهر الصحابة لفتيا والقضاء وهذا هو الصواب ولكن طائفة من المتأخرين
قالوا يبدأ المجتهد بأن ينظر أولاً في الاجماع فان وجده لم يلتفت الي غيره
وان وجد نصاً خالاه اعتقد أنه منسوخ بنص لم يبلغه وقال بعضهم
الاجماع نسخته

والصواب طريقة السلف وذلك لان الاجماع اذا خالفه نص فلا بد
أن يكون مع الاجماع نص معروف به أن ذلك منسوخ فاما أن يكون
النص المحكم قد ضيعته الامة وحفظت النص المنسوخ فهذا لا يوجد قط
وهو نسبة الامة الي حفظ مانهيت عن اتباعه واضاعة ما أمرت باتباعه
وهي معصومة عن ذلك

ومعرفة الاجماع قد تعذر كثيراً أو غالباً فمن ذا الذي يحيط بأقوال
المجتهدين بخلاف النصوص فان معرفتها ممكنة متيسرة وهم انما كانوا يقضون
بالكتاب أولاً لان السنة لا ينسخ الكتاب فلا يكون في القرآن شيء
منسوخ بالسنة بل ان كان فيه منسوخ كان في القرآن ناسخه فلا يقدم
غير القرآن عليه ثم اذا لم يجد ذلك طلبه في السنة ولا يكون في السنة
شيء منسوخ الا والسنة نسخته لا ينسخ السنة اجماع ولا غيره ولا
تعارض السنة باجماع وأكثر ألفاظ الآثار فان لم يجد فالطالب قد لا يجد
مطلوبه في السنة مع أنه فيها وكذلك في القرآن فيجوز له ان لم يجد

في القرآن أن يطلبه في السنة وإذا كان في السنة لم يكن ما في السنة
معارضاً لما في القرآن وكذلك الاجماع الصحيح لا يعارض كتاباً ولا سنة

تم بحمد الله وعونه وصلواته على خير بريته محمد وآله

تمت الرسالة الثانية

وبلها الرسالة الثالثة البيان في نزول القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قال الامام العلامة المحقق أبو العباس أحمد بن تيمية)

(رحمه الله تعالى ورضى عنه)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد

(وآله وصحبه أجمعين)

(أما بعد فهذا) فصل في نزول القرآن ولفظ النزول حيث ذكر في كتاب الله تعالى فان كثيرًا من الناس فسروا النزول في مواضع من القرآن بغير ما هو معناه المعروف لاشتباه المعنى في تلك المواضع وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع فمن الجهمية من يقول انزل بمعنى خلق كقوله تعالى وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد أو يقول خلقه في مكان عال ثم أنزله من ذلك المكان ومن السكلاوية من يقول أنزله بمعنى الاعلام به وافهامه للملك أو نزول الملك بما فهمه

وهذا الذي قالوه باطل في اللغة والشرع والعقل والمقصود هنا ذكر النزول

فنقول وبالله التوفيق النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة انواع نزول مقيد بأنه منه ونزول مقيد بأنه من السماء ونزول غير مقيد لابهذا ولا بهذا

فالاول لم يرد الا في القرآن كما قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب

يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقال تعالى نزله روح القدس من ربك بالحق وقال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وفيها قولان أحدهما لا حذف في الكلام بل قوله تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره من الله العزيز الحكيم والثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا تنزيل الكتاب وعلى كلا القولين فقد ثبت أنه منزل منه وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم والتنزيل بمعنى المنزل تسمية للمفعول باسم المصدر وهو كثير ولهذا يقال القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدا قال أحمد وغيره واليه يمود أي هو المتكلم به وقال كلام الله من الله ليس ببائن منه أي لم يخلقه في غيره فيكون مبتدأ منزلاً من ذلك المخلوق بل هو منزل من الله كما أخبر به ومن الله بدا لا من مخلوق فهو الذي تتكلم به خلقه

وأما النزول المقيد بالسماء بقوله وأنزلنا من السماء والسماء اسم جنس لكل ماعلا فإذا قيد بشيء معين لقوله في غير موضع من السماء مطلق أي في العلو ثم قد بينه في موضع آخر بقوله أأنزلتموه من المزن وقوله فترى الودق يخرج من خلاله أي أنه منزل من السحاب وما يشبهه نزول القرآن قوله ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره الذي هو كلامه وكذلك تنزل الملائكة والروح فيها يناسب قوله فيها يفرق كل أمر حكيم أمر آمن عندنا أنا كنا مرسلين فهذا شبيهه بقوله قل نزله روح القدس

وأما المطابق ففي مواضع منها ما ذكره من أنزال السكينة لقوله
فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وقوله هو الذي أنزل السكينة
في قلوب المؤمنين الي غير ذلك

ومن ذلك أنزال الميزان ذكره مع الكتاب في موضعين وجمهور
المفسرين على أن المراد به العدل وعن مجاهد رحمه الله هو ما يوزن به
ولا منافاة بين القولين وكذلك العدل وما يعرف به العدل منزل في
القلوب والملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين لقوله اذ يوحى ربك الي
الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا فذلك الثبات نزل في القلوب بواسطة
الملائكة وهو السكينة قال النبي صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء
واسئعان عليه وكل اليه ومن لم يطلب القضاء ولم يسئعن عليه أنزل الله
عليه ملكا يسدده فالله ينزل عليه ملكا وذلك الملك يلهمه السداد وهو
ينزل في قلبه

ومنه حديث حذيفة رضى الله عنه الذي في الصحيحين عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله أنزل الامانة في جذر قلوب الرجال
فعلموا من القرآن وعلوموا من السنة والامانة هي الايمان أنزلها في
أصل قلوب الرجال وهو كإنزال الميزان والسكينة وفي الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله الحديث الي آخره فذكر أربعة عشر غشيان الرحمة
وهي أن تغشاهم كما يغشى الالباس لابسها وكما يغشى الرجل المرأة والليل

النهار ثم قال ونزات عليهم السكينة وهو انزالها في قلوبهم وحقهم الملائكة
أى جاست حولهم وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة

وذكر الله الغشيان في مواضع مثل قوله تعالى يغشى الليل النهار
وقوله فلما تغشاها حمت حملاً خفيفاً وقوله والمؤتفة أهوى فغشاها
ماغشى وقوله إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون هذا
كك فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم
ما يسرون وما يعلنون هذا كله فيه احاطة من كل وجه

وذكر تعالى انزال النعاس في قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم
أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم هذا يوم أحد وقال في يوم بدر إذ يغشاكم
النعاس أمنة منه والنعاس ينزل في الرأس بسبب نزول الابخرة التي
يدخل في الدماغ فتعقد فيحصل منها النعاس

وطائفة من أهل الكلام منهم أبو الحسن الأشعري ومن اتبعه من
أصحاب مالك والشافعي وأحمد جعلوا النزول والاتبان والمجىء حسداً
يحدثه منفصلاً عنه فذاك هو آتيانه واستواؤه على العرش فقالوا استواؤه
فعل يفعله في العرش يصير به مستويا من غير فعل يقوم بالرب لكن
أكثر الناس خالفوهم وقالوا المعروف أنه لا يجيء شيء من الصفات
والامراض الا بمجىء شيء فاذا قالوا جاء البرد وجاء الحر فقد جاء الهواء
الذي يحمل الحر والبرد وهو عين قائمة بنفسها واذا قالوا جاءت الحمى

فالحى حر وبرد تقوم بعين قائمة بسبب أخذ لاط تحرك وتحول من حال الى حال فيحدث الحر والبرد بذلك وهذا بخلاف العرض الذى يحدث بلا تحول من حامل مثل لون الفاكهة فانه لا يقل فى هذا جاء به الحمرة والصفرة والخضرة بل يقال أحمر وأصفر وأخضر واذا كان كذلك فانزله تعالى العدل والسكينة والنعاس والامانة وهذه صفات تقوم بالعباد انما تكون اذا افضى بها اليهم فاعيان قائمة توصف بالنزول كما توصف الملائكة بالنزول بالوحى والقرآن فاذا نزل بها الملائكة قيل انها نزلت

وكذلك لو نزل غير الملائكة كالهواء الذى نزل بالاسباب فيحدث الله منه البخار الذى يكون معه النعاس فكان قد أنزل النعاس سبحانه ما يحمله

وقد ذكر سبحانه انزال الحديد والحديد يخلق فى المعادن وما يذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آدم عليه السلام نزل من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكابنثان والميقعة والمطرفة والابرة فهو كذب لا يثبت مثله

وكذلك الحديث الذى رواه الثعلبي عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل أربع بركات من لسماء الى الارض فأنزل الحديد والماء والنار والملح حديث موضوع مكذوب فى اسناده سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثورى رحمه الله من الكذابين المعروفين بالكذب

قال ابن الجوزي هو سيف بن محمد ابن أخت سفيان الثوري يروي عن الثوري وعاصم الاحول والاعمش قال أحمد رحمه الله هو كذاب يضع الحديث وقال مرة ليس بشئ وقال يحيى كان كذابا خبيثا وقال مرة ليس بثقة ولا مأمون وقال الدار قطني ضعيف متروك والناس يشهدون ان هذه الامة تصنع من حديد المعادن ما يريدون فان قيل ان آدم عليه السلام نزل معه جميع الآلات فهذه مكابرة لاعيان وان قيل بل نزل معه آلة واحدة وتلك لا تعرف فأى فائدة في هذا لسائر الناس ثم ما يصنع بهذه الآلات اذا لم يكن ثم حديد موجود بطرق بهذه الآلات واذا خلق الله الحديد صنعت منه هذه الآلات مع أن المأثور ان أول من خط وخط ادريس عليه السلام و آدم عليه السلام لم يخط ثوبا فما يصنع بالابرة

ثم أخبر انه أنزل الحديد فكان المقصود الاكبر بذكر الحديد هو اتخاذ آلات الجهاد منه كالسيف والسنان والنصل وما أشبه ذلك الذي به ينصر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا لم ينزل من السماء فان قيل نزلت الآلة التي يطبع بها قيل فالله أخبر أنه أنزل الحديد لهذه المعاني المتقدمة والآلة وحدها لا تكفي بل لابد من مادة يصنع بها آلات الجهاد لكن لفظ النزول أشكل على كثير من الناس حتى قال قطرب رحمه الله معناه جملة نزلا كما يقال أنزل الامر على فلان نزلا حسنا أى جملة نزلا قال ومثله قوله تعالى وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وهذا ضعيف فان النزول انما يطلق على ما يؤكل لاعلى

ما يقابل به قال الله تعالى فنزل من حميم والضيافة سميت نزلا لان العادة ان الضيف يكون راكبا فينزل في مكان يؤتى اليه بضيافته فيه فسميت نزلا لاجل نزوله ونزل ببني فلان ضيف ولهذا قال نوح عليه السلام رب انزلي منزلا مباركا وانت خير المنزلين لانه كان راكبا في السفينة وسميت المواضع التي ينزل بها المسافرون منازل لانهم يكونون ركبانا فينزلون والمشاة سبع للركبان وتسمى المساكن منازل

وجعل بعضهم نزول الحديد بمعنى الخلق لانه اخرجهم من المعادن وعلمهم صنعته فان الحديد انما يخلق في المعادن والمعادن انما تكون في الجبال فالحديد ينزله الله من معادنه التي في الجبال لينتفع به بنو آدم وقال تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج

وهذا مما أشكل أيضا فمنهم من قال جعل ومنهم من قال خلق لكونها تخلق من الماء فان به يكون انبات الذي ينزل أصله من السماء وهو انشاء وقال قطرب جماناه نزلا ولا حاجة الى اخراج اللفظ عن معناه المعروف لانه فان الانعام تنزل من بطون أمهاتها ومن أسلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها ويقال للرجل قد أنزل الماء واذا أنزل وجب عليه الغسل مع أن الرجل غالب انزاله وهو على جنب اما وقت الجماع واما بالاحتلام فكيف بالانعام التي غالب انزالها مع قيامها على رجليها وارتفاعها على ظهور الاناث

ومما يبين هذا انه لم يستعمل النزول فيما خلق من السفليات فلم يقل أنزل النبات ولا أنزل المرعي وانما استعمل فيما يخلق في محل عال وأنزله

الله من ذلك المحل كالحديد والانعام

وقال تعالى يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا ليوارى سوا أنفسكم وريشا
الآية وفيها قرأتان أحدهما بالنسب فيكون لباس التقوى أيضا منزلا
وأما قراءة الرفع فلا وكلتاها حق وقد قيل خلقناه وقيل أنزلنا أسبابه
وقيل ألهمناهم كيفية صنمته وهذه الأقوال ضعيفة فان النبات الذي ذكروا
لم يجيء فيه لفظ أنزلنا ولم يستعمل في كل ما يصنع أنزلنا فلم يقل أنزلنا
الدور وأنزلنا الطبخ ونحو ذلك وهو لم يقل أنا أنزلنا كل لباس ورياش
وقد قيل ان الريش والرياش المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى
واحد مثل اللبس واللباس وقد قيل هما المال والحطب والمعاش وارتاش
فلان حسنت حالته

والصحيح ان الريش هو الاثاث والمتاع قال أبو عمرو والعرب تقول
أعطاني فلان ريشه أى كسوته وجهازه وقال غيره الرياش في كلام
العرب الاثاث وما ظهر من المتاع والثياب والفرش ونحوها وبعض
المفسرين أطلق عليه لفظ المال والمراد به مال مخصوص قال ابن زيد
جمالا وهذا لانه مأخوذ من ريش الطائر وهو ما يروش به ويدفع عنه
الحر والبرد وجمال الطائر ريشه وكذلك ما يبث فيه الانسان من الفرش
وما يبسطه تحته ونحو ذلك والقرآن مقصوده جنس اللباس الذي يلبس
على البدن وفي البيوت كما قال تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
الآية فامتن سبحانه بما ينفعون به من الانعام في اللباس والاثاث وهذا
والله أعلم معنى انزاله فانه ينزله من ظهور الانعام وهو كسوة الانعام من

الاصواف والاورار والاشعار ويتنفع به بنو آدم من اللباس والرياش
 فقد أنزلها عليهم وأكثر أهل الارض كسوتهم من جلود الدواب فهي
 لدفع الحر والبرد وأعظم مما يصنع من القطن والمكثان والله تعالي
 ذكر في سورة النحل انعامه على عباده فذكر في أول السورة أصول
 النعم التي لا يعيش بنو آدم الا بها وذكر في اثنائها تمام النعم التي لا يطيب
 عيشهم الا بها فذكر في أولها الرزق الذي لا بد لهم منه وذكر ما يدفع
 البرد من الكسوة بقوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنها تأكلون ثم
 في اثناء السورة ذكر لهم المساكن ومنافع التي يسكنونها مساكن الحاضرة
 والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالي والله جعل لكم من بيوتكم
 سكنا الآية ثم ذكر انعامه بالظلال التي تقيهم الحر واللباس فقال والله
 جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا لي قوله كذلك
 يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ولم يذكر هنا ما يقي من البرد لانه قد
 ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لان البرد يقتل فلا يقدر
 أحد أن يعيش في البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فانه أذى
 ولكنه لا يقتل كما يقتل البرد فان الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرها
 وأهلها أيضا لا يحتاجون الى وقاية كما يحتاج اليه ال دبل أدنى وقاية
 كقفهم وهم في الايسل وطرف في النهار ولا يتأذون به تأذيا كثيرا بل
 لا يحتاجون اليه أحيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله سراييل تقيكم
 الحر وسراييل تقيكم بأسكم ولا حذف في اللفظ ولا قصور في المعنى
 كما يفتره من لم يحسن القرآن بل لفظه أتم لفظ ومعناه أكمل المعاني

فاذا كان اللباس والرياش ينزل من ظهور الانعام وكسوة الانعام منزلة من الاصلاب والبطنون كما تقدم فهو منزل من الجهتين فانه على ظهور الانعام لا ينفع به بنو آدم حتى ينزل

فقد تبين ان ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول الا فيه معنى النزول المعروف هذا هو اللائق بالقرآن فانه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب منزولا الا بهذا المعنى ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لفظها ثم هو استمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان وهذا لا يجوز بما ذكرنا وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذي أخبر الله تعالى انه بيانه وجملة هدى للناس وليكن هذا آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا

وسئل أيضا رحمه الله تعالى عن عرض الاديان عند الموت هل لذلك أصل في الكتاب والسنة أم لا وقوله صلى الله عليه وسلم انكم لتفتنون في قبوركم ما المراد بالفتنة واذا ارتد العبد والعاياذ بالله تعالى هل يجازى باعماله الصالحة قبل الردة أم لا

الجواب الحمد لله أما عرض الاديان على العبد وقت الموت فليس هو أمرا عاما لكل أحد ولا هو أيضا منتفيا عن كل أحد بل من الناس من تعرض عليه الاديان ومنهم من لا تعرض عليه وقد وقع ذلك لاقوام وذلك كله من فتنة الحيا والممات التي أمرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا منها ما في الحديث الصحيح الذي أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن

نستعيد في صلاتنا من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن
 فتنة الحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال ولكن وقت الموت يكون
 الشيطان أحرص ما يكون على اغواء ابن آدم لانه وقت الحاجة وقد قال
 النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الاعمال بنحواتيها وقال
 صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
 وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل
 النار وان العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة ولهذا روى ان الشيطان
 أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت يقول لاعوانه دونكم هذا فانه
 ان فاتكم ان تظفروا به أبدا وحكاية عبد الله بن أحمد بن حنبل مع أبيه
 وهو يقول لا بعد لا بعد مشهورة ولهذا يقال ان من لم يحج يخاف عليه
 من ذلك لما روي أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال من ملك زاد او راحلة تباغها الى بيت الله الحرام ولم يحج فليمت
 ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت
 من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال عكرمة
 لما نزلت هذه الآية ومن يتبع غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه قالت
 اليهود والنصارى نحن مسلمون فقال الله لهم ولله على الناس حج البيت
 فقالوا لانحججه فقال الله تعالى ومن اكفر فان الله غني عن العالمين
 وأما الفتنة في القبور ففي الامتحان والاختبار لاميت حين يسأله
 الملكان فيقولان له ما ربك وما دينك ومن نبيك ويقولان له

ما كنت نقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبي ويقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمننا به واتبعناه فينهرانه انهارة شديدة وهي آخر فتنة التي يفتن بها المؤمن فيقولان له كما قال أولا

وقد تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وأنس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضی الله عنهم وهي عامة للمكلفين الا النبيين فقد اختلف فيهم وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين فقليل لا يفتنون لان المحنة انما تكون للمكلفين وهذا قول القاضي أبو يعلى وابن عقيل وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت وقيل بل يلقنون ويفتنون أيضا وهذا قول أبي حنيفة وأبي الحسن ابن عبيد ونقله عن أصحابه وهو مطابق لقول من يقول انهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره وهو مقتضى اصول الامام أحمد

وأما الردة عن الايمان بان يصير الرجل كافرا مشركا أو كتابيا فإنه اذا مات عنى ذلك والعياذ بالله تعالى حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع كقوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه خيبت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله

وقوله ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقوله لئن أشركت
ليحبطن عملك والمراد غير نبي صلى الله عليه وسلم ولكن التنازع فيما
إذا ارتد ثم عاد إلى الإسلام هل تحبط الأعمال التي عملها قبل الردة
ويجب عليه قضاءها أم لا تحبط إلا ذمات مرتداً على قولين مشهورين
هما قولان في مذهب الإمام أحمد والجبوط مذهب الإمامين مالك
وأبي حنيفة وهو الراجح والوقف مذهب الشافعي وتنازع الناس
أيضاً في المرتد هل يقال كان له إيمان صحيح فحبط بالردة أم يقال بل بالردة
سين أن إيمانه كان فاسداً وإن الإيمان الصحيح لا يزول البتة على قولين لطوائف
من الناس وعلى ذلك ينبغي قول المستثنى أنا مؤمن إن شاء الله

هل يعود الاستثناء إلى كمال الإيمان في الحال أو

يعود لي الموافقة في المال والله أعلم قاله

أحمد بن تيمية أحسن الله

جزاء وتوفيقه

تمت الرسالة الثالثة ❦

❦ ويلها الرسالة الرابعة له أيضاً ❦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال أبي القاسم القاسم بن يوسف بن محمد التجيبي السبتي يتفضل
سيدنا الشيخ الفقيه الامام الفاضل العالم بقية السلف قدوة الخلف المبدع
المغرب المغرب المنفصح أعلم من اقيمت ببلاد المشرق والمغرب تقي الدين
أبو العباس أحمد بن تيمية أبقى الله علينا بركته بأن يوصيني بما يكون فيه
صلاح ديني ودنياي ويرشدني الي كتاب يكون عليه اعتمادي في علم
الحديث وكذلك في غيره من العلوم الشرعية وينبهي على أفضل الاعمال
الصالحة بعد الواجبات ويبين لي أرجح المكاسب كل ذلك على قصد
الايام والاختصار والله تعالى يحفظه والسلام الكريم عليه ورحمة الله وبركاته
قال شيخ الاسلام بحر العلوم ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه
الحمد لله رب العالمين (اما الوصية) فما أعلم وصية أنفع من وصية الله
ورسوله لمن عقلها واثبها قال الله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم أن اتقوا الله ووصي النبي صلى الله عليه وسلم معاذ لما
بعثه الي اليمن فقال يا معاذ اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها
وخالق الناس بخلق حسن وكان معاذ رضى الله عنه من انبي صلى الله
عليه وسلم بمنزلة عليه فانه قال له يا معاذ والله اني لأحبك وكان يردفه
وراءه وروي فيه أنه أعلم الامة بالحلل والحرام وأنه يحشر أمام العلماء
برتوة أي بخطوة ومن فضله بعثه النبي صلى الله عليه وسلم مباحا عنه
داعيا ومنقها ومفتيا وحاكما الي أهل اليمن وكان يشبهه براهيم الخليل
عليه السلام وراهيم امام الناس وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول
ان معاذ كان أمة قانتا حنيفاً ولم يك من المشركين تشبهاً له براهيم ثم

أنه وصاه هذه الوصية فعلم أنها جامعة وهي كذلك لمن عقلها مع أنها
تفسير الوصية القرآنية

أما بيان جمعها فلان العبد عليه حقن حق لله عز وجل وحق
لعباده ثم الحق الذي عليه لا بد أن يخل ببعضه أحياناً ما ترك مأموراً به أو
فعل منهي عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت وهذه
كلمة جامعة وفي قوله حيثما كنت تحقيق لحاجته الى التقوي في السر
والعلانية ثم قال وأتبع السيئة الحسنة تمجها فان الطيب متى تناول
المريض شيئاً مضرراً أمره بما يصاحبه والذنب للعبد كأنه أمر حتم فاليكس
هو الذي لا يزال يأتي من الحسنات بما يمججها والسيئات وانما قدم في لفظ الحديث
السيئة وان كانت مفعولة لان المقصود هنا محوها لا فعل الحسنة فصار
كقوله صبوا على بوله ذنوباً من ماء

ويبغي أن تكون الحسنات من جنس السيئات فانه أبلغ في المحو
والذنوب يزول موجبها بإشياء * أحدها التوبة * والثاني الاستغفار من غير
توبة فان الله تعالى قد يغفر له اجابة لدعائه وان لم يتب فاذا اجتمعت التوبة
والاستغفار فهو الكمال * الثالث الاعمار الصالحة المدفوعة أما الكفارات
المقدرة كما يكفر الحجاج في رمضان والمظاهر والمرتكب لبعض محظورات
الحج أو تارك بعض واجباته أو قاتل الصيد بالكفارات المقدرة وهي
أربعة أجناس هدي وعتق وصدقة وصيام وأما الكفارات المطلقة كما
قال حذيفة لعمر فتنه الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة
والصيام والهدية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد دل على

ذلك القرآن والاحاديث الصحاح في التكفير بالصلوات الخمس والجمعة والصيام والحج وسائر الاعمال التي يقال فيها من قال كذا وعمل كذا غفر له أو غفر له مائة قدم من ذنبه وهي كثيرة لمن تلقاها من السنن خصوصاً ما صنف من فضائل الاعمال

واعلم أن العناية بهذا من أشد ما بالانسان الحاجة اليه فان الانسان من حين يبلغ خصوصاً في هذه الازمنة ونحوها من أزمنة الفترات التي تشبه الجاهلية من بعض الوجوه فان الانسان الذي ينشأ بين أهله علم ودين قد يتلطف من أمور الجاهلية بعدة أشياء فكيف بغير هذا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه لتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن هذا خبر تصديقه في قوله تعالى فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا ولهذا شواهد في الصحاح والحسان وهذا أمر قد يسرى في المنتسبين الى الدين من الخاصة كما قال غير واحد من السلف منهم ابن عيينة فان كثيراً من أحوال اليهود قد ابتلي به بعض المنتسبين الى العلم وكثيراً من أحوال النصارى قد ابتلي به بعض المنتسبين الى الدين كما يبصر ذلك من فهم دين الاسلام الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ثم نزل على أحوال الناس واذا كان الامر كذلك فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكان ميتاً فأحياه الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس لا بد أن يلاحظ أحوال الجاهلية

وطرفي الامتين المغضوب عليهم والضاكين من اليهود والنصارى فيرى
أن قد ابتلى ببعض ذلك

فأنفع ما للخاصة والعامة العلم بما يخلص النفوس من هذه الورطات
وهو اتباع السيئات الحسنات والحسنات مانب الله اليه على لـ ان خاتم
النبيين من الاعمال والاخلاق والصفات وما يزيل موجب الذنوب
المصائب المكفرة وهي كل ما يؤلم من هم أو حزن أو أذى في مال أو
عرض أو جسد أو غير ذلك لكن ليس هذا من فعل العبد

فلما قضي بهاتين الكلمتين حق الله من عمل الصالح واصلاح
الفاسد قال وخالق الناس بخاق حسن وهو حق الناس

وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسـ الام
والاكرام والدعاء له ولا تغفار والتناء عليه والزياره له وتعطي من
حرمك من اتعلم والمنفعة والمال وتعفو عن ظلمك في دم أو مال أو
عرض وبعض هذا واجب وبعضه مستحب

وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمد آ صلى الله عليه وسلم
فهو الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقاً هكذا قال مجاهد وغيره
وهو تأويل القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
وحقيقة المبادرة الى امثال ما يحب الله تعالى بطيب نفس وانسراح صدر
وأما بيان ان هذا كله في وصية الله فهو ان اسم تقوى الله يجمع
فعل كل ما أمر الله به ايجاباً واستحباباً وما نهى عنه تحريماً وتنزيهاً وهذا
يجمع حقوق الله وحقوق العباد لكن لما كان تارة يعنى بالتقوى خشية

العذاب المقضية للانكفاف عن المحارم جاء منسراً في حديث معاذ
وكذلك في حديث أبي هريرة رضى الله عنهم ما الذى رواه الترمذى
وصححه قيل يارسول الله ما أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله
وحسن الخلق وقيل ما أكثر ما يدخل الناس النار قال الأجو فان القم
وانفرج وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً
فجعل كل الايمان في كمال حسن الخلق ومعلوم أن الايمان كله تقوى
الله وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع فانها الدين
كله لكن ينبوع الخير وأصله اخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في
قوله اياك نعبد و اياك نستعين وفي قوله فاعبده وتوكل عليه وفي قوله
عليه توكلت واليه اذئب وفي قوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه
واشكروا له بحيث يتطع العبد تعاقى قابه من المخلوقين انتفاعهم أو عملاً
لاجلهم ويجعل همته ربه تعالى وذلك بالازمة الدعاء له في كل مطلوب
من فاقة وحاجة ومخافة وغير ذلك والعمل له بكل محبوب ومن أحكم
هذا فلا يمكن أن يوصف ما يعقبه ذلك

وأما نسألت عنه من أفضل الاعمال بعد الفرائض فانه يختلف
باختلاف الناس فيما يقدرون عليه وما يناسب أوقاتهم فلا يمكن فيه جواب
جامع مفصل لكل أحد لكن مما هو كالأجماع بين العلماء بالله وأمره
ملازمة ذكر الله دائماً هو أفضل ما شغل العبد به نفسه في الجملة وعلى
ذلك حديث أبي هريرة الذى رواه مسلم سبق المفردون قالوا يارسول

الله ومن المفردون قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات وفيما رواه أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ومن أن تلقوا عدوكم فضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله والدلائل القرآنية والإيمانية بصراً وخبراً ونظراً على ذلك كثيرة وأقل ذلك أن يلزم العبد الأذكار الماثورة عن معلم الخير وإمام المتقين صلى الله عليه وآله وسلم الأذكار المؤقتة في أول النهار وآخره وعند أخذ المضجع وعند الاستيقاظ من المنام وأدبار الصلوات والأذكار المقيدة مثل ما يقال عند الأكل والشرب واللباس والجماع ودخول المنزل والمسجد والخلاء والخروج من ذلك وعند المطر والرعد إلى غير ذلك وقد صنفت له الكتيب المسماة بعمل يوم وليلة ثم ملازمة الذكر مطلقاً وأفضله لا اله الا الله وقد تمرض أحوال يكثر بقاء الذكر مثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله أفضل منه ثم يعلم ان كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب الى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر معروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله ولهذا من استعمل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جالس مجاساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقها فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله وعلى ذلك اذا تدبرت لم تجد بين الاولين في كلماتهم في أفضل الاعمال كبير اختلاف وما اشبهه أمره على العبد فعليه بالاستخارة المشروعة فما ندم من استخار

الله تعالى وليكثر من ذلك ومن الدعاء فانه مفتاح كل خير ولا يهمل
فيتول قد دعوت فلم يستجب لى ولينجر الاوقات الفاضلة كآخر الليل
وأدبار الصلوات وعند الاذان ووقت نزول المطر ونحو ذلك

(وأما أرجح المكاسب) فالنوكل على الله والثقة بكفايته وحسن
الظن به وذلك أنه ينبغي للمهتم بأمر الرزق أن يلجأ فيه الى الله ويدعوه
كما قال سبحانه فيما يأتى عنه نبيه كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني
أطعمكم يا عبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أ كسكم وفيما
رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يسره لم يتيسر وقد قال الله تعالى فى كتابه واسألوا الله من فضله
وقال سبحانه فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل
الله وهذا وان كان فى الجمعة فمعناه قائم فى جميع الصلوات ولهذا والله أعلم
أمر النبى صلى الله عليه وسلم للذي يدخل المسجد أن يقول اللهم افتح
لى أبواب رحمتك واذا خرج أن يقول اللهم انى أسألك من فضلك وقد
قال الخليل صلى الله عليه وسلم فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا
له وهذا أمر والامر يقتضى الايجاب فلا سعة باله واللاجأ اليه فى أمر
الرزق وغيره أصل عظيم

ثم ينبغى له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه
باشراف وهاع بل يكون المال عنده بمنزلة الخلاء الذي يحتاج اليه من
غير أن يكون له فى انقلب مكانة والسعى فيه اذا سعى كاصلاح الخلاء

وفي الحديث المرفوع رواه الترمذى وغيره من أصبح والدنيا أكبر
 همه شئت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته ولم يأت به من الدنيا الا ما كتب
 له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جمع الله عليه شمله وجعل غناه في
 قلبه وأتته الدنيا وهي راعمة وقال بعض الساف أنت محتاج الى الدنيا وأنت
 الى نصيبك من الآخرة أحوج فان بدأت بنصيبك من الآخرة مر على
 نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
 الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق
 ذو القوة المتين

فأما تعيين مكسب علي مكسب من صناعة أو تجارة أو بناية أو حراثة
 أو غير ذلك فهذا مختلف باختلاف الناس ولا أعلم في ذلك شيئا عاما
 لكن اذا عن للانسان جهة فليستخر الله تعالى فيها الاستخارة المتلقاة
 عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم فان فيها من البركة ما لا يحاط به ثم
 ما تيسر له فلا يتكلف غيره الا أن يكون منه كراهة شرعية

وأما ما تعتمد عليه من الكتب في العلوم فهذا باب واسع وهو أيضا
 يختلف باختلاف نشأ الانسان في البلاد فتد يتيسر له في بعض البلاد من
 العلم أو من طريقه ومذهبه فيه ما لا يتيسر له في بلد آخر لكن جماع الخير
 أن يستعين بالله سبحانه في تلقي العلم الموروث عن النبي صلى الله عليه وسلم
 فانه هو الذي يستحق أن يسمى علما و ما سواه اما أن يكون علما فلا
 يكون نافعا واما أن لا يكون علما وان سمي به ولان كان علما نافعا فلا بد
 أن يكون في ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ما بغنى عنه مما هو مثله وخير

منه ولتكن همته فهم مقاصد الرسول في أمره ونهيه وسائر كلامه فاذا
اطمأن قلبه أن هذا هو مراد الرسول فلا يعدل عنه فيما بينه وبين الله
تعالى ولا مع الناس اذا أمكنه ذلك

وليجهد أن يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل ما ثور عن النبي
صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه الناس فليدع
بمرواه مسلم في صحيحه عن عائته رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل اللهم رب جبريل وميكائيل
واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك أنت
تهدي من تشاء الى صراط مستقيم فان الله تعالى قد قال فيما رواه عنه
رسوله يا عبادي كل من ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم

وأما وصف الكتب والمصنفين فقد سمع منافي أثناء المذاكرة
ما يسره الله سبحانه وما في الكتب المصنفة المبوبة كتات أنفع من صحيح
محمد بن اسماعيل البخاري لكن هو وحده لا يقو بأصول العلم ولا
يقوم بتمام المقصود للمتبحر في أبواب العلم اذ لابد من معرفة أحاديث
أخر وكلام أهل الفقه وأهل العلم في الامور التي يختص بعلمها بعض
العلماء وقد أوعت الامة في كل فن من فنون العلم ايعابا من نور الله
قلبه هداه بما يبلغه من ذلك ومن أعماه لم تزد كثره الكتب الاحيرة
وضلالا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن لبيد الانصاري أوليت
التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا اتقى عنهم فاسأل الله

العظيم أن يرزقنا الهدى والسداد ويأمننا رشدنا ويقينا شر أنفسنا وأن
لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ويهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب
والحمد لله رب العالمين وصلواته على أشرف المرسلين
﴿ وجد بأصله مانصه ﴾

سمع هذه الوصية على مصنفها شيخنا امام الائمة الاعلام شيخ الاسلام
سيد الحفاظ والمحدثين قدوة المسلمين مفتي الفرق علم الهدى تقي الدين
أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله
عنه أخوه الامام العالم شرف الدين أبو محمد عبد الله والشيخ الامام
العالم الزاهد شمس الدين محمد بن أبي العباس الدباهي وعز الدين عبد
العزیز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام بن تيمية ونور الدين
محمد بن شرف الدين محمد بن علاء الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق
الانصاري ابن الصائغ والشيخ أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر الرحبي
الكنثاني وزين الدين عبادة بن عبد الغني بن منصور بن منصور بن
ابراهيم بن سلامة الحراني وجرير بن سعيد بن حميد الغساني وعبد المجيد
ابن محمود بن أحمد الجيلي وناصر الدين محمد بن أحمد بن عبد الغني بن
العلائ الحراني وذلك بقراءة القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي في ليلة
ثالث شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وثمانمائة بدار الحديث

بالتصاعين بدمشق والحمد لله رب العالمين ولا حول

ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلي الله على

محمد وآله وصحبه وسلم انتهى

تمت الرسالة الرابعة ويلها الخامسة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسئلة في النية في لطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك فهل محل ذلك القلب أم اللسان وهل يجب أن يجهر بالنية أم يستحب ذلك أو قال أحد من المسلمين ان لم يفعل ذلك بطلت صلاته وغيرها أو قال أحد ان صلاة الجاهر أفضل من صلاة المخافت اماما كان أو مأموما أو منفردا والتلفظ بها هل هو واجب أو لا أو قال أحد من الائمة الاربعة أو غيرهم من أئمة المسلمين ان لم يتلفظ بالنية بطلت صلاته وان كانت غير واحة فهل يستحب التلفظ بها وما السنة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلقاء الراشدون في ذلك واذا أصر على الجهر بها معتقدا أن ذلك مشروع فهل هو مبتدع مخالف لشريعة الاسلام وهل يستحق التعزير على ذلك والعقوبة عايه اذا لم ينهه أم لا

فأجاب عنها الشيخ الامام العالم الزاهد العابد الورع شيخ الاسلام مفتي الانام أوحد عصره وفريد دهره تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضى الله عنه وأرضاه في شهر صفر سنة خمس وعشرين وسبعمائة وهو في دمشق المحروسة

الحمد لله رب العالمين * محل النية القلب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين في جميع العبادات الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والعتق والجهاد وغير ذلك ولو تكلم بلسانه بخلاف ما نوى في قلبه كان الاعتبار بما نوى لا بما لفظ ولو تكلم بلسانه بالنية ولم تحصل النية في قلبه

لم يجوز ذلك باتفاق أئمة المسلمين فان النية هي من جس القصد والعزم
تقول العرب نواك الله بخير أى قصدك بخير وقول النبي صلى الله عليه
وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوي فمن كانت هجرته الى
الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها
أو الى امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه مراده صلى الله عليه
وسلم بالنية النية التي في القاب دون اللسان باتفاق أئمة المسلمين الائمة
الاربعة وغيرهم وسبب الحديث يدل على ذلك فان سببه ان رجلا
هاجر من مكة الى المدينة ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فسمى مهاجر
أم قيس فخطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس على المنبر وذكر هذا
الحديث فهذا كانت نيته في قلبه

والجهر بالنية لا يجب ولا يستحب باتفاق المسلمين ولا تبطل صلاة
من لم يجهر بها عند أحد من المسلمين بل الجهر بالنية مبتدع مخالف
للشريعة اذا فعل ذلك معتقدا انه من الشرع فهو جاهل ضال مستحق
التعزير والعقوبة على ذلك اذا أصر على ذلك بعد تعزيره والبيان له
لا سيما اذا أدى من الى جانبه برفع صوته أو كرر ذلك مرة بعد مرة
فانه يستحق التعزير البليغ على ذلك ولم يقل أحد من المسلمين ان
صلاة الجهر أفضل من صلاة الخفاة بها سواء كان اماما أو مأموما
أو منفردا وأما التلظظ بها سرا فلا يجب أيضا عند الائمة الاربعة وسائر
أئمة المسلمين ولم يقل أحد من الائمة ان التلظظ بالنية واجب لافي طهارة
ولا صلاة ولا صيام ولا حج ولا يجب على المصلي أن يقول بلسانه أصلي

الظهر أو العصر ولا يقول اماما ولا مأموما ولا يقول بلسانه فرضا ولا نفلا ولا غير ذلك بل يكفي أن تكون نيته في قلبه والله يعلم في اقلوب وكذلك نية الغسل من الجنابة والوضوء يكفي فيه نية القلب وكذلك نية الصيام في رمضان لا يجب على أحد أن يقول بلانه أنا صائم غدا باتفاق الائمة بل يكفي نية قلبه والنية تبليغ العلم فمن علم ما يريد أن يفعله فلا بد أن ينويه فاذا علم المسلم ان غدا من رمضان فهو ممن يصوم رمضان فلا بد أن ينوي الصيام فاذا علم ان غدا العيد لم ينو الصيام تلك الدلية وكذلك الصلاة اذا علم ان الصلاة القائمة صلاة الفجر أو الظهر وهو يعلم انه يريد صلاة الفجر أو الظهر فانه انما ينوي تلك الصلاة لا يمكنه ان يعلم انها الفجر وينوي الظهر وكذلك اذا علم انه يصلي اماما أو مأموما فانه لا بد أن ينوي ذلك وان علم انه يصلي وحده فلا بد أن ينوي ذلك والنية يتبع العلم والاعتقاد اتباعا ضروريا اذا كان يعلم ما يريد أن يفعله فاذا كان يعلم انه يريد أن يصلي الظهر وقد علم ان تلك الصلاة صلاة الظهر امتنع أن يقصد غيرها ولو اعتقد ان الوقت باق فنوى الصلاة في وقتها فتبين ان الوقت قد خرج اجزائه صلواته باتفاق الائمة ولو اعتقد انه خرج فنوى الصلاة بمد الوقت فتبين انها في الوقت اجزائه الصلاة باتفاق الائمة واذا كان قصده أن يصلي خلف الامام بعينه مثل زيد فكان الامام غيره لم يكن قد صلى خلف ذلك وانما اذا كان قصده ان يصلي خلف الامام الحاضر أى امام كان واعتقد انه زيد فظهر انه عمر لم يضره ذلك وكذلك لو كان مقصوده أن يصلي على الجنيزة الحاضرة أى جنازة كانت

فظنها رجلا فكانت امرأة صحت صلاته بخلاف ما اذا كان مقصوده أن لا يصلى الا على من يعتقد أنه فلان فصلى على من يعتقد أنه فلان فتبين غيره فانه هنا لم يقصد الصلاة على ذلك الحاضر

والمقصود هنا ان التلفظ بالنية لا يجب عند أحد من الأئمة ولكن يعض المتأخرين خرج وجهها من مذهب الشافعي لوجوب ذلك غلطه جماهير أئمة أصحاب الشافعي وكان غلطه ان الشافعي قال ان الصلاة لا بد من النطق في أولها فظن هذا الغالط ان الشافعي أراد النطق بالنية ففعله أصحاب الشافعي جميعهم ولكن التلفظ بها هل هو مستحب أم لا فيه قولان معروفان للفقهاء منهم من استحب التلفظ بها كما ذكر ذلك من ذكره من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وقالوا التلفظ بها أوكد واستحبوا التلفظ بها في الصلاة والصيام والحج وغير ذلك ومنهم من لم يستحب التلفظ بها كما قال ذلك من قاله من أصحاب مالك وأحمد وغيرها وهذا هو المنصوص عن مالك وأحمد وغيرها من الأئمة وقال أبو داود قلت لأحمد أتقول قبل التكبير شيئا قال لا وهذا القول هو الصواب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول قبل التكبير شيئا ولم يكن يتلفظ بالنية لاني الصلاة ولا في الحج ولا غيرها من العبادات ولا خلفاؤه ولا أمر أحدنا أن يتلفظ بالنية بل قال لمن علمه الصلاة اذا قامت الى الصلاة فكبر وكان اذا قام الى الصلاة كبر كما في الصحيحين عن عائشة رضی الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير ويفتتح القراءة بالحمد لله رب العالمين ولم يتلفظ قبل التكبير

بنية ولا غيرها ولا علم ذلك أحدا من المسامحين ولو كان ذلك مستحبا
لفعله وإمامه للمسلمين وكذلك في الحج إنما كان يفتح الاحرام بالتلبية
ويشرع للمسلمين أن يلبوا في أول الحج وقال لضباعة بنت الزبير حجى
واشترطى فقولي ابيك اللهم ليك ومحلي حيث حبستنى فأمرها أن
تشرط بعد التلبية ولم يشرع لاحد أن يقول قبل التلبية شيئا ليقول
اللهم انى أريد العمرة أو الحج أو العمرة والحج ولا أن يقول فيسره
على وتقبل منى ولا أن يقول نويت الحج والعمرة أو نويتهما جميعا
ولا أن يقول أحرمت لله ولا غير ذلك من العبارات ولا أن يقول قبل
التلبية شيئا بل جعل التلبية في الحج كالتكبير في الصلاة وكان هو وأصحابه
يقولون فلان أهل بالحج أهل بالعمرة وأهل بها كما يقال كبر للصلاة
والاهلال رفع الصوت بالتلبية وكان يقول في تلبيته ليك عمرة وحجبا
فيسمى ما يريد فماله بعد التلبية لاقبلها وجميع ما أحدثه الناس من التناظر
بانية قبل التكبير وقبل التلبية وفي الطهارة وسائر العبادات فهي البدع
التي لم يشرعها وكل ما يحدث في العبادات المشروعة من الزيادات التي
لم يشرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان يداوم في العبادات
على تركها ففعلها والمداومة عليها بدعة وضلالة من وجهين من حيث
اعتقاد المعتقدان ذلك مشروعا مستحبا يكون فعله خيرا من تركه مع
أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعله البتة فينبغى حقيقة هذا القول
أن ما فعلناه أكمل وأفضل مما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
سأل رجل مالك بن أنس عن الاحرام قبل الميقات فقال أخاف نايه

الفتنة فقال له السائل وأي فتنة في ذلك وإنما هي زيادة امتثال في طاعة الله فقال وأي فتنة أعظم من أن تظن في نفل أنك خصصت بفضل لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم

وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال من رغب عن سنتي فليس مني أي من ظن أن غير سنتي أفضل من سنتي فرغب عما سننته معتقدا أن ما رغب فيه أفضل مما رغب عنه فليس مني (ألا) إن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد) كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب بذلك يوم الجمعة فمن قال إن هدي غير محمد أفضل من هدي محمد فهو مفتون ضال قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وهو قد أمر المسلمين باتباعه وأن يعتقد وجوب ما أوجبه واستحباب ما أحبه وأنه لأفضل من ذلك فمن لم يعتقد هذا فقد عصى أمره وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قد هلك المنتظمون قالها ثلاثا وقال أبي بن كعب وابن مسعود اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أنه قال صلاة السفر ركعتان من خالف السنة فقد كفر أي من اعتقد أن الركعتين في السفر لا تجزئ المسافر فقد كفر

الوجه الثاني من حيث مداومة على خلاف ما داوم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات فإن هذا بدعة باتفاق الأئمة وإن ظن

الظان ان فيه زيادة خير كما أحدث بعض المتقـدمين الاذان والاقامة في العيدين فهني عن ذلك وكرهه أئمة الاسلام وكما لو صلى عقب السعي ركعتين قياـسا على ركعتي الطواف وقد استحـب ذلك بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي واستحب بعض المتأخرين من أصحاب أحمد في الحاج اذا دخل المسجد الحرام أن يفتتح بحية المسجد بخالف الأئمة والسنة وانما السنة أن يفتتح المحرم بالطواف كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المسجد بخلاف المقيم الذي يريد الصلاة فيه دون الطواف فهذا اذا صلى تحية المسجد فحسن

وفي الجملة فالنبي صلى الله عليه وسلم قد أكمل الله له ولأمته الدين وأتم عليهم به النعمة فمن جعل عملا واجبا ما لم يوجبه الله ورسوله أو مستحبا ما لم يستحبه الله ورسوله فهو غلط كما أن جعل حراما أو مكروها ما لم يحرمه الله ورسوله أو لم يكرهه الله ورسوله فهو غلط فجماع الدين لا حرام الا ما حرمه الله ورسوله ولا دين الا ما شرعه الله ورسوله ومن خرج عن هذا وهذا فقد دخل في حزب من شرع من الدين ما لم يأذن به الله وحرّم ما لم يحرمه الله وهذا من دين أهل الجاهلية المخالفين للرسول الذين ذمهم الله في سورة الانعام والاعراف وغيرها من السور حيث شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله وحرّموا ما لم يحرمه الله وأحلوا ما حرمه الله فذمهم الله وعابهم علي ذلك فلهذا كان دين المؤمنين بالله ورسوله ان الاحكام الخمسة الايجاب والاستحباب والتحليل والكرهية والتحرّم لا تؤخذ الا عن الله ورسوله فلا واجب الا

ما أوجبه الله ورسوله ولا مستحباً إلا ما أحبه الله ورسوله ولا حلال
 إلا ما أحله الله ورسوله ولا مكروه إلا ما كرهه الله ورسوله ولا محرم
 إلا ما حرمه الله ورسوله فمن ذلك ما اتفق عليه أئمة الدين ومنه ما تنازعوا
 فيه فما تنازعوا فيه رد إلى الله ورسوله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأرلى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ
 فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
 وأحسن تأويلاً وأما من تكلم بجهل وبما خالف اتفاق الأئمة ينهى عن
 ذلك ويؤدب على الإصرار كما يفعل بائنه من الجهال ولا يقتدى في
 خلاف الشريعة بأحد من أئمة الغلاة وإن كان مشهوراً بالفقه والعلم بل
 يسأل عما عنده من العلم كما قال بعض الساف لانظر إلى عمل الفقيه
 ولكن سله يصدقك والحمد لله وحده

﴿﴾ وهذه فتوى أخرى في المسئلة السابقة ﴿﴾

سئل الشيخ الامام العالم العلامة شيخ الاسلام مفتي الانام تقي الدين
 أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية رضی
 الله عنه وأرضاه بالديار المصرية سنة ثمان وسبع مائة

في رجل يجهر بالنية ويقول أصلي فرض كذا وكذا ويعين الصلاة
 بعينها ويعتد الركعات بحيث يشوش على من إلى جانبه فأنكر عليه رجل
 وقال هذا لم يأمر الله به ولا رسوله فقال له بل هذا مما أمر الله به
 ورسوله وكان يجهر الامام بالتلاوة وهو يتراً خلفه فهل كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يفعلها أو أحد من الصحابة أو أحد من الأئمة

الأربعة وغيرهم فاذا لم يكن فعله أحد من أئمة المسلمين وعلمائهم فإذا
يجب على من ينسب هذا اليهم ويقول كل من يعمل في دينه ما يشتهي بل
أنت جاهل فيما تذكره انتهى

أجاب رضى الله عنه وأرضاه الحمد لله رب العالمين * الجهر بلفظ
النية ليس بمشروع ولا نقل ذلك أحد من علماء المسلمين ولا فعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الخلفاء الراشدين وأصحابه وسلف
الامة وأئمتها ومن ادعى أن ذلك دين الله أو أنه واجب فانه يجب تعريفه
الشريعة واتباعه من هذا القول فان أصر على ذلك قتل بل النية
الواجبة في العبادات كالوضوء والغسل والصلاة والصيام والزكاة والكنافة
 وغير ذلك محلها القلب باتفاق أئمة المسلمين اذ النية هي القصد والارادة
 والقصد والارادة محلها القلب دون اللسان باتفاق العقلاء فلونوى بقلبه
خلاف ما تكلم به بلسانه كانت العبارة بما نواه لا باللفظ ومتى نوى بقلبه
 ولم يتلفظ بلسانه صحت نيته عند الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين من
الاولين والآخرين وليس في ذلك خلاف عند أحد ممن يقتدي به ويفتي
بقوله ولكن بعض المتأخرين من أتباع الأئمة زعم ان اللفظ بالنية واجب
 ولم يقل ان الجهر بها واجب ومع هذا القول خطأ صريح مخالف
 لاجماع المسلمين انما علم بالاضطرار من دين الاسلام عند من يعلم سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه وكيف كان يصلى الصحابة
 والتابعون فان كل من يعلم ذلك يعلم أنهم لم يكونوا يتلفظون بالنية ولا
أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ولا علمه لاحد من أصحابه بل

قد ثبت في الصحيحين وغيرها أنه قال للاعرابي المسمى في صلته اذا
 قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن وفي اسنن عنه
 أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفي
 صحيح مسلم عن عائشة رضی الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
 يفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وقد ثبت بالنقل
 المتواتر واجماع المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كانوا
 يفتحون الصلاة بالتكبير ولم ينقل مسلم لاعن النبي صلى الله عليه وسلم
 ولا عن أحد من الصحابة أنه تلفظ قبل التكبير بلفظ النية لاجهراً
 ولا سرّاً ولا أنه أمر بذلك مع أنه من المعلوم أن الهمم والدواعي متوفرة
 على نقل ذلك لو كان وأنه يمتنع على أهل التواتر عادة وشراً كتمان نقل
 ذلك فاذا لم ينقله أحد علم قطعاً أنه لم يكن ولهذا يتنازع الفقهاء
 المتأخرون في التلفظ بالنية هل هو مستحب مع النية التي في القلب فاستحب
 طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد قالوا لانه أو كدواتم
 تحقيقاً للنية ولم يستحب طائفة من أصحاب مالك وأحمد وغيرهم بل رأوا
 أنه بدعة مكروهة قالوا لانه لو كان مستحباً لفعله رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ولأمر به فانه صلى الله عليه وسلم قد بين كل ما يقرب الى
 الله لاسيما الصلاة التي انما تؤخذ صفها عنه وقد ثبت عنه في الصحيح أنه
 قال صلوا كما رأيتموني أصلي فزيادة هذا وأمثاله في صفة الصلاة
 بمنزلة سائر الزيادات المحمدية في العبادات كمن زاد في العيدين الاذان

والاقامة ومن زاد في الهمي صلاة ركعتين على المروة وأمثال ذلك قالوا وأيضاً فان التلفظ بالنية فاسد في العقل فان قول القائل أنوى ان أفعل كذا وكذا بمنزلة قوله أنوى انى آكل هذا الطعام لاشييع وانى ألبس هذا الثوب لا يتر واثمال ذلك من النيات الموجودة في القلب التي يستتبع النطق بها وقد قال تعالى قل أنتم تعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الارض وقال طائفة من السلف في قوله انما نظامكم لوجه الله قالوا لم يقولوا بألسنتهم وانما علمه الله من قلوبهم وبالجملة فلا بد من النية في القلب بلا نزاع وأما التلفظ بها سر أفعال يكره أو يستحب فيه نزاع بين المتأخرين وأما الجهر بها فهو مكروه منهي عنه غير مشروع باتفاق المسلمين وكذلك تكريرها وسواء الامام والمأموم والمنفرد فكل هؤلاء لا يشرع لاحد منهم أن يجهر بلفظ النية ولا يكررها باتفاق المسلمين بل ينهون عن ذلك بل جهر المنفرد بالقراءة اذا كان فيه اذى لغيره لم يشرع كما خرج النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يصلون فقال أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بمضكم على بعض بالقراءة وأما المأموم فصفته المخافتة باتفاق المسلمين لكن اذا جهر أحيانا بشيء من الذكر فلا بأس كالامام اذا أسمعهم أحيانا الآية في صلاة السر فقد ثبت في الصحيح عن أبي قتادة أنه أخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان في صلاة الظهر والعصر يسمعهم الآية أحيانا وثبت في الصحيح ان من الصحابة المأمومين من جهر بدعاء حين افتتاح الصلاة وعند رفع رأسه من الركوع ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

ومن أصر على فعل البدع ومحسيتها فانه يذبحى أن يعزر أمزير أيرده
وأمثاله عن مثل ذلك ومن نسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الباطل خطأ فانه يعرف فان لم ينته عوقب ولا يحل لاحد أن يتكلم
في الدين بلا علم ولا يمين من تكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين
ماليس منه

وأما قول القائل كل من يعمل في دينه ما يشتهى فهي كلمة عظيمة
يجب أن يستتاب منها والا عوقب بل الاصرار على اعتقاد مثل هذه
الكلمة توجب القتل فليس لاحد أن يعمل في الدين الا ما شرعه الله
ورسوله دون ما يشتهيه ويهواه قال تعالى ومن أضل ممن اتبع هواه بغير
هدى من الله وان كثيراً يضلون باهوائهم بغير علم وقال ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله وقال ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل
وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى أفأريت من اتخذ الهه
هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم نحسب ان أ أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان
هم الا كالا نعم بل هم أضل سبيلاً وقد قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت
ويسلموا تسلماً وقد روى عنه أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن
أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به وقد قال تعالى ألم تر الى الذين
يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا
الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم
ضاللاً بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت

المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم
 من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى المص كتاب أنزل اليك فلا يكن
 في صدرك حرج منه وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم
 ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وقال تعالى ولوا تتبع الحق
 أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن وأمثال هذا في القرآن
 كثير يبين أن على العبد أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله ولا
 يجعل دينه تبعاً لهواه والله تعالى أعلم

وأجاب عن المسئلة المذكورة أيضا الشيخ الامام العالم قاضي
 القضاة جمال الدين أبو الريح سليمان بن عمر الشافعي رضي الله عنه وأرضاه
 الحمد لله رب العالمين الله الموفق * النية المعتبرة في الصلاة وجميع العبادات
 محلها القلب فلا يضر عدم النطق بها كما لو نوى بقلبه الظهر وسبق لسانه
 الي العصر ولا يكفي النطق بها مع غفلة القلب وإنما استحب بعض
 أصحابنا مساعدة اللسان القاب من غير جهر وقد سئذ صاحب الافصاح
 بما نقله عن بعض أصحابنا أنه لا بد من التلفظ بها في الصلاة وهو خلاف
 قول جمهور الاصحاب وأما الجهر بها وبالقرأة خلف الامام فليس
 من السنة بل مكروه فان حصل به تشويش على المصليين فحرام ومن
 قال بأن الجهر بلفظ النية من السنة فهو مخطئ ولا يحل له ولا لغيره
 أن يقول في دين الله تعالى بغير علم ولا يجوز لاحد اعانة من قال في
 الدين بغير علم وقوله كل من يعمل في دينه ما يشتهي فهذا قول جاهل
 يعزر على ذلك اذ ليس لاحد أن يعمل في دين الله تعالى الا ما شرعه

الله تعالى ورسوله ومن فعل غير ذلك فقد أتبع هواه نعوذ بالله تعالى من اتباع الهوى وقد تكرر في الكتاب العزيز الذم والانكار على من أتبع هواه وقد قال سبحانه وتعالى ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل وقال تعالى وان كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم الي غير ذلك مما ورد في لقرآن من أمثاله والله أعلم والحمد لله وحده

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحريري الانصارى عفا الله عنه * الحمد لله رب العالمين اللهم وفق والطف ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا أحد من أصحابه رضى الله عنهم ولا أحد من الائمة الاربعة ولا علماء المسلمين تفعل مثل ذلك والنية هي الارادة وشرط أن يعلم بقلبه أى صلاة يصلى أما الذكر باللسان فلا معتبر به ويحسن ذلك لاجتماع عزيمته فان زعم الفاعل لذلك أن هذا هو دين الله تعالى فقد كذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وأدخل في دين الله تعالى ما ليس فيه يستتاب بعد التعريف وتزاح عنه هذه الشبهة التي عرضت له فان تاب والاقبل بذلك والجمهور بالتلاوة خلف الامام لا يجوز ولا نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه والعلماء على خلافه ويجب تمزيهه على ذلك ولا يحمل لاحد أن يعينه على هذا ومن أعانه وجب تمزيهه وقوله كل من يعمل في دينه ما يشتهى فقد كذب على الشريعة المطهرة بل يجب علينا اتباع ما جاء به كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان اعتقد ان هذا

هو الدين فقد كفر بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فيستتاب فان
تاب والاقبل والحالة هذه والله أعلم
وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبو عبد الله
محمد بن أبي القاسم التواني المالكي رحمه الله تعالى الحمد لله اللهم ارحم ووفق
النية من أعمال القلوب فالجهر بها بدعة مع ما في ذلك من التشويش على
الناس وكذلك الجهر بالقرآن فيزجر عن ذلك ويلزم بالاتباع لسنة
وانكاره على المنكر عليه جهل ودعوي باطلة وقوله كل من يعمل في
دينه ما يشتهي فهذا أمر شنيع يقارب الكفر يجب تأديبه عليه وأن
يتوب منه ونهر ذبالة من الجهل واتباع الهوي ونسأله الهدى والعصمة
والله سبحانه وتعالى أعلم

وأجاب عنها الشيخ الامام العالم العلامة علاء الدين ابن العطار
عفا الله عنه الحمد لله لا يشرع تعيين عدد الركعات ولا الجماعة في النية
وأما التلغظ بها من غير تشويش فلا بأس به اذا كان مطابقا للقلب ولا
يشترط ولا يجب ورفع الصوت به مع التشويش على المصلين حرام اجماعا
ومع عدمه بدعة قبيحة فان تصدبه الرياء كان حراما من وجهين كبيرة
من الكبائر والمنكر عليه مصيب ومصوبه مخطيء ونسبته الى دين الله
تعالى اعتقادا ككفر وغير اعتقاد معصية ولا يحل ترك كل أحد ودينه
خصوصا اذا كان قدرة وعمله مخالفا لسنة بل يجب على كل مؤمن تمكن
في زجره مزجره ونهيه وردعه ولم ينقل هذا النقل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه ولا عن أحد ممن يقتدى به من علماء

الاسلام وأصل النية مشروع في جميع الاعمال الصلاة وغيرها ومحلها القلب وهل يشترط مقارنتها لاول العبادة بمعنى انها جزء العبادة أو لا يشترط ذلك ويجعلها شرط الصحة العبادة لا يضر تقدمها عليها مذهب الشافعي رحمه الله الاول ومذهب بعض أصحابه وجماعة من العلماء الثاني ومن فعل النية على ما ذكر في الاستفتاء فعمله غير صحيح قال معاذ بن جبل رضى الله عنه الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فيه أعلم أمتى بالحلال والحرام قال معاذ العمل الصالح هو الذى يسبفه العلم والنية والصبر والاخلاص مشتمل عليه فبكل

عمل لم يشتمل على هذه الاربعة فليس بصالح

ونية هذا الرجل ليس على وفق العمل

ولا قصد بها الصبر على مقتضاه

ولا اخلص فيها لله تعالى

والله يعلم المفسد

من المصلح

تمت الرسالة الخامسة

وبلها السادسة له أيضا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

سئل شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى عن العرش هل هو كرى أم لا فإذا كان كريا والله من ورائه محيط به بأن عنه فما فائدة ان العبد يتوجه الى الله تعالى حين دعائه فيقصد العلو دون التحت فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي ومع هذا نجد قلوبنا قصدا تطلب العلو لا تلتفت يمنة ولا يسرة فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فقد فطرنا عليها أدام الله النفع بكم وبعلموكم آمين

فأجاب رحمه الله تعالى بما نصه الحمد لله رب العالمين الجواب عن هذا السؤال بثلاث مقالات * احداها ان القائل الذي يقول لم يثبت بدليل يعتمد عليه ان العرش فلك من الافلاك المستديرة الكرية الشكل لا بدليل شرعي ولا بدليل عقلي وانما ذكر هذا طائفة من المتأخرين الذين نظروا في علم الهيئة وغيرها من الفلسفة فإوا ان الافلاك تسعة وان الناسع وهو الاطلس يحيط بها مستديرا كما تتدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية وان كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة ثم سمعوا من أخبار الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر عرش الله وكرسيه وذكر السموات السبع فقالوا بطريق الظن ان العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شيء اما مطلقا واما انه ليس وراءه مخلوق ثم ان منهم من رأى ان التاسع هو الذي يحرك الافلاك كلها فجعلوه مبدأ الحوادث وزعموا ان الله يحدث

فيه ما يقدره في الارض أو يحدثه في النفس التي زعموا انها متعلقة أو في العقل الذي زعموا انه الذي صدر عنه هذا الفلك وربما سماه بعضهم الروح وربما جعل بعضهم النفس هي الروح وربما جعل بعضهم النفس هي اللوح المحفوظ كما يجعل العقل هو القلم وتارة يحملون اللوح العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر أو النفس المتعلقة به وربما جعلوا ذلك بالنسبة الى الحق كالدماع بالنسبة الى الانسان يقدر فيه ما يفعله قبل أن يكون الى غير ذلك من المقالات التي شرحتها وبيننا فسادها في غير هذا الموضوع * ومنهم من يدعي انه علم ذلك بطريق الكشف والمشاهدة ويكون كاذبا فيما يدعيه وانما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليدا لهم أو موافقة لهم على طريقهم الفاسدة كما فعل أصحاب رسائل اخوان الفنا وأمثالهم * وقد يتخيل في نفسه ما يقدره عن غيره فيظنه كاشفا كما يتخيل النصراني التمثيل الذي يعتقد * وقد يرى ذلك في منامه فيظنه كاشفا وانما هو تخيل لما اعتقده وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة اذا ارتاضوا صقلت الرياضه نفوسهم فيتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كاشفا وقد بسطنا الكلام على هذا في غير ما وضع

والمقصود هنا ان ما ذكره من ان العرش هو الفلك التاسع قد يقال انه ليس لهم عليه دليل لاعقلى ولا شرعي أما العقل فان أئمة الفلافة مصرحون بأنه لم يقيم عندهم دليل على ان الافلاك هي تسعة فقط بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك ولكن داتهم الحركات والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكره وما لم يكن لهم دليل على ثبوته

فهم لا يعمون ثبوته ولا انتفاءه مثال ذلك انهم علموا ان هذا الكوكب
نحت هذا بان السـفلى يكسف العلوى من غير عكس فاستدلوا بذلك
على انه من فلك فوقه كما استدلوا بالحركات المختلفة على أفلاك مختلفة
حتى جمعوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كدفلك التدوير وغيره فاما
ما كان موجودا فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته فهم
لا يعلمون نفيه ولا اثباته بطريقهم وكذلك قول القائل ان حركة التاسع
مبدأ الحوادث خطأ وضلال على أصولهم فانهم يقولون ان الثامن له
حركة تخصه بما فيه من الثوابت واثلك الحركة قطبان غير قطبي التاسع
وكذلك السابع والسادس واذا كان لكل فلك حركة تخصه والحركات
المختلفة هي سبب الاشكال الحادثة المختلفة الفلكية فثلك الاشكال سبب
الحوادث السفلية كانت حركة التاسع جزء السبب لحركة غيره والاشكال
الحادثة في الفلك كمقارنة الكوكب لكوكب في درجة واحدة ومقابلته
له اذا كان بينهما نصف الفلك وهو مائة وثمانون درجة وتثليثه له اذا
كان بينهما ثلث الفلك وهو مائة وعشرون درجة وتربيعه له اذا كان
بينهما ربه تسعون درجة وتسديسه له اذا كان بينهما سدس الفلك
ستون درجة وأمثال ذلك من الاشكال انما حدثت بحركات مختلفة وكل
حركة ليست عن الاخرى اذ حركة الثامن التي تخصه ليست عن حركة
التاسع وان كان تابعا له في الحركة الكلية كالانسان المتحرك في السفينة
الى خلاف حركتها وكذلك حركة السامع التي تخصه ليست عن التاسع
ولا عن الثامن وكذلك سائر الافلاك فكيف يجوز أن يجمع على مبدأ

الحوادث كلها مجرد حركة التاسع كما زعمه من ظن انه العرش كيف
والفلك التاسع عندهم بسيط متشابه الاجزاء لاختلاف فيه أصلا فكيف
يكون سببا لامور مختلفة لبا اعتبار القوابل وأسباب آخر

ولكن هم قوم ضالون يجعلونه مع هذا ثلاثمائة وستين درجة
ويجعلون لكل درجة من الاثر ما يخالف الاخرى لاختلاف القوابل
كمن يحىء الى ماء واحد فيجعل لبعض اجزائه من الاثر ما يخالف
الآخر لا بحسب القوابل بل يجعل أحدا حزائه مسجنا والآخر مبردا
والآخر مسجدا والآخر مشقيا وهذا مما يعلمون هم وكل عاقل انه
باطل وضلال واذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر
فوق الافلاك التسعة كان الجزم بان ما اخبرت به الرسل من ان العرش
هو الفلك التاسع رجما بالغيب تماولا بلا علم هذا كله بتقدير ثبوت
الافلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة اذ في ذلك من النزاع
والاضطراب وفي أدلة ذلك ما ليس هذا موضعه وانما تتكلم على هذا
التقدير والافلاك في أشكالها واحاطة بعضها ببعض من جنس واحد
فدسبة السابعة الى السادسة كنسبة السادسة الى الخامسة واذا كان هناك
فلك تاسع فنسبته الى الثامن كنسبة الثامن الى التاسع

وأما العرش فلاخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وانه
ليس نسبة الى بعضها كنسبة بعضها الى بعض قال الله تعالى الذين
يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمدهم ويؤمنون به الآية
وقال سبحانه ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاخبر ان للعرش

حملة اليوم ويوم القيامة وان حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون
 للمؤمنين ومعلوم ان قيام ذلك من الافلاك بقدره الله تعالى كقيام
 سائر الافلاك لا فرق في ذلك بين كرة وكرة وان قدر أن لبعضها
 ملائكة في نفس الامر تحملها فحكم نظيره وقال تعالى وترى
 الملائكة حافين من حول العرش الآية فذكر هناك ان الملائكة تحف
 من حول العرش وذكر في موضع آخر ان له حملة وجمع في موضع
 ثالث بين حملته ومن حوله فقال الذين يحملون العرش ومن حوله
 وأيضا فقد أخبر ان عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات
 والارض كما قال تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام
 وكان عرشه على الماء وقد ثبت في صحيح البخاري رحمه الله تعالى عن
 عمر ان بن حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل
 شيء وخلق السموات والارض وفي رواية له كان الله ولم يكن شيء قبله
 وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر
 كل شيء وفي رواية غيره صحيحة كان الله ولم يكن شيء معه وكان عرشه
 على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء وفي صحيح مسلم رحمه الله تعالى عن
 عبدالله بن عمرو رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله قدر
 مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة انتهى

تمت الرسالة السادسة

ويطلب السابعة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من احمد ابن تيمية عفا الله عنه الي من يصل اليه هذا الكتاب من
المسلمين المنتسبين الي السنة والجماعة المنتمين الي جماعة الشيخ العارف
القدوة أبي البركات عدى بن مسافر الاموى رحمه الله ومن نحوهم
وفقههم الله لسلك سبيله وأعانهم علي طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم وجعلهم معتمدين بحبله المتين مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والسالحين وجنبهم طريق أهل
الضلال والاعوجاج الخارجين عما بهت الله به رسوله صلى الله عليه
وسلم من الشرعة والمنهاج حتي يكونوا ممن أعظم عليهم المنه بمتابفة
الكتاب والسنة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فانا نحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو وهو للحمد أهل وهو
على كل شئ قدير ونسأله أن يصلي علي خاتم النبيين وسيد ولد آدم
صلى الله عليه وسلم وأكرم الخلق علي ربه وأقربهم اليه زلفى وأعظمهم
عنده درجة محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا

أما بعد فان الله بهت محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا وأنزل عليه الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه وأكمل له ولايته
الدين وأتم عليهم النعمة وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون
ببين أمة هم خيرها وأكرمها على الله وجماعهم أمة وسطا أي عدلا

وخيارا ولذلك جعلهم شهداء على الناس هـداهم لما بعث به رسوله
 جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه ثم خصهم بعد ذلك بما
 ميزهم به وفضلهم من الشرعة والمنهاج الذي جعله لهم فالاولى من
 أصول الايمان وأعلاها وأفضلها هو التوحيد وهو شهادة أن لا اله الا
 الله كما قال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه أنه
 لا اله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا
 الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وأسأل من قد أرسلنا من قبلك
 من رسلا أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى شرع لكم
 من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم
 وموسى وعيسى وقال تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
 صالحا اني بما تعملون عليم واز هذه أمثكم أمة واحدة وأنا ربكم
 فاتقون ومثل الايمان بجميع كتب الله وجميع رسله كما قال تعالى قولوا
 آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
 والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق
 بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومثل قوله تعالى قل آمنت بما أنزل
 الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم ومثل قوله تعالى آمن الرسول
 بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
 ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك
 المير الى آخرها ومثل الايمان باليوم الآخر وما فيه من الثواب
 والمقاب كما أخبر عن ايمان من تقدم من مؤمنى الامم به حيث قال ان

الذين آمنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنزل أصول الشرائع كما ذكر في - ورة الانعام والاعراف وسبحان وغيرهن من السور المكية من أمره بعبادته وحده لا شريك له وأمره ببر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والعدل في المقال وتوفية الميزان والمكيال واعطاء السائل والمحروم وتحريم قتل النفس بغير الحق وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتحريم الأثم والبغى بغير الحق وتحريم الكلام في الدين بغير علم مع ما يدخل في التوحيد من إخلاص للدين لله والتوكل على الله والرجاء لرحمة الله والخوف من الله والصبر لحكم الله والقيام لأمر الله وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من أهله وماله والناس أجمعين إلى غير ذلك من أصول الإيمان التي أنزل الله ذكرها في مواضع من القرآن كالسور المكية وبعض المدينة وأما الثاني فما أنزله الله في السور المدنية من شرائع دينه وما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمة فان الله سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة وامنن على المؤمنين بذلك وأمر أزواج نبيه بذلك فقال وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وقال لمد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال واذكروا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال غير واحد من السلف الحكمة هي السنة لان الذي كان يتلى في بيوت أزواجه رضى الله عنهم سوى القرآن هو سنته

صلى الله عليه وسلم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الا انى اوتيت الكتاب ومثله معه وقال حسان بن عطية كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل بالقرآن فيعلمه اياها كما يعلمه القرآن

وهذه الشرائع التي هدى الله بها هذا النبي وأمه مثل الوجهة والمذبح والمنهاج وذلك مثل الصلوات الخمس في أوقاتها به هذا الدد وهذه القراءة والركوع والسجود واستقبال الكعبة ومثل فرائض اركة ونصبتها التي فرضها في أموال المسلمين من الماشية والحبوب والثمار والتجارة والذهب والفضة ومن جمعات له حيث يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والماملين عليها والمؤافة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي بيوت الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومثل صيام شهر رمضان ومثل حج البيت الحرام ومثل الحدود التي حددها لهم في المناكح والوارث والعقوبات والمبايعات ومثل السنن التي سننها لهم من الاعياد والجمعات والجماعات في المكتوبات والجماعات في الكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة والتراويح وما سنه لهم في العادات مثل المطاعم والملابس والولادة والموت ونحو ذلك من السنن والآداب والاحكام التي هي حكم الله ورسوله بينهم في الدماء والاموال والابضاع والاصراض والمنافع والابشار وغير ذلك من الحدود والحقوق الى غير ذلك مما شرعه لهيهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحبب اليهم الايمان وزينه في قلوبهم فجعلهم متبعين لرسوله صلى

الله عليه وسلم وعصمهم أن يجتمعوا على ضلالة كما ضلت الامم قبلهم
اذ كانت كل أمة اذا ضلت أرسل الله تعالى رسولا اليهم كما قال تعالى
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال
تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير

ومحمد صلي الله عليه وسلم خاتم الانبياء لاني بعمده فعصم الله أمته
أن تجتمع على ضلالة وجعل فيها من تقويم به الحججة الى يوم القيامة
ولهذا كان اجامهم حججة كما كان الكتاب والسنة حججة ولهذا امتاز
أهل الحق من هذه الامة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون
أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله صلي الله عليه وسلم
وعما مضت عليه جماعة المسلمين

فان الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلي الله عليه وسلم ولزوم
سبيله وأمر بالجماعة والأستلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى
من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من
رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
وقال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وقال تعالى ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء وقال تعالى ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم اليات وما أمروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك

دين القيمة وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقال تعالى في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون

فأمر سبحانه في أم الكتاب التي لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الإنزقان مثلها التي أعطاها نبينا صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش التي لا تجزي صلاة الأبهان نسأله ان يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا الضالين كالنصارى

وهذا الصراط المستقيم هو دين الاسلام المحض وهو ما في كتاب الله تعالى وهو السنة والجماعة فان السنة المحضة هي دين الاسلام المحض فان النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه من وجوه متعددة رواها أهل السنن والمسانيد كالامام أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم أنه قال ستفترق هذه الامة على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الارالواحدة وهي الجماعة وفي رواية من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي

وهذه الفرقة اللاحية أهل السنة وهم وسط في النحل كما ان ملة الاسلام وسط في الملل فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغفلوا فيهم كما غفلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحداً

لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود
فكانوا يقتلون الانبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من
الناس وكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً فريقاً
بل المؤمنون آمنوا برسول الله وعزروه وهم وانصروه وهم ووقروه وهم
وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً كما قال تعالى ما كان
لنسر أن يؤتية الله الكتاب والحكم والابوة ثم يقول للناس كونوا عباداً
لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما
كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أي أمركم
بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون

ومن ذلك ان المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا
ابن الله ولا ناث ثلاثة كما تقوله النصارى ولا كفروا به وقاوا على
مريم بهتاناً عظيماً حتى جعلوه ولد غيبة كما زعمت اليهود بل قالوا هذا عبد
الله ورسوله وكنته ألقاها الى مريم المذراء البتول وروح منه

وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله ان
ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت كما قاتته اليهود كما حكي الله تعالى ذلك عنهم
بقوله - يقول السفهاء من الناس ما ولاهم من قبلتهم التي كانوا عليها وبقوله
واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما
وراءه وهو الحق مصداقاً لهم ولا يجوزوا لا كابر علماءهم وعبادهم
أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاؤوا وينهوا عما شاؤوا كما يفعله النصارى
كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون

الله قال عدى بن حاتم رضى الله عنه قلت يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم والمؤمنون قالوا لله الخلق والامر فكيف لا يخلق غيره لا يأمر غيره وقالوا سمعنا وأطعنا فاطعوا كل ما أمر الله به وقالوا ان الله يحكم ما يريد وأما المخلوق فليس له ان يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيماً

وكذلك في صفات الله تعالى فان اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق انما قصة فقالوا هو فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مغلولة وقالوا انه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت الى غير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به فقالوا انه يخلق ويرزق ويفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب والمؤمنون آمنوا بالله سبحانه وتعالى ليس سمى ولا ند ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثل شئ فانه رب العالمين وخالق كل شئ وكل ما واه عباد له فقراء اليه ان كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عدأً وكلهم آتية يوم القيامة فرداً

ومن ذلك أمر الحلال والحرام فان اليهود كما قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الابل والبطة ولا شحم الثرب والكلبتين ولا الجدى في لبن أمه الى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرها حتى قيل ان المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً والواجب عليهم مائة وثمانين

وأر بعون أمراً وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت وأما النصارى فاستحلوا الحبائث وجميع المحرمات وبشروا جميع النجاسات وإنما قال لهم المسيح ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم ولهذا قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدبنون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وأما المؤمنون فكما نعمهم الله به في قوله ورحمتي وعبت كل شئ ففسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الحبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون وهذا باب بطول وصفه

وهكذا أهل السنة والجماعة في الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويطولون حقائق ما نعمت الله به نفسه حتى يشبهونه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الامثال ويشبهونه بالمخلوقات

• فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف وتمثيل

وهم في باب خاقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرة الكاملة ومشيئته الشاملة وخالقه لكل شيء وبين المفسدين الذين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطون لامر والنهي والثواب والعقاب فيصرون بمنزلة المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أنركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدى العباد ويقب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن انفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الاعيان والصفات والحركات

ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعل فهو مختار مرید والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير فان الله ليس كمثل شيء لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهم في باب الاسماء والاحكام والوعود والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبراء من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الايمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وبين المرجئة الذين يقولون ايمان الفساق مثل ايمان الانبياء والاعمال الصالحة ليست من الدين والايان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية فيؤمن أهل السنة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الايمان وأعله وليس معهم جميع الايمان الذي يستوجبون به الجنة

وأنهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من
إيمان أو مثقال خردلة من إيمان

وأن النبي صلى الله عليه وسلم ادخر نفاعته لأهل الكبار من أمته
وهم أيضاً في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
وسط بين الغالية الذين يغالون في علي رضي الله عنه فيفضلونه على أبي
بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما وأن
الصحابة ظالموا وفسقوا وكفروا بالامة بدمهم كذلك ورعما جعلوه
نبياً أو الهاً وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله
عنهما ويستحلون دماءها ودماء من تولاها ويستحبون سب علي وعثمان
ونحوهما ويقدمون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته

وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط لانهم متمسكون بكتب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما اتفق عليه السابقون الالوتون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان

(فصل) وأتم أصلحكم الله قد من الله عليكم بالانتساب الى
الاسلام الذي هو دين الله وعاقاكم الله مما ابتلى به من خرج عن الاسلام
من المشركين وأهل الكتاب والاسلام اعظم النعم وأجلها فان الله لا يقبل
من أحد ديناً سواه ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في
الآخرة من الخاسرين وعاقاكم الله بانتسابكم الى السنة من أكثر البدع
المضلة مثل كثير من بدع الروافض والجهمية والخوارج والقدرية بحيث
جعل عندكم من البنض لمن يكذب باسماء الله وصفاته وقضائه وقدره

أويسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو من طريقة أهل السنة والجماعة وهذا من أكبر نعم الله على من أنعم عليه بذلك فان هذا من تمام الايمان وكمال الدين ولهذا كثر فيكم من أهل الصلاح والدين وأهل القتال المجاهدين ما لا يوجد مثله في طوائف المبتدعين وما زال في عساكر المسلمين المتصورة وجمود الله المؤيدة منكم من يؤيد الله به الدين ويمز به المؤمنين وفي أهل الزهادة والعبادة منكم من له الاحوال الزكية والطريقة المرضية ولا انكشافات والتصرفات وفيكم من اولياء الله المتقين من له لسان صدق في العالمين فان قدما المشايخ الذين كانوا فيكم مثل الملقب بشيخ الاسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف النرشي الهكاري وبعده الشيخ العارف القدوة عدى بن مسافر الاموى ومن سلك سبيلهما فيهم من الفضل والدين والصلاح والاتباع للسنة ما عظم له به أقدارهم ورفع به منارهم والشيخ عدى قدس الله روحه كان من أفاضل عباد الله الصالحين وأكبر المشايخ المتبعين وله من الاحوال زكاه والمناقب العلية ما يعرفه أهل المعرفة بذلك وله في الامة صيت شهور واسان صدق مذكور وعقيدته المحفوظة عنه لم يخرج فيها عن نية من تقدمه من المشايخ الذين سلك سبيلهم كالشيخ الامام الصالح الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الانصارى الشيرازى ثم الدمشقى كشيخ الاسلام الهكاري ونحوهما هؤلاء المشايخ لم يخرجوا في الاصول كبار عن أصول أهل السنة والجماعة بل كان لهم من الترغيب في قول أهل السنة والدعاء اليها والحرص على نشرها ومنايذة من خالفها

مع الدين والفضل والصلاح مارفع الله به أقدارهم وأعلامناهم وغالب مايقولونه في أصولها الكبار جيد مع أنه لا بدوان يوجد في كلامهم وكلام نظرائهم من المسائل المرجوحة والدلائل الضعيفة كاحاديث لا تثبت ومقاييس لا تطرد ما يعرفه أهل البصيرة

وذلك ان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما المتأخرون من الامة الذين لم يحكموا معرفة الكتاب والسنة والفقهاء فيهما ويميزوا بين صحيح الاحاديث وسقيمها وناتج المقاييس وعقيمها مع ما يضم الى ذلك من غلبة الاهواء وكثرة الآراء وتغلظ الاختلاف والافتراق وحصول العداوة والشقاق فان هذه الاسباب ونحوها مما يوجب قوة الجهل والظلم للذين نعمت الله بهما الانسان في قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فاذا من الله على الانسان بالعلم والعدل أقنذه من هذا الضلال وقد قال سبحانه والمصران الانسان لني خمر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقد قال تعالى وجماعتهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون

وأتم تعلمون أصلحكم الله أن السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات وذلك انما يعرف بمعرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه في أقواله وأفعاله وماتركه من قول وعمل ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم باحسان

وذلك في دواوين الاسلام المعروفة مثل صحيح البخاري ومسلم وكتب السنن مثل سنن أبي داود والنسائي وجامع الترمذي وموطأ الامام مالك ومثل المسانيد المعروفة كمثل مسند الامام أحمد وغيره ويوجد في كتب النفاير والمغازي وسائر كتب الحديث جملها وأجزائها من الآثار ما يستدل ببعضها على بعض وهذا أمر قد أقام الله له من أهل المعرفة من اعتنى به حتى حفظ الله الدين على أهله

وقد جمع طوائف من العلماء الاحاديث والآثار المروية في أبواب عقائد أهل السنة مثل حماد بن سلمة وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وعثمان بن سعيد الدارمي وغيرهم في طبقتهم ومثلها ما بوب عليه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم في كتبهم ومثل مصنفات أبي بكر الأثرم وعبد الله بن أحمد وأبي بكر الخلال وأبي القاسم الطبراني وأبي الشيخ الاصبهاني وأبي بكر الآجري وأبي الحسن الدارقطني وأبي عبد الله بن منده وأبي القاسم اللالكائي وأبي عبد الله بن بطة وأبي عمر الطلمنكي وأبي نعيم الاصبهاني وأبي بكر البيهقي وأبي ذر الهروي وان كان يقع في بعض هذه المصنفات من الاحاديث الضعيفة ما يعرفه أهل المعرفة

(وقد) يروي كثير من الناس في الصفات وسائر أبواب الاعتقادات وعامة أبواب الدين أحاديث كثيرة تكون مكذوبة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قسمان

منها ما يكون كلاماً باطلاً لا يجوز أن يقال فضلاً عن أن يضاف الى

النبي صلى الله عليه وسلم

والقسم الثاني من الكلام ما يكون قد قاله بعض السلف أو بعض العلماء أو بعض الناس ويكون حقاً أو مما يسوغ فيه الاجتهاد أو مذهباً لقائله فيعزى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كثير عند من لا يعرف الحديث مثل المسائل التي وضعها الشيخ أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الانصاري وجعلها محنة يفرق فيها بين السني والبدعي وهي مسائل معروفة عمل بعض الكذابين وجعل لها اسنادا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها من كلامه وهذا يعلمه من له أدني معرفة انه مكذوب مفترى وهذه المسائل وان كان غالبها موافقاً لاصول السنة وفيها ما اذا خالفه الانسان لم يحكم بأنه مبتدع مثل أول نعمة أنعم بها على عبده فان هذه المسئلة فيها نزاع بين أهل السنة والنزاع فيها لفظي لان مبناها على أن اللذة بمقبتها ألم هل تسمى نعمة أم لا وفيها أيضاً أشياء مرجوحة

فالواجب أن يفرق بين الحديث الصحيح والحديث الكذب فان السنة هي الحق دون الباطل وهي الاحاديث الصحيحة دون الموضوعة فهذا أصل عظيم لاهل الاسلام عموماً ولمن يدعي السنة خصوصاً

(فصل) وقد تقدم ان دين الله وسط بين الغالي فيه والجلاني عنه والله تعالى ما أمر عباده بأمر الا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بايهما ظفر اما افراط فيه واما تفريط فيه واذا كان الاسلام الذي هو دين الله لا يقبل من أحد سواه قد اعترض الشيطان كثيراً ممن ينتسب

اليه حتى أخرجه عن كثر من شرائه بل أخرج طوائف من أعبد هذه الامة وأورعها عنه حتى مرقوا منه كما يمرق السهم من الرمية وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال المارقين منه فثبت عنه في الصحاح وغيرها من رواية أمير المؤمنين على بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وهيل بن حنيف وأبي ذر الغفاري وسعد بن أبي وقاص وعبد الله ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهم وغير هؤلاء ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الخوارج فقال يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم بقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم أو فقاتلوهم فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لمن أدركتهم لاقتلهم قتل عاد وفي رواية شر قتلي تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه وفي رواية لو يعلم الذين يقاتلونهم مازوي لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لسكروا عن العمل وهؤلاء لما خرجوا في خلافة أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه قاتلهم هو وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتحضيضه على قتلهم واتفق على قتلهم جميع أئمة الاسلام

وهكذا كل من فارق جماعة المسلمين وخرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته من أهل الأهواء المضلة والبدع المخالفة ولهذا قاتل المسلمون أيضاً الرافضة الذين هم شر من هؤلاء وهم الذين يكفرون جماهير المسلمين مثل الخلفاء الثلاثة وغيرهم ويزعمون

أنهم هم المؤمنون ومن سواهم كافر ويكفرون من يقول ان الله يري في الآخرة أو يؤمن بصفات الله وقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة ويكفرون من خالفهم في بدعهم التي هم عليها فانهم يمسحون القدمين ولا يمسحون على الخف ويؤخرون الفطور والصلاة الى طلوع النجم ويجمعون بين الصلاتين من غير عذر ويقتنون في الصلوات الخمس ويحرمون النفاق وذبايح أهل الكتاب وذبايح من خالفهم من المسلمين لانهم عندهم كفار ويقولون على الصحابة رضي الله عنهم أقوالا عظيمة لاحاجة الى ذكرها هنا الى أشياء أخرقة تلهم المسلمون بأمر الله ورسوله

فاذا كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين قد انتسب الي الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم فيعلم أن المنتسب الي الاسلام أو السنة في هذه الازمان قد يمرق أيضا من الاسلام والسنة حتى يدعى السنة من ليس من أهلها بل قد مرق منها وذلك باسباب

منها الغلو الذي ذمه الله تعالى في كتابه حيث قال يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكنتم ألقاها الى مريم وروح منه الى قوله وكفى بالله وكيلوا وقال تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والغلو في الدين فانه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين وهو حديث صحيح

ومنها التفرق والاختلاف الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز
ومنها أحاديث تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي كذب
عليه باتفاق أهل المعرفة يسميها الجاهل بالحديث فيصدق بها لموافقة
ظنه وهواه

وأضل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من
ذمهم ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم
الهدى وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى ماض
صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فنزهه
عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضل هو الذي لا يعلم
الحق والغاوى الذي يتبع هواه وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس
بل هو وحي أوحاه الله اليه فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى

وأنا أذكر جوامع من أصول الباطل التي ابتدعتها طوائف ممن
ينسب الى السنة وقد مرق منها وصار من أكابر الظالمين وهي فصول

(الفصل الاول) أحاديث رووها في الصفات زائدة على الأحاديث
التي في دواوين الاسلام مما نعلم باليقين القاطع انها كذب وبهتان بل كفر
شنيع وقد يقولون من أنواع الكفر مالا يروون فيه حديثا مثل حديث
يروونه ان الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق يصفح الركبان ويعانق
المشاة وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
وقائله من أعظم القائلين على الله غير الحق ولم يرو هذا الحديث أحد
من علماء المسلمين أصلا بل أجمع علماء المسلمين وأهل المعرفة

بالحديث على انه مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أهل العلم كابن قتيبة وغيره هذا وأمثاله انما وضعه الزنادقة الكفار ليشينوا به أهل الحديث ويقولون انهم يرون مثل هذا

وكذلك حديث آخر فيه انه رأى ربه حين أفاض من مزدلفة يمشي أمام الحجيبيج وعليه جبة صوف أو ما يشبهه هذا البهتان والافتراء

على الله الذي لا يقوله من عرف الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومكذا حديث فيه ان الله يمشي على الارض فاذا كان موضع خضرة قالوا هذا موضع قدميه وبقروُن قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها هذا أيضا كذب باتفاق العلماء ولم يقل الله فانظر الى آثار خطي الله وانما قال أثر رحمة الله ورحمته هنا التباث

وهكذا أحاديث في بعضها ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم رأى ربه في الطواف وفي بعضها انه رآه وهو خارج من مكة وفي بعضها انه رآه في بعض سكك المدينة الى أنواع أخر

وكل حديث فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم رأى ربه بعينه في الارض فهو كذب باتفاق المسلمين وعلمائهم هذا شيء لم يقله أحد من علماء المسلمين ولا رواه أحد منهم

وانما كان النزاع بين الصحابة في ان محمدا صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج فكان ابن عباس رضى الله عنهما وأكثر علماء السنة يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم رأى ربه ليلة المعراج وكانت عائشة رضى الله عنها وطائفة معها تنكر ذلك ولم ترو عائشة رضى الله

عنها في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ولا سأله عن ذلك ولا نقل في ذلك عن الصادق رضى الله عنه كما يروونه ناس من الجهال ان أباهما سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم وقال لمائشة لا فهذا الحديث كذب باتفاق العلماء ولهذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره أنه اختلفت الرواية عن الامام أحمد رحمه الله هل يقال ان محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه أو يقال بعين قلبه أو يقال رآه ولا يقال بعين رأسه ولا بعين قلبه على ثلاث روايات

وكذلك الحديث الذى رواه أهل العلم انه قال رأيت ربي في صورة كذا وكذا يروى من طريق ابن عباس ومن طريق أم الطفيل وغيرهما وفيه أنه وضع يده بين كتفيّ حتى وجدت بردانامه على صدرى هذا الحديث لم يكن ليلة المعراج فان هذا الحديث كان بالمدينة وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نام عن صلاة الصبح ثم خرج اليهم وقال رأيت كذا وكذا وهو من رواية من لم يصل خافه الا بالمدينة كما الطفيل وغيرها والمعراج انما كان من مكة باتفاق أهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة كما قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

فعلم ان هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة كما جاء مفسراً في كثير من طرقه انه كان رؤيا منام مع أن رؤيا الانبياء وحى لم يكن رؤيا بقظة ليلة المعراج وقد اتفق المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعينه في الارض وان الله لم ينزل له الى الارض وليس عن النبي

صلى الله عليه وسلم قط حديث فيه ان الله نزل له الى الارض
بل الاحاديث الصحيحة ان الله بدنو عشية عرفة وفي رواية الى
سماء الدنيا كل ليلة حين ينفث ثلث الابل الاخر فيقول من يدعوني
فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له

وثبت في الصحيح ان الله بدنو عشية عرفة وفي رواية الى سماء
الدنيا فيباهي الملائكة باهل عرفة فيقول انظروا الى عبادي اتوني شعنا
غبراً ما اراد هؤلاء وقد روى ان الله ينزل ليلة النصف من شعبان ان
صح الحديث فان هذا مما تكلم فيه أهل العلم

وكذلك ما روى بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل من حراء
تبدى له ربه على كرسى بين السماء والارض غلط باتفاق أهل العلم
بل الذي في الصحيح ان الذي تبدى له الملك الذي جاءه بحراء في أول
مرة وقال له اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ مني
الجهنم ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت لست بقارئ فاخذني فغطني حتى بلغ
مني الجهنم ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان
من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهذا
أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم جعل النبي صلى الله عليه
وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فينا أنا أمشي اذ سمعت صوتاً فرفعت
رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء اجالس على كرسى بين السماء
والارض رواه جابر رضي الله عنه في الصحيحين فاخبر ان الملك الذي
جاءه بحراء رآه بين السماء والارض وذكر أنه رعب منه فوقع في

بعض الروايات الملك فظن القارئ انه الملك وانه الله وهذا غلط وباطل وبالجملة ان كل حديث فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه في الارض وفيه انه نزل له الى الارض وفيه ان رياض الجنة من خطوات الحق وفيه انه وطئ على صخرة بيت المقدس كل هذا كذب باطل باتفاق علماء المسلمين من أهل الحديث وغيرهم

وكذلك كل من ادعى انه رأى ربه بعينه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة لانهم اتفقوا جميعهم على ان أحدا من المؤمنين لا يرى ربه بعينه رأسه حتى يموت وثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس ابن - معان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما ذكر الدجال قال واعلموا ان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وكذلك روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر يحذر أمته فتنة الدجال وبين لهم ان أحدا منهم لن يرى ربه حتى يموت فلا يظن أحد ان هذا الدجال الذي رآه هو ربه ولكن الذي يقع لاهل حقائق الايمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها ومجلياتها هو على مرتبة كثيرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام عن الاحسان قال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر ايمانه وبقينه فاذا كان ايمانه صحيحا لم يره الا في صورة حسنة واذا كان في ايمانه نقص رأى ما يشبه ايمانه ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة ولها تعبير وتأويل لما فيها من الامثال المضروبة للاحقائق

(وقد) يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضا من الرؤيا نظير ما يحصل للأعمى في المنام فيرى بقلبه مثل ما يرى الناظم * وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه فهذا كله يقع في الدنيا

وربما غلب أحدهم ما يشهده بقلبه وتجمعه حواسه فيظن انه رأى ذلك بعيني رأسه حتى يستيقظ فيعلم انه منام وربما علم في المنام انه منام فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تفنيه عن الشعور بحواسه فيظنها رؤى بهينه وهو غالط في ذلك وكل من قال من العباد المتقدمين أو متأخرين انه رأى ربه بعيني رأسه فهو غالط في ذلك باجماع أهل العلم والايان

نعم رؤية الله بالابصار هي للمؤمنين في الجنة وهي أيضا للناس في عرصات القيامة كما تواترت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر سحوا ليس دونه سحاب وقال صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا وبثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهي الزيادة

وهذه الاحاديث وغيرها في الصحاح وقد تلقاها السلف والائمة
بالتقبول وتفق عليها اهل السنة والجماعة وانما يكذب بها أو يحرفها
الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والرافضة ونحوهم الذين يكذبون بصفات
الله تعالى وبرؤيته وغير ذلك وهم المعطلة شرار الخلق والخليقة
ودين الله وسط بين تكذيب هؤلاء بما أخبر به رسوله صلى الله
عليه وسلم في الآخرة وبين تصديق الغالية بأنه يرى بالعبون في الدنيا
وكلاهما باطن

وهؤلاء الذين يزعم أحدهم انه يراه بعيني رأسه في الدنيا هم ضلال
كما تقدم فان ضموا الى ذلك انهم يرونه في بعض الاشخاص اما بعض
الصالحين أو بعض المردان أو بعض الملوك أو غيرهم عظم ضلالهم
وكفرهم وكانوا حينئذ أضل من انصارى الذين يزعمون انهم رأوه
في صورة عيسى ابن مريم بل هم أضل من اتباع الدجال الذى يكون في
آخر الزمان ويقول للناس انا ربكم ويأمر السماء فتمطر والارض فتنبث
ويقول للخربة اخرجى كنوزك فتبعه كنوزها وهذا هو الذى حذر
منه النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقال ما من خلق آدم الى قيام الساعة
فتنة أعظم من الدجال وقال اذا جاس أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من
أربع ليقول اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب
القبر وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح
الدجال فهذا ادعى الربوبية وأتى بشبهات فتن بها الخلق حتى قال فيه
النبي صلى الله عليه وسلم انه أعور وان ربكم ليس بأعور واعلموا ان

أحدا منكم ان يرى ربه حتى يموت فذكر لهم علامتين ظاهرتين يعرفهما جميع الناس لعلمه صلى الله عليه وسلم بأن من الناس من يضل فيجوز أن يرى ربه في الدنيا في صورة البشر كهؤلاء الضلال الذين يعتقدون ذلك وهؤلاء تد يسمون الحلولية والاتحادية

وهم صنفان قوم يخصونه بالحلول أو الاتحاد في بعض الاشياء كما يقوله النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في على رضى الله عنه ونحوه وقوم في أنواع من المشايخ وقوم في بعض الملوك وقوم في بعض الصور الجميلة الى غير ذلك من الاقوال التي هي شر من مقالة النصارى

و - تنف يعمون فيقولون بحلوله أو اتحاده في جميع الموجودات حتى الكلاب والخنازير والنجايات وغيرها كما يقول ذلك قوم من الجهمة ومن تبعهم من الاتحادية كاصحاب ابن عربى وابن سبعين وابن الفارض والتلمسانى والبليانى وغيرهم

ومذهب جميع المرسلين ومن تبعهم من المؤمنين وأهل الكتب ان الله سبحانه خالق العالمين ورب السموات والارض وما بينهما ورب العرش العظيم والحق جميعهم عباده وهم فقراء اليه

وهو سبحانه فرق سمواته على عرشه بأئن من خلقه ومع هذا فهو معهم أينما كانوا كما قال سبحانه وتعالى هو الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير

فهؤلاء الضال الكفار الذين يزعم أحدهم انه يرى ربه بعينه
 وربما زعم انه جالسه وحاده أو ضاحعه وربما يعين أحدهم آدمياً اما
 شخصاً أو صديقاً أو غير ذلك ويزعم انه كلم يستتابون فان تابوا والا
 ضربت أعناقهم وكانوا كفاراً اذهم أكفر من اليهود وانصارى الذين
 قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم فان المسيح رسول كريم وجيه عند
 الله فى الانبياء والآخرة ومن المقربين فاذا كان الذين قالوا انه هو الله
 وانه اتحد به أو حل فيه قد كفرهم وعظم كفرهم بل الذين قالوا انه
 اتخذ ولداً حتى قال وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً ادا تكاد
 السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن
 ولداً وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً ان كل من فى السموات والارض
 الا آت الرحمن عبداً فكيف بمن يزعم فى شخص من الاشخاص انه
 هو هذا كفر من الغالية الذين يزعمون ان علياً رضى الله عنه أو غيره
 من أهل البيت هو الله

وهؤلاء هم الزنادقة الذين حرقهم على رضى الله عنه بالنار وأمر
 باخايد خدت لهم عند باب كنده وقذفهم فيها بعد ان أجلهم ثلاثاً
 ليتوبوا فلما لم يتوبوا أحرقتهم بالنار وانفتحت الصحابة رضى الله عنهم على
 قتلهم لكن ابن عباس رضى الله عنهما كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا
 تحريق وهو قول أكثر العلماء وقصتهم معروفة عند العلماء

(فصل) وكذلك الغلو فى بعض المشايخ اما فى الشيخ عدى ويونس
 القنى أو الحلاج وغيرهم بل الغلو فى على بن أبى طالب رضى الله عنه

ونحوه بل الغلو في المسيح عاينه السلام ونحوه فكل من غلا في حق
 أو في رجل صالح كما مثل على رضى الله عنه أو عدى أو نحوه أو في
 من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذى كان بمصر أو يونس القنى
 ونحوهم وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول كل رزق لا يرزقنيه
 الشيخ فلان ما أريد أو يقول اذا ذبح شاة باسم سيدى أو يعبد به بالسجود
 له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول ياسيدى فلان
 اغفر لى أو ارحمنى أو انصرنى أو ارزقنى أو اغثنى أو أجرنى أو توكلت
 عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه الاقوال والافعال
 التى هى من خصائص الربوبية التى لا تصلح الا لله تعالى فبكل هذا
 شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما أرسل
 الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله
 الها آخر

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر
 والنواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة
 الأخرى ويغوث ويعوق ونسرا وغير ذلك لم يكونوا يعترفون أنها
 تخالق الخلاق أو أنها تنزل المطر أو أنها تثبت النبات وانما كانوا يمدون
 الانبياء والملائكة والنواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء أو
 يعبدون قبورهم ويقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
 ويقولون هم شفعاؤنا عند الله فارسل الله رسوله تنهى أن يدعى
 أحدا من دونه لادعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقال تعالى قل ادعوا الذين

زعمتم من دونه فلا يملك كشف الضر عنكم ولا تحويلا أو أوائك الذين
يدعون ينتفون الى ربهم الوسيلة أهم أقرب وبرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا

قال طائفة من الساف كان اقوام يدعون المسيح وعزير او الملائكة
فقال الله لهم هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون الى كما تتقربون ويرجون
رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما يخافون عذابي وقال تعالى
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع
الشفاعة عنده الا لمن اذن له فاضرب سبحانه ان ما يدعى من دون الله
ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وانه ليس له من الخلق
عون يستعين به وانه لا تنفع الشفاعة عنده الا باذنه

وقال تعالى وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من
يريد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله
شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا
له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون وقال تعالى ويعبدون من
دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل
أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والارض الآية

وعبادة الله وحده هي أصل الدين وهو التوحيد الذي بعث الله
به الرسل وأنزل به الكتب فقال تعالى واول من أرسلنا من قبلك من
رسلنا أجمعين من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا في

كل أمة رسولاً أن عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه أنه لاله الا أنا فاعبدون وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أهله حتى قال له رجل ماشاء الله وثبت فقال أجملتني لله ندا بل ماشاء الله وحده وقال لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن ماشاء الله ثم ماشاء محمد ونهى عن الحلف بغير الله فقال من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله فقد أشرك وقال لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ولهذا اتفق العلماء على انه ليس لاحد أن يحلف بمخلوق كالكتابة ونحوها

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود له ولما سجد بعض أصحابه نهاه عن ذلك وقال لا يصح الا سجود الله وقال لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها وقال لمعاذ بن جبل رضى الله عنه أرأيت لو مررت بقبرى أكنت ساجداً له قال لا قال فلا تسجدلى

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد فقال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة رضى الله عنها ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال

قبل أن يموت بخمس ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد
ألا فلا تتخذوا بيوتى عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا على حينما كنتم فان
صلاتكم تبلغنى ولهذا اتفق أئمة الاسلام على انه لا يشرع بناء المسجد
على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور بل كثير من العلماء يقول
الصلاة عندها باطلة

والسنة فى زيارة قبور المسلمين نظير الصلاة عليهم قبل الدفن قال
الله تعالى فى كتابه عن المنافقين ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا
تقم على قبره فكان دليلاً الخطاب ان المؤمنين يصل على عليهم ويقام
على قبورهم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه اذا زاروا القبور ان يقولوا
السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم
الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم
لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بهمهم واغفر لنا ولهم

وذلك ان من أكبر أسباب عبادة الاوتان كان التعظيم للقبور بالعبادة
ونحوها قال الله تعالى فى كتابه وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا
ولا سواها ولا يغوث ويغوث ونسرا

قال طائفة من السلف كانت هذه أسماء قوم صالحين فلما ماتوا
عكفوا على قبورهم ثم صوروا تمثيلهم وعبدوها

ولهذا اتفق العلماء على ان متى سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
عند قبره أنه لا يتمح بحجرته ولا يقبأها لان التقبيل والاسـتلام انما

يكون لاركان بيت الله الحرام فلا يشبه بيت المخلوق بيت الخاق
وكذلك الطواف والصلاة والاجتماع للعبادات انما تقصد في بيوت
الله وهي المساجد التي اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فلا تقصد
بيوت المخلوقين فتتخذ عبدا كما قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيوتي
عبدا كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي
لا يقبل الله عملا الا به وبغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه وكما قال تعالى
ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك
بالله فقد افترى انما عظيما

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه فاعظم آية في
القرآن آية الكرسي الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم
وقال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة
والاله الذي يأله القلب عبادة له واستماعة ورجاء له وخشية واجلالا
واكراما

(فصل) ومن ذلك الاقتصاد في السنة واتباعها كما جاءت بلا زيادة
ولا نقصان مثل الكلام في القرآن وسائر الصفات فان مذهب سلف
الامة وأهل السنة ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه
يمود هكذا قال غير واحد من السلف روى عن سفيان بن عيينة عن
عمرو بن دينار وكان من التابعين الاعيار قال ما زلت أسمع الناس
يقولون ذلك

والقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو هذا

القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه في مصاحفهم وهو كلام الله لا كلام غيره وان تلاه العباد وبلغوه بحركاتهم وأصواتهم فان الكلام لمن قاله مبتدئا لا لمن قاله مابعا مؤدبا قال الله تعالى وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه وهذا القرآن في المصاحف كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ وقال تعالى يتلو صفحا مطهرة فيها كتب قيمة وقال انه لقرآن كريم في كتاب مكنون والقرآن كلام الله بحروفه ونظمه ومعانيه كل ذلك يدخل في القرآن وفي كلام الله واعراب الحروف هو من تمام الحروف كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاعربه فله بكل حرف عشر حسنات وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حفظ اعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه

وإذا كتب المسلمون مصحفا فان أحبوا ان لا ينقطوه ولا يشكلوه جاز ذلك كما كان الصحابة يكتبون المصاحف من غير تنقيط ولا تشكيل لان القوم كانوا عربا لا يلحنون وهكذا هي المصاحف التي بعث بها عثمان رضي الله عنه الي الامصار في زمن التابعين

ثم فشا اللحن فنقطت المصاحف وشكلت بالنقط الحرف ثم شكلت بمنزل خط الحروف فتنازع العلماء في كراهة ذلك وفيه خلاف عن الامام أحمد رحمه الله وغيره من العلماء قيل يكره ذلك لانه بدعة وقيل لا يكره للاجاجة اليه وقيل يكره النقط دون الشكل لبيان الاعراب والصحيح انه لا بأس به

والتصديق بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتكلم
بصوت وينادى آدم عليه السلام بصوت الي أمثال ذلك من الاحاديث
فهذه الجملة كان عليها سلف الامة وأئمة السنة

وقال أئمة السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق حيث تلى وحيث
كتب فلا يقال لتلاوة العبد بالقرآن انها مخلوقة لان ذلك يدخل فيه
القرآن المنزل ولا يقال غير مخلوقة لان ذلك يدخل فيه أفعال العباد
ولم يقل قط احد من أئمة السلف ان اصوات العباد بالقرآن قديمة
بل انك واعلى من قال لفظ العبد بالقرآن غير مخلوق واما من قال
ان المداد قديم فهذا من اجهل الناس وابعدهم عن السنة قال الله
تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد
كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا فاخبر ان المداد يكتب به كلماته

وكذلك من قال ليس القرآن في المصحف وانما في المصحف
مداد وورق أو حكاية وتبارة فهو مبتدع ضال بل القرآن الذي
انزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو ما بين الدفتين والكلام في
المصحف على الوجه الذي يعرفه الناس له خاصة يمتاز بها عن سائر
الاشياء

وكذلك من زاد على السنة فقال ان ألقاظ العباد واصواتهم قديمة
فهو مبتدع ضال كمن قال ان الله لا يتكلم بحرف ولا بصوت فانه أيضا
مبتدع متبكر للسنة

وكذلك من زاد وقال ان المداد قديم فهو ضال كمن قال ليس

في المصاحف كلام الله واما من زد على ذلك من الجهال الذين يقولون ان الورق والجلد والوند وقلمة من الحائط كلام الله فهو بمنزلة من يقول ماتكم الله بالقرآن ولا هو كلامه هذا الغلو من جانب الاثبات يقابل التاكذيب من جانب النفي وكلاهما خارج عن السنة والجماعة

وكذلك افراد الكلام في النقطة والشككة بدعة نفيًا واثباتًا واما حدثت هذه البدعة من مائة سنة أو أكثر بقليل فان من قال ان الممداد الذي تنقط به الحروف وينسكل به قديم فهو ضال جاهل ومن قال ان اعراب حروف القرآن ليس من القرآن فهو ضال مبتدع

بل الواجب ان يقال هذا القرآن العربي هو كلام الله وقد دخل في ذلك حروفه باعرابها كما دخلت معانيه ويقال ما بين الالوحين جميعه كلام الله فان كان المصحف منقوطة مشكولا أطلق على ما بين الالوحين جميعه انه كلام الله وان كان غير منقوطة ولا مشكول كما لمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة كان أيضا ما بين الالوحين هو كلام الله فلا يجوز أن تلقى الفتنة بين المسلمين بأمر يحدث ونزاع لفظي لاجل حقيقة له ولا يجوز أن يحدث في الدين ما ليس منه

(فصل) وكذلك يجب الاقتصاد والاعتدال في أمر الصحابة والقراة

رضي الله عنهم فان الله تعالى أتى على أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من السابقين والتابعين لهم باحسان وأخبر أنه رضى عنهم ورضوا عنه وذكرهم في آيات من كتابه مثل قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحما بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا
سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مناهم في التوراة ومنهم في
الانجيل كزرع أخرج شطاء فأزره فاستغاث فاستوى على سوقه يعجب
الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة وأجرًا عظيماً وقال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأنانهم فتحاً قريباً
وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لانسبوا أصحابي
فوالذى نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مداحدهم
ولا نصفه

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين على
ابن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال خير هذه الامة بعد نبيا أبو بكر ثم
عمر رضى الله عنهما واتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
بيعة عثمان بعد عمر رضى الله عنهما وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال خلف الافة النبوة ثلاثون سنة ثم تصير ملكا وقل صلى الله عليه
وسلم عايكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا
بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة
ضلالة

وكان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه آخر الخلفاء
الراشدين المهديين

وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والامراء والاجناد على أن يقولوا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ودلائل ذلك وفضائل الصحابة كثير ليس هذا موضعه

وكذلك تؤمن بالامساك عما شجر بينهم وتعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين اما مصيبين لهم اجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطوهم وما كان لهم من السيئات وقد سبق لهم من الله الحسني فان الله يغفرها لهم اما بتوبة أو بحسنات ما حية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك فانهم خير قرون هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم وهذه خير امة اخرجت للناس

وتعلم مع ذلك ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية ومن قتله معه لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تترق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق وفي هذا الحديث دليل على أنه مع كل طائفة حق وان عليا رضي الله عنه أقرب إلى الحق

وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما رضي الله عنهم فاتبوا النصوص التي سمعوها في ذلك عن القتال في الفتنة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث

وكذلك آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق

ما يجب رعايتها فان الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل انا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد ابن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد وقد قال الله تعالى في كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً وحرّم الله عليهم الصدقة لانها أوساخ الناس وقد قال بعض السلف حب أبي بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق وفي المسانيد والسنن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس لما شكوا اليه جفوة قوم لهم قال والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله اصطفى بنى اسماعيل واصطفى بنى كنانة من بنى اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفاني من بنى هاشم وقد كانت الفتنة لما وقعت بقتل عثمان وافتراق الامة بمدته صار قوم ممن يحب عثمان ويفلوا فيه يخرف عن علي رضي الله عنه مثل كثير من أهل الشام ممن كان اذ ذلك يسب علياً رضي الله عنه ويبغضه وقوم ممن يحب علياً رضي الله عنه ويفلوا فيه يخرف عن عثمان رضي الله عنه مثل كثير من أهل العراق ممن كان يبغض عثمان ويسبه

رضى الله عنه

ثم اتفاحت بدعتهم بعد ذلك حتى - - - - - بوا أبا بكر وعمر رضى الله
عنهما وزاد البلاء بهم حينئذ

والسنة محبة عثمان وعلى جميعاً وتقديم أبى بكر وعمر عليهما رضى
الله عنهم لما خصهما الله به من الفضائل التى سبقا بها عثمان وعائياً جميعاً
وقد نسي الله فى كتابه عن التفرق والتشتت وأمر بالاعتصام بحبه - له
فهذا موضع يجب للائمن أن يتثبت فيه ويعصم بحبل الله فان
السنة مبناهما على العلم والعدل والاتباع لكتاب الله وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم

فالرفضة لمبا كانت سب الصحابة صار العلماء يأمرون بمقوبة
من يسب الصحابة ثم كفرت الصحابة وقالت عنهم أشياء قد ذكرنا
حكمهم فيها فى غير هذا الموضع

ولم يكن أحد اذذاك يتكلم فى يزيد بن معاوية ولا كان الكلام
فيه من الدين ثم حدثت بعد ذلك أشياء فصار قوم يظهرون لعنة يزيد
ابن معاوية وربما كان غرضهم بذلك التطرق الى لعنة غيره فكره
أكثر أهل السنة لعنة أحد بعينه فسمع بذلك قوم ممن كان يتسنن
فاعتقد أن يزيد كان من كبار الصالحين وأئمة الهدى وصار الغلاة فيه
على طرفى تقيض هؤلاء يقولون انه كافر زنديق وانه قتل ابن بنت
رسول الله صلى الله عليه وآله وتزل الانصار وأبناءهم بالحرة ليأخذ بنأر
أهل بيته الذين قتلوا كفاراً مثل جده لأمه عتبة بن ربيعة وخاله الوليد

وغيرهما ويذكرون عنه من الاشتهار بشرب الخمر واطهار الفواحش
 اشياء وأقوام يعتقدون أنه كان اماما عادلا هاديا مهديا وانه كان من
 الصحابة أو أكابر الصحابة وانه كان من أوليا الله تعالى وربما اعتقد
 بعضهم انه كان من الانبياء ويقولون من وقف في يزيد وقفه الله على نار
 جهنم ويروون عن الشيخ حسن بن عدي انه كان كذا وكذا ولياً
 وقفوا على النار لقولهم في يزيد وفي زمن الشيخ حسن زادوا اشياء
 باطلة نظماً ونثراً وغلوا في الشيخ عدي وفي يزيد باشياء مخالفة لما كان
 عليه الشيخ عدي الكبير قدس الله روحه فان طريقته كانت سليمة لم
 يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسنا
 وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسوله

وهذا الغلو في يزيد من الطرفين خلاف لما أجمع عليه أهل

العالم بالايمان

فان يزيد بن معاوية ولد في خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه
 ولم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء
 ولا كان من المشهورين بالدين والصلاح وكان من شيبان المساميين ولا
 كان كافراً ولا زنديقاً وتولى بعد أبيه على كراهة من بعض المسلمين
 ورضا من بعضهم وكان فيه شجاعة وكرم ولم يكن مظهراً للفواحش كما
 يحكي عنه خصومه

وجرت في امارته أمور عظيمة أحدها مقتل الحسين رضى الله
 عنه وهو لم يأمر بقتل الحسين ولا أظهر الفرح بقتله ولانكيت بالقضيب

على ثنائه رضي الله عنه ولا حمل رأس الحسين رضي الله عنه الى الشام
 لكن أمر بمنع الحسين رضي الله عنه، وبدفعه عن الامر ولو كان بقتاله
 فزاد النواب على أمره وحض الشمر ذي الجيوش على قتله لعبيد الله
 ابن زياد فاعندي عليه عبيد الله بن زياد فطلب منهم الحسين رضي الله
 عنه أن يجيء الى يزيد أو يذهب الى الثغر مرابطاً أو يعود الى مكة
 فتعوه رضي الله عنه الا أن يتأسر لهم وأمر عمر بن سعد بقتاله فقتلوه
 ظلوماً له ولطائفة من أهل بيته رضي الله عنهم

وكان قتله رضي الله عنه من المصائب العظيمة فان قتل الحسين وقتل
 عثمان قبله كانا من أعظم أسباب الفتن في هذه الامة وقتانهما من شرار
 الخاق عند الله ولما قدم أهلهم رضي الله عنهم على يزيد بن معاوية
 أكرمهم وسيرهم الى المدينة وروى عنه انه لعن زياد اعلى قتله وقال
 كنت أرضى من طاعة أهل المرق بدون قتل الحسين لكنه مع هذا
 لم يظهر منه انكار قتله والانتصار له والاخذ بشاره كان هو الواجب
 عليه فصار أهل الحق يلومونه على تركه الواجب مضافاً الى أمور أخرى
 وأما خصومه فزيدون عليه من الفرية أشياء

وأما الامر الثاني فان أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته وأخرجوا
 نوابه وأهله فبث اليهم جيشاً وأمره اذا لم يطعموه بمد ثلاث أن يدخلها
 بالسيف ويبيحها لانها انصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثاً يقتلون
 وينهبون ويفتضون النروج المحرمة ثم أرسل جيشاً الى مكة المشرفة

فحاصروا مكة وتوفي يزيد وهم محاصرون مكة وهذا من العدوان والظلم الذي فعل بأمره.

ولهذا كان الذي عليه مقتصد أهل السنة وأئمة الامة أنه لا يسب ولا يجب قال صالح بن أحمد بن حنبل قلت لابي ان قوما يقولون انهم يحبون يزيد قال ياني وهل يجب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر فقلت يا أبتى فلماذا لاتعلمه قال ياني ومتي رأيت أبك يامن أحداً

وروى عنه قيل له تكتب الحديث عن زيد بن معاوية فقال لا ولا كرامة أو ليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل

فزيد عند علماء أئمة المسلمين ملك من الملوك لا يحبونه بحجة الصالحين وأولياء الله ولا يحبونه فأنهم لا يحبون ائمة المسلم الممين لما روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلاً كان يدعى حماراً وكان يكثر شرب الخمر وكان كلما أتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم ضربه فقال - رجل لعنه الله ما أكثر - يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعلمه فانه يحب الله ورسوله

ومع هذا فطائفة من أهل السنة يجبرون لعنه لانهم يعتقدون أنه فعل من الظلم ما يجوز ائمة فاعله وطائفة أخرى ترى محبته لانه مسلم تولى على عهد الصحابة وبأيامه الصحابة ويقولون لم يصح عنه ما نقل عنه وكانت له محاسن ولم يصح عنه ما نقل عنه أو كان مجتهداً فيما فعله

والصواب هو ما عليه الائمة من أنه لم يخص بمحبة ولا يامن ومع هذا فان كان فاسقاً أو ظالماً فالله يغفر لافساق والظالم لاسيما اذا أتى بحسنات

عظمة

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له وأول جيش غزاهما كان أميرهم يزيد بن معاوية وكان معه أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه

وقد يشبهه يزيد بن معاوية بعمره يزيد بن أبي سفيان فان يزيد بن أبي سفيان كان من الصحابة وكان من خيار الصحابة وهو خير آل حرب وكان أحد أمراء الشام الذين بعثهم أبو بكر رضي الله عنه في نضوح الشام ومشى أبو بكر في ركابه بوصيه مشيعاله فقال له يا خليفة رسول الله اما أن تتركب واما أن أنزل فقال استبرأك ولست بنازل اني احتسب خطاي هذه في سبيل الله فلما توفي بعد فتوح الشام في خلافة عمر ولي عمر رضي الله عنه مكانه أخاه معاوية وولد له يزيد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأقام معاوية بالشام الي أن وقع ما وقع

فالواجب الافتصار في ذلك والاعراض عن ذكر يزيد بن معاوية وامتحن المسلمين به فان هذا من البدع المخالفة لاهل السنة والجماعة فانه بسبب ذلك اعتقد قوم من الجهال أن يزيد بن معاوية من الصحابة وانه من أكابر الخين وأئمة امدل وهو خطأ بين

(فصل) وكذلك التفريق بين الامة وامتحناتها بما لم يأمر الله به ولا رسوله مثل أن يقال للرجل أنت شيكيلي أو قرفندي فان هذه أسماء بطله ما أنزل الله بها من سلطان و ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا في الآثار المعروفة عن سلف الائمة لاشكيلي ولا قرفندي والواجب

على المسلم اذا سئل عن ذلك أن يقول لا أنا شيكيلي ولا تر فندی بل أنا
معلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله

وتدرونا عن معاوية بن أبي سفيان انه سأل عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما فقال أنت على ملة على أو ملة عثمان فقال لست على ملة
علي ولا على ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك
كان كل من السلف يقولون كل هذه الاهواء في النار ويقول أحدهم
ما أبلى أي النعمتين أعظم على ان هداني الله للاسلام أو ان جنبني هذه
الاهواء والله تعالى قد سماها في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله فلا
يعدل عن الاسماء التي سماها الله بها الي اسماء أحدثها قوم وسموهاهم
وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان

بل الاسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس الي امام
كالحنفى والمالكي والشافعي والحنبلي أو الي شيخ كالغادري والعدوي
ونحوهم أو مثل الانتساب الي القبائل كالقيسي واليماني والي الامصار
كاشامى والعراقي والمصري

فلا يجوز لاحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الاسماء ولا
يعادى عليهم بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان
وأرلها. الله الذين هم أولياؤه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد
أخبر سبحانه ان أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين في قوله
تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال

على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المنقون والتقوى هى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن حال أولياء الله وما صاروا به أولياء، فى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى من عادى لى ولدا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالوفاء حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فى يسمع وبى يبصر وبى يبطش ولان سألنى لاعطينه ولان استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بدله منه

فقد ذكر فى هذا الحديث ان التقرب الى الله تعالى على درجتين * احدهما التقرب اليه بالفرائض * والثانية هى التقرب الى الله بالوفاء بمد أداء الفرائض * فالاولى درجة المفتصدين الابرار أصحاب اليمين * والثانية درجة السابقين المؤمنين كما قال الله تعالى ان الابرار انى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسمعون من رحيق محتوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال ابن عباس رضى الله عنهما يمزج لأصحاب اليمين مزجا ويشربه

المقربون صرفا

وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضع من كتابه فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله

والله سبحانه قد أوجب موالاته المؤمنين بعضهم لبعض وأوجب عليهم معاداة الكافرين فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصيبهم وعلي ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم أنهم لمعكم حطبات أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقومون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون

فقد أخبر سبحانه أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنين وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن وقال الله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال تعالى إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم

في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله
والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وقال
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الى قوله ته الى فاصالحوا بينهم ما بالعدل
وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصالحوا بين
أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمنين
في توادهم وتراحمهم وتماطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي الصحيح أيضاً أنه قال
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه وفي
الصحيح أيضاً أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه
ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يسامه ولا
يظلمه وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة

وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم اخوة
وجعلهم متناصرين متراحمين متماطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف
ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال واعتصموا بحبل الله جميعاً
ولا تفرقوا

وقال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما
أمرهم الى الله الآيه

فكيف يجوز مع هذا لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان تفرق

وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويمادى طائفة أخرى بلظن والهوى
بلا برهان من الله تعالى وقد برأ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ممن
كان هكذا

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين
واستحلوا دماء من خالفهم

وأما أهل السنة والجماعة فهم معتصمون بحبل الله وأقل ما في ذلك
ان يفضل الرجل من يوافقه على هواه وان كان غيره أتقى لله منه

وانما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله ويؤخر من أخره
الله ورسوله وبحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله
وينهى عما نهى الله عنه ورسوله وأن يرضى بما رضى الله به ورسوله
وأن يكون المسلمون يداً واحدة فكيف اذا بلغ الامر ببعض الناس
الي أن يضام غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه وهو الموافق
لا الكتاب والسنة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شئ من أمور الدين
فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً بن قد عفا الله لهذه
الامة عن الخطأ والنسيان وقد قال تعالى في كتابه في دعاء لرسول صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا وثبت في
الصحيح ان الله قال قد فعلت

لاسيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الاسلام مثل أن
يكون مثلكم على مذهب الشافعي أو منتسباً الي الشيخ عدى ثم بعد

هذا قد يخالف في شيء وربما كان الصواب معه فكيف يستحل عرضه
ودمه أو ماله مع ما قد ذكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن
وكيف يجوز التفريق من الامة باسماء مبتدعة لأصل لها في كتاب
الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وهذا التفريق الذي حصل من الامة علماءها ومشايخها وأمرائها
وكبرائها هو الذي أوجب تساط الاعداء عليها وذلك بتركهم العمل
بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا
ميثاقهم ففسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء
ففي ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء
واذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا واذا اجتمعوا صاحوا وملكوا فان
الجماعة رحمة والفرقة عذاب

وجماع ذلك في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعصموا
بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا الي قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون
فمن الامر بالمعروف الامر بالائتلاف والاجتماع والنهي عن الاختلاف
والفرقة ومن النهي عن المنكر اقامة الحدود على من خرج من شريعة
الله تعالى

فمن اعتقد في بشر انه اله أو دعا ميتاً أو طلب منه الرزق والنصر
والهداية وتوكل عليه أو سجد له فانه يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه

ومن فضل أحداً من المشايخ على النبي صلى الله عليه وسلم أو اعتقد أن أحداً يستغنى عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم استتيب فإن تاب والا ضربت عنقه.

وكذلك من اعتقد ان أحداً من أولياء الله يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فإنه يستتاب فإن تاب والا ضربت عنقه لان الخضر لم يكن من أمة موسى عليه السلام ولا كان يجب عليه طاعته بل قال له انى على علم من علم الله علمنيه الله لاتعامه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لأعلمه وكان مبعوثاً الى بنى اسرائيل كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم وكان انبياءهم الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة

ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين انفسهم وجنهم فمن اعتقد انه يسوع لاحد الخروج عن شريعته وطاقته فهو كافر يجب قتله

وكذلك من كفر المسلمين أو استحل دماءهم وأموالهم ببدعة ابتدعتها ليست في كتاب الله ولا سنة رسوله فإنه يجنب عنه ذلك وعقوبته بما يزجره ولو بالقتل أو القتال فإنه اذا عوقب المعتقدون من جميع الطوائف وأكرم المتقون من جميع الطوائف كان ذلك من أعظم الاسباب التي ترضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويصالح أمر المسلمين ويجب على أولى الامر وهم علماء كل طائفة وأمرؤها ومشايخها أن يقوموا عامتهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر فيأمر ونهم

بِأَمْرِ اللَّهِ بِهِ وَرَسُولِهِ وَيُنْهَوْنَهُمْ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فالاول مثل شرائع الاسلام وهي الصلوات الخمس في مواقيتها واقامة الجمعة والجماعات من الواجبات والسنن الراتبات كالاعياد وصلاة الكسوف والاستسقاء والتراويح وصلاة الجنائز وغير ذلك وكذلك الصدقات المشروعة والصوم المشروع وحج البيت الحرام ومثل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والايمان بالقدر خيره وشره ومثل الاحسان وهو ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وممثل سائر ما أمر الله به ورسوله من الامور الباطنة والظاهرة ومثل اخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما والرجاء لرحمة الله والحشية من عذابه والصبر لحكم الله والتسليم لأمر الله ومثل صدق الحديث والوفاء بالعهود وأداء الامانات الي أهلها وبر الوالدين وصلة الارحام والتعاون على البر والتقوى والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والصاحب والزوجة والمملوك والمدل في المقال والفعال ثم التذب الي مكارم الاخلاق مثل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال الله تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يجب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فاعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله الها آخر أما الشمس واما القمر أو الكواكب أو ملكا من الملائكة أو نبياً من الانبياء أو رجلا من الصالحين أو أحداً من الجن أو تماثيل هؤلاء أو قبورهم أو غير ذلك مما يدعى من دون الله تعالى أو يستغاث به أو يسجد له فيكفر بهذا وأشباهه من الشرك الذي حرمه الله على لسان جميع رسوله

وقد حرم الله قتل النفس بغير حقها وأكل أموال الناس بالباطل اما بالنصب واما بالربا أو الميسر كالبيع والمعاملات التي نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وأطفيف المكيل والميزان ولائم والبغى بغير الحق

وكذلك ما حرمه الله تعالى أن يقول الرجل على الله ما لا يعلم مثله أن يروى عن الله ورواه أحاديث يجزم بها وهو لا يعلم صحتها أو يصف الله بصفات لم ينزل بها كتاب من الله ولا إثارة من علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كانت من صفات النفي والتعطيل مثل قول الجهمية انه ليس فوق العرش ولا فوق السموات وانه لا يري في الآخرة وانه لا يشككم ولا يجب ونحو ذلك مما كذبوا به الله ورسوله أو كانت من صفات الاثبات والتثليل مثل من يزعم انه يمشى في الارض أو يجالس الخلق أو انه يرون باعينهم أو ان السموات تحويه وتحيط به أو انه سار في مخلوقاته الى غير ذلك من أنواع انفرية على الله وكذلك العبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم كما قال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فان الله شرع لعباده المؤمنين عبادات فأحدث لهم الشيطان عبادات ضاهها بها مثل انه شرع لهم عبادة الله وحده لا شريك له فشرع لهم شركاء وهي عبادة ما سواه والاشراك به وشرع لهم الصلوات الخمس وقراءة القرآن فيها والاستماع له والاجتماع لسماع القرآن خارج الصلاة أيضاً فاول سورة أنزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك الذي خلق أمر في أولها بالقراءة وفي آخرها بالسجود بقوله تعالى فاسجد واقترب

ولهذا كان أعظم الاذكار التي في الصلاة قراءة القرآن وأعظم الاعمال السجود لله وحده لا شريك له وقال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا واحداً منهم ان يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأوهم يستمعون ومر النبي صلى الله عليه وسلم بابي موسى رضى الله عنه وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته فقال ياأبا موسى مررت بك البارحة فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت لحبرنالك تحبيراً وقال الله أشد اذناً أى استماعاً الى الرجل يحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته

وهذا هو سماع المؤمنين وواف الامة وأكابر المشايخ كعروف

الكرخي والفضيل بن عياض وأبي سايه ان الداراني ونحوهم وهو سماع المشايخ لتأخرين الاكابر كالشيخ عبد القادر والشيخ عدى بن مسافر والشيخ أبي مدين وغيرهم من المشايخ رحمهم الله وأما المشركون فكان سماعهم كما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الامكأ وصدية

قال السلف المكأ الصبر والصدية التصفق باليد فكان المشركون مجتمعون في المسجد الحرام بصفقون وبصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاة فذمهم الله على ذلك وجعل ذلك من الباطل الذي نهي عنه فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها الى الله فقد ضاها هؤلاء في بعض أمورهم وكذلك لم تفعله القرون الثلاثة التي أتت عليها النبي صلى الله عليه وسلم ولا فعله أكابر المشايخ

وأما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الافراح للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار فان دين الاسلام واسع لا حرج فيه وعماد الدين الذي لا يقوم الا به هو الصلوات الخمس المكتنوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب الى عماله ان أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عماله أشد اضاءة

وهي أول ما أوجب به الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله

عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت
أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وآخر ما يفقد من الدين
فاذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين
قال النبي صلى الله عليه وسلم رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة
وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله وقد قال الله في كتابه بخلاف من
بعدهم خلفوا أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا
قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وغيره أضاعها تأخيرها عن
وقتها ولو تركوها كانوا كفاراً وقال تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى والمحافظة عليها فعملها في أوقاتها وقال تعالى فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون وهم الذين يؤخرونها حتى يخرج الوقت
وقد اتفق المسلمون على أنه لا يجوز تأخير صلاة النهار الى الليل ولا
تأخير صلاة الليل الى النهار لا لمسافر ولا لمرضى ولا غيرها لكن يجوز
عند الحاجة أن يجمع المسلم بين صلاتي النهار وهي الظهر والعصر في
وقت احدهما ويجمع بين صلاتي الليل وهي المغرب والعشاء في وقت
احدهما وذلك لمثل المسافر والمرضى وعند المطر ونحو ذلك من الاعذار
وقد أوجب الله على المسلمين أن يصلوا بحسب طاقتهم كما قال الله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فعلي الرجل أن يصلي بظهارة كاملة وقراءة
كاملة وركوع وسجود كامل فان كان عادماً للماء أو ينضرب باستعماله
لمرض أو برد أو غير ذلك وهو محدث أو جنب يتيمم الصعيد الطيب وهو
التراب يمسح به وجهه ويديه ويصلي ولا يؤخرها عن وقتها باتفاق العلماء

وكذلك اذا كان مجبوساً أو مقيداً أو زمنياً أو غير ذلك صلى على حسب حاله واذا كان بازاء عدوه صلى أيضاً صلاة الخوف قال الله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الي قوله وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم الي قوله فاذا اطمانتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً

وبجب على أهل القدرة من المسلمين ان يأمروا بالصلاة كل أحد من الرجال والنساء حتى الصبيان

قال انبي صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة اسبع واضربوهم على تركها امشرو وفرقوا بينهم في المضاجع

والرجل البالغ اذا امتنع من صلاة واحدة من الصلوات الخمس أوترك بهض فرائضها المنفق عاها فانه يستتاب فان تاب ولا نزل فن العلماء من يقول يكون مرتداً كافراً لا يصلى عايه ولا يدفن بين المسلمين ومنهم من يقول يكون كقاطع الطريق وقاتل النفس والزاني المحصن وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فلها قوام الدين وعماده واعمظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فانه سبحانه يخصصها بالذكر تارة ويقرنها بلزكاة تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة كقوله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقوله واستعينوا بالصبر والصلاة وقوله فصل لربك وانحر وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وتارة يفتح بها أعمال البر
ويختتمها بها كما ذكره في سورة -أل سائل وفي أول سورة المؤمنين قال
آه الى قد أفاح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن
الغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون
الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغي وراء
ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم
على صلواتهم يحافظون أولئك هم اوارثون الذين يرثون الفردوس هم
فيها خالدون

فَسأَل الله العظيم أن يجمانا واياكم من الذين يرثون الفردوس

هم فيها خالدون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا

محمد وآله وصحبه وسلم

تسليماً كثيراً

تمت الرسالة السابعة

ويلىها الرسالة الثامنة له أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سؤال ورد على الشيخ تقي الدين رضى الله عنه من الديار المصرية في شوال سنة أربع عشرة وسبع مائة في حسن ارادة الله تعالى الخالق الخلق وانشاء الانام وهل يخلق امة او لغير علة فان قيل لالامة فهو عبث تعالى الله عنه وان قيل لامة فان قائم انها لم تزل لزم أن يكون المعلول لم يزل وان تلمم انها محدثة لزم أن يكون لها علة والتسلسل محال

الجواب * الحمد لله رب العالمين * هذه المسئلة من أجل المسائل الكبار التي تكلم فيها الناس وأعظمها شعوباً وفروعاً وأكثرها شهراً ومخارات فان لها تعلقاً بصفات الله تعالى وأسمائه وأفعاله وأحكامه من الامر والنهي والوعد والوعيد وهي داخلة في خلقه وأمره فبكل ما في الوجود متعلق بهذه المسئلة فان المخلوقات جميعها متعلقة بها وهي متعلقة بالخالق سبحانه وكذلك اشترائع كلها الامر والنهي والوعد والوعيد متعلق بها وهي متعلقة بمسائل النذر والامر ومسائل الصفات والافعال وهذه

جوامع علوم الناس فعلم الفقه هو الامر والنهي وقد تكلم الناس في تامليل الاحكام الشرعية والامر والنهي كالامر بالتوحيد والصدق والعدل والصلاة والزكاة والصيام والحج والنهي عن الشرك والكذب والظلم والفواحش هل أمر بذلك الحكمة ومصالحة وعلامة اقتضت ذلك أم ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة وهل علل الشرع بمعنى الداعي والباعث أو بمعنى الامارة والعلامة وهل يسوغ في الحكمة أن ينهي الله عن التوحيد والصدق والعدل

ويأمر بالشرك والكذب والظلم أم لا
 وتكلم الناس في تنزيه الله تعالى عن الظلم هل هو منزّه عنه مع قدرته
 عليه أم الظالم ممتنع لنفسه لا يمكن وقوعه وتكلموا في محبة الله ورضاه
 وغضبه وسخطه هل هو بمعنى ارادته وهو الثواب والمعقاب المخلوق أم
 هذه صفات أخص من الارادة

وتنازعوا فيما وقع في الارض من الكفر والفسوق والعصيان هل
 يريد به ويحبه ويرضاه كما يريد ويحب سائر ما يحدث أم هو واقع بدون
 قدرته ومشيتته وهو لا يقدر أن يهدي ضالا ولا يضل مهديا أم هو
 واقع بقدرته ومشيتته ولا يكون في ما لا يريد وله في جميع خلقه
 حكمة بالغة وهو يبغضه ويكرهه ويمقت فاعله ولا يحب الفساد ولا يرضى
 لعباده الكفر ولا يريد الارادة الدنيئة المتضمنة لمحبهه ورضاه وان ارادة
 الارادة الكونية التي تتناول ما قدره وقضاه وفروع هذه المسئلة كثيرة
 ولاجل تجاذب الاصل ووقوع الاشتباه فيه صار الناس فيه الى
 التقديرات الثلاثة المذكورة في سؤال السائل وكل تقدير قال به طوائف
 من نبي آدم من المسلمين وغير المسلمين

(فالتقدير الاول) هو قول من يقول خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات
 الالهة ولا لداع ولا باعث بل فعل ذلك لمحض المشيئة وصرف الارادة
 وهذا قول كثير ممن يثبت القدر وينسب الى السنة من أهل الكلام
 والنقح وغيرهم وقد قال بهذا طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد
 وغيرهم وهو قول الاشعري وأصحابه وقول كثير من نفاة القياس

الظاهريّة كابن حزم وأمثاله

ومن حجة هؤلاء أنه لو خلق الخالق العلة لكان ناقصاً بدونها مستكملاً بها فإنه إما أن يكون وجود تلك العلة وعملها بالنسبة إليه سواء أو يكون وجودها أولى به فإن كان الأول امتنع أن يفعل لاجلها وإن كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملاً بها فيكون قبلها ناقصاً

ومن حججهم ما ذكره السائل من أن العلة إن كانت قديمة وجب قهر المعلول لأن العلة الغائبة وإن كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد كما يقال أول السمكة آخر العمل وأول البقية آخر الدرك ويقال إن العلة الغائية بها صار الفاعل فاعلاً فلا ريب أنها متأخرة في الوجود عن العمل فمن فعل فعلاً لمطلوب يطالبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فإذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو العلة قديماً كان الفعل قديماً بطريق الأولى (فلوقيل) أنه يفعل لعلة قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وإن قيل أنه فعل لعلة حادثة لزم محذور أن أحدهما أن يكون محلاً للحوادث فإن العلة إذا كانت منفصلة عنه فإن لم يعد إليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وإذا قدر أنه عاد إليه منها حكم كان ذلك حادثاً فيقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجهين أحدهما أن تلك العلة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضاً مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فإن كانت لغيره لزم العبث كما تقدم وإن كان

لعلة عاد التقسيم فيها فاذا كان كلما أحدثه أحدثه لعلته والعللة مما أحدثه
 لزم تسلسل الحوادث الثاني ان تلك العلة اما أن تكون مرادة لنفسها
 اولعلة أخرى فان كانت مرادة لنفسها امتنع حدوثها لان ما أراد الله
 تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر احداثه وان كانت مرادة لغيرها
 فالقول في ذلك الغير كالقول فيها ويلزم التسلسل وهذا ونحوه من حجج
 من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه

والتقدير الثاني قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل اللملة الفاعلية
 قديمة كما يقول ذلك طوائف من المسلمين كما سيأتي بيانه كما يقول ذلك من
 يقوله من المتفلسفة القائلين بقدم العالم وهو لاء أصل قولهم ان المبدع
 للعالم علة تامة تستلزم معلولها لا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم
 حججهم قولهم ان جميع الامور المعتبرة في كونه فاعلان كانت موجودة
 في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها
 معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا
 لانعنى بالعلة التامة الا ما يستلزم المعلول فاذا قدر انه تخلف عنها المعلول لم
 تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المعتبرة في الفعل
 وهي المقتضى التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من
 وجودها وجود الفعل وان لم يكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد
 المفعول بعد ذلك من تجدد سبب والالزم ترجيح أحد طرفي الممكن
 بالمرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في
 الحادث الاول ويلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة

للمفعول يوجب اما التمسك واما الترجيح بلا مرجح
ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكونهم
متناقضين فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون له العلة الفاعلية
ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لفاعل بالاختيار
وقولهم باطل من وجوه كثيرة * منها أن يقال هذا القول يستلزم
أن لا يحدث شيء وان كان كلما حدث حدث بغير احداث محدث ومعلوم
ان بطلان هذا بين من بطلان التسلسل وبطلان الترجيح بلا مرجح
وذلك ان العلة التامة المستلزمة لمعلولها يقترن بها معلولها ولا يجوز أن
يتأخر عنها شيء من معلولها فمكل ما حدث من الحوادث لا يجوز أن
يحدث عن هذه العلة التامة وليس هناك ما يصدر عنه الممكنات سوي
الواجب بنفسه الذي سماه هؤلاء علة تامة فاذا امتنع صدور الحوادث
عنه وايس هناك ميحدثها غيره لزم أن يحدث بلا محدث وأيضا فلو قدر
أن غيره أحدثها فان كان واجبا بنفسه كان القول فيه كالقول في الواجب
الاول وأصل قولهم ان الواجب بنفسه علة تامة تستلزم مقارنة معلوله
له فلا يجوز أن يصدر على قولهم عن العلة التامة حادث لا بواسطة ولا
بغير واسطة لان تلك الوسطة ان كانت من لوازم وجود كانت قديمة
معه فامتنع صدور الحوادث عنها وان كانت حادثة كان القول فيها
كالقول في غيرها وان قدر ان المحدث لاحداث غير واجب بنفسه كان
ممكننا ممتقرا الى موجب يجب به ثم ان قيل انه محدث كان من الحوادث
وان قيل انه قديم كان له علة تامة مستلزما له وامتنع حينئذ حدوث

الحوادث عنه فان الممكن لا يوجد هو ولا شيء من صفاته وأفعاله الاعن
الواجب بنفسه فاذا قدر حدوث الحوادث عن ممكن قديم معلول لعلة
قديمة قيل هل حدث فيه سبب يقتضى الحدوث أم لا فان قيل لم يحدث
سبب لزم الترجيح بلا مرجح وان قيل حدث سبب لزم التسلسل
كما تقدم

الوجه الثانى لذى يبين بطلان قولهم أن يقال مضمون الحججة انه
اذا لم يكن ثم علة قديمة لزم التسلسل أو الترجيح بلا مرجح والتسلسل
عندكم جائز فان أصل قولهم ان هذه الحوادث، تسلسلة شيئاً بعد شيئاً
وان حركات الفلك توجب استمداد اقوابل لان تفيض عليها الصور
الحادثة من العلة القديمة سواء قلتم هي العقل الفعال أو هي الواجب الذى
يصدر عنه بتوسط العقول أو غير ذلك من الوسائط واذا كان التسلسل
جائزاً عندكم لم يتبع حدوث الحوادث من غير علة موجبة للمعلول وان
لزم التسلسل بل هذا خير في الشرع والعقل من قولكم وذلك ان
الشرع أخبر ان الله خلق السموات والارض في ستة أيام وهذا مما
اتفق عاينه المثل المسلمون واليهود والنصارى فان قيل انه خالقها بسبب
حدث قبل ذلك كان خيراً من قولهم انها قديمة أزلية معه في الشرع
وكان أولى في العقل لان العقل ليس فيه ما يدل على قدم هذه الافلاك
حتى يعارض الشرع وهذه الحججة العقلية انما تقتضى أنه لا يحدث شيء
الاسبب حادث فاذا قيل ان السموات والارض خالقها الله تعالى بما
حدث قبل ذلك لم يكن في حججتكم العقلية ما يبطل هذا

الوجه الثالث أن يقال حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية امان أن يكون
ممكنا في العقل أو ممتمنا فان كان ممتمنا في العقل لزم ان الحوادث جميعها لها أول كما
يقول ذلك من يقوله من أهل الكلام ويطل قولهم بقدم حركات
الافلاك وان كان محدثا أمكن أن يكون حدوث ما أحده الله تعالى
كالسموات والارض موقوفا على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما
يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير
ذلك فيلزم فساد حججتكم على التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا المبدع العالم
حكمة وغاية مطلوبة واما أن لا تثبتوا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات
العلة الغائية وبطل ما تذكرونه من حكمة البارئ تعالى في خلق الحيوان
وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة
الموجودة في الوجود أمر يفوق العد والاحصاء كاحدائه سبحانه لما
يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت
الشتاء بقدر الحاجة واحدائه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته
وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع بسطه وان أثبتتم له حكمة مطلوبة وهي
باصطلاحكم العلة الغائية لزمكم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة
فان القول بأن الماعل فمل كذا الحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك
الحكمة المطلوبة جمع بين النقيضين وهؤلاء المتفلسفة من أكثر الناس
تناقضا ولهذا يجعلون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة
وأمثال ذلك

وأما التفسير الثالث وهو انه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة

محمودة فهذا قول أكثر الناس من المسامحين وغير المسلمين وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد وغيرهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كأبي البركات وأمثله لكن هؤلاء على أقوال * منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة منفصلة عنه أيضا كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة والشيعة ومن وافقهم وقالوا الحكمة في ذلك احسانه الي الخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب وقالوا ان فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به فعل ولا نعت فقال لهم الناس أتم متناقضون في هذا القول لان لاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه على فاعله حكم يحمد لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصد الحمد والثواب بذلك واما للرقة وألم يجده في نفسه يدفع بذلك الاحسان الالم واما لالتذاه وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتبذل بالخير الذي يحصل منها الي غيرها فالاحسان الي الغير محمود لكون المحسن يعود اليه من فعله هذه الامور اما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الماعل سواء لم يعلم ان مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلا ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لا عاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأتم

علتم أفعاله فراراً من العيب فوقعتم في العيب فان العيب هو الفعل الذي ليس فيه مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان الى غيره ونحو ذلك الاماله في ذلك من المنفعة والمصلحة والافاسر الفاعل بفضل لا يمود اليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لاني العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر

ونشأ من هذا الكلام نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسئلة التحسين والتقييح العقلي فأنبت ذلك المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأهل الحديث وغيرهم وحكوا ذلك عن أبي حنيفة نفسه واني ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والتبجح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل ملاماً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء ان الحسن والتبجح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وهذا ليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى وندب اليها هي نافعة لفاعليها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والذم والعقاب المترتب على مصلته ضار للفاعل ومفسدة له

والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لاجمعي حكم يعود اليه من أفعاله ومانازعوهوم لما اعتقدوا ان لاحسن ولا قبح الامعاد الي الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتنع لذاته وكل ما يقدر ممكنا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك أثبتوا حسنا وقبحا لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته اذ عندهم لا يقوم بذاته وصف ولا فعل ولا غير ذلك وان كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقبح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقابهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء قديرا ولا يقولون ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقولون بانه خالق كل شيء ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه سبحانه فانه قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً أى لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد وقال صلى الله عليه وسلم في حديث البطاقة الذي رواه الترمذى وغيره بجاء برجل من أهق يوم القيامة فتشمر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر فيقال له هل تنكر من هذا شيئاً فيقول لا يارب فيقال له لا ظلم عليك اليوم ويؤتى ببطاقة فيها شهادة أن لا اله الا الله فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فطاشت

السيجلات ونقلت البطاقة فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يظلم بل يثاب على ما أتى به من التوحيد كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره

وجهور هؤلاء الذين يسمون أنفسهم عدلية يقولون من فعل كبيرة واحدة أحببت جميع حسناته وخلد في نار جهنم فهذا الذي سماه الله ورسوله ظلماً بعدما يصفون الله به مع دعواهم تنزيهه عن الظلم ويسمون تخصيصه من إ شاء برحمته وفضله وخلقه ما خلقه لما فيه من الحكمة البالغة ظلماً

والكلام في هذه الامور مبسوط في غير هذا الموضع لكن نهينا على مجامع أصول الناس في هذا المقام وهؤلاء المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة يوجبون على الله سبحانه انه يفعل بكل عبد ما هو الا صالح في دينه وتنازعوا في وجوب الا صلح في دنياه ومذهبهم انه لا يقدر ان يفعل مع مخلوق من المصاحبة الدينية غير ما فعل ولا يقدر ان يهدى ضالاً ولا يضل مهتدياً

وأما سائر الطوائف الذين يتولون بالتعليل من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام وغيرهم والمنفاسفة أيضاً فلا يوافقونهم على هذا بل يقولون انه يفعل ما يفعل سبحانه لحكمته يعلمها وهو يعلم العباد أو بعض العباد من حكمته ما يطاعهم عليه وقد لا يعلمون ذلك والامور العامة التي يفعلها تكون لحكمته عامة ورحمة عامة كارساله محمداً صلى الله عليه وسلم فانه كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فان

ارساله كان من أعظم النعمة على الخلق وفيه أعظم حكمة للخالق ورحمة منه لعباده كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين وقال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً قالوا هو محمد صني الله عليه وسلم

فاذا قل القائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه من المشركين وأهل الكتاب

كان عن هذا جوابان* أحدهما انه نفعهم بحسب الامكان فانه أضعف شرهم الذي كانوا يفعلونه لولا الرسالة باظهار الحجيج والآيات التي زلزلت مافي قلوبهم وبالجهاد والجزية التي أخافهم وأذاتهم حتى قل شرهم ومن قتله منهم مات قبل أن يطول عمره في الكفر فيعظم كفره وكان ذلك تقليلا لشره والرسول صلوات الله عليهم بعثوا لتحصيل المصالح وتكسيها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الامكان* والجواب الثاني ان ما حصل من الضرر أمر مغمور في جنب ما حصل من النفع كالمطر الذي نفعه اذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكتسبين كالقصارين ونحوهم وما كان نفعه ومصاحته عامة كان خيرا مقصودا ورحمة محبوبة وان تضرر به بعض الناس وهذا الجواب أجب به طوائف من المسلمين وأهل الكلام والفقهاء وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم ومن الكرامية والصوفية وهو جواب كثير من المتفاسفة

وقال هؤلاء جميع ما يحدثه في الوجود من الضرر فلا بد فيه من
حكمة قال تعالى صنع الله الذي أتقن كل شيء وقال الذي أحسن كل
شيء خلقه والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شراً مطلقاً
وان كان شراً بالنسبة الى من تضرر به

ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم
إضافة الشر وحده الى الله بل لا يذكر الشر الا على أحد وجوه ثلاثة
أما أن يدخل في عموم المخلوقات فانه اذا دخل في العموم أفاد عموم
القدرة والمشيئة والخلق وتضمن ما شتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم
وأما أن يضاف الى السبب الفاعل وأما أن يحذف فاعله فالاول كقوله
تعالى الله خالق كل شيء ونحو ذلك

ومن هذا الباب أسماء الله المنقرنة كالمعطي المانع والضرار النافع المعز
المذل الخافض الرافع فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه ولا الضار عن
قرينه لان اقترانها يدل على العموم وكل مفي الوجود من رحمة
ونفع ومصاحبة فهو من فضله تعالى ومافي الوجود من غير ذلك فمن
عدله فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل كما في الصحيحين عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يمين الله ملأى لا يفيضها نفقة سبحانه
الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يفيض
مافي يمينه والقسط بيده الاخرى يخفض ويرفع فاخبر ان يده اليميني فيها
الاحسان الى الخلق ويده الاخرى فيها العدل والميزان الذي به يخفض
ويرفع يخفضه ورفعه من عدله واحسانه الى خلقه من فضله

وأما حذف الفاعل فمثل قول الجن وأنا لا ندرى أشتر أريد بمن
في الارض أم أراد بهم ربهم رشداً وقوله تعالى صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ونحو ذلك

وأضافته الى السبب كقوله من شر ما خلق وقوله فاردت أن أعيها
مع قوله فاراد ربك أن يبلغا أشدها ويسخرها كنزها وقوله تعالى
ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقوله
ربنا ظلمنا أنفسنا وقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم
أني هذا قل هو من عند أنفسكم وأمثال ذلك

ولهذا ليس في أسماء الله الحسنى اسم يتضمن الشر وإنما يذكر
الشر في مفعولاته كقوله نبي عبادي أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابي
هو المذاب الاليم وقوله ان ربك لعق العاقب وان لغفور رحيم وقوله
اعلموا أن الله شديد العقاب الآية وقوله ان بطش ربك لشديد انه هو
يبديء ويميد وهو الغفور الودود فبين سبحانه ان بطشه شديد وان
هو الغفور الودود

واسم المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وإنما جاء في القرآن مقيداً كقوله تعالى انا من المجرمين
منتقمون وقوله ان الله عزيز ذو انتقام والحديث الذى في عدد الاسماء
الحسنى الذى يذكر فيه المنتقم وذكر في سياقه البر التواب المنتقم العفو
الرؤف ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلى الله عليه
وسلم بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن بعض شيوخه ولهذا لم يروه

أحد من أهل الكتيب المشهورة الا الترمذى رواه من طريق الوليد
 ابن مسلم بسياق ورواه غيره باختلاف فى الاسماء وفى ترتيبها يبين انه
 ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وسائر من روى هذا الحديث
 عن أبي هريرة ثم عن الاعرج ثم عن أبي الزناد لم يذكروا أعيان
 الاسماء بل ذكروا قوله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين
 اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهكذا أخرجه أهل
 الصحيح كالبخارى ومسلم وغيرهما ولكن روى عدد الاسماء من طريق
 أخرى من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة ورواه ابن ماجه
 واستاده ضعيف يعلم أهل الحديث انه ليس من كلام النبي صلى
 الله عليه وسلم وليس فى عدد الاسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم
 الا هذان الحديثان كلاهما مرويان من طريق أبي هريرة وهذا
 مبسوط فى موضعه

وانقصود هنا التنبيه على أصول تقع فى معرفة هذه المسئلة فان نفوس
 بنى آدم لا تزال يجول فيها من هذه المسئلة أمر عظيم
 واذا علم العبد من حيث الجملة ان لله فيما خلقه وما أمر به حكمة
 عظيمة كفاه هذا ثم كلما ازداد علماً واثمنا ظهر له من حكمة الله ورحمته
 ما يهر عقله ويبين له تصديق ما أخبر الله به فى كتابه حيث قال سبحانه
 آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فانه صلى الله عليه
 وسلم قال فى الحديث الصحيح لله أرحم بمعباده من الوالدة بولدها وفى
 الصحيحين عنه أنه قال ان الله خالق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة أنزل

منها رحمة واحدة فيها يترحم الخالق حتى ان الدابة لترفع حافرها عن ولدها من تلك الرحمة واحتبس عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة جمع هذه الي تلك فرحم بها عباده او كما قال

ثم هؤلاء الجمهور من المسلمين وغيرهم كأئمة المذاهب الاربعة وغيرهم من السلف والعلماء الذين يثبتون حكمة فلا ينفونها كما نفاهم الاشعرية ونحوهم الذين يثبتون ارادة بلا حكمة ومشيدة بلا رحمة ولا محبة ولا رضا وجملوا جميع المخلوقات بالنسبة اليه سواء لا يفرقون بين الارادة والمحبة والرضا بل ما وقع من الكفر والنسوق والعصيان قالوا انه يحبه ويرضاه كما يريدو واذا قالوا لا يحبه ولا يرضاه ديناً قالوا انه لا يريدو ديناً وما لم يقع من الايمان والتقوى فانه لا يحبه ولا يرضاه عندهم كما لا يريدو وقد قال تعالى اذ يبيتون فلما يرضى من القول فأخبر انه لا يرضاه مع انه تدره وقضاه ولا يوافقون الماتزلة على اسكار قدر الله تعالى وعموم خلقه ومشيدته وقدرته ولا يشبهونه بخلقهم فيما يجب ويحرم كما فعل هؤلاء ولا يسلبونه ما وصف به نفسه من صفاته وأفعاله بل أثبتوا له ما أثبتته لنفسه من الصفات والافعال ونزهوه عما نزه نفسه من الصفات والانعمال وقالوا ان الله خالق كل شئ ومليك وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شئ قدير وهو يحب المحسنين والمتقين ويرضى عن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ولا يرضى لعباده الكفر ولا يرضى بالقول المخالف لامر الله ورسوله وقالوا مع انه خالق كل شئ وربهم وما يملك فقد فرق بين المخلوقات أعيانها

وأفعالها كما قال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين وكما قال أم حسب الذين
اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار وقال وما يستوى الأعمى
والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل والحور وما يستوى الأحياء
ولا الأموات وأمثال ذلك مما يبين الفرق بين المخلوقات وانقسام الخلق
إلى شقي وسعيد كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
وقال تعالى فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة وقال تعالى يدخل
من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً وقال تعالى ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
يحسرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فلوكـنـك في
العذاب محضون وانظر هذا في انقرآن كثير

وينبغي أن يعلم ان هذا المقام زل فيه طوائف من أهل الكلام
والتصوف وصاروا فيه إلى ما هو شر من قول المعتزلة ونحوهم من التدرية
فان هؤلاء يظنون الأمر والنهي والوعد والوعيد وطاعة الله ورسوله
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لكن ضلوا في القدر واعتقدوا
أنهم اذا أثبتوا مشيئة عامة وقدرة شاملة وخلقاً متناولاً لكل شيء لزم
من ذلك القدر في عدل الرب وحكمته وغايطوا في ذلك فقابل هؤلاء
قوم من العلماء والعباد وأهل الكلام والتصوف فأثبتوا القدر وآمنوا
بان الله رب كل شيء ومليكه وأنه مانء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه خالق

كل شيء وهذا - من و صواب لكنهم قصروا في الامر والنهي والوعيد والوعيد وافرطوا حتى غلبهم الى الاتحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء فاولئك القدرية وان كانوا يشبهون المجوس من حيث انهم أثبتوا فعلا لما اعتقدوه شرأ غير الله سبحانه فهو لاء شابهوا المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء فالمشركون شر من المجوس فان المجوس يقرون بالجزية باتفاق المسلمين وذهب بعض العلماء الى حل نسائهم وطعامهم وأما المشركون فاتفقت الامة على تحريم نكاح نسائهم ومذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه وغيرها أنهم لا يقرون بالجزية وجهور العلماء على أن مشركي العرب لا يقرون بالجزية وان أقرت المجوس فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وانى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل والمقصود هنا ان من أثبت القدر واحتج به على ابطال الامر والنهي فهو شر ممن أثبت الامر والنهي ولم يثبت القدر وهذا متفق عليه بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل بل جميع الخلق فان من احتج بالقدر وشهد الربوبية العامة لجميع المخلوقات ولم يفرق بين المأمور والمحذور والمؤمن والكافر وأهل الطاعة وأهل الممصية لم يؤمن بأحد من الرسل ولا بشيء من الكتب وكان عنده آدم وابلوس سواء ونوح وقومه - واء وموسى وفرعون سواء والسابقون الاوون والكافرون سواء وهذا

الضلال قد كثرت في كثير من أهل التصوف والزهد والعبادة لاسيما اذا
 قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر والمشيدة من غير اثبات
 المحبة والبغض والرضا والسيخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد
 الربوبية والالهية عندهم هي القدرة على الاختراع ولا يعرفون توحيد
 الالهية ولا يعلمون ان الاله هو المألوه المعبود وان مجرد الاقرار بأن
 الله رب كل شيء لا يكون توحيداً حتى تشهد أن لا اله الا الله كما قال
 تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال عكرمة نسألهم
 من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره

وهؤلاء يدعون التوحيد والفناء في التوحيد ويقولون ان هذا
 نهاية المعرفة وان العارف اذا صار في هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا
 يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة
 وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ولا حول
 ولا قوة الا بالله

وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون
 الاصنام الذين قال تعالى عنهم قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
 - يقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب
 العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل
 شيء وهو يجز ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني
 تسحرون وقال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر
 الشمس والقمر ليقولن الله فاني يؤفكون وقال ولئن سألتهم من

خلق السموات والارض يقولون الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون
 وقال تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع
 ولابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر
 الامر فيقولون الله قل أفلا تتقون فذليكم الله ربكم الحق فماذا بعد
 الحق الا الضلال فاني تصرفون كذلك حققت كلمة ربك على الذين فسقوا
 أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يبيده قل الله
 يبدأ الخلق ثم يبيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى
 الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أم من
 لا يهدي الا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون وقال تعالى أمن خلق
 السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأبنتنا به حدائق ذات بهجة
 ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أهله مع الله بل هم قوم يدعون أم من
 جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل
 بين البحرين حاجزاً أهله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أم من يجيب
 المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أهله مع الله
 قليلاً ما تذكرون أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل
 الرياح بشراً بين يدي رحمته أهله مع الله تعالى الله عما يشركون أم من يبدأ
 الخلق ثم يبيده ومن يرزقكم من السماء والارض أهله مع الله قل هاتوا
 برهانكم ان كنتم صادقين فان هؤلاء المشركين كانوا مقرين بان الله
 خالق السموات والارض وخالقهم وبيده ملكوت كل شيء وكانوا
 مقرين بالقدر

فان العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في
النظم والنثر ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له
بل عبدوا غيره كانوا مشركين شرأ من اليهود والنصارى
فمن كان غاية توحيدِه ومحقِيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيدِه
توحيد المشركين

وهذا المقام مقام وأى مقام ذات فيه أقدام وضلت فيه افهام وبدل
فيه دين المسلمين والتبس فيه أهل التوحيد بعباد الاصنام على كثير ممن
يدعون نهاية التوحيد والتحقيق والمعرفة والكلام

ومعلوم عند كل من يؤمن بالله ورسوله ان المعتزلة والشيعة القدرية
المتبئين للامر والنهي والوعد والوعيد خير ممن يسوى بين المؤمن
والكافر والبر والفاجر والنبي الصادق والمنتفي الكاذب وأولياء الله
وأعدائه الذين ذمهم السلف بل هم أحق بالذم من المعتزلة كما قال الخليل
في كتاب السنة في الرد على القدرية وقولهم ان الله أجبر العباد على المعاصى
وذكر المروزي قال قلت لابي عبد الله رجل يقول ان الله أجبر
العباد فقال هكذا لانقول وأنتكر ذلك وقال يضل الله من يشاء
ويهدى من يشاء

وذكر عن المروزي ان رجلاً قال ان الله لم يجبر العباد على المعاصى
فرد عليه آخر فقال ان الله جبر العباد أراد بذلك اثبات القدر فسألوا
عن ذلك أحمد بن حنبل فأنكر عليهم - مما جميعاً حتى قال أو أمر أن يقال
يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وذكر عن عبد الرحمن بن مهدي

قال أنكر سفيان الثوري جبر وقال ان الله جبر العباد
 قال المرزوي أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شئ عبد
 القيس يعنى قوله ان فيك خلقتين يحبهما الله الحلم والاناة فقال اخاقين
 تخلقت بهما أم خلقين حبت عليهما فقال بل خلقين حبات عليهما فقال
 الحمد لله لذي جبلنى على خلقين يحبهما

وذكر عن أبى اسحاق الفزارى قال قال الاوزاعى أتانى رجلان
 فسألانى عن القدر فاحببت ان آتيك بهما تسمع كلامهما وتجبهما ماقدت
 رحمك الله أنت أولى بالجواب قال فأتانى الاوزاعى ومعه الرجلان فقال
 تكلمما فقالا قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا فى القدر ونازعناهم
 فيه حتى بلغ بنا وبهم الى أن قلنا الله جبرنا على ما نانا عنه وحال بيننا وبين
 ما أمرنا به ورزقنا ما حرم علينا فقلت يا هؤلاء ان الذين أتوكم بما أتوكم به
 قد ابتدعوا بدعة وأحدثوا حدثا وانى أراكم قد خرجتم من البدعة الى
 مثل ما خرجوا اليه فقال أصبت وأحسن يا أبا اسحاق

وذكر عن بقرية بن الوليد قال سألت الزبير بن العدي والاوزاعى عن
 الجبر فقال الزبيرى أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل
 ولكن يقضى وبقدره ويخاق ويجهل عبده على ما أحب
 وقال الاوزاعى ما عرف لهجر أصلا من القرآن والسنة فأهاب
 أن أقول ذلك ولكن القضاء والقدر والخلق والجبر فهذا يعرف فى
 القرآن والحديث * وقال مطرف بن الشخير لم نوكل الى القدر واليه
 نصير * وقال ضمرة بن ربيعة لم نؤمر أن نتوكل على القدر واليه نصير

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكفل على الكتاب فقال لا تعملوا فكل ميسر لما خاق له وهذا باب واسع

والمقصود هنا ان الحلال وغيره أدخلوا القائلين بالجبر في مسمى القدرية وان كانوا لا يحتجون بالقدر على المعاصي فكيف بمن يحتج به على المعاصي * ومعلوم انه يدخل في ذم من ذم الله من القدرية من يحتج به على إسقاط الامر والنهي اعظم مما يدخل فيه المنكر له فان ضلال هذا أعظم ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف وروى في ذلك حديث مرفوع لان كلام هاتين البدعتين تفسد الامر والنهي والوعد والوعيد فالارجاء يضعف الايمان بالوعيد ويهون أمر الفرائض والمحارم والقدرى ان احتج به كان عوناً للمرجى وان كذب به كان هو والمرجى قد تقابلا هذا يبالغ في التشديد حتى لا يجمل العبد يستعين بالله على فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وهذا يبالغ في الناحية الأخرى

ومن المعلوم ان الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب لتصدق الرسل فيما أخبرت واطاع فيما أمرت كما قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله والايمان بالقدر من تمام ذلك فمن أثبت القدر وجعل ذلك معارضا للامر فقد أذهب الاصل ومعلوم ان من أسقط الامر والنهي

الذي بعث الله به رساله فهو كافر باتفاق المسلمين واليهود والنصارى بل هؤلاء قولهم متناقض لا يمكن أحدهم أن يعيش به ولا تقوم به مصلحة أحد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان حجة فهو حجة لكل أحد والافليس حجة لاحد فاذا قدر ان الرجل ظلمه ظالم أو شتمه شاتم أو أخذ ماله أو أفرد أهله أو غير ذلك فحق لامة أو ذمه أو طاب عقوبته أبطال الاحتجاج بالقدر ومن ادعى ان العارف اذا شهد الارادة سقط عنه الامر كان هذا الكلام من الكافر الذي لا يرضاه اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع في الع-قل محال في الشرع فان الجئع يفرق بين الحبز والتراب والعطشان يفرق بين الماء والشراب فيجب ما يشبعه ويرويه دون ما لا ينفعه والجميع مخلوق لله تعالى فالحي وان كان من كان لا بد أن يفرق بين ما ينفعه وينعمه ويسره وبين ما يضره ويشقيه ويؤلمه هذا حقيقة الامر فان الله تعالى أمر العباد بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم ﴿ والناس في الشرع والتدر على أربعة أنواع فشر الخلق ﴾ من يحتج بالقدر انفسه ولا يراه حجة لغيره يستند اليه في الذنوب والمعائب ولا يطعن اليه في المصائب كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب وافق هو الك تذهب به وبازاء هؤلاء خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك * وقال ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير ليكبلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله

لا يحب كل مختال فخور * وقال تعالى ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله
ومن يؤمن بالله يهد قباه * قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة
فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم * قال تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة
أوظفوا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب
الإله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون

وقد ذكر الله تعالى عن آدم عليه السلام أنه لما فعل ما فعل قال
ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن
ابليس أنه قال فيما أغويتني لازينن لهم في الأرض ولا غوينهم أجمعين
فمن تاب أشبه أباه آدم ومن أصر واحتج بالفرد أشبه ابليس

(والحديث الذي في الصحيحين في احتجاج آدم وموسى عليهما
السلام) لما قال له موسى أنت أبو البشر خالقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه وعلمك أسماء كل شيء لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال
له آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وخط لك
النورا بيده فبكم وجدت مكتوبا علي قبل أن أخلق وعصى آدم
ربه فنفوى قال بكذا وكذا سنة قال فخرج آدم موسى وهذا الحديث
في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقد روى بالسناد جيد عن عمر
رضي الله عنه فأدوم حج موسى لان موسى لاهه على ما فعل لاجل
ما حصل لهم من المصيبة بسبب أكله من الشجرة ولم يكن لومه لاجل حق
الله في الذنب فان آدم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى فتلقى آدم من
ربه كلمات فتاب عليه وقال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومن

هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوب: والمغفرة لا يبقى ملام
علي الذنب و آدم أعلم بالله من أن يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه
السلام أعلم بالله تعالى من أن يقبل هذا، الحجة فان هذه لو كانت حجة
على الذنب لكانت حجة لابليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو
موسى وحجة لكل كافر وبطل أمر الله ونهيه بل انما كان القدر حجة
لا آدم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك
وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه * وقد قال تعالى ما اصاب من مصيبة
الاباذن الله ومن يؤمن بالله يهد قباه * وقال أنس خدمت النبي صلى الله
عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لي لشيء فعلته لم فعلته
ولا لشيء لم أفعله لم لافعله * وكان بعض أهله اذا عتبنى على شيء يقول
دعوه فلو قضى شيء امكن * وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها
قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما ولا امرأة ولا
دابة ولا شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا نبل منه قط شيء فانتقم
لنفسه الا أن تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء
حتى ينتقم لله * وقد قال صلى الله عليه وسلم لو أن فاطمة بنت محمد سرقت
لقطعت يدها ففي أمر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقم الحدود
على من تعدي حدود الله ولا تأخذه في الله لومة لائم واذا آذاه
مؤذ أو قصر مقصر في حقه عفا عنه ولم يؤاخذه نظرا الى القدر فهذا
سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحن أولئك رفية وهذا واجب فيما قدر من المصائب بغير فعل آدمي

كل مصائب السماوية أو بفعل لاسبيل فيه الى العقوبة كفعل آدم عليه السلام فانه لاسبيل الي لومه شرعا لاجل التوبة ولا قدرا لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم رجل رجلا فله أن يستوفي مظالمه على وجه العدل وان عفا عنه كان أفضل له كما قال تعالى والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له

وأما الصنف الثالث فهم الذين لا ينظرون الى القدر لافي المعائب ولا في المصائب التي هي من أفعال العباد بل يضيفون ذلك الى العبد واذا أباؤا استغفروا وهذا حسن لكن اذا أصابتم مصيبة بفعل العبد لم ينظروا الى القدر الذي مضى بها عليهم ولا يقولون لمن قصر في حقهم دعوه فلو نضى شيء لكان لاسيما وقد تكون تلك المصيبة بسبب ذنوبهم فلا ينظرون اليها وقد قال تعالى أولما أصابتم مصيبة قدامكم مثلها قلتم أني هذا قل هو من عند أنفسكم وقال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور ومن هذا قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تمهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك

فان هذه الآية تنازع فيها كثير من منبى القدر ونفاته هؤلاء يقولون الافعال كلها من الله لقوله تعالى قل كل من عند الله وهؤلاء

يقولون الحسنة من الله والسيئة من نفسك لقوله ما أصابك من حسنة
 فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وقد يجيهم الاولون بقراءة
 مكذوبة فمن نفسك بالفتح على معنى الاستفهام وربما قدر بعضهم تقديرا
 أى أمن نفسك وربما قدر بعضهم القول في قوله تعالى ما أصابك فيقولون
 تقدير الآية فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون فيحرفون
 لفظ القرآن ومنه ما يجعلون ما هو من قول الله قول الصدق من
 قول المنافقين الذين أنكروا الله قولهم ويضفون في القرآن مالا دليل
 على ثبوته بل سياق الكلام ينفه من هاتين الطائفتين جاهلة بمعنى
 القرآن وبحقيقة المذهب الذي ينصره وأما القرآن فالمراد هنا بالحسنات
 والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصي وهذا كتقوله
 تعالى ان تمسككم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان
 تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وكقوله ان تصبك حسنة تسؤهم
 وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرا من قبل ويتولوا وهم فرحون
 قل ان يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الآية ومنه قوله تعالى
 وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون كما قال تعالى ونبلوكم بالشر
 والحير فتنة والينا ترجعون أى بالنعم والمصائب هذا بخلاف قوله تعالى من جاء
 بالحسنة فله خير منها وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الا مثله أو امثال
 ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ
 فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى اشكال بل هو مبين
 وذلك انه اذا قال ما أصابك وما مسك ونحو ذلك كان من فعل

غيرك بك كما قال ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وكما قال تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وقال تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم واذا قال من جاء بالحسنة كانت من فعله لانه هو الجائي بها فهذا يكون فيما فعله العبد لافيا فدل به وسياق الآيتين يبين ذلك فانه ذكر هذا في سياق الحز على الجهاد وذم المتخالفين عنه فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذلم أكن معهم شهيدا واثن أصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فامر سبحانه بالجهاد وذم المشركين وذكر ما يصيب المؤمن تارة من المصيبة فيه وتارة من فضل الله فيه كما أصابهم يوم أحد فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وأصابهم يوم بدر فضل من الله بنصره لهم وتأيده كما قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم انه سبحانه قال فليقاتل في سبيل الله الذين يشركون الحياة الدنيا بالآخرة الآية وقال تعالى وما لكم لانق تلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الى قوله أينما تكونوا يدر ككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فهذا من كلام الكفار والمنافقين اذا أصابهم نصر وغيره من النعم قالوا هذه من عند الله وان أصابهم ذل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا هذه من عند محمد بسبب الدين الذي جاء به فان الكفار

كانوا يضيفون ما أصابهم من المصائب الى فعل أهل الايمان وقد ذكر
 نظير ذلك في قصة موسى وفرعون قال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون
 بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا
 هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ونظيره قوله تعالى في
 سورة يس قالوا ربنا بعلم انا اليكم ارسلون وما علينا الا البلاغ المبين
 قالوا انا تطيرنا بكم لننظن انتم لم تنتهوا لئلا نرجنكم ولئلا نعلم انكم
 من اعداب اليم فاخبر الله تعالى ان الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فاذا أصابهم بلاء جعلوه
 بسبب أهل الايمان وما أصابهم من الخير جعلوه من الله عز وجل فقال
 تعالى فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا والله تعالى نزل أحسن
 الحديث فلو فهموا القرآن لعلموا أن الله أمرهم بالمعروف ونهاهم
 عن المنكر أمر بالخير ونهى عن الشر فليس فيما بعث الله به رسلا ما يكون
 سبباً للشكر بل الشكر حصل بذنوب العباد فقال تعالى ما أصابك من حسنة
 فمن الله أى ما أصابك من نصر ورزق وعافية فمن الله نعمه أنعمها عليك
 وان كانت بسبب أعمالك الصالحة فهو الذى هدك وأعانك ويسرك
 ليسرى ومن عليك بالايمان وزينه في قلبك وكره اليك الكفر
 والفسوق والعصيان وفي آخر الحديث الصحيح الالهى حديث أبى ذر
 عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى يا عبادى
 انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفىكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد
 الله ومن وجد غير ذلك فلا يلمن الا نفسه
 وفي الصحيح سيد الايمان تفار اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى

وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت
 أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت
 من قالها إذا أصبح موقفاً بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها إذا
 أمسي موقفاً بها فمات من إيلته دخل الجنة ثم قال تعالى وما أصابك من
 سيئة من ذل وخوف وهزيمة كما أصابهم يوم أحد فمن نفسك أي بذنوبك
 وخطاياك وإن كان ذلك مكتوباً مقدراً عليك

فإن القدر ليس حجة لا حـد على الله ولا على خلقه ولو جاز
 لا حـد أن يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات لم يعاقب ظالم ولم يقتل
 مشرك ولم يقم حد ولم يكف أحد عن ظلم أحد وهذا من الفساد في
 الدين والدنيا المعلوم ضرورة وافـده به صريح المعقول المطابق لما جاء به
 الرسول فاقدر يؤمن به ولا يحتج به فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس
 ومن احتج به ضارع المشركين ومن أقر بالأمر والقدر وطعن في
 عدل الله وحكمته كان شبهها بابليس فإن الله تعالى ذكر عنه أنه طعن
 في حكمته وعارضه برأيه وهواه وأنه قال فيما اغويتني لازينن لهم في
 الارض.

وقد ذكر طائفة من أهل الكتاب وبعض المصنفين في المقالات
 كالشهرستاني أنه ناظر الملائكة في ذلك معارضاً لله تعالى في خلقه وأمره
 لكن هذه المناظرة بين إبليس والملائكة التي ذكرها الشهرستاني في
 أول المقالات ونقاهما عن بعض أهل الكتاب ليس لها إسناد يعتمد عليه
 ولو وجدناها في كتب أهل الكتاب لم يجز أن نصدقها لمجرد ذلك فإن

النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه في الصحيح انه قال اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبونه واما أن يحدثوكم بباطل فتصدقونه ويشبهه والله أعلم ان تكون المناظرة من وضع بعض المكذبين بالقدر اما من أهل الكتاب واما من المسلمين والشهرستاني نقلها من كتب المقالات واصنفون في المقالات ينقلون كثيرا من المقالات من كتب المعتزلة كما نقل الاشعري وغيره مانقلا في المقالات من كتب المعتزلة فانهم من أكثر الطوائف وأولها تصديفاً في هذا الباب ولهذا توجد المقالات منقولة بعباراتهم فوضعوا هذه المناظرة على لسان ابليس كما رأينا كثيراً منهم يضع كتاباً أو قصيدة على لسان بعض اليهود أو غيرهم ومقصودهم بذلك الرد على الثبوتين للقدر يقولون ان حجة الله على خلقه لاتم لا بالكذب بالقدر كما وضعوا في مثالب ابن كلاب انه كان نصرانياً لانه أثبت الصفات وعندهم من أثبت الصفات فقد أشبهه النصراني وتلقى أمثال هذه الحكايات بالقبول من المنتسبين الى السنة لمن لم يعرف حقيقة أمرها

والتقصود هنا أن الآية الكريمة حجة على هؤلاء وهؤلاء على من يحتج بالقدر فان الله تعالى أخبر انه عندهم بذنوبهم فلو كانت حججهم مقبولة لم يذنبهم بذنوبهم وحجة على من كذب بالقدر فانه سبحانه أخبر ان الحسنة من الله وان السيئة من نفس العبد والقدرية متفقون على ان العبد هو المحدث للمعصية كما هو المحدث للطاعة والله عندهم ما أحدث هذا ولا هذا ولا هذا بل أمر بهذا ونهى عن هذا وليس عندهم لله

نعمة أنعمها على عباده المؤمنين في الدين الا وقد أنعم بمنزلها على الكفار
فَعندهم ان على بن أبي طالب رضى الله عنه وأبأهب مستويان في نعمة
الله الدينية اذ كل منهما أرسل اليه الرسول وأقدر على الفعل وأجبر
عليه لكن هذا فعل الايمان بنفسه من غير أن يخصه بنعمة آمن بها
وهذا فعل الكفر بنفسه من غير أن يفضل الله عليه ذلك المؤمن ولا
خصه بنعمة آمن لاجلها وعندهم ان الله حجب الايمان الى الكفار كإبى
لهب وامثاله كما حجب به الى المؤمنين كعلى رضى الله عنه وامثاله وزينه في
قوب الطائفتين وكره الكفر والفسوق والعصيان الى الطائفتين سواء
ليكن هؤلاء كرهوا ما كرهه الله اليهم بغير نعمة خصهم بها وهؤلاء
لم يكرهوا ما كرهه الله اليهم

ومن توهم منهم أو من نقل عنهم ان الطاعة من الله والمعصية من
العبد فهو جاهل بمذهبهم فان هذا لم يقله أحد من علماء التدرية ولا
يمكن أن يقوله فان أصل قولهم ان فعل العبد للطاعة كفضله للمعصية
كلنا عما فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه بارادة خلقها فيه تختص
باحدها فاذا احتجوا بهذه الآية على مذهبهم كانوا جاهلين بمذهبهم
وكانت الآية حجة عليهم لآلهم لانه قال تعالى قل كل من عند الله
وعندهم ليس الحسنات المنعولة ولا السيئات المنعولة من عند الله بل
كلاهما من العبد وقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك
من سيئة فمن نفسك مخالف لقولهم فان عندهم الحسنة المنعولة من العبد
لامن الله سبحانه وتعالى

وكذلك من اتيح من مثبتة القدر بالآية على اثباته اذا احتج بقوله تعالى قل كل من عند الله كان مخطئاً فان الله ذكر هذه الآية رداً على من يقول الحسنه من الله والسيئة من العبد ولم يقل أحد من الناس ان الحسنه المفعولة من الله والسيئة المفعولة من العبد وأيضاً فان نفس فعمل العبد وان قال أهل الاثبات ان الله خالق له وهو مخلوق له ومفعول له فانهم لا ينكرون ان العبد هو المتحرك بالافعال وبه قامت ومنه نشأت وان كان الله خالقها وأيضاً فان قوله بعد هذا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك يمنع أن يقسم بالطاعة والمعصية فان أهل الاثبات لا يقولون ان الله خلق احدهما دون الاخرى بل يقولون بان الله خالق لجميع الافعال وكل الحوادث

(وما ينبغي أن يعلم) ان مذاهب سلف الامة مع ان قوهم الله خالق كل شيء وربهم ومليكهم وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه على كل شيء قدير وأنه هو الذي خلق العبد هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً ونحو ذلك ان العبد فاعل حقيقة وله مشيئة وقدرة قال تعالى ان شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين وقال تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة

وهذا الموضوع اضطرب فيه الخائفون في القدر فقالت المعتزلة ونحوهم من النفاة الكفر والفسوق والعصيان أفعال تبيحة والله منزه عن فعل القبيح باتفاق المسلمين فلا يكون فعلاً له وقال من رد عليهم

من المائلين الى الجبر بل هي فعله وليست أفعالا للعباد بل هي كسب للعبد وقالوا ان قدرة العبد لاتأثير لها في حدوث مقهورها ولا في صفة من صفاتها وان الله أجرى العادة بخاق مقهورها مقارنا لها فيكون الفعل خلقا من الله وابداعا واحداثا وكسبا من العبد لوقوعه مقارنا لقدرته

وقالوا ان العبد ليس محدثا لافعاله ولا موجوداً لها ومع هذا فقد يقولون انا لانقول بالجبر المحض بل ثبت للعبد قدرة حادثة والجبر المحض الذي لا يثبت للعبد قدرة وأخذوا يفرقون بين الكسب الذي أثبوه وبين الخاق فقالوا الكسب عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة والخلق هو المقدور بالقدرة القديمة، وقالوا أيضاً الكسب هو الفعل القائم بمحل القدرة عليه والخلق هو الفعل الخارج عن محل القدرة عليه فقال لهم الناس هذا لا يوجب فرقا بين كون العبد كسبا وبين كونه فاعلا أو وجد وأحدث وصنع وعمل ونحو ذلك فان فعله واحداثه وعمله وصنعه هو أيضاً مقدر بالقدرة الحادثة وهو قائم في محل القدرة الحادثة وأيضاً فهذا فرق لا حقيقة له فان كون المقدور في محل القدرة أو خارجا عن محلها لا يعود الى تأثير القدرة فيه وهو مبني على أصلين ان الله لا يقدر على فعل يقوم بنفسه وان خلقه للعالم هو نفس العالم وأكثر العقلاء من المسلمين وغيرهم على خلاف ذلك والثاني ان قدرة العبد لا يكون مقهورها خارجا عن محلها وفي ذلك نزاع طويل ليس هذا موضعه وأيضاً فاذا فسر التأثير بمجرد الاقتران فلا فرق بين أن يكون الفارق

في المحل أو خارجا عن المحل وأيضاً قال لهم المنازعون من المستقر في فطر الناس ان من فعل العدل فهو عادل ومن فعل الظلم فهو ظالم ومن فعل الكذب فهو كاذب فاذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظامه وعدله بل الله هو فاعل ذلك لزم أن يكون هو المتصف بالكذب والظلم قالوا وهذا كما قلتم أتم وسائر الصفاتية من المستقر في فطر الناس أن من قام به العلم فهو عالم ومن قامت به القدرة فهو قادر ومن قامت به الحركة فهو متحرك ومن قام به التكلم فهو متكلم ومن قامت به الارادة فهو مريد وقلتم اذا كان الكلام مخلوقا كان كلاما للمخل الذي خلقه فيه كسائر الصفات فهذه القاعدة المطردة فيمن قامت به الصفات نظيرها أيضاً من فعل الافعال وقالوا أيضاً القرآن مملوء بذكر اضافة هذه الافعال الى العباد كقوله تعالي جزاء بما كنتم تعملون وقوله اعملوا ما شئتم وقوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم وقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأمثال ذلك وقالوا أيضاً ان الشرع والعقل منفقان على أن العبد يحمده ويذم على فعله ويكون حسنة له فلو لم يكن الا فعل غيره لكان ذلك الغير هو المحمود المذموم عليها

وفي المسئلة كلام ليس هذا موضع بسطه لكن ينبه على نكت نافعة

في هذا الموضع المشكل

فتقول قول القائل هذا فعل هذا وفعل هذا لفظ فيه اجمال فانه

تارة يراد بالفعل نفس الفعل وتارة يراد به مسمى المصدر فيقول فعلت هذا أفعله فعلا وعمات هذا أعمله عملا فاذا أريد بالعمل نفس الفعل على

الذي هو مسمى المصدر كصلاة الانسان وصيامه ونحو ذلك فالعمل
هنا المعمول قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان
كالجواب وقدور راسيات فجعل هذه المصنوعات معمولة للجن ومن
هذا الباب قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون فانه في أصح القولين
ما بمعنى الذي والمراد به ما تختونه من الاصنام كما قال تعالى أعبدون
ما تختون والله خلقكم وما تعملون أى والله خلقكم وخلق الاصنام التي
تختونها ومنه حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق
كل صانع وصنعه لكن قد يستدل بالآية على ان الله خالق أفعال العباد
من وجه آخر فيقال اذا كان خالقاً لما يعملونه من المنحوتات لزم أن
يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه فيها فانما صارت معمولة
بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست معمولة لهم واذا كان خالقاً
لما يعملونه من المنحوتات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه
فيها فانما صارت معمولة بذلك التأليف والا فهي بدون ذلك ليست
معمولة لهم واذا كان خالقاً للتأليف كان خالقاً لأفعالهم
والمقصود ان لفظ الفعل والعمل والصنع أنواع وذلك كلفظ البناء
والحياطة والتجارة تقع على نفس مسمى المصدر وعلى المفعول وكذلك
لفظ التلاوة والقراءة والكلام والقول يقع على نفس مسمى المصدر
وعلى ما يحصل بذلك من نفس القول والكلام فيراد بالتلاوة والقراءة
المقروء والمتلو كما يراد بها مسمى المصدر
والمقصود هنا ان القائل اذا قال هذه التصرفات فعل الله أو فعل

العبدان أراد بذلك أنها فعل الله بمعنى المصدر فهذا باطل باتفاق المسلمين
و بصريح العقل ولكن من قال هو فعل الله أراد به أنها مفعولة مخلوقة
لله كسائر المخلوقات ثم من هؤلاء من قال انه ليس لله فعل يقوم به فلا
فرق عنده بين فعله ومفعوله وخالقه ومخلوقه

وأما الجمهور الذين يفرقون بين هذا وهذا يقولون هذه مخلوقة
لله مفعولة ليست هي نفس فعله وأما العبد فهي فعله القائم به وهي أيضاً
مفعولة له إذا أريد بالـ عمل المفعول فمن لم يفرق في حق الرب تعالى بين
الفعل والمفعول إذا قال أنها فعل لله تعالى وليس لسمى فعل الله عنده
معيان فيثبت فلا تكون فعلاً لا مبدء ولا مفعولة له بطريق الاولي

وبعض هؤلاء قال هي فعل للرب ولا مبدء ثابت مفعولاً بين مفعولين
وأكثر المتأذلة يوافقون هؤلاء على أن فعل الرب تعالى لا يكون
الاب معنى مفعوله مع أنهم يفرقون في العبد بين الفعل والمفعول فلهذا
عظم النزاع وأشككت المسئلة على الطائفتين وطاروا فيها

وأما من قال خالق الرب تعالى لمخلوقاته ليس هو نفس مخلوقاته
قال ان أفعال العباد مخلوقة كسائر المخلوقات ومفعولة للرب كسائر
المفعولات ولم يقل أنها نفس فعل الرب وخالقه بل قال أنها نفس فعل
العبد وعلى هذا نزول شبهة فانه يقال الكذب والظلم ونحو ذلك من
القبائح يتصف بها من كانت فعلاً له كما يفعلها العبد وتقوم به ولا يتصف
بها من كانت مخلوقة له إذا كان قد جعلها صفة لغيره كما أنه سبحانه
لا يتصف بما خلقه في غيره من الطعوم والالوان والروائح والاشكال

والمقادير والحركات وغير ذلك فاذا كان قد خلق لون الانسان لم يكن هو المتلون به واذا خالق رائحة منتنة أو طعماً مرّاً أو صورة قبيحة ونحو ذلك مما هو مكروه مذموم مستقبح لم يكن هو متصفاً به - هذه المخلوقات القبيحة المذمومة المكروهة والافعال القبيحة ومعنى قبيحها كونها ضارة لفاعلها وسبباً لذمه وعقابه وجالبة لآلمه وعذابه وهذا أمر يعود على الفاعل الذي قامت به لاعلى الخالق الذى خلقها فعلاً لغيره

ثم على قول الجمهور الذين يقولون له حكمة فيما خلقه في العالم مما هو مستقبح وضار ومؤذ يقولون له فيما خلقه من هذه الافعال القبيحة الضارة لفاعلها حكمة عظيمة كإله حكمة عظيمة فيما خلقه من الامراض والعموم ومن يقول لاتعمل أفعاله لايعلل لاهذا ولا هذا

يوضح ذلك ان الله تعالى اذا خلق في الانسان عمى ومرضاً وجوعاً وعطشاً ووصباً ونحو ذلك كان العبد هو المريض الجائع العطشان المتألم نضرر هذه المخلوقات وما فيها من الاذى والكراهة عاد اليه ولا يعود الى الله تعالى شئ من ذلك فكذلك ما خلق فيسه من كذب وظلم وكفر ونحو ذلك هي أمور ضارة مكروهة مؤذية وهذا معنى كونها سيئات وقبائح أى انها تسؤ صاحبها ونضره وقد تسؤ أيضاً غيره وتضره كما ان مرضه وتنن ربحه ونحو ذلك قد يسؤ غيره ويضره يبين ذلك ان القدرية سلموا ان الله تعالى قد يخلق في العبد كفرة أو فسوقاً على سبيل الجزاء كما في قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقوله في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً وقوله فلما زاغوا

أزاع الله قلوبهم ثم انه من المعلوم ان هذه المخلوقات تكون فعلا للعبد وكسبا له يجزى عايبا ويستحق الذم عايبا والعقاب وهي مخلوقة لله تعالى . فالقول عند أهل الأثبات فيما يخلقه من أعمال العباد ابتداء كالقول فيما يخلقه جزاء من هذا الوجه وان افرقا من وجه آخر وهم لا يمكنهم أن يفرقوا بينهما بفرق يعود الى كون هذا فعلا لله دون هذا وهذا فعل للعبد دون هذا لكن يقولون هذا يحسن من الله تعالى لكونه جزاء للعبد وذلك لا يحسن منه لكونه ابتداء العبد بما يضره وهم لا يقولون لا يحسن منه أن يضر الحيوان الا بجرم سابق أو عوض لاحق وأما أهل الأثبات للقدر فمن لم يعمل منهم لا يفرق بين مخلوق ومخلوق وأما القائلون بالحكمة وهم الجمهور فيقولون لله تعالى فيما يخلقه من الحيوان حكم عظيمة كإله حكم في غير هذا ونحن لا نحصر حكمته في الثواب والعوض فان هذا قياس لله تعالى على الواحد من الناس وتمثيل لحكمة الله وعدله بحكمة الواحد من الناس وعدله والمعتزلة مشبهة في الأفعال معطلة في الصفات * ومن أصولهم الفاسدة انهم يصفون الله بما يخلقه في العالم اذ ليس عندهم صفة لله قائمة به ولا فعل قائم به يسمونه به ويصفونه بما يخلقه في العالم مثل قولهم هو متكلم بكلام يخلقه في غيره ومريد بارادة يحدتها لاني محل وقولهم ان رضاه وغضبه وحبه وبغضه هو نفس المخلوق الذي يخلقه من الثواب والعقاب وقولهم انه لو كان خالقا لظلم العبد وكذبه لكان هو الظالم الكاذب وأمثال ذلك من الأقوال التي اذا تديرها الماقل علم فسادها بالضرورة

ولهذا اشتد تكبير السلف والائمة عليهم لاسيما لما اظهروا القرب بأن
القرآن مخلوق وعلم السلف ان هذا في الحقيقة هو انكار لكلام الله تعالى
وانه لو كان كلامه هو ما يخلقه للزم أن يكون كل كلام مخلوق كلاما له.
فيكون انطاقه لاجلود يوم القيامة وانطاقه للجبال والحصا بالتسييح
وشهادة الايدي والارجل ونحو ذلك كلاما له واذا كان خالقا لكل
شيء كان كل كلام موجود كلامه وهذا قول الحلوية والجهمية كصاحب
الفصوص وأمثاله ولهذا يقولون

وكل كلام في الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

علم بصريح المعقول ان الله تعالى اذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك
المحل فاذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المنحرك بها واذا
خلق لونا أو ريحا في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك واذا خلق عاما
أو قدرة أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي فكذلك
اذا خلق ارادة وحبنا وبنضا في محل كان هو المرید المحب المنبض فاذا
خلق فعلا لعبد كان العبد هو الفاعل فاذا خلق له كذبا وظلما وكفرا
كان هو الكاذب الظالم الكافر وان خلق له صلاة وصوما وحبنا كان
العبد هو المصلي الصائم الحاج والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته
بل صفاته قائمة بذاته وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين
من أهل السنة وغيرهم ويقولون ان خلق الله السموات والارض ليس
هو نفس السموات والارض بل الخلق غير المخلوق لاسيما مذهب
السلف والائمة وأهل السنة الذين وافقوهم على اثبات صفات الله وأفعاله

فان المعتزلة ومن وافقهم من الجهمية القدرية نقضوا هذا الاصل على من لم يقل ان الخلق غير المخلوق كالاشعري ومن وافقه فقالوا اذا قلتم ان الصفة اذا قامت بحمل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره كما ذكرتم في الحركة والعلم والقدرة وسائر الاعراض انتقض ذلك عليكم بالعدل والاحسان وغيرهما من أفعال الله تعالى فانه يسمى عادلا بعدل خلقه في غيره محسنا باحسان خلقه في غيره فكذلك يسمى متكلمًا بكلام خلقه في غيره

والجمهور من أهل السنة وغيرهم يجيبون بالتزام هذا الاصل ويقولون انما كان عادلا بالعدل الذي قام بنفسه ومحسنا بالاحسان الذي قام بنفسه وأما المخلوق الذي حصل له بعد فهو اثر ذلك كما انه رحن رحيم بالرحمة التي هي صفة وأما مخلقه من الرحمة فهو اثر تلك الرحمة واسم الصفة تقع تارة على الصفة التي هي المصدر وتقع تارة على متعلقها الذي هو مسمى المفعول كلفظ الخلق يقع تارة على الفعل وعلى المخلوق أخري والرحمة تقع على هذا وهذا وكذلك الامر يقع على أمره الذي هو مصدر أمر يأمر أمرا ويقع على المفعول تارة كقوله تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا وكذلك لفظ العلم يقع على المعلوم والقدرة تقع على المقدور ونظائر هذا متعددة

وقد استدل أحمد وغيره من أئمة السنة في جملة ما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله عليه الصلاة والسلام أعوذ بكلمات الله التامات ونحو ذلك وقالوا الا تمازاة لا تحصل لمخلوق وطرد هذا قول النبي صلى الله

عليه وسلم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
وبك منك

ومن تدبر هذا الباب وجد أهل البدع والضلال لا يستطيون على
فريق منتسبين الى السنة والهدى الا بما دخلوا فيه من نوع بدعة أخرى
وضلال آخر لاسيما اذا وافقوهم على ذلك فيحتجون عليهم بما وافقوهم
عليه من ذلك ويطلبون لوازمه حتى يخرجوهم من الدين ان استطاعوا
خروج الشعرة من العجين كما فعات القراططة الباطنية والفلاسفة وأمثالهم
بفريق فريق من طوائف المسلمين والمعتزلة استطلوا على الاشعرية
ونحوهم من المثبتين للصفات والقدر بما وافقوهم عليه من نفي الافعال
القائمة بالله تعالى فنقضوا بذلك أصاهم الذي استدلوا به عليهم من أن كلام
الله غير مخلوق وان الكلام وغيره من الامور اذا خلق بمحل عاد حكمه
على ذلك المحل واستطلوا عليهم بذلك في مسألة القدر واضطروهم الي
أن جعلوا نفس ما يفعله العبد من التبيح فعلا لله رب العالمين دون العبد
ثم أثبتوا كسبا لاحقيقة له فانه لا يعقل من حيث تعلق القدرة
بالمقدور فرق بين الكسب والفعل ولهذا صار الناس يستخرون بمن
قال هذا ويقولون ثلاثة أشياء لاحقيقة لها طفرة النظام وأحوال أبي
هاشم وكسب الاشعري اضطروهم الى أن فسروا تأثير القدرة في
المقدور بمجرد الاقتران العادي والاقتران العادي يقع بين كل ملزوم
ولازمه ويقع بين المقدور والقدرة فليس جعل هذا مؤثرا في هذا
الباب بأولي من العكس ويقع بين المعلول وعلمته المنفصلة عنه مع أن

قدرة العباد عنده لا يتجاوز بمحملها ولهذا فر القاضي أبو بكر الى قول
وأبو اسحاق الاسفراہني الى قول وأبو المعالي الجويني الى قول لمارأوا
في هذا القول من التناقض والكلام على هذا مبسوط في موضعه والمقصود
هنا التنبية

ومن التمكن في هذا الباب ان لفظ التأثير ولفظ الجبر ولفظ الرزق
ونحو ذلك ألفاظ مجملة فاذا قال الفائل هل قدرة العبد مؤثرة في
مقدورها أم لا قيل له أولا لفظ القدرة يتناول نوعين أحدهما القدرة
الشرعية الصحيحة للـعمل التي هي مناط الامر والنهي والثاني القدرة
القدرية الموجبة للـعمل التي هي مقارنة للمقدور لا يتأخر عنها فالاولى
هي المذكورة في قوله تعالى والله على الناس حجج البيت من استطاع اليه
سيلا فان هذه الاستطاعة لو كانت هي المقارنة للفعل لم يجب حج البيت
الا على من حج فلا يكون من لم يحج عاصيا بترك الحج سواء كان له زاد
وراحلة وهو قادر على الحج أو لم يكن وكذلك قول النبي صلى الله عليه
وسلم امران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلي
جنب وكذلك قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقوله صلى الله عليه وسلم
اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم لو أراد استطاعة لا تكون الا مع
الفعل لكان قد قال فافعلوا منه ما تفعلون فلا يكون من لم يفعل شيئا عاصيا له
وهذه الاستطاعة المذكورة في كتب الفقه ولسان العموم والناس متنازعون
في مسمى الاستطاعة والقدرة فمنهم من لا يثبت استطاعة الا ما قارن الفعل
وتجد كثيراً من الفقهاء يتناقضون فاذا خاضوا مع من يقول من التمكنين

المتبين للقدر ان الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل وافقوهم على ذلك
واذا خاضوا في الفقه أثبتوا الاستطاعة المتقدمة التي هي مناط الامر
والنهي وعلى هذا تنفرع مسألة تكليف ما لا يطاق فان الطاقه هي
الاستطاعة وهي لفظ مجمل فالاستطاعة الشرعية التي هي مناط الامر
والنهي لم يكلف الله أحداً شيئاً بدونها فلا يكلف ما لا يطاق بهذا التفسير
وأما الطاقه التي لا تكون الا مقارنة للفعل فجميع الامر والنهي تكليف
ما لا يطاق بهذا الاعتبار فان هذه ليست مشروطة في شيء من الامر
والنهي باتفاق المسلمين وكذا تنازعهم في العبد هل هو قادر على خلاف
المعلوم فاذا أريد بالقدرة القدرة الشرعية التي هي مناط الامر والنهي
كالاستطاعة المذكورة في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فكل من أمره
الله ونهاه فهو مستطيع به هذا الاعتبار وان علم انه لا يطيعه وان أريد
بالقدرة القدرة القدريه التي لا تكون الا مقارنة للمفعول فمن علم انه لا يفعل
الفعل لم تكن هذه للقدرة ثابتة له

ومن هذا الباب تنازع الناس في الامر والارادة هل يأمر بما يريد
أولا يأمر الا بما يريد فان الارادة لفظ فيه اجمال يراد بالارادة الارادة
الكونية الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ماشاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن وكقوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام
ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصمد في السماء وقول
نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان
الله يريد أن يغويكم ولا ريب ان الله يأمر العباد بما لا يريد به هذا التفسير

والله تعالى كما قال تعالي ولو شئنا لا تينا كل نفس هداها فدل على أنه لم يؤت كل نفس هداها مع انه أمر كل نفس بهداها وكما اتفق العلماء على أن من حلف بالله ليقضين دين غريمه غدا ان شاء الله أو ليردن وديعته أو غصبه أو ليصلين الظهر أو العصر ان شاء الله أو ليصومن رمضان ان شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فانه اذا لم يفعل المحلوف عليه لا يحنث مع ان الله أمره به لقوله ان شاء الله فعلم ان الله لم يشأ مع أمره به وأما الارادة الديدية فهي بمعنى الحجة والرضا وهي ملازمة الامر كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ومنه قول المسلمين هذا يفعل شياً لا يريد الله اذا كان يفعل بهض الفواحش أى انه لا يجب ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه وكذلك لفظ الجبر فيه اجمال يراد فيه اكراه الفعل على الفعل بدون رضاه كما يقال ان الاب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى أجل وأعظم من أن يكون مجبراً بهذا التفسير فانه يخلق للعبد الرضا والاختيار بما يفعله وليس ذلك جبراً بهذا الاعتقاد ويراد بالجبر خلق ما في النفوس من الاعتقادات والارادات كقول محمد بن كعب الترمذى الجبار الذى جبر العباد على ما أراد كما فى الدعاء المأثور عن على رضي الله عنه جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها والجبر نابت بهذا التفسير فلما كان لفظ الجبر مجملاً نهى الأئمة عن اطلاق اثباته أو نفيه وكذلك لفظ الرزق فيه اجمال فقد يراد بلفظ الرزق ما أباحه الله أو ملكه فلا يدخل الحرام فى مسمى هذا الرزق كما فى قوله تعالى وما رزقناهم ينفقون وقوله

تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت وقوله ومن رزقناه منا رزقا حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهراً وأمثال ذلك وقديراد بالرزق ما ينتفع به الحيوان وان لم يكن هناك اباحة ولا تمليك فيدخل فيه الحرام كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ولما كان لفظ الجبر والرزق ونحوهما فيه اجمال منع الأئمة من اطلاق ذلك نفيّاً واثباتاً كما تقدم عن الاوزاعي وأبي اسحاق الفزاري وغيرهما وكذا لفظ اتناثير فيه اجمال فان القدرة مع المقدور كالسبب مع المسبب والعلّة مع المعلول والشرط مع المشروط فان أريد بالقدرة القدرة الشرعية المصححة للفعل المتقدمة للفعل فتلك شرط للفعل وسبب من أسبابه وعلّة ناقصة له وان أريد بالقدرة القدرة المقارنة للفعل المستلزمة له فتلك علّة للفعل وسبب ومعلوم انه ليس في المخلوقات شيء هو وحده علّة تامة وسبب قام للحوادث بمعنى ان وجوده مستلزم لوجود الحوادث بل ليس هذا الا مشيئة الله تعالى خاصة فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

وأما الاسباب المخلوقة كالنار في الاحراق والشمس في الاشراق والطعام والشراب في الاشباع والارواء فجميع هذه الامور سبب لا يكون الحادث به وحده بل لا بد أن ينضم اليه سبب آخر ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الاثر فكل سبب فهو موقوف على وجود النسروط وانتفاء الموانع وليس في المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شيء

وهذا مما يبين لك خطأ المتفلسفة الذين قالوا الواحد لا يصدر عنه
 الا واحد واعتبر ذلك بالاسباب الطبيعية كالسخن والمبرد ونحو ذلك
 فن هذا غلط فان التسخين لا يكون الا بشيئين أحدهما فاعل كالنار
 والثاني قابل كالجسم القابل للسخونة والاحتراق والا فالنار اذا وقعت
 على السمندل والياقوت لم تحرقه وكذلك الشمس فان شعاعها مشروط
 بالجسم المقابل للشمس الذي ينعكس عليه الشعاع وله موانع من السحاب
 والسقوف وغير ذلك فهذا الواحد الذي قدره في أنفسهم لا وجود
 له في الخارج وقد بسط هذا في موضع آخر فان الواحد العقلي الذي
 يشبهه الفلاسفة كالوجود المجرد من الصفات كالعقول المجردة والكلبيات
 التي يدعون تركيب الانواع منها وكالمادة والصورة العقليتين وامثل ذلك
 لا وجود لها في الخارج بل انما توجد في الازهان لافى الاعيان وهي اشد
 بعدا عن الوجود من الجوهر الفردي الذي يشبهه من يشبهه من أهل الكلام فان
 هذا الواحد لا حقيقة له في الخارج وكذلك الواحد كما قد بسط في موضعه
 والمقصود هنا ان التأثير اذا فسر بوجود شرط الحادث أو بسبب
 يتوقف حدوث الحادث به على سبب آخر وانتفاء موانع وكل ذلك
 يخاق الله تعالى فهذا حق وتأثير قدرة العبد في مقدرها ثابت بهذا
 الاعتبار وان فسر التأثير بأن المؤثر مستقل بالآثر من غير مشارك
 معاون ولا معاوق مانع فليس شيء من المخلوقات مؤثرا بل الله وحده
 خالق كل شيء فلا شريك له ولا ندله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ما يفتح
 الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده قل

ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له قبل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هسل هن كاشفات ضره أو ارادني برحمة هل من ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ونظائر هذا في القرآن كثيرة فاذا صرف ما في افظ التأثير من الاجمال والاشترك ارتفعت الشبهة ورفع العدل المتوسط من الطائفتين فن قال ان المؤمن والكافر سواء فيما أنعم الله عليهما من الاسباب المقتضية للايمان وان المؤمن لم يخصه الله بقدره ولا ارادة آمن بها وان العبد اذا آمن لم تحدث له معرفة من الله و ارادة لم تكن قبل الفعل ف قوله معلوم الفساد وقيل لهؤلاء فعل العبد من جملة الحوادث والممكنات فكل ما به يعلم ان الله تعالى أحدث غيره يعلم به ان الله أحدثه فيكون العبد فاعلا بمد ان لم يكن أمر ممكن حادث فان أنكر صدور هذا الممكن بدون محدث واجب يحدته ويرجع وجوده على عدمه أمكن ذلك في غيره فانتقض دليل اثبات الصانع ولا ريب ان كثيراً من منكامة الاثبات القائلين بالقدر سلموا للمعتزلة ان القادر المختار يمكنه ترجيح أحد مقدوريه على الآخر بلا مرجح وقالوا في مسألة احداث العالم ان القادر المختار أو الارادة القديمة التي نسبتها الي جميع الحوادث والازمنة نسبة واحدة رجحت أنواعا من الممكنات في الوقت الذي رجحته بلا حدوث سبب اقتضى الرجحان وادعوا أن القادر المختار يمكنه الترجيح بلا مرجح أو الارادة

القديمه ترجيح بلا مرجح آخر فاعترض عليهم هناك من نازعهم من أهل الملل والفلاسفة القائلين بأن الله لم يحدث الحوادث بأفعال تقوم بنفسه وان الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والقائلين بقدم العالم قالوا هذا الذي قلموه معلوم الفساد بالضرورة وتجويز هذا يقتضي جواز حدوث الحوادث بلا سبب والترجيح بلا مرجح وذلك يسد باب اثبات الصانع

نم ان هؤلاء المنتبين للقدر احتجوا بهذه الحجة على نفاة القدر وقالوا حدوث فعل العبد بعد ان لم يكن لا بد له من محدث مرجح تام غير العبد فان ما كان من العبد فهو محدث وعند وجود ذلك المحدث المرجح التام يجب وجود فعل العبد وهذا الذي قالوه حق وهو حجة قاطعة على القدرية لكنهم نقضوه وتناقضوا فيه في فعل الرب تعالى وادعوا هناك ان البدئية فرقت بين فعل القادر وبين الموجب بالذات فان كان هذا الفرق صحيحاً بطلت حججهم على المعتزلة ولم يبطل قول القدرية وان كان باطلا بطل قولهم في احداث الله وفعله للعالم وهذا هو الباطل في نفس الامر فان القول بأن الممكن لا يترجح وجوده على عدمه الا بمرجح تام امر معلوم بالفطرة الضرورية لا يمكن القدر في نفسه وهو عام لا تخصيص فيه فالفرق المذكور باطل وذلك يبطل قولهم بأن خلق العالم هو العالم وانه حدث بعد ان لم يكن بغير سبب حادث ومن قال ان قدرة العبد وغيرها من الاسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست اسباباً أو ان وجودها كعدمها وليس هناك الا مجرد اقتران عادي

كاقتران الدليل بالمداول فقد جحد ما في خلق الله رشرعه من الاسباب
والحكيم ولم يجعل في العين قوة تماز بها عن الحد تبصر بها ولا في القاب
قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ولا في النار قوة تماز بها عن التراب
تحرق بها وهؤلاء ينكرون ما في الاجسام المطبوعة من الطبائع والنراثر
قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في ابطال الاسباب والقوى
والطبائع فاضحكوا العقلاء على عقولهم ثم ان هؤلاء يقولون لا ينبغي
للانسان أن يقول انه شيع بالخبز وروى بلاء بل يقول شبعت عنده
ورويت عنده فان الله يخلق الشيع والرى ونحو ذلك من الحوادث عند
هذه المفترنات بها عادة لايها وهذا خلاف الكتاب والسنة فان الله تعالى
يقول وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتي اذا اقلت
سحابا ثقالا سقطناه لبـلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات
الآية وقال تعالى وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد
موتها وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال ونحن نترصد بكم
أن يصيبكم الله بعداب من عنده أو بأيدينا وقال ونزلنا من السماء ماء
فأنبتنا به جنات وحب الحصيد وقال وهو الذي أنزل من السماء ماء
فأخرجنا به نبات كل شيء وقال هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه
شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل
والاعناب ومن كل الثمرات وقال تعالى ان الله لا يستحي أن يضرب
مثلا ما الي قوله يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وقال قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومثل

هذا في القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله لا يموتن أحد منكم الا اذ يتموني حتي اصلي عليه فان الله جاعل بصلاتي عليه بركة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وان الله جاعل بصلاتي عليهم نوراً ومثمل هـ ذا كثير

ونظير هؤلاء الذين ابطوا الاسباب المقدورة في خالق الله من ابطال الاسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون ان ما يحصل بالدعاء والاعمال الصالحة وغير ذلك من الخبرات ان كان مقدرأ حصل بدون ذلك وان لم يكن مقدرأ لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا النبي صلى الله عليه وسلم أفلا ندع العمل ونشكل على الكتاب فقالوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن انه قيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها وأرقية نسترقى بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الانتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن نكون أسباباً تغبير في وجوه العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خالق الاسباب والمسببات وجعل هذا سبباً لهذا فاذا قال القائل ان كان هذا مقدرأ حصل بدون السبب والامر يحصل

جوابه انه مقدر دور بالسبب وليس مقدرأ بدون السبب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خالق للجنة خلقتنا خلقتها لهم وهم في أصلاب آبائهم وبعمل أهل النار يماون وقال صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل

ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسيدير لامل أهل
السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسيدير لامل أهل الشقاوة
وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في
بطن أمه أربعين يوما ثم يكون عاقبة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل
ذلك ثم يرسل اليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله
وشتى أو سعده ثم ينفخ فيه الروح فوالذي نفسي بيده ان أحدكم يعمل
بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
أهل الجنة فيدخلها فبين صلى الله عليه وسلم ان هذا يدخل الجنة بالعمل
الذي يعمل ويحتم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمل ويحتم له
به كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواصم وذلك لان جميع
الحسنات تحبب بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة وانظروا ذلك من
صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم
أبطل عمله وبالجملة فلذى عليه ساف الامه وأتمها ما بعث الله به رساله
وأنزل كتبه فيؤمنون بخناق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني
وحكمه الدينى وارادته الكونية والدينية كما قال فى الاول فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا كأنما يصعد فى السماء وقال نوح عليه السلام ولا ينفقكم انصحي

ان اردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم وقال تعالى في الاراده الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ليمينكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم وقال ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم وهم مع اقرارهم بان الله خالق كل شيء وربهم ومليكه وانه خالق الاشياء بقدرته ومشيئته يقرون بانه لا اله الا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلمون عليه وينيبون اليه ويوالون اوليائه ويمادون أعداءه ويقرون بحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين أيضا ورضاه بذلك وبفضه لما نهى عنه ولا كافرين وسيخطه لذلك ومقته له ويقرون بما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان الله أشد فرحا بتوبة عبده النائب من رجل أضل راحلته بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرايه فطلبها فلم يجدها فنال تحت شجرة فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرايه قاله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته

فهو الههم الذي يعبدونه وربههم الذي يسألونه كما قال تعالى الحمد لله رب العالمين الي قوله اياك نعبد واياك نستعين فهو المعبود المستعان والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب لمحبوبه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وكل ما يحبونه سواه فانما يحبونه لاجله كما في الحديث يحيي بن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من

ميسر لما خلق له اما من كان من أهل السعادة فسييسر له عمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر له عمل أهل الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي نفسي بيده ان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فبين صلى الله عليه وسلم ان هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمل ويحتم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمل ويحتم له به كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواصم وذلك لان جميع الحسنات تحبب بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة وانظروا ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة ثم أبطل عمله وبالجملة فلنرى عليه ساف الامه وأتمها ما بعث الله به رسوله وأنزل كتبه فهو نون بخاق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني وحكمه الديني وارا دته الكونية والدينية كما قال في الاول فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء وقال نوح عليه السلام ولا ينفقكم نصحي

ان اردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد ان يعوكم وقال تعالى في الاراده الدينية يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم وقال ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم وهم مع اقرارهم بان الله خالق كل شيء وربهم ومليك وان خالق الاشياء بقدرته ومشئته يقرون بانه لا اله الا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسوله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلمون عليه ويناديون اليه ويوالون اوليائه ويعادون اعداءه ويقرون بحبته لما امر به ولعباده المؤمنين أيضا ورضاه بذلك وبغضه لما نهى عنه ولا كافرين وسخطه لذلك ومقته له ويقرون بما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان الله أشد فرحا بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه قاله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته

فهو الههم الذي يعبدونه ورهبهم الذي يسألونه كما قال تعالى الحمد لله رب العالمين الي قوله اياك نعبد و اياك نستعين فهو المعبود المستعان بالعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محبوب محبوبه كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وكل ما يحبونه سواء فانما يحبونه لاجله كما في الحديثين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من

كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما
ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر
بعد ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وفي الترمذى وغيره
أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله ومن أحب لله وأبغض
لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وهو سبحانه يحب عباده
المؤمنين

وكل الحب هو الحلة التي جعلها الله لابراهيم ومحمد صلى الله عليهم
وسلم فان الله اتخذ ابراهيم خليلاً واستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم
في الصحيح من غير وجه انه قال ان الله اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم
خليلاً وقال لو كنت متخذاً خليلاً من أهل الارض لاتخذت أبا بكر
خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه ولهذا اتفق سلف الامة
وأئمتها وسائر أهل السنة وأهل المعرفة ان الله نفسه يحب ويحب وانكرت
الجهمية ومن تبعهم محبته وأول من أنكر ذلك الجعد بن درهم شيخ
الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسرى بواسط وقال
يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه
زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما
يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه وهذا أصل مسألة ابراهيم الذي
جعل الله اماماً للناس قال تعالى واذا تبلى ابراهيم ربه بكلمات قائمهن
قال انى جاءك للناس اماماً وقال ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله
وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلاً ومن

قال ان المراد بمحبة الله محبة التقرب اليه فقوله متناقض فان محبة التقرب اليه تتبع لمحبة فمن أحب الله نفسه أحب التقرب اليه ومن كان لا يحب نفسه امتنع أن يحب التقرب اليه وأما من كان لا يطيعه ولا يمثل أمره الا لاجل غرض آخر فهو في الحقيقة انما يجب ذلك الغرض الذي عمل لاجله وقد جعل طاعة الله وسيلة اليه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم بيض وجوهنا وثقل موازيننا وبدخلنا الجنة وبجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعظاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة فاخبر ان النظر اليه أحب اليهم من كل ما يتمتعون فيه ومحبة النظر اليه تتبع لمحبة فانما أحبوا النظر اليه لمحبتهم اياه وما من مؤمن الا ويحبد في قلبه محبة الله وطمأنينة بذكروه وتنعما بمعرفته ولذة وسرورا بذكروه ومناجاة وذلك يقوى ويضعف ويزيد وينقص بحسب ايمان الخلق فكل من كان ايمانه أكمل كان تنعمه به - ذا أكمل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وغيره حبيب الى من دنياكم النساء والطيب ثم قال وجعلت قررة عيني في الصلاة وكان صلى الله عليه وسلم يقول أرحننا بالصلاة يا بلال وهذا مبسوط في غير هذا الموضع

والمقصود هنا ان عبادة المؤمنين يحبونه وهو يحبهم سبحانه وحبهم له بحسب فعلهم لما محبه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فى يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشى ولئن سألتنى لاعطينه ولئن استعاضنى لاعينده وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

فقد بين ان العبد اذا تقرب الى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله فحب الله لعبده بحسب قول العبد لما يحبه الله وما يحبه الله من عبادته وطاعته فهو تبع لحب نفسه وحب ذلك هو سبب حب عباده المؤمنين فكان حبه للمؤمنين تبعا لحب نفسه فالمؤمنون وان كانوا يحمدون ربهم ويتنون عليه فهم لا يحرصون ثناء عليه بل هو كما أتى على نفسه كما فى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافانك من عقوبتك وبك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وفى الصحيح انه قال لأحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وقال له الاسود بن سريع انى حمدت ربي فقال ان ربك يحب الحمد فهو يحب حمد العباد له وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له ويجب ثناءهم عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد وهو الموصوف بسمات

الكمال التي لا يبلغها عقول الخلائق فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه قال يقبض الله الارض ويطوى السموات بيمينه ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك أنا القدوس أنا السلام أنا المؤمن أنا المهيمن أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً أنا الذي أعيدها وفي رواية يحمد الرب نفسه فهو يحمد نفسه ويثني عليها ويمجد نفسه سبحانه وهو الغنى بنفسه لا يحتاج الي أحد غيره بل كل ماسواه فقير اليه يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان وهو الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فاذا فرح بتوبة التائب وحب من تقرب اليه بالانوار ورضى عن السابقين الاولين لم يجز أن يقال هو مفتقر بذلك الى غيره ولا مستكمل بسواه فإنه هو الذي خلق هؤلاء وهداهم وأعانهم حتى فعلوا ما يحبه ويرضاه ويفرح به فهذه المحبوبات لم تحصل الا بقدرته ومشيبته وخالقه فله الملك لا شريك له وله الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون فهذا ونحوه يحتج به الجمهور الذين يثبتون لافعاله حكمة تتعلق به يحبها ويرضاها ويفعل لاجلها قالوا وقول القائل ان هذا يقتضى انه مستكمل بنفسه فيكون ناقصاً قبل ذلك

فهو اجوبة* أحدها ان هذا منقوض بنفس ما يفعله من المفعولات فما كان جواباً في المفعولات كان جواباً عن هذا ونحن لانعقل في الشاهد فاعلا لا مستكملاً بفعله

الثاني اهم قالوا كماله أن يكون لا يزال قادرا على الفعل بحكمة فلو
 قدر كونه غير قادر على ذلك لكان ناقصا
 الثالث قول القائل انه مستكمل بغيره باطل فان ذلك انما حصل
 بقدرته ومشيئته لاشريك له في ذلك فلم يكن في ذلك محتاجا الى غيره
 واذا قيل كمل بفعله الذي لا يحتاج فيه الى غيره كان كماله قيل كمل
 بصفاته أو بذاته

الرابع قول القائل كان قبل ذلك ناقصا ان أراد به عدم ما تجدد
 فلا نسلم ان عدمه قبل ذلك الوقت الذي اقتضت الحكمة وجوده فيه
 يكون نقصا وان أراد بكونه ناقصا معنى غير ذلك فهو ممنوع بل يقال
 عدم الشيء في الوقت الذي لم تقتض الحكمة وجوده فيه من الكمال
 كما ان وجوده في وقت اقتضاء الحكمة وجود كمال فليس عدم كل
 شيء نقصا بل عدم ما يصلح وجوده هو النقص كما ان وجود ما لا يصلح
 وجوده نقص فتبين ان وجود هذه الامور حين اقتضت الحكمة
 عدمها هو النقص لان عدمها هو النقص ولهذا كان الرب تعالى موصوفا
 بالصفات الثبوتية المتضمنة لكمالها وموصوفا بالصفات السلبية المستلزمة
 لكمالها أيضا فكان عدم ما ينفي عنه هو من الكمال كما ان وجود ما يستحق
 ثبوتها من الكمال واذا عقل مثل هذا في الصفات فكذلك في الافعال
 ونحوها وليس كل زيادة بقدرها الذهن من الكمال بل كثير من
 الزيادات تكون نقصا في كمال الميزيد كما يفعل مثل ذلك في كثير من
 الموجودات والانسان قد يكون وجود أشياء في وقت نقصا وعيبا في

حقه وفي وقت آخر كلاً ومدحاً في حقه كما يكون في وقت مضرة له
وفي وقت منفعة له .

الخامس انا اذا قدرنا من يقدر على احداث الحوادث للحكمة ومن
لا يقدر على ذلك كان معلوماً ببديهية العقل ان القادر على ذلك أكمل
مع ان الحوادث لا يمكن وجودها الا حوادث لا تكون قديمة واذا كانت
القدرة على ذلك أكمل وهذا المقدر لا يكون الاحداثاً كان وجوده
هو الكمال وعدمه قبل ذلك من تمام الكمال وعدم المتنع الذي هو
شرط في وجود الكمال

ثم الجمهور القائلون بهذا الاصل هنا ثلاث فرق فرقة
تقول ارادته وحببه ورضاه ونحو هذا قديم . لم يزل راضياً عن علم أنه
يموت . مؤمناً ولم يزل ساخطاً على من علم أنه يموت كافرأ كما يقول ذلك
من يقوله من الكلامية وأهل الحديث والفقهاء والصوفية فهؤلاء لا يلزمهم
التسلسل لاجل حلول الحوادث لكن يعارضهم الا كثرون الذين
ينازعونهم في الحكمة المحبوبة كما ينازعونهم في الارادة فانهم قالوا اذا
كانت الارادة قديمة لم تزل ونسبتها الى جميع الازمنة والحوادث سواء
فاختصاص زمان دون زمان بالحدوث ومفعول دون مفعول تخصيص
بلا تخصص قال أولئك ارادة من شأنها ان تخصص قال لهم المعارضون
من شأنها جنس التخصص وأما تخصيص هذا المين على هذا المين
فليس من لوازم الارادة بل لا بد من سبب يوجب اختصاص أحدهما
بالارادة دون الآخر والانسان يجد من نفسه أنه يخص ارادته وليكنه

يعلم أنه لا يريد هذا دون هذا الاسبب اقتضاء التخصيص والافلوانسوى
 ما يمكن ارادته من جميع الوجوه امتنع تخصيص الارادة لواحد من ذلك
 دون أمثاله فان هذا ترجيح بلا مرجح ومتي جوز هذا انسداد باب
 اثبات الصانع قالوا ومن تدبر هذا وأمن النظر فيه علمه حقيقة وإنما
 ينازع فيه من يقلد قولاً قاله غيره من غير اعتبار لحقيقته وهكذا يقول
 الجمهور اذا كان الله تعالى راضياً في أزاله ومحبباً وفرحاً بما يحدثه قبل أن
 يحدثه فاذا أحدثه هل حصل باحدثه حكمة يحبها ويرضاها ويفرح بها
 أو لم يحصل الا ما كان في الازل فان قلتم لم يحصل الا ما كان في الازل
 قيل ذلك كان حاصله بدون ما أحدثه من المفعولات فامتنع أن يكون
 المفعولات فعلت لكي يحصل ذلك فقولكم كما تضمن أن المفعولات تحدث
 بلا سبب يحدثه الله تتضمن أنه يفعلها بلا حكمة يحبها ويرضاها قالوا
 فقولكم يتضمن نفي ارادته ايقارنة ومحبتة وحكمته التي لا يحصل
 الفعل الا بها

والفرقة الثانية قالوا ان الحكمة المتعلقة به تحصل بمشيئته وقدرته كما
 يحصل الفعل بمشيئته وقدرته كما يقول ذلك من يقوله من الكلابية وأهل
 الحديث والصوفية قالوا وان قام ذلك بذاته فهو كقيام سائر ما أخبر به
 من صفاته وأفعاله بذاته والمتمثلة تنفي قيام الصفات والافعال به وتسمى
 الصفات أعراضاً والافعال حوادث ويقولون لا تقوم به الاعراض ولا
 الحوادث فيتوهم من لم يعرف حقيقة قولهم أنهم ينزهون الله تعالى
 عن النقائص والعيوب والآفات ولا ريب ان الله يجب تنزيهه عن كل

عيب ونقص وآفة فانه القدوس السلام الصمد السيد الكامل في كل نعمت من نعمت الكمال كما لا يدرك الخلق حقيقته، منزهاً عن كل نقص تنزيهاً لا يدرك الخلق كماله وكل كمال ثبت لموجود من غير استلزام نقص فالخالق تعالى أحق به وأكمل فيه منه وكل نقص تنزه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه وأولى ببراءته منه

روينا من طريق غير واحد كعثمان بن سعيد الدارمي وأبي جعفر الطبري والبيهقي وغيرهم في تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى الصمد قال السيد الذي كمل في سوده والشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحكيم الذي قد كمل في حكمته والنفى الذي قد كمل في غناه والخيار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه وأخامم الذي قد كمل في حلمه وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسودد وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغي الاله ايس له كفو ولا كمثل شئ سبحانه الواحد القهار وهذا التفسير ثابت عن عبد الله بن أبي صالح عن علي بن أبي طلحة الوالي ليكن يقال انه لم يسمع التفسير عن ابن عباس وليكن مثل هذا الكلام ثابت عن السلف وروى عن سعيد بن جبير أنه قال الصمد الكامل في صفاته وأفعاله وثبت عن أبي وائل شقيق بن سلمة أنه قال الصمد السيد الذي انتهى سؤدده وهذه الافوال وما أشبهها لا تنافي ماقاله كثير من السلف كسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والحسن والسدي والضحاك وغيرهم من أن الصمد هو الذي لا جوف له وهذا منقول

عن ابن مسعود وعن عبد الله بن برادة عن أبيه موقوفاً أو مرفوعاً عن
 كلا القولين حق كما بسط الكلام عليه، ولفظ الاعراض في اللغة قد
 يفهم منه ما يمرض الانسان من الامراض ونحوها وكذلك لفظ الحوادث
 والمحدثات قد يفهم منه ما يحدثه الانسان من الافعال المذمومة والبدع
 التي ليست مشروعة أو ما يحدث بالانسان من الامراض ونحو ذلك والله
 تعالى يحب تنزيهه عما هو فوق ذلك مما فيه نوع نقص فكيف تنزيهه عن
 هذه الامور ولكن لم يكن مقصود المتزلة بقولهم هو منزه عن الاعراض
 والحوادث الا في صفاته وأفعاله فعندهم لا يقوم به علم ولا قدرة ولا
 مشيئة ولا رحمة ولا حب ولا رضاء ولا فرح ولا خلق ولا احسان ولا
 عدل ولا انيان ولا مجيء ولا نزول ولا استواء ولا غير ذلك من صفاته
 وأفعاله وجاهير المسلمين يخالفونهم في ذلك ومن الطوائف من ينزعهم
 في الصفات دون لافعال ومنهم من ينزعهم في بعض الصفات دون
 بعض ومن الناس من ينزعهم في العلم القديم ويقول ان فعله قديم وان
 كان المنعول محدثاً كما يقول في نظير من يقوله في الارادة وبسط هذه
 الاتوال وذاكر قائمها وأدلتهم مذكورة في غير هذا الموضع

والمقصود هنا التنبيه على مجامع أجوبة الناس عن السؤال المذكور
 وهذا الفريق اثنى اذا قال لهم الناس اذا أنتمم حكمة حدثت بعد ان لم
 تكن لزمكم التسلسل قالوا القول في حدوث الحكمة كالقول في سائر
 ما أحدثه من المفعولات ونحن نخطب من يسلم لنا انه اذا أحدث المحدثات
 بعد ان لم تكن فاذا قلنا انه أحدثها بحكمة حادثة لم يكن له ان يقول

هذا يستلزم التسلسل بل يقول له القول في حدوث الحكمة كالقول في حدوث المفعول الذي ترتب عليه الحكمة فما كان جوابك عن هذا كان جوابنا عن هذا

فلما خصم الفريق الثاني للفريق الاول قال لهم الفريق الثالث من أئمة الحديث والفقهاء والصوفية ، أهل الكلام هذه حجة جدلية الزامية ولم تشفوا الغليل به - هذا الجواب وليس معكم في الادلة الشرعية ولا العقلية ما ينفي مثل هذا التسلسل بل التسلسل نوعان والدور نوعان أحدهما التسلسل في العمل والمعلولات فهذا يتمتع وفاقا والثاني التسلسل في الشروط والآثار فهذا في جوازه قولان معروفان للمسلمين وغيرهم وطوائف من أهل الكلام والحديث والفلسفة يجوزون هذا ومن هؤلاء الساف والائمة الذين يقولون لم يزل الله متكلماً اذا شاء وانه لم يزل يقوم به ما يمتلق بمشيئته وقدرته من الافعال وغيرها وبين هؤلاء ان ما - - - يتدل به منازعوه هم على نفي التسلسل في الآثار امتناع وجود ما لا يتناهي في الماضي أدلة ضعيفة كدليل المطابقة بين الجماتين مع زيادة أحدهما وكزيادة اشفع والوتر ونحو ذلك من الادلة التي بين هؤلاء فسادها ونقضها عليهم بالحوادث في المستقبل وبمقدور الاعداد وبمعلومات الله مع مقدوراته وغير ذلك مما قد بسط في موضعه

والدور نوعان فالدور القبلي السبقي ممتنع واما الدور المعبر الاقتراني وهو أن لا يكون هذا الامع هذا فهذا الدور في الشروط وما أشبهها من المتضايقات والمتلازمات ومثل هذا جائز فهذا مجامع أجوبة الناس

عن هذا السؤال وهي عدة أقوال

الاول قول من لا يعمل لا أنه له ولا أحكامه

والثاني قول من يعمل ذلك بأمر مباينة له منفصلة عنه من

جملة مفعولاته

والثالث قول من يعمل ذلك بأمر قائمة به متعلقة بقدرته وبشيئته

لمكن يقول جنسها حادث

والخامس قول من يعمل ذلك بأمر متعلقة بمشيئته وقدرته فان

كان الفعل المقضى للحكمة حادث النوع كانت الحكمة كذلك وان قدر

أنه قام به كلام أو فعل متعلق بمشيئته وانه لم يزل كذلك كانت الحكمة

كذلك ويكون النوع قديماً وان كانت آحاده حادثة

ويمكن الجواب عن السؤال بتقسيم حاصر بأن يقال لا ريب ان الله

عز وجل يحدث مفعولات لم تكن فاما أن تكون الافعال المحدثه يجب

أن يكون لها ابتداء ويجوز أن تكون غير متناهية في الابتداء كما هي غير

متناهية في الانتهاء فان وجب أن يكون لها ابتداء أمكن حدوث الحوادث

بدون تسلسلها فاذا قال القائل لو فعل لعله محدثة لكان القول في حدوث

ذلك العلة كالقول في حدوث معلولها ويلزم التسلسل كان جوابه على

هذا التقدير ان الحوادث يجب أن يكون لها ابتداء واذا فعل الفعل

لحكمة محدثة كان الفعل وحكمته محدثين ولا يجب أن يكون لعله المحدثه

علة محدثة الا اذا جاز أن لا يكون للحوادث ابتداء فاما اذا جاز أن لا يكون

لها ابتداء بطل هذا السؤال فكيف اذا وجب أن يكون لها ابتداء وان

قيل يجوز أن تكون الحوادث غير منتهية في الابتداء كما انها غير منتهية في الانتهاء عند المسلمين وسائر أهل الحق ولم ينازع في ذلك الا بعض أهل البدع الذين يقولون بقاء الجنة والنار كما يقوله الجهم بن صفوان أو بقاء حركات أهل الجنة كما يقوله أبو الهذيل فان هذين أوجبا أن يكون لجنس الحوادث انتهاء كما يجوز أن يكون لها عندهم ابتداء وأكثر الذين وافقوهم على وجوب الابتداء خالفوهم في الانتهاء وقالوا لها ابتداء وليس لها انتهاء والاقوال الثلاثة معروفة في طوائف المسلمين والمقصود هنا ان الجواب يحصل على التقديرين فمن جوز أن يكون لها نهاية في الابتداء جوز تسلسل الحوادث وقال هذا تسلسل في الآثار والشروط لا تسلسل في العالِّ والمؤثرات والممتنع انما هو الثاني دون الاول وقال انه لا يقوم دليل على امتناع الثاني كما يقول ذلك طوائف من متقدمي أهل الكلام ومتأخريهم ومن أوجب أن يكون لها ابتداء قال في حدوث العلة ما يقوله في حدوث المفعول اذ لافرق بينهما في هذا المعنى

ومن الاجوبة الحاصرة أن يقال خلق الله اما أن يجوز تعليقه أولا فان لم يجز تعليقه كان هذا هو التقدير الاول وعلى هذا التقدير فلا يسمى هذا عبثاً واذا سماه المسمى عبثاً لم تكن تسميته عبثاً قدحا فيما نحقق فانا نتكلم على تقدير امتناع التعليل واذا كان التعليل متمماً ووجب القول به ولو سماه المسمى بأى شئ سماه وان جاز تعليقه فلا يخلو اما ان يجوز تعليقه بعلة حادثة واما أن لايجوز فان قيل لايجوز

ذلك لزم كون العلة قديمة وامتنع على هذا التقدير قدم المفعول فانا نستكلم على تقدير جواز تعليل المفعول الحادث بعلة قديمة وان قيل يجوز تعليله بعلة حادثة أمكن القول بذلك ثم اما أن يقال يجوز تعليل الحوادث بعلة منتهية للفاعل لئلا يلزم أن يقوم به شيء حادث يجب أن يقوم بالحكمة وان كانت مقصورة مرادة له فان قيل بالاول لزم كون العلة الحادثة منفصلة عنه ولزم على هذا كون الفاعل يحدث الحوادث بعد ان لم تكن علة حادثة بغيره من غير ح و ث سبب يوجب أول الحوادث ولا قيام حادث بالحادث وان قيل بل لا يجوز أن يحدث الحوادث لغيره معني يعود اليه بل يجب أن يقوم به ما هو السبب والحكمة في حدوث الحوادث فانه يجب انقول بذلك ثم اما أن يقال هذا يستلزم التسلسل أولا يستلزمه فان قيل لا يستلزمه لم يكن التسلسل على هذا التقدير محذورا لان التقدير انه يجوز تعليل أفعاله بعلة حادثة وان ذلك يستلزم التسلسل ومن العلوم ان الامر الجائز لا يستلزم ممتعا فانه لو استلزم ممتعا لكان ممتعا بغيره وان كان جائزا بنفسه والتقدير انه جائز جوازا مطلقا لامتناع فيه وما كان جائزا جوازا مطلقا لامتناع فيه لم يلزمه ما يمتنع مع ثبوته فيكون التسلسل على هذا التقدير غير ممتنع فهذا جواب عن السؤال من غير التزام قول بينه بل نين انه ليس في نفس الامر محذور ولكن السؤال مبنى على ست مقدمات لزوم العيب وانه منتف ولزوم قدم المفعول وانه منتف ولزوم التسلسل وانه منتف فصاحب القول الاول يقول لأسلم انه يلزم العيب وصاحب القول الثاني يقول لأسلم انه يلزم قدم المفعول

وصاحب القول الثالث يقول لا أعلم انه يلزم التسلسل أو يقول لأسلم ان التسلسل في الآثار ممتنع فهذه أربع ممانعات لا بد منها ويمتنع أن تكون كلها فاسدة بل لا بد من صحة واحد منها وأبها صح اندفع السؤال به وهو انقصود لان القسمة العقلية تحصر من الاقسام فيما ذكر فمن توجه عنده أحد الاقسام قال به ونحن قد بسطنا الكلام على أصول هذه المسئلة ولو ازمها وأفوا الناس فيها في غير هذا الموضوع

والقصود هنا الذب عن مجموع المسلمين فان هذا السؤال مما أورده على الناس القائلون بقدوم العالم وقد ذكرنا عنه أجوبة متعددة فيما كتبناه في جواب شبهة القائلين بقدوم العالم

ومن جملة أجوبتهم أن يقال هذا السؤال ايس مختصا بمحدث العالم بل هو ورا د في كل ما يحدث في الوجود من الحوادث والحدوث مشهود محسوس متفق عليه بين العقلاء فيكل ما يورده المورد على حدوث خلق السموات والارض يورد عليه نظيره في الحوادث المشهودة

وقد نهنا على جنس ما محتج به كل طائفة من الطوائف في هذا المقام لكن استقصاء الكلام في ذلك لا تسمه هذه الاوراق ومن فهم ما كتب انفتح له الكلام في هذا الباب وأمكنه أن يحصل تمام الكلام في جنس هذه المسائل فان الكلام فيها بالتدرج مقاما بعد مقام هو الذي يحصل به المقصود والافاذا هجم على القلب الجزم بمقالات لم يحكم أدلتها وطرقها والجواب عما يارضها كان الي دفعها والتكذيب بها أقرب منه الى

التمهـ مديق بها فلهذا يجب أن يكون الخطاب في المسائل المشككة بطريق

ذكر كل قول وممارسة الآخر له حتى يتبين الحق بطريقه

لمن يريد هـ دايته ومن لم يجبل الله له نورا فماله

من نور والله يقول الحق وهو يهدي

السـ ييل والله سـ بهجانه

وتعالى أعـ لم

تمت الرسالة الثامنة

ويابها الرسالة التاسعة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله
وكفى بالله شهيدا * وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له اقرارا به
وتوحيدا * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
تسايما مزيدا

(اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الي قيام

الساعة أهل السنة والجماعة)

الايان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت والايان

بالقدر خيره وشره

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
تكليف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شئ وهو اسمع
البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه
ويأحدون في أسماء الله وآياته ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لانه سبحانه
لاسمى له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه
أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسوله
صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال
سبحانه وتعالى سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين فسيح نفسه عما وصفه به المخالفون
للرسول وسلام على المرسلين لامة ما قالوه من النقص والعيب وهو

سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي ولائبات فلا
عدول لاهل السنة والجماعة عما جاءت به المرسلون فانه الصراط المستقيم
صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الاخلاص التي
تعديل ثلث القرآن حيث يقول قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا أحد وما وصف به نفسه في أعظم آية من كتاب
الله حيث يقول الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له
ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم
ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع
كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما (أي لا يكرنه ولا ينقله)
وهو العلي العظيم فلهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من
الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح وقوله سبحانه وتعالى وتوكل
على الحي الذي لا يموت وقوله سبحانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن
وهو بكل شيء عليم وقوله سبحانه وهو العليم الخبير يعلم ما يابح في
الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يرج فيها وعنده مناخ
الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا
يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب
مبين وما تحمل من شيء ولا تضع الا بعلمه وقوله يعلموا ان الله على
كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما وقوله ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين وقوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ان الله نعم

يعظاكم به ان الله كان سميعاً بصيراً وقوله ولولا اذ دخلت جنتك قلت
 ماشاء الله لا قوة الا بالله ولو شاء الله ما انتقل الذين من ايمانهم من ايمانهم
 ما جاءتهم البينات ولكن اخلفوا فنفهم من آمن ومن كفر ولو شاء
 الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد أحات لكم بهيمة الانعام الا ما تبلى
 عليكم غير محلي الصيد وأتم حرم ان الله يحكم ما يريد فن يرد الله أن
 يهديه يشرح صدره الاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً
 حرجاً كأنما يصعد في السماء وقوله وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأقسطوا
 ان الله يحب المقسطين فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين
 ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
 ويحبونه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صاكأنهم بنيان مرسوص
 قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقوله
 رضى الله عنهم ورضوا عنه وقوله بسم الله الرحمن الرحيم ربنا وبعث
 كل نبي رحمة وعلما وكان بالؤمنين رحماً كتب ربكم على نفسه الرحمة
 وهو الغفور الرحيم فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين وقوله ومن
 يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه واغنه
 وقوله ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه وقوله فلما
 آسفونا انتقمنا منهم ولكن كره الله انبعاثهم فبسطهم وقوله كبر مقتا عند
 الله أن تقولوا ما لا تعلمون وقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلال
 من الغمام والملائكة وقضى الامر الى الله ترجع الامور هل ينظرون
 الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك كلاً اذا

دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا يوم تشقق السماء بالغمام
 ونزل الملائكة تزييلا وقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
 كل نبيء هالك الا وجهه وقوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
 وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وانما قالوا بل يدها
 مبسوطة ان ينفق كيف يشاء وقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا
 وقوله وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر والقيت
 عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقوله قد سمع الله قول التي تجادلك
 في زوجها وتشتمكي الى الله والله يسمع تحاوركما لقد سمع الله قول
 الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا أم يحسبون أنا
 لانسمع سرهم ونجواهم بلي ورسائنا لديهم يكتبون انى معكما أسمع
 وأرى وقوله ألم تعلم بان الله يرى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى
 الساجدين وتلى اعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله واؤمرون وقوله
 شديد المحال وتوله رمكروا مكرا ومكرا ومكرا وهم لا يشعرون وقوله
 انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وقوله ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تمفوا
 عن سوء فان الله كان عذوا قديرا وليمفوا وليصفحوا الا لنحبون أن
 يغفر الله لكم والله غفور رحيم وقوله فله العزة ورسوله فببزتلك لاغوينهم
 أجمعين وقوله تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام وقوله فاعبده
 واصطبر لعل هل تعلم له سميا ولم يكن له كفوا أحد فلا تجعلوا لله
 أندادا وأنتم تعلمون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم
 كحب الله وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك

ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً وخلق كل شيء فقدره تقديراً ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولهم الا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والانس والجنى والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقوله الرحمن على العرش استوى ثم استوي على العرش في ستة مواضع يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى بل رفعه الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاطنه كاذبا اأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وقوله هو الذي خالق السموات والارض في ستة أيام ثم استوي على العرش بعلم ما يبلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم لا تحزن ان الله معنا انى معكم أسمع وأرى ان الله مع

الذين اتقوا والذين هم محسنون واصبروا ان الله مع الصابرين كم من فئة قليلة غابت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله ومن اصدق من الله حديثا ومن اصدق من الله قيلا واذا قال الله يا عيسى بن مريم وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا وكلام الله موسى تكليما منهم من كلام الله ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا واذا نادى ربك موسى ان ات القوم الظالمين وناداهما ربهما ألم انهما كما عن تملككما الشجرة وبوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وان احدمن المشركين استنجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يريدون ان يبدلوا كلام الله قل ان تدبرونا واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل وهذا كتاب انزلناه مبارك لئلا نزلنا هذا القرآن على جبل لرآيته خاشعا متصدعا من خشية لله واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يمامه بشر لسان الذى يحدثون اليه اعجبي وهذا لسان عربى مبين وحوه يؤيد ناضرة الي ربهنا ناظرة على الارائك ينظرون للذين احسنوا الحسن في وزيادة لهم ما يشاؤون عند ربهم لهم ما يشاؤون فيها ولدين مزيد وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير من تدبر القرآن طالب الهدى

منه تبين له طريق الحق ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسر القرآن وتبينه وتدله عليه وأمر عنه وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وحب الإيمان بها كذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم برأحة له الحديث متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يضحك الله إلى رجلين أحدهما يقتل الآخر كلاهما يدخل الجنة متفق عليه وقوله عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر إليكم أذنين قنطين يظل يضحك يعلم أن فرحكم قريب حدِيث حسن وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله يا آدم فيقول إنيك وسعديك فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعناً إلى النار متفق عليه وقوله في رقبة المريض ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبتنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع رواه أبو داود وقوله صلى الله عليه وسلم الا نؤمنوني وأنا أمين من في السماء رواه البخاري وغيره وقوله والمرش فوق ذلك والله فوق ذلك

والله فوق عرشه وهو يعلم ما أتم عليه رواء أبو داود والترمذى وغيرهما
وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا
قالت أنت رسول الله قال أعتقها فانها مؤمنة رواء مسلم وقوله صلى الله
عليه وسلم أفضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيثما كنت حديث حسن
وقوله اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله بين وجهه فلا يصبق قبل وجهه
ولا عن يمينه ولا عن يساره أو تحت قدمه متفق عليه وقوله صلى الله
عليه وسلم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب
كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك
من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت
الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن
فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر رواء مسلم وقوله
لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر أيها الناس أربعوا على أنفسكم فانكم
لا تدعون أصم ولا غائباً انما تدعون سميعاً قريباً ان الذين تدعون
أقرب الى أحدكم من عنق راحلته متفق عليه وقوله انكم سترون ربكم
كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا
على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها فافعلوا متفق عليه
الى أمثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ربه بما يخبر به

(فان الفرقة الناجية) أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما
يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير

تكيف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الائم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وآله الى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين اوعيدية من القدرية وغيرهم وفي باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية وفي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الخوارج وبين الروافض

وقد دخل فيما ذكرناه من الايمان بالله الايمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله صلى الله عليه وسلم واجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه على على خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وليس معنى قوله وهو معكم أينما كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لا توجيه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع فى السماء وهو مع المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع اليهم الى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذى ذكره الله من أنه فوق العرش وانه من ناحق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن يصان عن

الظنون الكاذبة ودخل في ذلك الايمان بأنه قريب من خلقه كما قال تعالى
 واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعانى
 فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون وقل النبى صلى الله عليه وسلم
 ان الذى تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق. احبته وما ذكر فى الكتاب
 والسنة من قربه وميته لا ينفى مذكر من علوه وفوقيته فانه سبحانه
 ليس كمثله شئ فى جميع نعمته وهو علىّ فى دنوه قريب فى علوه

ومن الايمان به وبكتبه الايمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق
 منه بدا واليه يعود وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذى أنزله
 على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز
 اطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأه الناس أو كتبوه
 فى المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة فان الكلام انما
 يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئاً لا الى من قاله مبالغاً مؤدياً وقد دخل أيضاً
 فيما ذكرناه من الايمان به وبكتبه ورساله الايمان بأر المؤمنين يرونه يوم القيامة
 عياناً بابصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب وكما يرون
 القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته يرونه سبحانه وهم فى عرصات
 القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى

ون الايمان باليوم الآخر الايمان بكل ما أخبر عنه النبى صلى الله عليه
 وسلم مما يكون بعد المرات فيؤمنون بفتنة القبر وبمذاب القبر وبنعيمه
 فأما الفتنة فإن الناس يفتنون فى قبورهم فيقال للرجل من ربك وما
 دينك ومن نبيك فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن

الله ربي والاسلام ديني ومحمد نبي صلى الله عليه وسلم وأما المرتاب فيقول آه آه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت به فيضرب بمرزبة من حديد يصيح صيحة يسمعها كل شيء الا الانسان ولو سمعها الانسان لصعق ثم بعد هذه الفتنة اما نعيم واما عذاب الى يوم القيامة الكبرى فتعاد الارواح الى الاجساد فتقوم القيامة التي أخبر الله تعالي بها في كتابه على اسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليهم المسامون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنون منهم الشمس ويلجئهم العرق وتنصب الموازين فتوزن فيها أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون وتنشر الدواوين وهي صحائف الاعمال فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وكل انسان أزمانه طائر في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبحاسن الله الخلاق ويخلو بعبد المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة وأما الكفار فلا يحاسبون حساب من توزن حسنة وسيئة فانهم لا حسنة لهم ولكن تعد أعمالهم وتحصر فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها وفي عرصة القيامة الحوض المورود لمحمد صلى الله عليه وسلم ماءؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آيته عدد بخوم السماء طوله شهر وعرضه شهر من شرب منه شربة لم يظم أبداً وأبداً والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار

يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كليم البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الأبل ومنهم من يبدو عدواً ومنهم من يمشى مشياً ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم من يخطف فيلقي في جهنم فإن الجسر عليه كلاب نخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبهضم من بهضم فإذا هذبوا وتقوا اذن لهم في دخول الجنة.

وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم وأول من

يدخل الجنة

وله في القيامة ثلاث شفاعات أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهي إليه وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فمن استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصدّيقين وغيرهم فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضل رحمته ويبقى في الجنة فضل عن دخلها من أهل الدنيا فينتهي الله له أقواماً فيدخلهم الجنة وأما في ما تضمنه الدار الآخرة من الحساب والمقاب والجنة والنار وتفصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم الماثورة عن الأنبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى

الله عليه وسلم من ذلك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده
وأؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره
والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الأولى
الإيمان بأن الله تعالى علم ما خلق عاملون بعلمه القديم الذي هو
موصوف به أزلاً وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي
والارزاق والآجال ثم كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ مقادير
الخلق فأول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال ما أكتب قال اكتب
ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم
يكن ليصيبه جنت الأقلام وضويت الصحف كما قال سبحانه ألم تعلم أن
الله يعلم ما في السماء والأرض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير
وقال ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل
أن نبرأها وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة
وتفصيلاً فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء فاذا خلق جسد الجنين قبل
نفخ الروح فيه بعث اليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال لها اكتب رزقه
وأجله وعمله وشقى أم سعيد ونحو ذلك فهذا القدر قد كان ينكره
غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قائلين وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة
الله تعالى النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا كون الا بمشيئة
الله سبحانه لا يكون في ملكه الا ما يريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء
قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء

الا لله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه وقد أمر العباد بطاعته
 وطاعة رسوله ونهاهم عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين
 والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا و عملوا الصالحات ولا يرضى عن
 القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب
 الفساد

والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم والعباد هو المؤمن والكافر
 والبر والفاجر والمصلى والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم وإرادة والله
 خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال لمن شاء منكم أن يستقيم وما
 تناؤن الآن يشاء لله رب العالمين * وهذه الدرجة من القدر يكذب بها
 عامة التدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الامة
 ويغلو فيها قوم من أهل الاثبات حتى يسلبوا العبد قدرته واختياره
 ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكما ومصالحها

ومن أصول الفرقة الناجية ان الدين والايان قول وعمل قول الدين
 والاسان وعمل القلب والاسان والجوارح * وان الايمان يزيد بالطاعة
 وينقص بالمعصية * وهم مع ذلك لا يكفرون أهل انقبلة بمطلق المعاصي
 والكبائر كما يفعله الجوارح بل الاخوة الايمانية ثابتة مع المعاصي كما قال
 سبحانه في آية انحصار فمن عفى له من أخيه شيء وقال وان طائفتان من
 المؤمنين اقاتلوا فأصبحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا
 التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصبحوا بينهما بالعدل وأقسطوا
 ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة

ولا يسلبون الفاسق الى اسم الايمان بالكلية ويخلدونه في النار كما تقول المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الايمان في مثل قوله فتحرر برقبة ولا يدخل في اسم الايمان المطلق كما في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليها فيها ابصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن ويقولون هو مؤمن ناقص الايمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطاق الاسم

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما وصاهم الله في قوله والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ويقبلون ما جاء به الكتاب أو السنة أو الاجماع من فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وقائل وهو صاحب الحديدية على من أنفق بعده وقائل ويقدمون المهاجرين على الانصار

ويؤمنون بان الله قال لا هل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر

اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل قدرضى عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ويشهدون بالحجة لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم كالمشرة

وكثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة

ويقررون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر الصديق ثم عمر ثم يثنون عثمان ويربعون بهلى كما دلت عليه الآثار وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلى بعد اتفاقهم على أبي بكر وعمر أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أوربوا بهلى وقوم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم على وان كانت هذه المسئلة مسئلة عثمان وعلى ليست من الاصول التي يضال المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسئلة التي يضال المخالف فيها مسئلة الخلافة وذلك بأنهم يؤمنون ان الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على * ومن طمن في خلافة أحد من هؤلاء الائمة فهو أضل من حمار أهله

ويحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال في يوم غدیر خم أذ كرم الله في أهل بيتي أذ كرم الله في أهل بيتي وقال أيضا للعباس عمه وقد شكوا اليه ان بعض قریش تجءونى هاشم فقال والذي نفسى بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي وقال ان الله اصطفى بنى

اسماعيل واصطفي من بني اسماعيل كنانة واصطفي من كنانة قريشا
 واصطفي من قريش بنى هاشم واصطفاني من بني هاشم
 ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين
 ويقرون بأنهم أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة أم أكثر الاولاد
 وأول من آمن به وعضده على أمره وكان لها منه المنزلة العلمية والصدية
 بنت الصديق التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيها فضل عائشة على
 النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم
 وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل
 ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون ان هذه الآثار المروية
 في مساوئهم منها ما هو كذب ومنها ما تد زيد ونقص وغير من وجهه
 والصحيح منه هم فيه معذرون اما مجتهدون مصيبون واما مجتهدون
 مخطئون وهم مع ذلك لا يمتقدون ان كل واحد من الصحابة معصوم عن
 كبائر الاثم وصغائر بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق
 والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ان صدر حتي انه يفقر لهم من
 السيئات ما لا يفقر لمن بعدهم لان لهم من الحسنات ما ليس لمن بعدهم
 وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم خير القرون فان المد
 من أحدهم اذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً من بعدهم ثم
 اذا كان صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات
 تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذين

أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر عنه فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين ان أصابوا فلهم أجران وان أخطؤا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور

تم القدر الذي ينكر من فضل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً انهم خير الخلق بعد الانبياء لا كان ولا يكون مثلهم فانهم الصفوة من قرون هذه الامة التي هي خير الامم وأكرمها على الله

ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الاولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كل الماثور عن سالف الامم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الامة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الامة وهي موجودة فيها الى يوم القيامة

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الاولين من المهاجرين والانصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالانواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة ويعلمون ان أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخبار
الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد
وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لان الجماعة
هي الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس
القوم المجتمعين والاجتماع هو الاصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين
وهم يزنون بهذه الاصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال
وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين

والاجتماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح اذ بهداهم
كثير الاختلاف وانتشرت الامة

ثم هم مع هذه الاصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على
ما توجبه الشريعة * ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والاعياد مع
الامراء أبرارا كانوا أو فجارا ويحافظون على الجماعات * ويدينون
بالنصيحة الامة ويعتقدون معنى قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه بعضا وشيك بين أصابعه وقوله صلى الله عليه وسلم
مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتماطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر * ويأمرون بالصبر عند البلاء
والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء * ويدعون الى مكارم الاخلاق
ومحاسن الاعمال * ويعتقدون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أكمل
المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا * ويندبون الى أن تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عمن ظلمك * ويأمرون ببر الوالدين وصلة الارحام

وحسن الجوار والاحسان الى اليتامي والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وبنهون عن الفخر والخبلاء والبنهي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق * ويأمرون بمعالى الاخلاق وبنهون عن سفاسفها * وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره فإنا هم فيه متبعون الكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الاسلام الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم لكن لما أخبر صلى الله عليه وسلم ان أمنه ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة وهي الجماعة وفي حديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي صار المتمثلون بالاسلام المحض الخالص عن المشوب أهل السنة والجماعة * وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصايحح الدجى أولو المناقب الماثورة والفضائل المذكورة وفيهم الابدل وفيهم الائمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم وهم الطائفة المنصورة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة

فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ويهب لنا من لدنه زحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وعلى سائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين وحسبنا الله ونعم الوكيل

تمت الرسالة التاسعة

ويليها الرسالة العاشره له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وقع في هذه العقيدة المباركة من الابحاث التي جلاها جامعه للامم المعترضين نقل الشيخ علم الدين ان الشيخ قدس سره قال في مجلس نائب السلطنة الافرم لما سألته عن اعتقاده وكان احضر الشيخ عقيدته الواسطية قال هذه كتبها من نحو سبع سنين قبل مجيء التتار الى الشام فقرئت في المجلس ثم نقل علم الدين عن الشيخ انه قال كان سبب كتابتها بعض قضاة واسط من أهل الخير والدين شكي ما للناس فيه ببلادهم في دولة التتار من غلبة الجهل والظلم ودروس الدين والعلم وسألني أن أكتب له عقيدة فقلت له قد كتب الناس عقائد أئمة السنة فألح في السؤال وقال ما أحب الاعتقيدة تكتبها أنت فكتب له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر فأشار الامير لكتابه فقرأها علي الحاضر بن حرفا حرفا فاعترض بعضهم على قولي فيها

ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ومقصوده ان هذا بنفي التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره اما جوبا واما جوازا فقلت اني عدلت عن لفظ التأويل الى لفظ التحريف لان التحريف اسم جاء القرآن بدمه وأنا محريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة فنفيت ما ذمه الله من التحريف ولم أذكر فيها لفظ التأويل لأنه لفظ له عدة معان كما بينته في موضعه من التواعد فان معنى لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الاصول

والفقه وغير معنى لفظ التأويل في اصطلاح كثير من أهل التفسير
والسلف

وقلت لهم ذكرت في النفي التمثيل ولم أذكر التشبيه لان التمثيل
نفاه الله بنص كتابه حيث قال ليس كمثل شئ وأخذوا يذكرون نفي
التشبيه والتجسيم ويطالبون في هذا ويعرضون بما ينسبه بعض الناس
اليانا من ذلك

فقلت قولي من غير تكليف ولا تمثيل ينفي كل باطل وانما اخترت
هذين الاسمين لان التكليف مأثور نفيه عن السالف كما قال ربيعة
ومالك وابن عيينة وغيرهم المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول الاستواء
معلوم والكيف مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة

فاتفق هؤلاء السالف على ان الكيف غير معلوم لنا فنفت ذلك
اتباعا لسلف الامة وهو أيضا منفي بالنص فان تأويل آيات الصفات
يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته غير معلومة وهذا من
التأويل الذي لا يعامه الا الله كما قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها
في التأويل والمعنى والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله
وكذلك التمثيل منفي بالنص والاجماع القديم مع دلالة العقل على

نفيه ونفي التكليف اذ كنهه البارى غير معلوم للبشر

وذكرت في ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل انه مذهب السلف
وهو اجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي النكيفية والتشبيه
عنها اذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات يمتدى حدوه ويتبع

فيه مثاله فاذا كان اثبات الذات اثبات وجود لا اثبات تكييف فكذلك
اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات تكييف

فقال أحد كبراء المخالفين حينئذ يجوز أن يقال هو جسم لا كالأجسام
فقلت له أنا وبعض الفضلاء إنما قيل انه يوصف الله بما وصف به نفسه
وبما وصفه به رسوله وليس في الكتاب والسنة أن الله جسم حتى يلزم هذا
وأول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضي وأما قولنا
فهو فيهم الوسط في فرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامم فهم
وسط في باب صفات الله بين أهل التمهيل الجهمية وأهل التمثيل
المشبهة

فقيل لي أنت صنفت اعتقاد الامام أحمد وأرادوا قطع النزاع لكونه
مذهبا متبوعا فقلت ما خرجت الاعتيدة السلف الصالح جميعهم ليس للامام
أحمد اختصاص بهذا

وقلت قد أمهات من خلفني في شيء منها ثلاث سنين فان جاء
بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فانا أرجع عن ذلك
وعلى أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة يوافق ما ذكرته
من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والاشعرية وأهل الحديث
وغيرهم

ثم طلب المنازع الكلام في مسألة الحرف والصوت فقات هذا
الذي يحكي عن أحمد وأصحابه ان صوت انقارئين ومداد المصاحف
قديم أزلى كذب مفتري لم يقل ذلك أحمد ولا أحد من علماء المسلمين

وأخرجت كراسا وفيه ما ذكره أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن
الامام أحمد وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزي من كلام أحمد وكلام
أئمة زمانه في أن من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال
غير مخلوق فهو مبتدع قلت فكيف بمن يقول لفظي أزلي فكيف بمن
يقول صوتي قديم

فقال المنازع انه انتسب الي أحمد أناس من الحشوية والمشبهة ونحو
هذا الكلام

فقلت المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام أحمد أكثر منهم فيهم
فهؤلاء أصناف الاكراد كلهم شافعية وفيهم من التشبيه والتجسيم مالا
يوجد في صنف آخر وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية وأما الحنبلية
المحضة فليس فيهم من ذلك ما في غيرهم والكرامية المجسمة كلهم حنفية
وقات له من في أصحابنا حشوي بالمعنى الذي تريده الأثرم • أبوداود •
المروزي • الخلال • أبو بكر بن عبدالعزيز • أبو الحسن التميمي • ابن حامد
• الناضى أبو يعلى • أبو الخطاب • ابن عقيل •

ورفعت صوتي وقات سمهم قل لي من هم

أبكذب ابن الخطيب وافتراه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة
وتندرس معالم الدين كما نقل هو وغيره عنهم أنهم يقولون القرآن القديم
هو أصوات القارئ ومداد الكتابين وان الصوت والمداد قديم أزلي
من قال هذا وفي أى كتاب وجد منهم هذا قل لي وكما نقل عنهم
ان الله لا يرى في الآخرة بالزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها عنهم

ولما جاءت مسألة القرآن وانه كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود نازع بعضهم في كونه منه بدأ واليه يعود وطابوا تفسير ذلك فقلت أما هذا القول فهو المأثور والثابت عن السلف مثل ما نقله عمرو بن دينار قال أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون الله الخالق وما سواه مخلوق الا القرآن فانه كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ومعنى منه بدأ أى هو المتكلم به وهو الذى أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية انه خلق في الهواء أو غيره وبدأ من غيره وأما اليه يعود فانه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف ووافق على ذلك غالب الحاضرين

فقلت هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ماتقرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه يعني القرآن وقال خباب بن الارت ياهنتاه تقرب الى الله بما استطعت فلن يتقرب الى الله بشئ أحب اليه مما خرج منه وقات وان الله تكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذى أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة بل اذا قرأ الناس القرآن أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله فان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبالغاً مؤدياً فامتنع بعضهم من اثبات كونه كلام الله حقيقة بمد تسميته أن الله تكلم به حقيقة ثم انه سلم ذلك لما بين له أن المجاز يصح نفيه وهذا لا يصح نفيه وان أقوال

المتقدمين المأثورة عنهم وشعر الشعراء المضاف اليهم هو كلامهم حقيقة ولما ذكر فيها أن الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئا لالاى من قاله مبالغا استحسنوا هذا الكلام وعظموه

وذكرت ما أجمع عليه سلف الامة من أنه سبحانه فوق العرش وانه معنى - ق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن يسان عن الظنون الكاذبة وليس معنى قوله وهو معكم أيها كنتم أنه مختلط بالخلق فان هذا لا توجيهه الله وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الامة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر أينما كان

ولما ذكرت أن جميع أسماء الله التى يسمى بها المخلوق كلفظ الوجود الذى هو مقول بالحقيقة على الواجب والممكن تنازع كبيران هل هو مقول بالاشتراك أو بالتواطؤ فقال أحدهما هو متواطىء وقال آخر هو مشترك لئلا يلزم التركيب وقال هذا قد ذكر نفي الدين ان هذا النزاع مبنى على ان وجوده هل هو عين ماهيته أم لا فمن قال ان وجوده كل شئ عين ماهيته قال انه مقول بالاشتراك ومن قال ان وجوده قد زائد على ماهيته قال انه مقول بالتواطؤ فاخذ الاول يرجح قول من يقول ان الوجود زائد على الماهية لينصر أنه مقول بالتواطؤ فقال الثانى مذهب الاشعري وأهل السنة ان وجوده عين ماهيته فابتكر الاول ذلك

فقلت أما متكلموا أهل السنة فعندهم ان وجود كل شئ عين ماهيته وأما القول الآخر فهو قول المعتزلة ان وجود كل شئ قدر

زائد على ماهيته وكل منهما أصاب من وجه فان الصواب ان هذه الاسماء مقولة بالتواطؤ كما قد قررته في غير هذا الموضوع وأما بناء ذلك على كون وجود الشيء عين ماهيته أو ايس فهو من الغلط المضاف الي ابن الخطيب فانا وان قلنا ان وجود الشيء عين ماهيته لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظي فقط كما في جميع أسماء الاجناس فان اسم السواد مقول على هذا السواد وهذا السواد بالتواطؤ وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد اذ الاسم دال على القدر المشترك بينهما وهو المطلق الكلّي لانه لا يوجد مطلقا بشرط الاطلاق الا في الذهن ولا يلزم من ذلك نفي القدر المشترك بين الاعيان الموجودة في الخارج فانه على ذلك تنفي الاسماء المتواطئة وهي جمهور الاسماء الموجودة في اللغات وهي أسماء الاجناس اللغوية وهو الاسم المعلق على الشيء وما أشبهه سواء كان اسم عين أو اسم صفة جامدا أو مشتقا وسواء كان جنسا منطقيًا أو فقهيًا أو لم يكن بل اسم الجنس في اللغة يدخل فيه الاجناس والاصناف والانواع ونحو ذلك وكلها أسماء متواطئة وأعيان مسمياتها في الخارج متميزة هذا آخر بعض ما علقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة بمحضرة نائب السلطنة والقضاة والفقهاء وغيرهم قال الحافظ

الذهبي ثم وقع الاتفاق على ان هذا معتقد سلفي جيد

تمت الرسالة العاشرة ❦

❦ ويلها الرسالة الحادية عشر له أيضا ❦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ما قول السادة العلماء أئمة الدين أحسن الله إليهم أجمعين)

في آيات الصفات كقوله تعالي الرحمن على العرش استوى وقوله ثم استوى الي السماء الي غير ذلك من الآيات وأحاديث الصفات أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله يضع الجبار قدمه في النار الي غير ذلك وما قالت العلماء فيه وابتسطوا القول في ذلك مأجورين ان شاء الله تعالي فاجاب شيخنا شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية رضی الله عنه وأرضاه

الحمد لله رب العالمين* قولنا في ما قاله الله ورسوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرائتهم وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات الي النور باذن ربهم الي صراط العزيز الحميد وشهد له بأنه بعثه داعياً اليه باذنه وأمره أن يقول هذه سبيلي ادعوا الي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ومن الحمال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج به الناس من الظلمات الي النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم الي ما بعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو الي الله والي

سبيله باذنه على بصيرة وقد أخبره الله بأنه أكمل له ولايته دينهم وأتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره أن يكون قد ترك باب الايمان بالله والعلم به ملتبساً مشتبهاً ولم يميز ما يجب لله من الاسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه فان معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدر كته العقول فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خالق الله بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً ومن المحال أيضاً أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة وقال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وقال فيما صح عنه أيضاً ما بعث الله من نبي الا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم وقال أبو ذر لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقرب جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علماً وقال عمر بن الخطاب قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسبه من نسبه رواه البخاري ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين وان دقت أن يترك تعليمهم ما يقولونه بالسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم ورب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب بل هذا خلاصة الدعوة التنبوية وزبدة الرسالة الالهية فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من ايمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ثم اذا

كان قد وقع ذلك منه فمن المحال ان خير أمة وأفضل قرونها قصروا
في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه

ثم من المحال أيضاً ان تكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث
فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا
غير عالمين وقائلين في هذا الباب بغير الحق المبين لان ضد ذلك اما عدم
العلم والقول واما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق وكلاهما يتمتع
أما الاول فلان من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة
يكون البحث عن هذا الباب وانسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر
مقاصده وأعظم مطالبه وليست النفوس الصحيحة الي شئ أشوق منها
الى معرفة هذا الامر وهذا أمر معلوم بالفطرة لوجدية فكيف يتصور
مع قيام هذا المتنضي الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخاف عنه
مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم هذا لا يكاد يقع في أبلد
الخلق وأشدهم اعراضاً عن الله وأعظمهم كباباً على طلب الدنيا والغفلة
عن ذكر الله فكيف يقع في أولئك

وأما كونهم كانوا فيه معتمدين غير الحق أو قائلية فهذا لا يعتقده

مسلم ولا عاقل صرف حال القوم

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه
الفتوى أو أضافها يعرف ذلك من طلبه وتبعه ولا يجوز أيضاً أن
يكون الخالفون أعلم بالله من السالفين كما قد يقوله بعض الاغبياء ممن لم
يقدر قدر السلف بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة

المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم أو أحكم
فإن هذا القول إذا تدبره الاسان وجدته في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة
كيف يكون هؤلاء المتأخرون لاسيما والاشارة بالخلف الي ضرب من
المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم
وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم بما انتهى اليه من مرامهم
حيث يقول

لعمري قد طفت المهاد كلها * وسبرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر * على ذقن أو قارعاسن نادم
وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه
من كتبهم مثل قول بعض رؤسائهم

نهاية اقدام العقول عقال * وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا * سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا
ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام
وعلمهم * وخضت في الذي نهوني عنه والآآن ان لم يتداركني ربي
برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي

ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام
ثم اذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص
المعرفة به خبر ولا وقوم من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء
المنقصون المحجوبون المفضولون المسبوقون الحيارى المنهوكون أعلم بالله

وآياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم
 باحسان من ورثة الانبياء وخلفاء الرسل واعلام الهدى ومصابيح
 الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا
 الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر اتباع الانبياء
 واحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة
 غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الامة
 انقص في العلم والحكمة لاسيما العلم بالله واحكام اسمائه وآياته من هؤلاء
 الاصغر بالنسبة اليهم ام كيف يكون أفرخ المتفلسفة واتباع الهند
 واليونان أعلم بالله من ورثة الانبياء وأهل القرآن ولايمان وانما قدمت
 هذه المقدمة لأن من استقرت هذه المقدمة عنده علم طريق الهدى أين
 هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك انما استولى على كثير
 من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وأعراضهم عما بعث
 الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن
 طريق السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله
 باقراره على نفسه وبشهادة الامة على ذلك وبدلالات كثيرة

وليس غرضي واحداً معيناً وانما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء واذا
 كان كذلك فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه
 وسلم من أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام
 سائر الائمة مملوء بما هو اما نص واما ظن في ان الله سبحانه وتعالى
 فوق كل شيء وعلى كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء مثل

قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه اني متوفيك ورافعك الى ائمتهم من في السماء أن يخسف بكم الارض أم ائمتهم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً بل رفعه الله اليه تعرج الملائكة والروح اليه يخافون ربهم من فوقهم ثم استوى علي العرش في ستة مواضع الرحمن علي العرش استوي يا امان ابن لي صرحا علي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الي اله موسى واني لأظنه كاذبا تنزيل من حكيم حميد منزل من ربك الي أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى الا بكلفة

وفي الاحاديث الصحيح والحسان ما لا يحصى مثل قصة معراج الرسول صلي الله عليه وسلم الي ربه ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم الي ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم وفي الصحيح في حديث الحوارج الأتامنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء وفي حديث الرقية الذي رواه أبو داود وغيره ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع وقال صلي الله عليه وسلم اذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ من اخوانه فليقل ربنا الله الذي في السماء وذكره وقوله في حديث الاوعال والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه وقوله في حديث قبض الروح حتى يبرجه الي السماء التي فيها الله

وقول عبد الله بن رواحة الذي أنشده النبي صلى الله عليه وسلم
وأقره عليه

شهدت بأن وعد الله حق * وإن النار مثوى الكافرينا

وإن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وقول أمية بن أبي الصلت الثقفى الذي أنشده النبي صلى الله عليه

وسلم هو وغيره من شعره فاستحسنه وقال آمن شعره وكفر قلبه

مجدوا الله فهو للمجد أهل * ربنا في السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذي سبق لنا * من وسوى فوق السماء سريرا

شرجبا ما يناله بصر العين ترى دونه الملائك صورا (١)

إلى أمثال ذلك مما لا يحصىه إلا الله مما هو من أبلغ التواترات اللفظية

والمعنوية التي تورث علما يقينيا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول

المبلغ عن الله أتى إلى أمته المدعويين أن الله سبحانه على العرش استوي

وأنه فوق السماء كما فطر الله على ذلك جميع الأمم وعجمهم في

الجاهلية والإسلام إلا من اجتمعت له الشياطين عن فطرته

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لوجع البليغ مئين أو الوفا * ثم

ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد

من سلف الأمة إلا من الصحابة والتابعين ولا عن الأئمة الذين أدركوا

زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لأنصا ولا ظاهرا

ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء ولا أنه ليس على العرش ولا

أنه في كل مكان ولا أن جميع الأماكن بالنسبة إليه سواء ولأنه لا داخل

(١) الشرجع الطويل ٠٠ والصور جمع أصور المائل العنق

العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا انه لا تجوز الاشارة الحسية
اليه بالاصابع ونحوها بل قد ثبت في الصحيح عن جابر أن النبي صلى
الله عليه وسلم لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يقول لأهل بلغت فيقولون نعم
فيرفع أصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم أشهد غير مرة وأمثال
ذلك كثيرة فلتئن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون من هذه
المبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة امانا واما ظاهرا
كيف يجوز على الله ثم على رسوله ثم على خير الامة انهم يتكلمون دائما
بما هو نص أو ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يوحون
به قط ولا يدلون عليه لانصا ولا ظاهرا حتى يحىء انباط الفرس والروم
وفروخ اليهود والفلاسفة يبينون للامة العقيدة الصحيحة التي تجب
على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها * ان كان ما يقوله هؤلاء
المتكلمون المتكلمون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيوا في
معرفة على مجرد عقولهم وان يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه
الكتاب والسنة ظاهرا لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي
لهم وأنفع على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضرا محضا
في أصل الدين فان حقيقة الامر على ما يقوله هؤلاء انكم يامعشر العباد
لا تطالبوا معرفة الله ولا ما يستحقه من الصفات نفيا وانباتا لان الكتاب
ولامن السنة ولا من طريق سالف الامة ولكن انظر واأنتم فما
وجدتموه مستحقا له من الصفات فصفوه به سواء كان موجودا في

الكتاب والسنة أو لم يكن وما لم تجرود مستحقا له في عقولكم فلا تصفوه به * ثم هم ههنا فريقان أكثرهم يقولون ما لم تثبت به عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه ومانفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيسه مختلفون ومضطربون اختلافاً كثيراً من جميع اختلاف على وجه الأرض فانفوه واليه عند التنازع فارجموا فانه الحق الذي تعبدتكم به وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو ثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم فاعلموا اني امتحنكمكم بتزيله لئلا أخذوا الهدى منه لكن اتجهتوا في تخريبه على شواذ الالفه ووحشى الالفاظ وغرائب الكلام أو ان تكثروا عنه مفوضين علمه الي

هذا حقيقة الامر على رأى المتكلمين وهذا الكلام قدرأيته صرح بمعناه طائفة منهم وهو لازم لجماعتهم لزوما لا محيد عنه ومضمونه أن كتاب الله لا يهتدى به في معرفة الله وان الرسول معزول عن التعليم والاخبار بصفات من أرسله وان الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه الي الله والرسول بل الي مثل ما كانوا عليه في الجاهلية والى مثل ما يتحاكم اليه من لا يؤمن بالانبياء كالبراهمة والفلاسفة وهم المشركون والمجوس وبعض الصابئين وان كان هذا الرد لا يزيد الامر الا شدة ولا يرتفع به الخلاف اذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا اليهم وقد أمروا أن يكفروا بهم وما أشبهه حال هؤلاء المتكلمين بقوله سبحانه ألم ترالى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الي الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد

الشیطان أن یضلهم ضللاً لا یعیدا واذا قیل لهم تعالوا الی ما أنزل الله والی الرسول رأیت المنافیقین یصدون عنک صدوداً فکیف اذا أصابهم مصیبة بما قدمت أیدیهم ثم جاؤک یحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفیقاً فان هؤلاء اذا دعوا الی ما أنزل الله من الکتاب والی الرسول والدعاء الیه بمد وفاته الدعاء الی سنته أعرضوا عن ذلك وهم یقولون انا قصدنا الاحسان علماً وعملاً بهذه الطریق الی ملکناها والتوفیق بین الدلائل العقلیة والنقلیة

ثم عامة هذه التسلیمات الی یسمونها دلائل انما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغیت المشرکین والصائبین أو بعض ورثتهم الذین أمروا أن ینکفروا بهم مثل فلان وفلان فلا وربک لا یؤمنون حتی یحکموک فیما شجر بینهم ثم لا یجدوا فی انفسهم حرجاً مما قضیت ویسلموا تسلیماً کان الناس أمة واحدة فبعث الله النبیین مبشرین ومنذرین وأنزل معهم الکتاب بالحق لیحکم بین الناس فیما اختلفوا فیهِ وما اختلف فیهِ الا الذین أوتوه من بعد ماجاءتهم البینات بغیا بینهم فهدى الله الذین آمنوا لما اختلفوا فیهِ من الحق باذنه

ولازم هذه المقالة أن لا یكون الکتاب هدی للناس ولا یبانا ولا شفاء لما فی الصدور ولا نوراً ولا مرداً عند التنازع لانا نعلم بالاضطرار ان ما یقوله هؤلاء المتکفون انه الحق الذی یجب اعتقاده لم یدل علیه الکتب والسنة لانصا ولا ظاهراً وانما غاية المتخذاق أن یرتفع هذا من قوله ولم ینکر له کفوا أحد هل تعلم له سمياً وبالاضطرار یعلم کل عاقل

ان من دل الخلق على ان الله ليس على العرش ولا فوق السموات
ونحو ذلك بقوله هل تعلم له سميا لقد أبد النجعة وهو اما ملغز أو
مدلس لم يخاطبهم بلسان عربي مبين

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خير لهم في
أصل دينهم لان مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وانما الرسالة زادتهم
عمى وضلالا ياسبحان الله كيف لم يقل الرسول يوما من الدهر ولا
أحد من ساف الامة هذه الآيات والاحاديث لاتعتقدوا مادلت عليه
ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فانه الحق
وما خالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره أو انظروا فيها فيما وافق قياس
عقولكم فاعتقدوه وما لا يوافق فنفقوا فيه أو انفوه

ثم الرسول صلي الله عليه وسلم قد أخبر بان أمته ستفترق على ثلاث
وسبعين فرقة فقد علم ماسيكون ثم قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به ان
تضلوا كتاب الله

وروى عنه انه قال في صفة الفرقة الناجية هو من كان على مثل
ما أنا عليه اليوم وأصحابي فهـ لا قال من تمسك بظاهر القرآن في باب
الاعتقاد فهو ضال وانما الهـ دى رجوعكم الي مقاييس عقولكم وما
يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبغ أصلها في
أواخر عصر التابعين

ثم أصل هذه المقالة انما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين
وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه أنه قال هـ هذه المقالة أعني ان

الله ليس على العرش حقيقة وانما استوى استولى ونحو ذلك أول ما ظهرت هذه المقالة من جمع بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فتنسب مقالة الجهمية إليه والجمد أخذ مقائمه عن ابان بن سمان وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم وأخذها طالوت من لبيد بن أعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجمد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الدابثة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنّف بعض المتأخرين في سحرهم وكانوا يعبدون الكواكب ويذنون لها الهياكل ومذهبهم في الرب انه ليس له الا صفات سلبية أو اضافة أو مركبة منهما وهم الذين بعث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اليهم فيكون الجمد قد أخذها عن الصائبة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً فيما ذكره الامام أحمد وغيره من السنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يتحدثون من العلوم ماسوى الحسيات فهذه أسانيد الجهم ترجع الى اليهود والصائبين والمشرّكين والفلاسفة الضالون هم اما من الصائبين واما من المشرّكين

ثم لما عرّبت الكتب الرومية في حدود المائة الثانية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أتياهم ولما كان في حدود المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته وكلام الأئمة مثل مالك رضى الله عنه وسفيان بن عيينة وأبي يوسف

والشافعي وأحمد وإسحاق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في بشر المريسي هذا كثير في ذمه وأضليله وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب التأويلات وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه تأسيس التقديس وبوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وابن عقيل وأبي حامد الغزالي وغيرهم وهي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضا ولهم كلام حسن في أشياء فانما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي وعلمنا ذلك بكتاب الرد الذي صنّفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري صنّف كتابا سماه نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افتري على الله في التوحيد

حكى فيه هذه التأويلات باعينها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته ثم ردها عثمان بن سعيد بكلام إذا طالع العاقل الذكي علم حقيقة ما كان عايه الساف فيبين له ظهور الحججة لطرقهم وضعف حججة من خالفهم

ثم إذا رأى الأئمة أئمة الهدى قد أجمعوا على ذم المريسة وأكثرهم كذروهم أو ضللوهم وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين

هو مذهب المريسي تبين الهدى لمن يريد الله هدايته ولا حول ولا قوة الا بالله والفتوى لا تحتل البسط في هذا الباب وانما أشير اشارة الى مبادئ الامور والعامل يسبر فينظر وكلام الساف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن ان نذكر ههنا الا قليلا منه مثل كتاب السنن الاالكائي والابانة لابن بطة والسنة لابي ذر الهروي والاسماء والصفات للبيهقي وقبل ذلك السنة للطبراني ولابي الشيخ الاصمباني وقبل ذلك السنة للاخلاق والتوحيد لابن خزيمة وكلام ابي العباس بن مريج والرد على الجهمية لجماعة وقبل ذلك السنة لعبد الله بن أحمد وكلام عبدالعزيز المكي صاحب الحميدة في الرد على الجهمية وكلام الامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وأشياء كثيرة

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره وأنا أعلم ان المتكلمين لهم شبهات موجودة لكن لا يمكن ذكرها في الفتوى فمن نظر فيها وأراد ابانة ما ذكره من الشبه فانه يسير واذا كان أصل هذه المقالة مقالة التعطيل والتأويل مأخوذا عن تلامذة المشركين والصائبين واليهود فكيف أطيب نفس مؤمن بل نفس عاقل ان يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن بوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لا يتجاوز القرآن والحديث

قال الامام أحمد رضى الله عنه لا يوصف الله الابدان وصف به نفسه
أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث ونعلم ان ما وصف الله
به من ذلك فهو حق ايس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من
حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثل
شئ في نفسه المقدسة المذكورة باسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما يتيقن
ان الله سبحانه له ذات حقيقة وله أفعال حقيقة فكذلك له صفات
حقيقة وهو ليس كمثل شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل
ما أوجب نقصا أو حدوثا فان الله منزه عنه حقيقة وانه سبحانه مستحق
للكمال الذى لا غاية فوقه وممنوع عليه الحدوث لا امتناع العدم عليه
واسـتـلزـام الحدوث سابقة العدم ولافتقار المحدث الى محدث ولو جوب
وجوده بنفسه سبحانه وتعالى

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله
بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به
نفسه أو وصفه به رسوله فيعطون أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفون
الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته وكل واحد من فريق
التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل

أما المعطلون فانهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته الا ما هو اللائق
بالخلق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التمثيل
والتعطيل مثلوا اولوا عطلوا آخرا وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم
من أسماء وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم وتعطيل لما

يستحقه هو سبحانه من الاسماء والصفات الملائقة بالله سبحانه وتعالى فانه اذا قال القائل لو كان الله فوق العرش للزم اما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا وكل ذلك محال ونحو ذلك من الكلام فانه لم يفهم من كون الله على العرش الا ما ثبت لاي جسم كان على أي جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم أما استواء بليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الثلاثة كما يلزم سائر الاجسام وصار هذا مثل قول الممثل اذا كان للعالم صانع فاما أن يكون جوهرًا أو عرضًا اذا لا يعقل موجود الا هذان أو قوله اذا كان مستويا على العرش فهو مماثل لاستواء الانسان على السرير أو النلك اذا لا يعلم الاستواء الا هكذا فان كلاهما مثل وكلاهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه وامتاز الاول بتعطيل كل مسمى للاستواء الحقيقي وامتاز الثاني باثبات استواءه من خصائص المخلوقين

والقول الفاصل هو ما عليه الامة الوسط من ان الله مستو على عرشه استواء يليق بجلاله ويختص به فكما انه موصوف بانه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وانه سميع بصير ونحو ذلك ولا يجوز أن تثبت للعلم والقدرة خصائص الاعراض التي لعلم المخلوقين وقدرهم فكذلك هو سبحانه فوق العرش ولا تثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها

واعلم ان ليس في العقل الصريح ولا في النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا لئلا يكون هذا الموضوع لا يتسع للجواب عن

الشبهات الواردة عن الحق فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها فذلك سهل يسير

ثم المخالفون للكتاب والسنة وساف الامة من المتأولين لهذا الباب في أمر صريح فان من ينكر الرؤية يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر فيها الى التأويل ومن يحيل ان لله علما وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول ان العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر الى التأويل ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش يزعم ان العقل أحال ذلك وانه مضطر الى التأويل

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب ما يدعى الآخر أن العقل أحاله

يا ليت شعري باي عقل يوزن الكتاب والسنة فرضي الله عن مالك ابن أنس الامام حيث قال أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد صلي الله عليه وسلم لجدل هذا وكل من هؤلاء مخصوم بمنزل ما خصم به الآخر وهو من وجوه

أحدها بيان أن العقل لا يحيل ذلك والثاني أن النصوص الواردة لا تحتل التأويل الثالث ان عامة هذه الامور قد علم أن الرسول جاء بها بالاضطرار كما أنه جاء بالملوات الخمس وصوم شهر رمضان فالتأويل الذي يحيلها

عن هذا بمنزلة تأويلات القرامطة والباطنية في الحج والصوم والصلاة
وسائر ما جاءت به النبوات على ان الاساطين من هؤلاء الفحول معترفون
بان العقل لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهية واذا كان هكذا
فالواجب تلتقى علم ذلك من النبوات على ما هو عليه ونحن نذكر من
ألفاظ السلف باعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم بحسب ما يحتمله هذا
الموضع ما يعلم به مذهبهم

روى أبو بكر البيهقي في الاسماء والصفات باسناد صحيح عن الاوزاعي
قال كنا والتابعون متوافرون نقول ان الله تعالى ذكره فوق عرشه
ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته فقد حكى الاوزاعي وهو أحد
الائمة الاربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك امام أهل الحجاز
والاوزاعي امام أهل الشام والليث امام أهل مصر والثوري امام أهل
العراق حكى شهرة القول في زمن التابعين بالايان بأن الله فوق العرش
وبصفاته السعوية وانما قال الاوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم
المنكر لكون الله فوق عرشه والتأني لصفاته ليعرف الناس ان مذهب
السلف كان بخلاف هذا

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الاوزاعي قال سئل
مكحول والزهرى عن تفسير الاحاديث فقالوا أمروها كما جاءت
وروي أيضاً عن الوليد بن مسلم قال سألت مالك بن أنس وسفيان
الثوري والليث بن سعد والاوزاعي عن الاخبار التي جاءت في الصفات
فقالوا أمروها كما جاءت وفي رواية فقالوا أمروها كما جاءت بلا كيف

فقولهم رضى الله عنهم أمرها كما جاءت رد على الممثلة وقولهم بلا كيف رد على الممثلة والزهرى ومكحول هما أعلم التابعين فى زمانهم والاربعة الباقرن أئمة الدنيا فى عصر تابعى التابعين ومن طبقتهم حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وأمثالهما

روى أبو القاسم الازجى باسناده عن ابن مطرف بن عبد الله قال سمعت مالك بن أنس اذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات يقول قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاده الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال اطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد من خلق الله تغييرها ولا النظر فى شى خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع سبيل غير المؤمنين ولاء الله ماتولى وأصله جهنم وساءت مصيراً

وروى الخلال باسناد كلهم أئمة من سفیان بن عيينة قال سئل ربيعة ابن عبد الرحمن عن قوله الرحمن على العرش استوى كيف استوى قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعائنا التصديق وهذا الكلام مروى عن مالك بن أنس تابعى ربيعة من غير وجه

منها مارواه أبو الشيخ الاصهبانى وأبو بكر البيهقى عن يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجا رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرخصاء

ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمن به واجب
والسؤال عنه بدعة وما أرك الا مبتدعا فأمر به أن يخرج
وروى أبو عبد الله بن بطة في الابانة باسناد صحيح عن عبد العزيز
ابن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون وهو أحد أئمة المدينة الثلاث وهم
مالك وابن الماجشون وابن أبي ذئب وقد سئل فيما جحدته الجهمية اما
بعد فقد فهمت مسألت فيما تابعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب
العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير وكلت الاسن عن تفسير
صفته وأنحسرت العقول دون معرفة قدره ردت عظمته العقول فلم تجرد
مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة وانما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق
بالتقدير وانما يقال كيف لمن لم يكن مرة ثم كان فاما الذي لا يحول ولا
يزول ولم يزل وليس له مثل فانه لا يعلم كيف هو الا هو وكيف يعرف
قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى وكيف يكون لصفة شيء منه
حدا ومنتهي يعرفه عارف أو يحد قدره واصف على أنه الحق المبين
لاحق أحق منه ولا شيء أبين منه الدليل على عجز العقول عن تحقيق
صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغراً يحول
ويزول ولا يبري له جمع ولا يبصر لما يتقلب به ويحتمل من عقله أعضل
وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين
وخالقهم وسيد السادة وربهم ليس كمثل شيء وهو السميع البصير أصرف
رحمك الله غناءك عن تكلف صفة مالم يصف الرب من نفسه بعجزك
عن معرفة قدر ما وصف منها اذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك

علم ما لم يصف هل تسندل بذلك علي شيء من طاعته أو تنزجر به عن شيء من معصيته

وأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفاً تد استهوته الشياطين في الارض حيران فصار يستدل بزعمه علي جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لا بد ان كان له كذا من أن يكون له كذا فعمى عن البين بالحقي بجحد ما سمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يلمي له الشيطان حتي جحد قول الله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقال لا يراه أحد يوم القيامة بجحد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الي وجهه ونضرتة اياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر قد قضى أنهم لا يموتون فهم بالنظر ينضرون الي أن قال

وانما جحد رؤيته يوم القيامة اقامة للحجة الضالة المضلة لانه قد عرف اذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين وكان له جاحداً وقال المسلمون يا رسول الله هل نري ربنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا قال فانكم ترون ربكم يومئذ كذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمتلي النار حتي يضع الجبار فيها قدمه فتنقول قط قط وينزوى بعضها الي بعض وقال لثابت بن قيس لقد ضحكك الله مما فعلت بضيفك البارحة

وقال فيما بلغنا ان الله ليضحك من أزلكم (١) وقنوطكم وسرعة اجابتكم فقال له رجل من العرب ان ربنا ليضحك قل نعم قال لا نعم من رب يضحك خيراً في أتباعه هذا مما لم نحصه وقال الله تعالى وهو السميع البصير واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال واتضع على عيني وقال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون فوالله ما دلهم على عظم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته الا صغر نظرها منهم عندهم ان ذلك الذي أتى في روعهم وخاق على معرفة قلوبهم فما وصف الله من نفسه فسماه على لسان رسوله سميناه كما سماه ولم تتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لان مجرد ما وصف ولا تتكلف معرفة ما لم يصف

اعلم رحمك الله ان العصمة في الدين ان تنتهي حيث انتهى به ولا تجاوز ما قد حدلك فان من قوام الدين معرفة المعروف وانكار المنكر فما بسطت عليه المعرفة وسكنت اليه الافئدة وذكر أصله في الكتاب والسنة ونوارث علمه لامة فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه غيباً ولا تكلفن لما وصف لك من ذلك قدراً وما أنكرته نفسك ولم نجد ذكره في كتاب ربك ولا في الحديث عن نبيك من ذكر صفة ربك فلا تتكلفن علمه بعقلك ولا تصفه بلسانك واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه فان تكلفك معرفة ما لم يصف من نفسه مثل انكارك ما وصف منها فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما (١) هكذا بروى وفي بعض طرقه من إلكم والازل الشدة والضيق

وصف من نفسه فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف
 منها فقد والله عز المسلمون الذين يعرفون المعروف ويعرفونهم يعرف
 وينكرون المنكر وبانكارهم ينكر يسمون ما وصف الله به نفسه من
 هذا في كتابه وما يبلغهم مثله عن نبيه فما مرض من ذكر هذا وتسميته
 من الرب قاب مسلم ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب
 مؤمن وما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سماه من صفة
 ربه فهو بمنزلة ماسمي ووصف الرب تعالى من نفسه والراسخون في
 العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف به من
 نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ماسمي جحداً ولا
 يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقاً لان الحق ترك ما ترك وتسميته ما سمي
 فمن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى واتصله جهنم وساءت مصير او هب
 الله انما ولكم حكماً وألحقنا بالصالحين وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام
 وروى أبو القاسم اللالكائي الحافظ الطبري في كتابه المشهور في
 أصول السنة باسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة قال اتفق
 الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن والاحاديث
 التي جاء بها النقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز
 وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك
 فقد خرج عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة فانهم لم
 يصفوا ولم يفسروا ولكن أفنوا بما في الكتاب والسنة ثم كتبتوا فن قال
 بقول جهم فقد فارق الجماعة لانه قد وصفه بصفة لاشي محمد بن الحسن

أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء وقد حكى هذا الاجماع وأخبر ان الجهمية تصفه بالالاور السلبية غالباً وأدائماً

وروى البيهقي وغيره باسانيد صحيحة عن أبي عبيد انقاسم بن سلام قال هذه الاحاديث التي تقول فيها نضحك ربنا من قنوط عباده وقرب خيره وان جهنم لا تمتلىء حتي يضع ربك قدمه فيها والكرسي موضع القدمين وهذه الاحاديث في الرواية هي عندنا حق حملها النقات بعضهم عن بعض غير أنا اذا سئلنا عن تفسيرها لانفسرها وما أدركنا أحداً يفسرها

أبو عبيد أحد الأئمة الاربعة الذين هم الشافعي وأحمد واسحاق وأبو عبيد وله من المعرفة بالدين واللغة والتأويل ما هو أشهر من أن يوصف وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والاهواء وقد أخبر انه أدرك أحداً من العلماء يفسرها

وروى اللالكائي والبيهقي عن عبدالله بن المبارك ان رجلاً قال له يا أبا عبدالرحمن اني أكره الصنعة عنى صفة الرب فقال له عبدالله بن المبارك أنا أشد الناس كراهة لذلك ولكن اذا نطق الكتاب بشيء قلنا به واذا جاءت الآثار بتىء جسرنا عليه ونحو هذا أراد ابن المبارك اننا نكره أن نبتدىء بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتي يجيء به الكتاب والآثار

وروي عبدالله بن أحمد وغيره باسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له بماذا تعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بأن من خلقه ولا

تقول كما تقول الجهمية انه ههنا في الارض وهكذا قال الامام أحمد وغيره وبإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر هؤلاء الجهمية فقال انما يجاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبي امام أهل البصرة عالما ودينا من شيوخ أحمد انه ذكر عنده الجهمية فقال هم شر قولا من اليهود والنصارى وقد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الاديان مع المسلمين على أن الله على العرش وكانوا هم ليس بتايه شيء

وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الائمة من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بان من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم اتى على منزلة ائمة يتأذى بنتن ربحه أهل القبلة وأهل الذمة

وروى عبد الله بن أحمد عن عباد بن العوام الواسطي امام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد قال قلت بشر المريسي وأصحابه بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء وعن عبد الرحمن بن مهدي الامام المشهور انه قال ليس في أصحاب الاهواء شر من أصحاب جهنم يدورون على أن يقولوا ليس في السماء شيء أرى والله أن لاينا كجوا ولا يوارثوا

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية عن عبد الرحمن بن مهدي قال أصحاب جهنم يريدون أن يقولوا ليس في السماء شيء وان الله ليس على العرش أرى أن يستتابوا فان تابوا والاقتلوا

وعن الاصمعي قال قدمت امرأة جهنم فنزلت الدباغين فقال رجل
عندها الله على عرشه فقالت محدود على محدود فقال الاصمعي كافرة
بهذه المقالة

وعن عاصم بن علي بن عاصم شيخ أحمد والبيخاري وطبقتهما قال
ناظرت جهنميا فتبين من كلامه الا يؤمن أن في السماء ربا
وروي الامام أحمد قال أنبأنا شرح بن النعمان قال سمعت عبدالله
ابن نافع الصائغ قال سمعت مالك بن أنس يقول الله في السماء وعلمه في
كل مكان لا يخلو من علمه مكان
وقال الشافعي رضى الله عنه خلافة أبي بكر حق قضاها الله في سماه
وجمع عليه قلوب عباده

وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال كانت زينب تفخر على أزواج
النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق
سبع سموات هذا مثل قول الشافعي وقصة أبي يوسف صاحب أبي
حنيفة شهورة في استنابة بشر المريسي حتى هرب منه لما أن أنكر أن
يكون الله فوق العرش قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره

وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن نسع هذه الفتوى
عشره وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي
في رسالته المشهورة في الغيبة عن الكلام وأهله قال فاما ما ألت عنه من
الصفات وما جاء منها في الكتاب والسنة فان مذهب السلف اثباتها
واجراؤها على ظواهرها وانفي الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قوم

فابطلوا ما أنبته الله وخنفها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك الى ضرب
من التشبيه والنكيف وانما القصد في ملوك الطريقة المستقيمة بين
الامرین ودين الله تعالى بين الغالى فيه والمقصر عنه والاصل في
هذا ان الكلام في الصفات نوع عن الكلام في الذات ويحتذي في
ذلك حذوه ومثاله فاذا كان معلوما ان اثبات الباري سبحانه انما
هو اثبات وجوده لا اثبات تحديد ونكيف فاذا قلنا يد وسمع وبصر
وما أشبهها فانما هي صفات أثبتها الله لنفسه وانما نقول ان معنى اليد
القوة أو النعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جوارح
ولا نشبهها بالأيدي وبالاسماع وبالبصائر التي هي جوارح وأدوات للفعل
ونقول ان القول انما وجبت باثبات الصفات لان التوقف ورد بها
وورد نفى التشبيه عنها لان الله ليس كمثلها شيء وعلى هذا جرى قول
السلف في أحاديث الصفات هذا كله كلام الخطابي وهكذا قاله أبو بكر
الخطيب الحافظ في رسالة له أخبر فيها ان مذهب السلف على ذلك
وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحوه من العلماء من
لا يحصى مثل أبي بكر الاسماعيلى والامام يحيى بن عمار السنجرى شيخ
شيخ الاسلام أبى اسماعيل الانصارى الهروى وأبى عثمان الصابونى
شيخ الاسلام وأبى عمر بن عبد البر النمرى امام المغرب وغيرهم
وقال أبو نعيم الاصبهاني صاحب الحلية في عقيدة قال في أولها
طريقتنا طريقة المتبعين للاكتساب والسنة واجماع الامة قال فما اعتدوه
ان الاحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء

الله يقولون بها ويشبثونها من غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه وان الله
بائن من خلقه والخلق بائون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو
على عرشه في سمائه من دون أرضه وخلقه

وقال الامام العارف معمر بن أحمد الاصمغاني شيخ الصوفية في
حدود المائة الرابعة في بلاده قال أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من
السنة وموعظة من الحكمة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والائر
وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين قال فيها وان الله
استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول
والكيف فيه مجهول وانه عز وجل بائن من خلقه والخلق منه بائون
بلا حلول ولا تمازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة لانه الفرد البائن من
الخلق الواحد الغني عن الخلق وان الله عز وجل سميع بصير عليم
خبير يتكلم ويرضى ويستخط ويضحك ويعجب ويتجلى له ابداه يوم
القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل
من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من تائب فاتوب
عليه حتى يطلع الفجر وتزول ارب ابي السماء بلا كيف ولا تشبيه
ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأزى فهو مبندع ضال وسائر الصفوة
من العارفين على هذا ومن متأخريهم الامام أبو محمد عبد القادر بن
أبي صالح الحلي قال في كتاب الغنية له اما معرفة الصانع بالآيات والدلالات
على وجه الاختصار فهو أن تعرف وتيقن ان الله واحد الى أن قال
وهو بجهة العلو مستو على العرش محتو على الملك محيط عله بالاشياء

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ولا يجوز وصفه بانه في كل مكان بل يقال انه في السماء على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى وذكر آيات وأحاديث الى أن قال وينبغي اطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وانه استواء الذات على العرش قال وكونه على العرش مذکور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل بلا كيف وذكر كلاما طويلا لا يحتمل هذا الموضع وذكر في سائر الصفات نحو هذا ولو ذكرت مقاله العلماء في ذلك لطال جدا

قال أبو عمر بن عبد البر رويانا عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والاوزاعي ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات انهم كلهم قالوا أمروها كما جاءت قال أبو عمر ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من نقل الثقات أو جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فهو علم يدان به وما أحدث بئدهم ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة

وقال في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال هذا حديث ثابت من جهة النقل صحيح الاسناد ولا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طريق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو حجته على المعتزلة في قولهم ان الله في كل مكان قال والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله وذكر بعض

الآيات الى أن قال وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج الي أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم

وقال أبو عمر بن عبد البر ايضا أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خلفهم في ذلك من يحتج بقوله

وقال أبو عمر ايضا أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والايان بها وحملها على الحقيقة لاعلى المجاز الا انهم لا يكتفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والحوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعم ان من أقر بها شبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة هذا كلام ابن عبد البر امام أهل المغرب وفي عصره الحافظ أبو بكر البيهقي مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري وذبه عنهم قال في كتاب الاسماء والصفات باب ماجاء في اثبات اليدين صفتين لامن حيث الجارحة لورود خبر الصادق به قال الله يا ابايس مامنك أن تسجد لما خلقت بيدي وقال بل يدها مبسوطتان وذكر الاحاديث الصحاح في هذا الباب مثل قوله في غير حديث في حديث الشفاعة يا آدم أنت أبو البشر خالقك الله بيده ومثل قوله في

الحديث المتفق عليه أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك الألواح بيده وفي لفظ وكتب لك التوراة بيده ومثل ما في صحيح مسلم وغرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده ومثل قوله صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الحيار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لاهل الجنة وذكر أحاديث مثل قوله بيديك الأمر والخير بيديك والذي نفس محمد بيده وإن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقوله المقسطون عند الله علي منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين وقوله يطوى السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك ابن الحيارون أين المتكبرون ثم يطوى الأرض بشماله ثم يقول أنا الملك أين الحيارون أين المتكبرون وقوله يمين الله لا يفيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يفيض ما في يمينه وعرشه علي الماء وبيده الأخرى القبض يخفض ويرفع وكل هذه الأحاديث في الصحاح وذكر أيضاً قوله إن الله لما خلق آدم قال له ويداها مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة وحديث إن الله لما خلق آدم مسح ظهره الي أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع

ثم قال البيهقي أما المتقدمون من هذه الأمة فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات والأخبار في هذا الباب وكذلك قال في الاستواء علي العرش وسائر الصفات الخبرية مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب ابطال التأويل لاجبوزرد هذه الاخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وانها صفات الله لا تشبه بسائر الموصوفين بها من الخاق ولا يمتقد التشبيه فيها لكن على ما روى عن الامام أحمد وسائر الائمة وذكر بعض كلام الزهري ومكحول ومالك والثوري والاوزاعي والليث وحماد بن زيد وحماد ابن سامة وابن عيينة والفضيل بن عياض وو كيع وعبد الرحمن بن مهدي واود بن سالم واسحاق بن راهوبه وأبي عبيد ومحمد بن جبر الطبري وغيرهم في هذا الباب وفي حكاية ألفاظهم طول الى أن قال ويدل على ابطال التأويل ان الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفها عن ظاهرها ولو كان التأويل سائغا لكانوا اليه أسبق لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة

وقال أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة اليه في الكلام في كتابه الذي صنفه في اختلاف المضلين ومقالات الاسلاميين ذكر فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ثم قال

مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قول أصحاب الحديث أهل السنة الاقرار بالله و ملائكته وكتبه ورسوله وبما جاء عن الله ومارواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئا وان الله واحد أحد فرد صمد لاله غيره لم يخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا

عنده ورسوله وان الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وان الله على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له يدين بلا كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يدها مبسوطتان وان له عينين بلا كيف كما قال تجرى بأعيننا وان له وجهها كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وان أسماء الله لا يقال أنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ووافقوا ان الله علماً كما قال أنزله بعلمه وكما قال وما تحمل من أثى ولا تضع الا بعلمه وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة وأثبتوا الله القوة كما قال أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وذكر مذهبهم في القدر الى أن قال ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في اللفظ والوقف من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ويقولون ان الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون قال عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وذكر قولهم في الاسلام والايمان والحوض والشفاعة وأشياء الى أن قال ويقولون بان الايمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يقولون مخلوق ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار الى أن قال وينكرون الجدل والمرء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون من دينهم ويسلمون للروايات الصحيحة ولما جاءت به الآثار التي جاءت بها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولون كيف

ولالم لان ذلك بدعة الى أن قال

ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفا
صفا وان الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من
حبيل الوريد الى أن قال ويرون مجانبه كل داع الى بدعة والتشاغل بقراءة
القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع الاستكانة والتواضع وحسن
الخلق مع بذل المعروف وكف الاذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية
وتفقد المآكل والمشرب قال فهذه جملة ما يأمرون به ويستأمرون اليه
ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب وما توفيقنا الا بالله
وهو المستعان

وقال الاشعري أيضاً في اختلاف أهل القبلة في العرش فقال قال
أهل السنة وأصحاب الحديث ليس يجسم ولا يشبه الاشياء وانه استوى
على العرش كما قال الرحمن على العرش استوى. ولا نتقدم بين يدي الله
في القول بل نقول استوى بلا كيف وان له وجهاً كما قال ويبقى وجه
ربك وان له يدين كما قال خلقت بيدي وان له عينين كما قال تجري
بأعيننا وانه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال وجاء ربك والملك
صفاً صفاً وانه ينزل الي السماء الدنيا كما جاء في الحديث ولم يقولوا شيئاً
الا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقالت المعتزلة ان الله اسنوى على العرش بمعنى استولى
وذكر مقالات أخرى

وقال أيضاً أبو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه الابانة في

أصول الديانة وقد ذكر أصحابه انه آخر كتاب صنفه وعليه يعتمدون
في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال

(فصل) في ابانة قول أهل الحق والسنة فان قائل قد أنكركم
قول المعتزلة والتدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فمرفوف
قولكم الذي به تقولون وديانتكم الذي بها تدينون قيل له قولنا الذي
نقول به وديانتنا الذي ندين بها التماسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وبما
روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتمدون وبما
كان يقول أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع
درجته وأجزل مثوبته قائلون ولما خلف قوله مخالفون لانه الامام
الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ودفع به الضلال وأوضح
به المنهاج وقع به بدع المبتدعين وزيف الزائغين وشك الشاكين فرحمة
الله عليه من امام مقدم وجليل معظم وكبير مفهم

وجملة قولنا انا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤا به من
عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانرد من
ذلك شيئاً وان الله واحد لا اله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا
ولداً وان محمد عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق وان الجنة حق
والنار حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور
وان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له
وجهاً كما قال ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام وان له يدين بلا
كيف كما قال خلقت بيدي وكما قال بل يدها مبسوطتان وان له عينين بلا

كيف كما قال تجرى بأعيننا

وان من زعم ان أسماء الله غيره كان ضالاً وذاكر نحواً مما ذكر
في الفرق الي أن قال ونقول ان الاسلام أوسع من الايمان وليس كل
اسلام ايماناً

وندين بان الله يقاب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل
وانه عز وجل يضع السموات على أصبع والارضين على أصبع كما جاءت
الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الي أن قال وان الايمان قول
وعمل يزيد وينقص

ونسلم للاروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي
رواها الثقات تدلنا عن عدل حتى ينتهي الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم الي أن قال

ونصدق بجميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من النزول الي السماء
الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل هل من مستغفر وسائر
مانقلوه وأثبتوه خلافا لما قال أهل الزيغ والتضليل

ونقول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين
وما كان في معناه ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به ولا نقول علي
الله ما لا نعلم

ونقول ان الله يجيء يوم القيامة كما قال وجاء ربك والملك صفاصفا
وان الله يقرب من عباده كيف شاء كما قال ونحن أقرب اليه من
جبل الوريد وكما قال ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى الي أن

قال وسنحتج لما ذكرناه من قولنا وما بقي مما لم نذكره بابا بابا ثم تكلم على أن الله يرى واستدل علي ذلك ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق واستدل على ذلك ثم تكلم على من وقف على القرآن وقال لأقول أنه مخلوق ولا غير مخلوق ورد عليه ثم قال باب الاستواء على العرش فقال

ان قال قائل ما تقولون في الاستواء قيل له نقول ان الله مستو على عرشه كما قال الرحمن عنى العرش استوى وقد قال الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال بل رفعه الله اليه وقال يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وقال حكاية عن فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا كذب موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال أء منتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال أء منتم من فى السماء لانه مستو على العرش الذى هو فوق السموات وكل ماعلا فهو سماء والعرش أعلى السموات وليس اذا قال أء منتم من فى السماء يعنى جميع السماء وانما أراد العرش الذى هو أعلى السموات ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال وجعل القمر فىن نوراً فلم يرد ان القمر يماؤهن وانه فىن جميعاً ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله على العرش الذى هو فوق السموات فلولا ان الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كالا يحيطونها اذا دعوا الى الارض ثم قال

(فصل) وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معني قوله الرحمن على العرش اسنوى انه استولى وملك وقهر وان الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله علي عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان هـذا كما ذكره كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شيء والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الاشياء كلها لكان مستويا على العرش وعلى الارض وعلى السماء وعلى الحشوش والاقذار لانه قادر على الاشياء مستول عليها واذا كان قادراً على الاشياء كلها لم يحز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله مستول على الحشوش والاخلية لم يحز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها ووجب أن يكون معني الاستواء يختص العرش دون الاشياء كلها وذكردلالات من الزآن والحديث والاجماع والعقل ثم قال باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين وذكر الآيات في ذلك ورد علي المناولين بكلام طويل لا يتسع هـذا الموضوع لحكايته مثل قوله فان سئلنا أتقولون لله يدان قبل نقول ذلك وقد دل عليه قوله يد الله فوق أيديهم وقوله لما خلقت بيدي

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذرية وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم بيده وخلق جنـة عدن بيده وكتب

الثوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل عملت كذا بيدي ويعنى به النعمة وإذا كان الله إنما خاطب العرب بلغتها ومايجرى في مفهومها في كلامها ومعقولا في خطابها وكان لايجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل فعات بيدي ويعنى به النعمة بطل أن يكون معنى قوله عن وجل بيدي النعمة وذكر كلاما طويلا في تقرير هذا ونحوه

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده قال في كتاب الابانة تصنيفه فان قال فما الدليل على ان الله وجهها ويذا قيل له ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام وقوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي فأثبت انفسه وجهها ويذا فان قال فما أنكرتم أن يكون وجهه ويده جارحة اذ كنتم لانقلون وجهها ويذا الا جارحة قلنا لايجب هذا كما لايجب اذالم نعقل حياً علما قادرا الاجهما أن نقضى نحن وأنتم بذلك على الله سبحانه وكما لايجب في كل شيء كان قائماً بذاته أن يكون جوهرنا لانا واياكم لانجد قائماً بنفسه في شاهدنا الا كذلك وكذلك الجواب لهم ان قالوا فيجب أن يكون علمه وحياته وكلامه وسمعه وبصره وسائر صفاته عرضا واعتلوا باوجود

قال فان قال قائل أتقولون انه في كل مكان قيل له ماذا الله بل هو مستو على عرشه كما أخبر في كتابه فقال الرحمن على العرش استوى وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى

أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور قال ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان وفمه والحشوش والمواضع التي يرغب عن ذكرها ولو جب أن يزيد بزيادة الامكنة اذا خلق منها ما لم يكن وينقص بقصاها اذا بطسب منها ما كان ولصح أن نرغب اليه الي نحو الارض والى خافنا والى يميننا وشمالنا وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه ونحطة قائمه

وقال أيضا في هذا الكتاب صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها وهي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والارادة والبقاء والوجه والعينان واليدان والغضب والرضا

وقال في كتاب التمهيد كلاما أكثر من هذا وكلامه وكلام غيره من المتكلمين في هذا الباب مثل هذا كثير لمن تطلبه وان كنا مستغنين بالكتاب والسنة وآثار السلف عن كل كلام

وملاك الامر أن يهب الله للعبد حكمة وإيمانا بحيث يكون له عقل ودين حق يفهم ويدين ثم نور الكتاب والسنة يغنيه عن كل شيء ولكن كثير من الناس قد صار منتسبا الى بعض طوائف المتكلمين ومحسنا للظن بهم دون غيرهم أو متوها أنهم حققوا في هذا الباب ما لم يحققه غيرهم فلو أتى بكل آية ماتبعها حتى يؤتى بشيء من كلامهم ثم هم مع هذا مخالفون لاسلافهم غير متبعين لهم فلو أنهم أخذوا بالهدى الذي يجدونه في كلام الالفهم لرجي لهم مع الصدق في طلب الحق أن يزدادوا هدى ومن كان لا يقبل الحق الامن طائفة معينة ثم لا يستمسك بما جاءته

به من الحق ففيه شبه من اليهود الذين قال الله فيهم واذا قيل لهم آمنوا
 بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق
 مصدقا لما معهم قل فلم تقولون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين فان
 اليهود قالوا لا نؤمن الا بما أنزل علينا قال الله لهم قل فلم قتلتم الانبياء من
 قبل ان كنتم مؤمنين بما أنزل عليهم بقول سبحانه لا لما جاءكم به أنبياءكم
 تتبعون ولا لما جاءكم به سائر الانبياء تتبعون ولكن انما تتبعون أهواءكم
 فهذا حال من لم يتبع الحق لامن طائفته ولا من غيرها مع كونه
 يتعصب لطائفه دون طائفه بلا برهان من الله ولا بيان

وكذلك قال أبو المعالي الجويني في كتاب الرسالة النظامية اختلف
 مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في
 آي الكتاب وما يمح من السنن وذهب أئمة السلف الى الانكشاف
 عن التأويل واجراء الظواهر على ما وردها وتفويض معانيها الى
 الرب قال والذي نرضيه رأيا وندين الله به عقدا اتباع سلف
 الامة والدليل السمي القاطع في ذلك ارجاع الامة حجة متبعة
 وهو مستند معظم الشريعة وقد درج صحب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الاسلام والمستقلون
 باعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة والنواصي
 بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها فلو كان تأويل هذه الظواهر
 مسوغا أو محتوما لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع
 الشريعة وذا انصرم عصرهم وعصر التابعين على الاضراب عن التأويل

كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها الى الرب فليجر آية الاستواء والمجيء وقوله لما خلقت بيدي وبيتي وجه ربك وقوله تجري بأعيننا وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه

(قلت وليعلم السائل) ان الغرض من هذا الجواب ذكر الناظر بعض الأئمة في هذا لباب وايس كل من ذكرنا شيئاً من قوله من المتكلمين وغيرهم نقول بجمع ما يقوله في غير هذا ولكن الحق يقبل من كل من تكلم به

كان مما ذنبه بن حبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور عنه الذي رواه أبو داود في سننه اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافراً أو قال فاجراً واحداً ذروا زينة الحكيم قالوا كيف نعلم ان الكافر يقول الحق قال على الحق نور أو كلاماً هذا معناه

فأما تقرير ذلك بالدلائل واماطة ما يعرض من الشبه وتحقق الامر على وجه يخلص الى القلب ما يبرده من اليقين ويقف على مواقف اراء الابدان في هذه المهامه ذاتتسع له هذه الفتوى

وقد كتبت شيئاً من ذلك قبل هذا وخاطبت ببعض ذلك بعض من يجالسنا وربما أكتب ان شاء الله في ذلك ما يحصل به المقصود

وجماع الامر في ذلك ان الكتاب والسنة يحمل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن

تحريف الكلم عن مواضعه والاحاد في أسماء الله وآياته ولا يحسب الحاسب ان شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة مثل أن يقول القائل ما في الكتاب والسنة من أن الله فوق العرش يخالفه في الظاهر قوله وهو معكم أينما كنتم وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه ونحو ذلك فان هذا غلط وذلك ان الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم انوى علي العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير فاخبر انه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لم في حديث الاوعال والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه وذلك ان كلمة مع في اللغة اذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة الا المقارنة المطلقة من غير وجوب ماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال فاذا قيدت بمعنى من المعاني دلت علي المقارنة في ذلك المعنى فانه يتمال مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا ويتمال هذا المتاع معي لمجامعته لك وان كان فوق رأسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق صرته حقيقة ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد فاما قال يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير دل ظاهر الخطاب علي ان حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع عليكم شهيد عليكم مهيمن عالم بكم وهذا معني قول الساف انه معهم بملمه وهذا ظاهر الخطاب

وحقيقته وكذلك في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا
خسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما
كانوا ثم ينبتهم بما عملوا يوم القيامة وما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبه في الغار لا تخزن ان الله معنا كان هذا أيضا حقا على ظاهره
ودات الحال على ان حكم المعية هنا مع الاطلاع النصر والتأييد وكذلك
قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكذلك قوله لموسى
وهرون اني معكما أسمع وأري * هنا المعية على ظاهرها وحكمها
في هذا الوطن النصر والتأييد وقد يدخل على صبي من يخيفه
فيكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف ويقول لا تخف انا معك أو
أنا هنا أو أنا حاضر ونحو ذلك ينبت على المعية الموجبة بحكم الحال رفع
المكروه ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها وربما صار مقتضاها من
مفناها فيختلف باختلاف المواضع فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب
والسنة في مواضع تقضى في كل موضع أمور لا تقتضيها في المواضع الأخر
فاما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع
مواردها وان امتاز كل موضع بخصايته فعلى التقديرين ليس مقتضاها
أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها
ونظيرها من بعض الوجوه الربوبية والعبودية فانها وان اترك في
أصل الربوبية والتعبد فلما قال رب العالمين رب موسى وهرون كانت
ربوبية موسى وهرون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق
فان من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد بره ربه ربوبية

وتربية أكمل من غيره وكذلك قوله عينا بشر بها عباد الله وسبحان
الذي أسرى بعبده ليلا

(فان العبد) تارة يعني به المعبد فيعم الحاق كافي قوله ان كل من في
السموات والارض الآت الرحمن عبدا وتارة يعني به العابد فيخص
ثم يختلفون فمن كان أعبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل فكانت الاضافة
في حقه أكمل مع انها حقيقة في جميع المواضع ومثل هذه الالفاظ
فيسميها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هي من قبيل
الاسما المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط والمحققون يعلمون
انها ليست خارجة عن جنس المتواطئة اذ واضح اللغة انما وضع
اللفظ بازاء القدر المشترك وان كانت نوعا مختصا من المتواطئة فلا بأس
بتخصيصها بلفظ ومن علم ان المية تضاف الي كل نوع من أنواع المخلوقات
كضافة الربوبية مثلا وان الاستواء على الشيء ليس الا للعرش وان الله
يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط
لاحقيقة ولا مجازاً علم ان القرآن على ما هو عليه من غير تحريف
ثم من توهم ان كون الله في السماء بمعنى ان السماء تحيط به وتحويه
فهو كاذب ان نقله عن غيره وضال ان اعتقده في ربه وما سمعنا أحدا
يفهمه من اللفظ ولا رأينا أحدا نقله عن أحد ولو سئل - ما ر المسلمون
هل يفهمون من قول الله ورسوله ان الله في السماء ان السماء تحويه
لابدر كل أحد منهم الي أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا واذا كان
الامر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئا محلا ولا يفهمه

الناس منه ثم يريد أن يتأوله بل عند المسلمين ان الله في السماء وهو على العرش واحد اذ السماء انما يراد به العلو فالمعنى ان الله في العلو لافي السفلى

وقد علم المسلمون ان كرسية سبحانه وسع السموات والارض وان الكرسى في العرش كحلقة ملقاة بارض فلاة وان العرش خلق من مخلوقات الله لانسب له الى قدرة الله سبحانه وعظمته فكيف يتوهم بعد هذا ان خلقا يحصره أو يحويه وقد قال سبحانه ولاصايبكم في جذوع النخل وقال فسيروا في الارض بمعنى على ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معانى الحروف وانها متواطئة في الغالب لاشتركة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه الحديث حق على ظاهره وهو سبحانه فرق العرش وهو قبيل وجه المصلي بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات فان الانسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل بذلك ولله المثل الاعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا وامكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا سيرى ربه مخلياً به فقال له أبو رزين العقيلي كيف يارسول الله وهو واحد ونحن جميع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله هذا

القمر كما لكم يراه مخلياً به وهو آية من آيات الله فالله أكبر أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبّه الرؤية بالرؤية وان لم يكن المرثى مشابهاً للمرثى فلمؤمنون اذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولا منافاة أصلاً ومن كان له نصيب من المعرفة بالله والرسوخ في العلم بالله يكون اقراره بالكتاب والسنة على ما هما عليه أو أكد

واعلم ان من ائتأخرين من يقول مذهب السلف اقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد ان ظاهرها غير مراد وهذا المنظر مجمل فان قوله ظاهرها غير مراد يحتمل انه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين مثل ان يراد بكون الله قبل وجه المصلي انه مستقر في الحائط الذي يصلى اليه وان الله معنا ظاهره انه الى جانبنا ونحو ذلك فلانك ان هذا غير مراد ومن قال ان مذهب السلف ان هذا غير مراد فقد أصاب في المعنى لكن أخطأ في اطلاق القول بان هذا ظاهر الآيات والاحاديث فان هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضوع اللهم الا أن يكون هذا المعنى الممنوع صار بظهور لبعض الناس فيكون القائل لذلك مصيباً بهذا الاعتبار معذوراً في هذا الاطلاق فان الظهور والبطون قد يختلف باختلاف أحوال الناس وهو من الامور الذميمة وكان أحسن من هذا أن يبين لمن اعتقد ان هذا هو الظاهر ان هذا ليس هو الظاهر حتى يكون قد أعطي كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى وان كان الناقل عن السلف أراد بقوله الظاهر

غير مراد عندهم ان المعانى التى تظهر من هذه الآيات والاحاديث مما يليق بجلال الله وعظامته ولا تختص بصفة المخلوقين بل هى واجبة لله أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً أو جوازاً خارجياً غير مراد فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف أو تعمد الكذب فيما يمكن أحداً قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل لائصالاً ولا ظاهراً أنهم كانوا يعتقدون ان الله ليس فوق العرش ولا ان الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة

وقد رأيت هذا المعنى يتحمله بعض من يحكيه عن السلف ويقول ان طريقة أهل التأويل هى فى الحقيقة طريقة السلف بمعنى ان الفريقين انفقوا على ان هذه الآيات والاحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة تأويلها لمسيس الحاجة الى ذلك ويقول الفرق ان هؤلاء قد يعنون المراد بالتأويل وأولئك لا يعنون لجواز ان يراد غيره وهذا القول على الاطلاق كذب صريح على السلف أما فى كثير من الصفات فقطعا مثل ان الله فوق العرش فان من تأمل كلام السلف المنقول عنهم الذى لم يحك هنا عشره علم بالاضطرار ان القوم كانوا مصرحين بان الله فوق العرش حقيقة وانهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط وكثير منهم قد صرح فى كثير من الصفات بمثل ذلك

والله يعلم انى بعد البحث التام ومطالمة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل لائصالاً ولا ظاهراً ولا بالقرائن على نفي الصفات الحسية فى نفس الامر بل الذى آتته ان كثيراً من كلامهم

يدل اما نصاً واما ظاهراً على تقرير جنس هذه الصفات ولا أنقل عن كل واحد منهم أثبات كل صفة بل الذي رأته أنهم يثبتون جنسها في الجملة وما رأيت أحداً منهم نفاها وانما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من ينفي الصفات أيضاً كقول نعيم بن حماد الخزازي شيخ البخاري من شبه الله بخلقه فقد كفر

وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها وكانوا اذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير اثبات للصفات قالوا هذا جهمي معطل وهذا كثير جداً في كلامهم فان الجهمية والمعتزلة الى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهة كذباً منهم وافتراء حتي ان منهم من غلا ورمي الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بذلك حتي قال ثمامة بن الاشرس من رؤساء الجهمية ثلاثة من الانبياء مشبهة موسى حيث قال ان هي الا فتنتك وعبيي قال تعلم ما في نفسي ومحمد حيث قال ينزل ربنا وحتى ان جل المعتزلة يدخل عامة الائمة مثل مالك وأصحابه والثوري وأصحابه والاوزاعي وأصحابه والشافعي وأصحابه واسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة

وقد صنف أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن درباس الشافعي جزءاً سماه تنزيه أئمة الشريعة عن الالقباب الشنيعة وذكر فيه كلام السلف وغيرهم في معاني هذه الالقباب وذكر ان أهل البدع كل صنف منهم يلقب أهل السنة بقلب افتراء يزعم انه صحيح على رأيه الفاسد كما ان

المشركين كانوا يلقبون النبي صلى الله عليه وسلم بالقاب افتروها فالروافض تسميهم نواصب والقدرية تسميهم مجبرة والمرجئة تسميهم شكاكا والجهمية تسميهم مشبهة وأهل الكلام يسمونهم حشوية ونوابت وغشاء وغثراً الى أمثال ذلك كما كانت قريش تسمى النبي صلى الله عليه وسلم تارة تارة مجنوناً وتارة شاعراً وتارة كاهناً وتارة فنيا قالوا وهذا علامة الارث الصحيح والمتابعة التامة فان السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقاداً واقتصاداً وقولاً وعملاً فكما ان المنحرفين عنه يسمونه باسماء مذمومة مكذوبة وان اعتقدوا صدقها بناء على عقيدتهم الفاسدة فكذلك التابعون له على بصيرة الذين هم أولى الناس به في الحيا والممات باطنا وظاهراً أما الذين وافقوهم ببواطنهم وعجزوا عن اقامة الظواهر أو الذين وافقوه بظواهرهم وعجزوا عن تحقيق البواطن أو الذين وافقوه ظاهراً وباطناً بحسب الامكان لا بد للمنحرفين عن سنة أن يعتقدوا فيهم نقصاً يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة وان اعتقدوا صدقها كقول الرافضي من لم يبغض أبابكر وعمر فقد أبغض علياً لانه لا ولاية لعلي الا بالبراءة منهما ثم يجعل من أحب أبابكر وعمرنا صيباً بناء على هذه الملازمة الباطلة التي اعتقدها صحيحة أو عاند فيها وهو الغالب

وكقول القدرى من اعتقد ان الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات وكقول الجهمي من قال ان الله فوق العرش فقد زعم انه محصور وانه

جسم محدود وانه مشابه لخلقته وكتة قول الجهمية المعتزلة من قال ان الله
 علماً وقدرة فقد زعم أنه جسم وهو مشبه لان هذه الصفات أعراض
 والعرض لا يقوم الا بجوهر متحيز وكل متحيز مجسم أو جوهر فرد
 ومن حكي عن الناس المقالات وسماهم بهذه الاسماء المكذوبة
 بناء على عقيدته التي هم يخالون له فيها فهو ورثه أعلم والله من ورثه
 بالمرصاد ولا يحيق المكر السيء الا باهله

وجماع الامران الاقسام الممكنة في آيات الصفات وأحاديثها ستة
 أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة * قسيمان يقولون تجري على ظواهرها
 * وقسيمان يقولون هي على خلاف ظاهرها * وقسيمان يسكتون أما الاولون
 فقسيمان أحدهما من يجريها على ظاهرها ويحمل ظاهرها من جنس صفات
 المخلوقين فهو لاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكروه السلف واليه توجه الرد بالحق
 والثاني من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله كما يجري اسم العليم والقدير
 والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال
 الله فان ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق اما جوهر واما عرض
 فالعلم والقدرة والكلام والمشية والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك
 في حق العبد اعراض والوجه واليد والعين في حقه أجسام فاذا كان
 الله موصوفا عند عامة أهل الانبيات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشية
 وان لم يكن ذلك عرضاً يجوز عايشه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز
 أن يكون جه الله وبداه ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات
 المخلوقين وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن السلف

وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباين لا يخالفه وهو أمر واضح فان الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فن قال لأعقل عاماً وبدأ الا من جنس العلم واليد المعهودتين قيل له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ومن المعلوم ان صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثلته شيء الا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه وما أحسن ما قال بعضهم اذا قال الجهمي كيف استوى أو كيف ينزل الى سماء الدنيا أو كيف يدها ونحو ذلك فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال لك لا يعلم ماهو الا هو وكنه الباري غير معلوم للبشر فقل له والعلم بكيفية الصفة مسبق بالعلم بكيفية الموصوف فكيف يمكن ان نعلم كيفية صفة لموصوف لم نعلم كيفية وانما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس انه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء وقد أخبر الله أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة ملا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى وهذه الروح التي في بني آدم قد علم العاقل اضطراب الناس فيها وامسك النصوص على بيان كيفية أفعالها يعتبر العاقل بها عن الكلام في كيفية الله تعالى اما انا نقطع بان الروح في البدن وانها تخرج منه وتخرج الى السماء وانها تسيل منه وقت

الانزوع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لانمالي في تجريدتها غلو
 المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن
 والانفصال عنه وتجنبوا فيها حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته
 فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون هذه الصفات ثابتة لها بحسبها الا أن
 يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص فيكونون قد أخطؤا في اللفظ
 واني لهم بذلك

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها أعنى الذين يقولون ليس لها في
 الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط وان الله لا صفة له نبوتية بل صفاته
 اما سلبية واما اضافية واما مركبة منهما أو يثبتون بعض الصفات وهي
 الصفات السبعة أو الثمانية أو الخمسة عشر أو يثبتون الاحوال دون
 الصفات على ما قد عرف من مذاهب المتكلمين فهؤلاء قسمان قسم
 يؤولونها ويعينون المراد مثل قولهم استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو
 المكانة والقدر أو بمعنى ظهور نوره للعرش أو بمعنى انهى الخلق اليه
 الي غير ذلك من معاني المتكلمين وقسم يقولون الله أعلم ما أراد بها
 لكننا نعلم أنه لم يرد اثبات صفة خارجة عما علمناه

وأما القسمان الواقفان فقسم يقولون يجوز أن يكون المراد بظواهرها
 اللائق بالله ويجوز أن لا يكون المراد صفة لله ونحو ذلك وهذه طريقة
 كثير من الفقهاء وغيرهم وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون
 على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم والستهم عن
 هذه التقديرات

فهذه الاقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها والصواب في كثير من آيات الصفات وأحاديثها القطع بالطريقة الثمانية كآيات والاحاديث الدالة على ان الله سبحانه فوق عرشه ونعلم أن طريقة الصواب في هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة والاجماع على ذلك دلالة لا تختمل النقيض وفي بعضها قد يغلب علي الظن ذلك مع احتمال النقيض وتردد المؤمن في ذلك هو بحسب ما يؤتاه من العلم والايان ومن لم يجمل الله له نوراً فماله من نور

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يصلى يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي رواية لابي داود انه كان يكبر في صلاته ثم يقول ذلك فاذا افتقر العبد الى الله ودعاه وادمن النظر في كلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين انفتح له طريق الهدى

ثم ان كان قد خبر نهابات اقدام المتفلسفة والمتكلمين في هذا الباب وعرف غالب ما يزعمونه برهانا وهو شبهة ورأي ان غالب ما يمتدونه يؤول الى دعوى لاحقيقة لها أو شبهة مركبة من قياس فاسد أو قضية كلية لا تصح الاجزئية أو دعوى اجماع لاحقيقة له ثم ان ذلك اذا ركب

بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عن من لم يعرف اصطلاحهم أوهمت الغر
ما يوهمه السراب للعطشان ازداد ايماناً وعلماً بما جاء به الكتاب والسنة
فان الضد يظهر حسنه الضد وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد
تعظيماً وبقدرة أعرف فاما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه مالا
يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته فان من لم يدخل
فيه هو في عافية ومن أنهاه قد عرف الغاية فما بقي يخاف من شيء آخر
فاذا ظهر له الحق وهو عطشان اليه قبله وأما المتوسط فتوهم بما تلقاه
من المقالات المأخوذة تقليداً المعظمة تهويلاً

وقد قال الناس أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم ونصف متفقه
ونصف متطيب ونصف نحوي هذا يفسد الاديان وهذا يفسد البلدان
وهذا يفسد الابدان وهذا يفسد اللسان

ومن علم ان المتكلمين من المتفلسفة وغيرهم هم في الناب في قول
مؤتقك يؤفك عنه من أفك بعلم الذكي منهم العاقل انه ليس هو فيما يقوله
على بصيرة وان حجته ليست بيينة وانما هي كما قيل فيها

حجج تهافت كالزجاج تخالها * حقاً وكل كاسر مكسور

ويعلم العليم البصير أنهم من وجه مستحقون ماقال الشافعي رضى
الله عنه حيث قال حكى في أهل الكلام أن يضر بوا بالجر يد والتعال
ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب
والسنة وأقبل على الكلام

ومن وجه آخر اذا نظرت اليهم بين القدر والحيرة مستولية

عليهم والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ورفقت عليهم أوتوا ذكاء وما
أوتوا زكاء وأعطوا فهموما وما أعطوا علوما وأعطوا سمما وأبصاراً
وأفئدة فما أغنى عنهم سمهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا
يجحدون بآيات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزئون

من كان علياً بهذه الامور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم
وخبيرتهم حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا أهله وعابوهم
وعلم أن من ابتني الهدي في غير الكتاب والسنة لم يزداد الا بهمداً
فنسأل الله العظيم أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً
مباركاً الى يوم الدين

تمت الرسالة الحادية عشر

(وبلها الرسالة الثانية عشر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَدَّلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ بِنِيعِمَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مَاتَقُولُ السَّادَةَ الْعُلَمَاءَ أُمَّةَ الدِّينِ وَفَقَهُمُ اللَّهُ لَطَاعَتَهُ فَيَحْنُ يَقُولُ
لَا يَسْتَفْتَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ يَحْرَمُ عَلَيْهِ هَذَا الْقَوْلُ
وَهَلْ هُوَ كُفْرٌ أَمْ لَا وَإِنْ أَسْتَدِلُّ بِآيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَأَحَادِيثِ رَسُولِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ يَنْفَعُهُ دَلِيلُهُ أَمْ لَا وَإِذَا قَامَ الدَّلِيلُ مِنَ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ فَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ يَخَالِفُ ذَلِكَ أَفْتُونًا أَوْ جَوْرِينَ * الْجَوَابُ *

الْحَمْدُ لِلَّهِ * قَدِمْتُ بِالسُّنَّةِ الْمُسْتَفِيضَةِ بِالْمُتَوَاتِرَةِ وَاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ
إِنْ نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّافِعِ الْمَشْفَعِ وَانَّهُ يَشْفَعُ فِي الْخَلَائِقِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ النَّاسَ يَسْتَشْفَعُونَ بِهِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ إِلَى
رَبِّهِمْ وَانَّهُ يَشْفَعُ لَهُمْ

نَمُ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُ يَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْكِبَارِ وَانَّهُ لَا يَخْلُدُ
فِي النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَحَدٌ

وَأَمَّا الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ فَانْكُرُوا شَفَاعَتَهُ لِأَهْلِ الْكِبَارِ وَلَمْ يَنْكُرُوا
شَفَاعَتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَهُؤُلَاءِ مُبْتَدِعَةٌ ضَلَالٌ وَفِي تَكْفِيرِهِمْ نِزَاعٌ وَتَفْصِيلٌ
وَأَمَّا مَنْ أَنْكَرَ مَا نَبَتْ بِالْمُتَوَاتِرِ وَالْإِجْمَاعِ فَهُوَ كَافِرٌ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ وَسِوَاهُ
سَمِيَ هَذَا الْمَعْنَى اسْتِفَاةً أَوْ لَمْ يَسْمَهُ وَأَمَّا مَنْ أَقْرَبَ بِشَفَاعَتِهِ وَأَنْكَرَ مَا كَانَ
الصَّحَابَةُ يَفْعَلُونَهُ مِنَ التَّوَسُّلِ بِهِ وَالِاسْتِشْفَاعِ بِهِ كَمَا رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي
صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ إِذَا حَاطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ
ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَبِعْنَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ

اليك بهم نبينا فاستقنا فيسقون وفي سنن أبي داود وغيره ان اصرايبا قال
 لاني صلى الله عليه وسلم جمدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله
 لنا فاننا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسبح رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حتي عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال ويحك ان الله لا يستشفع
 به على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك وذكر تمام الحديث فانكر
 قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله بل أقره
 عليه فعمل جوازه فمن أنكر هذا فهو ضال مخطئ مبتدع وفي تكفيره
 نزاع وتفصيل

وأما من أقربا ثبت بالكتاب والسنة والاجماع من شفاعته
 والتوسل به ونحو ذلك وليكن قال لا يدعى الا الله وان الامور التي
 لا يقدر عليها الا الله فلا تطاب الا منه مثل غفران الذنوب وهداية
 القلوب وانزال المطر وانبات النبات ونحو ذلك فهذا مصيب في ذلك
 بل هذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين أيضاً كما قال تعالي ومن يغفر
 الذنوب الا الله وقال انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من
 يشاء وكما قال تعالي يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خلق
 غير الله يرزقكم من السماء والارض وكما قال تعالي وما جعله الله الا
 بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله وقال الا
 تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في
 الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا

فلا مانع الثابتة بالكتاب والسنة يجب اثباتها والممانع المنفية بالكتاب

والسنة يجب فيها والعبارة الدالة على المعاني نفيًا وانباتًا ان وجدت في كلام الله ورسوله وجب اقرارها وان وجدت في كلام أحد وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه والارجع فيه اليه وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارة لها معنى صحيح لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله فهذا يرد عليه فهمه كما روى الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مناقق يؤذى المؤمنين فقال أبو بكر الصديق قوهوا بنا لنستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله فهذا انما أراد به النبي صلى الله عليه وسلم المعنى الثاني وهو ان يطلب منه ما لا يقدر عليه الا الله والا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به كما في صحيح البخارى عن ابن عمر قل ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتى يجيش له ميزاب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامي عصمة الأراامل

وهو قول أبي طالب ولهذا قال العلماء المصنفون في أسماء الله تعالى يجب على كل مكلف أن يعلم أن لاغيث ولا منيئ على الاطلاق الا الله وان كل غوث فمن عنده وان كان جملة ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى ولغيره مجاز

قالوا من أسمائه تعالى المنيث والغيث وجاء ذكر المنيث في حديث

أبي هريرة قالوا واجتمعت الامة على ذلك

وقال أبو عبد الله الحلبي الغيات هو المغيث وأكثر ما يقال غيات
 المستغيثين ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم
 وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين اللهم اغثنا اللهم اغثنا يقال اغانة
 اغانة وغيانا وغوثا وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى
 اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الا ان الاغانة أحق بالافعال والاستجابة
 أحق بالاقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر قالوا الفرق بين
 المستغيث والداعي ان المستغيث ينادى بالغوث والداعي ينادى بالمدعو
 والمغيث وهذا نية نظر فان من صيغة الاستغانة بالله للمسلمين وقد
 روى عن معروف الكرخي انه كان يكثر أن يقول واغوثا ويقول اني
 سمعت الله يقول اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم وفي الدعاء المأثور
 يا حي يا قيوم لا اله الا انت برحمتك أستغيث أصلح لي شأنك ولا تتكلمني
 الي نفسي طرفة عين ولا الى أحد من خلقك

والاستغانة برحمته استغانة به في الحقيقة كما ان الاستغانة بصفاته
 استعانة به في الحقيقة وكما ان القسم بصفاته قسم به في الحقيقة ففي
 الحديث أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وفيه أعوذ برضاك
 من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك
 أنت كما أئذيت على نفسك

ولهذا استدل الأئمة فيما استدلوا على ان كلام الله غير مخلوق بقوله
 أعوذ بكلمات الله التامة قالوا والاستعانة لانه اصح بالمخلوق
 وكذلك القسم قد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت وفي لفظ من حانف بغير
الله فقد أشرك رواه الترمذى وصححه ثم قد ثبت في الصحيح الحلف
بعزة الله ولعمر الله ونحو ذلك مما اتفق المسلمون على أنه ليس من
الحانف بغير الله الذي نهى عنه والاستغانة بمعنى أن يطلب من الرسول
ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو إما
كافر إن أنكر ما يكفر به وإما مخطيء ضال

وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أيضاً
مما يجب نفيها ومن أثبت لتفسير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضاً كافر
إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي استغانة الخلق بالخلق
كاستغانة الغريق بالغريق وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي المشهور
بالديار المصرية استغانة الخلق بالخلق كاستغانة المسجون بالمسجون

وفي دعاء موسى عليه السلام اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت
المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك
ولما كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الإطلاق وكان مختصاً بالله صح
إطلاق نفيه عما سواه ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز
مطابق الاستغانة بغير الله ولا أنكر على من نفي مطابق الاستغانة عن
غير الله

وكذلك الاستغانة أيضاً فيها ما لا يصلح إلا لله وهي المشار إليها بقوله
إياك نعبد وإياك نستعين فإنه لا يعبد على العبادة إلا عانة المخلقة إلا الله

وقد يستعان بالخلق فيما يقدر عليه وكذلك الاستنصار قال الله تعالى
وان استنصروكم في الدين فمليكم اتصرو وانصر المطلق هو خلق مابه
يغلب العدو ولا يقدر عليه الا الله

ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فانه يكون اما كافراً واما
فاسقاً واما عاصياً الا ان يكون مؤمناً مجتهداً مخطئاً فيثاب على اجتهاده
ويغفر له خطؤه وكذلك ان كان لم يبلغه العلم الذي تقوم عليه به الحجة
فان الله يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واما اذا قامت

عليه الحجة الثابتة بالكتاب والسنة فخالفها

فانه يعاقب بحسب ذلك اما بالقتل

واما بدونه والله أعلم

تمت الرسالة الثانية عشر

وبتمامها تم والله الحمد طبع الجزء الاول من مجموعة الرسائل الكبرى
لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي
(وبيده ان شاء الله الجزء الثاني وأوله الرسالة الثالثة عشر المسماة)

بالا كليل في المتشابه والتأويل

﴿ الجزء الثاني ﴾

﴿ من مجموعة الرسائل الكبرى ﴾

﴿ تأليف ﴾

﴿ شيخ الاسلام آبي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم ﴾

﴿ ابن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفي ﴾

﴿ سنة ٧٢٨ رحمه الله تعالى ﴾

(الاولي)

﴿ رسالة الاكليل في المتشابه . . والتأويل ﴾

﴿ وهو مما صنفه أخيراً بقلعة دمشق المحروسة ﴾

﴿ الطبعة الاولي ﴾

(سنة ١٣٢٣)

(بالمطبعة العامرة الشرفية بمصر)

(على نفقة شركة طببع الكتب العلمية بمصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قال شيخ الاسلام علم الاعلام أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني الدمشقي)

الحمد لله رب العالمين وصلي الله على سيدنا محمد وآله وسلم

فصل قوله تعالى وما أرسنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمى
لقى الشيطان في أمنيه (الى قوله) ليجعل ما يلقى الشيطان فتنه للذين في
قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد ولا يعلم الذين
أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله
لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم

جعل الله القلوب ثلاثة أقسام قاسية وذات مرض ومؤمنة مخبئة وذلك لانها
اما ان تكون يابسة جامدة لاتلين للحق اعترافا واذعانا أو لا تكون يابسة جامدة
* فالاول هو القاسى وهو الجامد اليابس بمنزلة الحجر لا يندب مع ولا يكتب فيه
الايمان ولا يرتسم فيه العلم لان ذلك يستدعي محلا لنا قابلا * والثانى
لا يخلو اما أن يكون الحق ثابتا فيه لا يزول عنه لقوته مع لينة أو يكون
لينه مع ضعف والخلل فالثانى هو الذى فيه مرض والاول هو القوى
اللين وذلك ان القلب بمنزلة أعضاء الجسد كاليد مثلا فاما أن تكون
جامدة يابسة لاتنتوى ولا تبطش أو تبطش بعنف فذلك مثل القلب
القاسى أو تكون ضعيفة مريضة عاجزة لضعفها ومرضها فذلك الذى

فيه مرض أو تكون باطشة بقوة ولين فهو مثل القلب العليم الرحيم
 فبالرحمة خرج عن القسوة وبالعلم خرج عن المرض فان المرض من
 الشكوك والشبهات ولهذا وصف من عدى هؤلاء بالعلم والايمان
 والاخبار وفي قوله (وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به
 فتخبث له قلوبهم) داييل على ان العلم يدل على الايمان ليس ان أهل
 العلم ارتفعوا عن درجة الايمان كما يتوهمه طائفة من المتكلمة بل معهم
 العلم والايمان كما قال تعالى (لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
 يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) وقال تعالى (وقال الذين
 أوتوا العلم والايمان) وعلى هذا فتوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به
 كل من عند ربنا نظير هذه الآية فانه أخبر هنا ان الذين أوتوا العلم
 يعلمون انه الحق من ربهم وأخبر هناك أنهم يقولون في المتشابه آمنا به
 كل من عند ربنا وكلا الموضوعين موضع شبهة لغيرهم وان الكلام
 هنك في المتشابه وهنا فيما يلقي الشيطان مما ينسخه الله ثم يحكم الله آياته
 وحمل المحكم هنا ضد الذي نسخه الله مما ألقى الشيطان ولهذا قال طائفة
 من أئمة المفسرين المتقدمين المحكم هو النسخ والمتشابه المنسوخ

أرادوا والله أعلم قوله ينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
 والنسخ هنا رفع ما ألقى الشيطان لارفع مشرعه الله وقد أثمرت الي
 وجه ذلك فيما بعد وهو ان الله جعل المحكم مقابل المتشابه تارة
 ومقابل المنسوخ أخري والمنسوخ يدخل فيه في اصطلاح السلف
 كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجح كتخصيص العام وتقييد المطلق
 فان هذا متشابه لانه يحتمل معنيين ويدخل فيه المجلد فانه متشابه

واحكامه رفع مايتوهم فيه من المعنى الذى ليس بمراد وكذلك مارفع حكمه فان في ذلك جميعه نسخه لما يلقبه لشيطان في معانى القرآن ولهذا كانوا يقولون هل عرفت الناسخ من المنسوخ فاذا عرفت لناسخ عرفت المحكم وعلى هذا فيصح أن يقال المحكم والمنسوخ كما يقال المحكم والمتشابه وقوله بعد ذلك ثم يحكم الله آياته جعل جميع الآيات محكمة ومتشابهة كما قال (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت) وقال (تلك آيات الكتاب الحكيم) على أحد القواين وهناك جعل الآيات قسمين محكما ومتشابهة كما قال (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وهذه المتشابهات مما أنزله الرحمن لا مما ألقاه الشيطان ونسخه الله فصار المحكم في القرآن تارة يقابل بالمتشابه والجميع من آيات الله وتارة يقابل بما نسخه الله مما ألقاه الشيطان

ومن الناس من يجعله مقابلا لما نسخه الله مطلقاً حتى يقول هذه الآية محكمة ايست منسوخة ويجعل المنسوخ ليس محكما وان كان الله أنزله أولا اتباعا لظاهر من قوله فينسخ الله ويحكم الله آياته فهذه ثلاث معان تقابل المحكم ينبغي ان تفتن لها

وجماع ذلك ان الاحكام تارة تكون في التنزيل فيكون في مقابله ما يلقبه الشيطان فالمحكم المنزل من عند الله أحكمه الله أى فصله من الاشتباه بغيره وفصل منه ما ليس منه فان الاحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشئ ويحصل اتقانه ولهذا دخل فيه معنى المنع كما دخل في الحد بالمنع جزء منناه لاجميع معناه * وتارة يكون في ابقاء التنزيل عند من قابله بالنسخ الذى هو رفع ماشرع وهو

اصطلاحاً أو يقل وعو أشبه بقول السلف كانوا يسمون كل رفع نسخاً سواء كان رفع حكم أو رفع دلالة ظهرة والقاء الشيطان في أميته قد يكون في نفس لفظ المبلغ وقد يكون في مسمع المبلغ وقد يكون في فهمه كما قال (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية ومعلوم ان من سمع سمع النص الذي قد رفع حكمه أو دلالة له فإنه يأتي الشيطان في تلك التلاوة اتباع ذلك المنسوخ فيحكم الله آياته بالناسخ الذي به رفع الحكم وبان المراد وعلى هذا التقدير فيصح أن يقال المتشابه المنسوخ بهذا الاعتبار والله أعلم

وتارة يكون الاحكام في التأويل والمعنى وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها حتى لا تشبهه بغيرها وفي مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هذا وتشبه هذا فتكون محتملة للمعنيين ولم يقل في المتشابه لا يعلم تفسيره ومعناه الا الله وانما قال وما يعلم تأويله الا الله وهذا هو فصل الخطاب بين المتنازعين في هذا الموضوع فان الله أخبر أنه لا يعلم تأويله الا هو والوقف هنا على ما دل عليه أدلة كثيرة وعليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمهور التابعين وجمهير الامة ولكن لم ينف علمهم بمعناه وتفسيره بل قال (كتاب أنزلناه اليك، مبارك ليدبروا آياته) وهذا يعنى الآيات المحكمات والآيات المتشابهات وما لا يعقل له معنى لا يتدبر وقال (أفلا يتدبرون القرآن) ولم يستثن شيئاً منه نهى عن تدبره والله ورسوله انما ذم من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فأما من تدبر المحكم والمتشابه كما أمره الله وطلب فهمه ومعرفة معناه فلم يذمه الله بل أمر بذلك ومدح عليه يبين ذلك ان التأويل قد روي

أن من اليهود الذين كانوا بالمدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كحي
ابن أخطب وغيره من طاب من حروف الهجاء التي في أوائل السور
تأويل بقاء هذه الامة كما سلك ذلك طائفة من المتأخرين موافقة لصابئة
المنجمين وزعموا أنه ستمائة وثلاثة وتسعون عاماً لان ذلك هو عدد
مالاحروف في حساب الجمل بمد اسقاط المكرر وهذا من نوع تأويل
الحوادث التي أخبر بها القرآن في اليوم الآخر

وروي ان من النصارى الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم
في وفد نجران من تأويل انا ونحن على ان الالهة ثلاثة لان هذا ضمير
جمع وهذا تأويل في الايمان بالله فاولئك تأولوا في اليوم الآخر وهؤلاء
تأولوا في الله ومعلوم ان انا ونحن من المتشابه فانه يراد بها الواحد الذي
معه غيره من جنسه ويراد بها الواحد الذي معه أعوانه وان لم يكونوا
من جنسه ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذي يقوم مقام من معه غيره
لتنوع أسمائه التي كل اسم منها يقوم مقام مسمى فصار هذا متشابهاً لان
اللفظ واحد والمعنى متنوع والاسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه
وبعض المتواطى أيضاً من المتشابه ويسمى أهل التفسير الوجوه والنظائر
وصنفوا كتب الوجوه والنظائر فالوجوه في الاسماء المشتركة والنظائر
في الاسماء المتواطئة وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك ان الوجوه
والنظائر جميعاً في الاسماء المشتركة فهي نظائر باعتبار اللفظ ووجوه
باعتبار المعنى وليس الامر على مقاله بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن
تأمله والذين في قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذي لا اشتباه فيه مثل
والهكم اله واحد اتى انا الله لا اله الا أنا فاعبدني ما اتخذ الله من ولد

وما كان معه من اله ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ويتبون المتشابه ابتغاء الفتنة ليفتتوا به الناس إذا وضعوه على غير مواضعه وحرفوا الكلم عن مواضعه وابتغاء تأويله وهو الحقيقة التي أخبر عنها وذلك ان الكلام نوعان انشاء فيه الامر وأخبار فتأويل الامر هو نفس الفعل المأمور به كما قال من قال من السلف ان السنة هي تأويل الامر قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي بتأويل القرآن تبنى قوله فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

وأما الاخبار فتأويله عين الامر المخبر به اذا وقع ليس تأويله فهم معناه وقد جاء اسم التأويل في القرآن في غير موضع وهذا معناه قال الله تعالى (ولقد جنناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق) فقد أخبر أنه فصل الكتاب وتفصيله بيانه وتميزه بحيث لا يشبهه

ثم قال هل ينظرون أي ينتظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله الي آخر الآية وانما ذلك مجيء ما أخبر به القرآن بوقوعه من القيامة وأنشراطها كاللابة ويأجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجيء ربك والملك صفاً صفاً وما في الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك فحينئذ يقولون قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فتعمل غير الذي كنا

نعمل وهذا القدر الذي أخبر به القرآن من هذه الأمور لا يعلم وقته
 وقدره وصفته الا الله فان الله يقول فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة
 عين ويقول أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
 ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا
 الاسماء فان الله قد أخبر ان في الجنة خمراً ولبناً وماء وحريراً وذهباً
 وفضة وغير ذلك ونحن نعلم قطعاً ان تلك الحقيقة ليست مماثلة لهذه بل
 بينهما ما تبين عظيم مع التشابه كما في قوله (وأتوا به متشابهاً) على أحد
 القولين ان يشبه ما في الدنيا وليس مثله فأشبه اسم تلك الحقائق أسماء
 هذه الحقائق كما أشبهت الحقائق الحقائق من بعض الوجوه فنحن
 نعلمها اذا خوطبنا بتلك الاسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن
 لتلك الحقائق خاصية لاندركها في الدنيا ولا سبيل الى ادراكها
 لمدام ادراك عينها أو نظيرها من كل وجه وتلك الحقائق على ما هي عليه
 هي تأويل ما أخبر الله به وهذا فيه رد على اليهود والنصارى والصابئين
 من المنطسفة وغيرهم فانهم يزكرون أن يكون في الجنة أكل وشرب
 ولباس وذكاح ويمتعون وجود ما أخبر به القرآن ومن دخل في
 الاسلام ونافق المؤمنين تأول ذلك على أن هذه أمثال مضرورية لفهم
 النعيم الروحاني ان كان من المنطسفة الصابئة المنكرة لحشر الاجساد وان
 كان من منافقة الملتين المقربين بحشر الاجساد تأول ذلك على تفهيم
 النعيم الذي في الجنة من الروحاني والسماع الطيب والروائح العطرة كل
 ضال يحرف الكلم عن مواضعه الى ما انتقد ثبوته وكان في هذا أيضاً

متبعاً للمتشابه اذ الاسماء تشبه الاسماء والمسميات تشبه المسميات ولكن
تخالفتها أكثر مما تشابهها فهو لا يتبعون هذا التشابه ابتغاء الفتنة بما
يوردونه من الشبهات على امتناع أن يكون في الجنة هذه الحقائق وابتغاء
تأويله ليردوه الي الميهود الذي يعلمونه في الدنيا قال الله تعالى (وما يعلم
تأويله الا الله) فان تلك الحقائق قال الله فيها فلا تعلم نفس ما أخفى لهم
من قرة أعين لا ملك مقرب ولا نبي مرسل

وقوله وما يعلم تأويله اما أن يكون الضمير عائداً على الكتاب أو
على المتشابه فان كان عائداً على الكتاب كقوله منه ومنه فيتبعون ما تشابه
منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فهذا يصح فان جميع آيات الكتاب
المحكمة والمتشابهة التي فيها اخبار عن الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به
لا يعلم حقيقة ذلك الغيب ومتي يقع الا الله وقد يستدل لهذا ان الله
جعل التأويل للكتاب كله مع اخباره أنه مفصل بقوله ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه على علم هادي ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا
تأويله يوم يأتي تأويله فجعل التأويل الجائي الكتاب المفصل

وقد بينا ان ذلك التأويل لا يعلمه وقتاً وقدرأً ونوعاً وحقيقة الا الله
وانما نعلم نحن بعض صفاته بما بلغ علمنا لعدم نظيره عندنا وكذلك قوله
(بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله) واذا كان التأويل الكتاب
كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة وصار هذا بمنزلة قوله (يسئلونك عن
الساعة أيا نمرسها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت
في السموات والارض) الى قوله (انما علمها عند الله) وكذلك قوله (يسألك

الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) فأخبر أنه ليس علمها الا عند الله وانما هو علم وقتها المعين وحققتها والا فتحن قد علمنا من صفاتها ما أخبرنا به فلم تأويله كعلم الساعة والساعة من تأويله وهذا واضح بين ولا ينافي كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها واحوالها ما علمناه وان نفسر النصوص المبينة لاحوالها فهذا هذا وان كان الضمير عائداً الى ما تشابه كما يقوله كثير من الناس فلان الخبر به من الوعد والوعيد متشابه بخلاف الامر والنهي ولهذا في الآثار العمل بحكمه والايان بتشابهه لان المقصود في الخبر الايمان وذلك لان الخبر به من الوعد والوعيد فيه من التشابه ما ذكرناه بخلاف الامر والنهي فانه متميز غير مشتبه بغيره فانه أمور نفعها قد علمناها بالوقوع وأمور نتركها لا بد أن نتصورها

ومما جاء من لفظ التأويل في القرآن قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) والكناية حائدة على القرآن أو على ما لم يحيطوا بعلمه وهو يعود الى القرآن قال تعالى (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين) فأخبر سبحانه ان هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله

وهذه الصيغة تدل على امتناع المنفى كقوله (ما كان ربك ليهلك القرى
بظلم) لان الخالق عاجزون عن الاتيان بمثله كما تحداهم وطلبهم لما قال أم
يقولون افتراء قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطتم من دون الله
ان كنتم صادقين فهذا تعجيز لجميع المخلوقين قال تعالى ولكن تصديق
الذي بين يديه أي مصدق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب أي مفصل
الكتاب فأخبر أنه مصدق الذي بين يديه ومفصل الكتاب والكتاب
اسم جنس ولم تحدى القائلين افتراء ودل على أنهم هم المفترون قال بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ففرق بين الاحاطة بعلمه
وبين اتيان تأويله فتبين أنه يمكن أن يحيط أهل العلم والايان بعلمه
ولما يأتهم تأويله وان الاحاطة بعلم القرآن ليست اتيان تأويله فان
الاحاطة بعلمه معرفة معاني الكلام على التمام واتيان التأويل نفس وقوع
الخبر به وفرق بين معرفة الخبر وبين الخبر به فمعرفة الخبر هي معرفة تفسير
القرآن ومعرفة الخبر به هي معرفة تأويله وهذا هو الذي بيناه فيما تقدم
ان الله انما أنزل القرآن ليعلم ويفهم ويفقه ويتدبر ويتفكر فيه محكمه
ومتشابهه وان لم يعلم تأويله

وبين ذلك ان الله يقول عن الكفار (واذا قرأت القرآن جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم
أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
ولولعنا أديبارهم نفورا) فقد أخبر ذما للمشركين انه اذا قرئ عليهم
القرآن حجب بين ابصارهم وبين الرسول بحجاب مستور وجعل على

قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرأوا وكان أهل العلم والايمن على قلوبهم أكنة أن يفقهوا وبعضه لشاركوهم في ذلك وتوله أن يفقهوه يعود الى القرآن كله

فعلم ان الله يحب أن يفقهه ولهذا قال الحسن البصري ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم فيما إذا أنزلت وماذا عني بها وما استثنى من ذلك لامتشابها ولا غيره

وقال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من أوله الى آخره مرات أقف عند كل آية وأسأله عنها فهذا ابن عباس حبر الامه وهو أحد من كان يقول لا يعلم تأويله الا الله يجيب مجاهدا عن كل آية في القرآن وهذا هو الذي جعل مجاهدا ومن وافقه كابن قتيبة على ان جعلوا الوقف عند قوله والراسخون في العلم فجعلوا الراسخين يعلمون التأويل لان مجاهدا تعلم من ابن عباس تفسير القرآن كله وبيان معانيه فظن ان هذا هو التأويل المنفي عن غير الله

وأصل ذلك ان لفظ التأويل وبه أشير الى بين معناه الله في القرآن وبين ما كان يطلقه طوائف من السلف وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين فبسبب الاشتراك في لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلنته أن ذلك هو المذكور في القرآن * ومجاهد امام التفسير قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به وأما التأويل فشان آخر وبين ذلك ان الصحابة والتابعين لم يمنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله وقال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه ولا قال قط أحد

من ساف الامة ولا من الائمة المتبوعين ان في القرآن آيات لاتعلم معناها ولا يفهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أهل العلم والايمان جميعهم وانما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا الارب فيه

وانما وضع هذه المسئلة المتأخرون من الطوائف بسبب الكلام في آيات الصفات وآيات القدر وغير ذلك فلقبوها هل يجوز أن يشتمل القرآن على ما لا يعلم منناه وما تبدنا بتلاوة حروفه بلافهم فحوز ذلك طوائف متمسكين بظاهر من هذه الآية وبأن الله يتحن عباده بما شاء ومنهما طوائف ليتوصلوا بذلك الي تأويلاتهم الفاسدة التي هي تحريف الكلام عن مواضعه * والغالب على كلا الطائفتين الخطأ أولئك يقصرون في فهم القرآن بمنزلة من قيل فيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وهؤلاء معتدون بمنزلة الذين يحرفون الكلام عن مواضعه

ومن المتأخرين من وضع المسئلة بقب شذيع فقال لا يجوز أن يتكلم الله بكلام ولا يعنى به شيئاً خلافاً للحشوية وهذا لم يقله مسلم ان الله يتكلم بما لا معنى له

وانما النزاع هل يتكلم بما لا يفهم معناه وبين نفي المعنى عند المتكلم ونفي الفهم عند المخاطب بون عظيم

نم احتج بما لا يجري على أصله فقال هذا عبث والعبث على الله محال وعنده ان الله لا يقبح منه شيء أصلاً بل يجوز أن يفعل كل شيء وليس له أن يقول العبث صفة نقص فهو منتف عنه لان النزاع في الحروف وهي عنده مخلوقة من جملة الافعال ويجوز أن يشتمل الفعل عنده على كل

صفة فلا نقل صحيح ولا عقل صريح

ومثار الفتنة بين الطائفتين ومحار عقولهم ان مدعى التأويل أخطوا
 في زعمهم ان العلماء يعلمون التأويل وفي دعواهم ان التأويل هو
 تأويلهم الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه فان الاولين لعلمهم بالقرآن
 والسنن وصحة عقولهم وعلمهم بكلام السلف وكلام العرب علموا يقيناً
 ان التأويل الذي يدعيه هؤلاء ليس هو معنى القرآن فانهم حرفوا
 الكلم عن مواضعه وصاروا مراتب ما بين قرامطة وباطنية يتأولون
 للاخبار والاوامر وما بين صابئة فلاسفة يتأولون عامة الاخبار عن الله
 وعن اليوم الآخر حتى عن أكثر أحوال الانبياء وما بين جهمية
 ومعتزلة يتأولون بعض ما جاء في اليوم الآخر في آيات القدر ويتأولون
 آيات الصفات وقد وافقتهم بعض متأخري الاشعرية على ما جاء في بعض
 الصفات وبعضهم في بعض ما جاء في اليوم الآخر وآخرون من اصناف
 الامة وان كان تغلب عليهم السنة فقد يتأولون أيضاً مواضع يكون تأويلهم
 من تحريف الكلم عن مواضعه والذين ادعوا العلم بالتأويل مثل طائفة
 من السلف وأهل السنة وأكثر أهل الكلام والبدع رأوا أيضاً ان
 النصوص دلت على معرفة معاني القرآن ورأوا عجراً وعبياً وقبيحاً
 ان يخاطب الله عباده بكلام يترؤنه ويتلونونه وهم لا يفهمونه وهم
 مصيبون فيما استدلوا به من سمع وعقل لكن أخطأوا في معنى التأويل
 الذي نفاه الله وفي التأويل الذي أنبتوه وتساق بذلك مبتدعهم الى
 تحريف الكلم عن مواضعه وصاروا الاولون أقرب الى السكوت والسلامة

بنوع من الجهل وصار الآخرون أكثر كلاماً وجرماً بدلاً ولكن بقرينه
على الله وقول عليه ما لا يعلمونه والحاد في أسمائه وآياته فهذا هذا
ومنشأ الشبهة الاشتراك في لفظ التأويل

فإن التأويل في عرف المتأخرين من المتفهمة والمتكلمة والمحدثة
والمصوفة ونحوهم هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح
لدليل يقترن به وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه
ومسائل الخلاف فإذا قال أحد منهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول
أو هو محمول علي كذا قال الآخر هذا نوع تأويل والتأويل يحتاج إلى
دليل والمتأول عليه وظيفتان بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي ادعاه وبيان
الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر وهذا هو التأويل الذي
يتنازعون فيه في مسائل الصفات إذا صنف بعضهم في إبطال التأويل
أو ذم التأويل أو قال بعضهم آيات الصفات لا تؤول وقال الآخر بل
يجب تأويلها وقال الثالث بل التأويل جائز يفعل عند المصلحة ويترك
عند المصلحة أو يصاح للعلماء دون غيرهم إلى غير ذلك من
المقالات والتنازع

وأما التأويل في لفظ السلف فله معنيان أحدهما تفسير الكلام
وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند
هؤلاء منقاربا أو مترادفا وهذا والله أعلم هو الذي عناه مجاهدان العلماء
يعلمون تأويله ومحمد بن جرير الطبري يقول في تفسيره القول في تأويل
قوله كذا وكذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية ونحو ذلك ومراده

التفسير والمعنى الثانى فى لفظ الساف وهو الثالث من مسمى التأويل مطلقاً هو نفس المراد بالكلام فان الكلام ان كان طابا كان تأويله نفس الفـمـل المطلوب وان كان خبراً كان تأويله نفس الشئ المخبر به وبين هذا المعنى والذي قبله بون فان الذى قبله يكون التأويل فيه من باب العلم والكلام كالتفسير والترجـح والايضاح ويكون وجود التأويل فى القلب واللسان له الوجود الذهبى واللفظى والرسمى

وأما هذا فالتأويل فيه نفس الامور الموجودة فى الخارج سواء كانت ماضية أو مستقبلة فاذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها وهذا الوضع والعرف الثالث هو لغة القرآن التى نزل بها وقد قدمنا التبيين فى ذلك ومن ذلك قول يعقوب عليه السلام ليوסף (وكذلك يحبتك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك) وقوله (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما انى أرانى أعصر خرا وقال الآخر انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبتنا بتأويله ان انا ربك من المحسنين قال لا يأتىكما طعام تزرعانه الا نبأناكم بتأويله قبل أن يأتىكما) وقول الملا (أضغات أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فارسلون وقول يوسف لما دخل عليه أهله مصر وآوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال ياأبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً)

فتأويل الاحاديث التى هي رؤيا المنام هي نفس مدلولها التى تؤول

إليه كما قال يوسف هذا تأويل رؤياي من قبل والعالم بتأويلها الذي
يخبر به كما قال يوسف لا يأتیکما طعام ترزقانه أى في المنام الانبأ تكما
بتأويله قبل أن يأتیکما أى قبل أن يأتیکما التأويل وقال الله تعالی (فان
تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) قالوا أحسن عاقبة ومصير اذ تأويل
هنا تأويل فعلهم الذي هو الرد الى الكتاب والسنة والتأويل في سورة
يوسف تأويل أحاديث الرؤيا والتأويل في الاعراف ويونس تأويل
القرآن وكذلك في سورة آل عمران وقال تعالی في قصة موسى والعالم
(قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) الى
قوله (وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فالتأويل
هنا تأويل الافعال التي فعلها العالم من خرق السفينة بغير اذن صاحبها
ومن قتل الغلام ومن اقامة الجدار فهو تأويل عمل لا تأويل قول
وانما كان كذلك لان التأويل مصدر أوله يؤول تأويلا مثل حول تحويلا
وعول تعويلا وأول يؤول نمدية آل يؤول أولا مثل حال يحول حولا
وقولهم آل يؤول أى عاد الى كذا ورجع اليه ومنه آل وهو ما يؤول
اليه الشئ ويشاركه في الاشتقاق الاكبر الممثل فانه وال وهذان أول
والمثل المرجع قال تعالی (ولم يجدوا من دونه مؤثلا) ومما يوافقه في
اشتقاقه الاصغر الآل فان آل الشخص من يؤول اليه ولهذا لا يستعمل
الا في عظيم بحيث يكون المضاف اليه يصلح أن يؤول اليه الآل كال
ابراهيم وآل لوط وآل فرعون بخلاف الاهل والاول أفعال لانهم قالوا في

تأنيته أولي كما قالوا جادى الاولى وفي القصص (وله الحمد في الاولى والآخره) ومن الناس من يقول فوعل ويقول أوله الا أن هذا يحتاج الى شاهد من كلام العرب بل عدم صرفه يدل على أنه أفعل لافوعل فان فوعل مثل كوثر وجوهر، صرف سمي المتقدم أول والله أعلم لان ما بعده يؤول اليه ويبنى عليه فهو أس لما بعده وقاعدة له والصيغة صيغة تفضيل مثل أكبر وكبرى وأصغر وصغرى لان باب أحر وحراء ولهذا يقولون جئته أول من أمس وقال من أول يوم وأنا أول المسلمين ولا تكونوا أول كافر به ومثل هذا أول هؤلاء فهذا الذي فضل عاينهم في الاول لان كل واحد يرجع الى ما قبله فيعتمد عليه وهذا السابق كلهم يؤول اليه فان من تقدم في فعل فاستبق به من بعده كان السابق الذي يؤل اليه فالاول له وصف السوود والاتباع ولفظ الاول مشعر بالرجوع والعود والاول مشعر بالابتداء والمبتدأ خلاف العائد لانه انما كان أولا لما بعده فانه يقال أول المسلمين وأول يوم فما فيه من معنى الرجوع والعود هو للمضاف اليه لاللمضاف واذا قلنا آل فلان فالعود في المضاف لان ذلك صيغة تفضيل في كونه ما لا ومرجعا غيره لان كونه مفضلا دل على انه ما لا ومرجع لا آيل راجع اذ لا فضل في كون الشيء راجعا الي غيره آيلا اليه وانما الفضل في كونه هو الذي يرجع اليه ويؤال فاما كانت الصيغة صيغة تفضيل اشعرت بانه مفضل في كونه ما لا ومرجعا والتفضيل المطلق في ذلك يقتضى أن يكون هو السابق المبتدئ والله أعلم

فتأويل الكلام مأوله اليه المتكلم أو مأيول اليه الكلام أو مأثأوله المتكلم فإن التفعيل يجري على غير فعل كقوله وتبئله اليه تبئلا فيجوز أن يقال تأول الكلام الى هذا المعنى تأويلا والمصدر واقع موقع الصفة اذ قد يحصل المصدر صفة بمعنى الفاعل كعدل وصوم وفطر وبمعى المفعول كدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله فالتأويل هو مأول اليه الكلام أو يؤول اليه أو تأول هو اليه والكلام انما يرجع ويعود ويستقر ويؤل ويؤول الي حقيقة التي هي عين المقصود به كما قال بعض الساف في قوله لكل نبا مستقر قال حقيقة فانه ان كان خبرا فالى الحقيقة المخبر بها يؤول ويرجع والا لم تكن له حقيقة ولا مال ولا مرجع بل كان كذبا وان كان طلبا فالى الحقيقة المطلوبة يؤول ويرجع والا لم يكن مقصوده موجودا ولا حاصل ومتى كان الخبر وعدا أو وعيدا فالى الحقيقة المطلوبة المنتظرة يؤل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عابكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيئا) قال انها كانت ولم يأت تأويلها بعد (فصل) وأما ادخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذى استأثر الله بعلمه تأويله كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم فانهم وان أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم فالكلام على هذا من وجهين الاول من قال ان هذا من المتشابه وانه لا يفهم منناه فيقول أما الدليل على ذلك فاني ما علم عن

أحد من سائر الامة ولا من الائمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره انه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ونفى أن يعلم أحد معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الاعجمي الذي لا يفهم ولا قالوا ان الله ينزل كلاما لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي مضمونها تعطيل النفوس على مادات عليه ونصوص أحمد والائمة قبله بينة في أنهم كانوا يبطلون تأويلات الجهمية ويقرون النصوص على مادات عليه من معناها ويفهمون منها بعض مادات عليه كما يفهمون ذلك في سائر نصوص الوعد والوعيد والنضائل وغير ذلك وأحمد قد قال في غير أحاديث الصفات تمر كما جاءت في أحاديث الوعد مثل قوله من غشنا فليس منا وأحاديث الفضائل ومقصوده بذلك ان الحديث لا يحرف كنه عن مواضعه كما يفعله من يحرفه ويسمى تحريفه تأويلا بالعرف المتأخر

فتأويل هؤلاء المتأخرين عند الائمة تحريف باطل وكذلك نص أحمد في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية وجرى في ذلك على سنن الائمة قبله فهذا اتفاق من الائمة على أنهم يعلمون معني هذا المتشابه وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر فاتفق الائمة من غير تحريف له عن مواضعه أو الحاد في أسماء الله وآياته

ومما يوضح لك ما وقع هنا من الاضطراب ان أهل السنة متفقون على ابطال تأويلات الجهمية ونحوهم من المنحرفين الملحدين والتأويل المردود هو صرف الكلام عن ظاهره الي ما يخالف ظاهره فلو قيل ان هذا هو التأويل المذكور في الآية وانه لا يعلمه الا الله لكان في هذا تسليم للجهمية ان الآية تأويلا يخالف دلالتها لكان ذلك لا يعلمه الا الله وليس هذا مذهب السلف والائمة وانما مذهبهم في هذه التأويلات وردها لا التوقف عنها وعندهم قراءة الآية والحديث تفسيرها وتمر كما جاءت دالة على المعاني لا تحرف ولا يحدد فيها

والدليل على أن هذا ليس بمتشابه لا يعلم معناه أن نقول لا ريب ان الله سمى نفسه في القرآن باسماء مثل الرحمن والودود والعزير والجبار والعليم والقدير والرؤف ونحو ذلك ووصف نفسه بصفات مثل سورة الاخلاص وآية الكرسي وأول الحديد وآخر الحشر وقوله (ان الله بكل شئ عليم) وعلى كل شئ قدير • وانه يحب المتقين • والمقسطين • والمحسنين • وانه يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات • ولما آسفونا انتقمنا منهم • ذلك بأنهم تبغوا ما أسخط الله • ولكن كره الله انبعاثهم • الرحمن على العرش استوى • ثم استوى على العرش • يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها • وهو معكم أينما كنتم • وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو العلي العظيم اليه يصعد الكلم الطيب • والعمل الصالح يرفعه • اني معكم أسمع وأرى • وهو الله في السموات وفي الارض • ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي • بل

يداه مبسوطتان • ينفق كيف يشاء • ويبقى وجهه ربك ذوالجلال والاکرام •
يريدون وجهه (ولتضع على عيني) الى أمثال ذلك فيقال لمن ادعي
في هذا انه متشابه لا يعلم معناه أتقول هذا في جميع ماسمى الله ووصف
به نفسه أم في البعض فان قلت هذا في الجميع كان هذا عنادا ظاهرا
وجهدا لما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام بل كفر صريح فانا
نفهم من قوله (ان الله بكل شيء عليم) معنى ونفهم من قوله (ان الله على
كل شيء قدير) معنى ايس هو الاول ونفهم من قوله (ورحمى وسعت كل
شيء) معنى ونفهم من قوله (ان الله عزيز ذو انتقام) معنى وصبيان المسلمين
بل وكل عاقل يفهم هذا وقد رأيت بعض من ابتدع وحمد من أهل
المغرب مع انتسابه الى الحديث لكن أثرت فيه الفلسفة الفاسدة من
يقول انا نسمى الله الرحمن العليم القدير عاماً محضاً من غير أن نفهم منه
معنى يدل على شيء قط وكذلك في قوله (ولا يخيطون بشيء من علمه)
يطلق هذا اللفظ من غير أن نقول له علم

وهذا الغلو في الظاهر من جنس غلو القرامطة في الباطن لكن هذا
أيبس وذاك أكفر

ثم يقال لهذا المعاند فهل هذه الاسماء دالة على الاله المعبود
أو على حق موجود أم لا فان قال لا كان معطلا محضاً وما أعلم مسلماً
يقول هذا وان قال نعم قيل له فهمت منها دلالتها على نفس الرب ولم
تفهم دلالتها على ما فيها من المعاني من الرحمة والعلم وكلاهما في الدلالة
سواء فلا بد أن يقول لان ثبوت الصفات محال في العقل لانه يلزم منه

التركيب أو الحدوث بخلاف الذات فيخاطب حينئذ بما يخاطب به الفریق الثاني كما سنذكره وهو من أقر بفهم بعض معنى هذه الاسماء والصفات دون بعض فيقال له ما الفرق بين ما أثبتته وبين ما نفيته أو سكت عن اثباته ونفيه فان الفرق اما أن يكون من جهة السمع لأن أحد النصين دال دلالة قطعية أو ظاهرة بخلاف الآخر أو من جهة العقل بأن أحد المعنيين يجوز أو يجب اثباته دون الآخر وكلا الوجهين باطل في أكثر المواضع* اما الاول فدلالة القرآن على أنه رحمن رحيم ودود سميع بصير على عظيم كدلالته على أنه عالم قدير ليس بينهما فرق من جهة النص وكذلك ذكره لرحمته ومحبته وعلوه مثل ذكره لمشيئته وارادته* وأما الثاني فيقال لمن أثبت شيئاً ونفى آخر لم نفيتم مثلاً حقيقة رحمته ومحبته وأعدت ذلك الى ارادته فان قال لان المعنى المفهوم من الرحمة في حقنا هي رقة تمتع على الله قيل له والمعنى المفهوم من الارادة في حقنا هي ميل يمتنع على الله فان قال ارادته ليست من جنس ارادة خلقه قبل له ورحمته ليست من جنس رحمة خلقه وكذلك محبته وان قال وهو حقيقة قوله لم أثبت الارادة وغيرها بالسمع وانما أثبت العلم والقدرة والارادة بالعقل وكذلك السمع والبصر والكلام على احدي الطريقتين لان الفهم دل على القدرة والاحكام دل على العلم والتخصيص دل على الارادة قيل له الجواب من ثلاثة أوجه

أحدها ان الانعام والاحسان وكشف الضر دل أيضاً على الرحمة كدلالة التخصيص على الارادة والتقريب والاداء وأنواع التخصيص

التي لا تكون الا من المحب تدل على المحبة أو مطاق التخصيص يدل على الارادة وأما التخصيص بالانعام فتخصيص خاص والتخصيص بالتقريب والاصطفاء تقريب خاص وما سلكه في مسلك الارادة يسلك في مثل هذا الثاني يقال له هب ان العقل لا يدل على هذا فانه لا ينفيه الا بمثل ما ينفي به الارادة والسمع دليل مستقل بنفسه بل الطمأنينة اليه في هذه المضايق أعظم ودلائله أتم فلا شيء نفيته مدلوله أو توقفت وأعدت هذه الصفات كلها الى الارادة مع أن النصوص تفرق فلا يذكر حجة الا عورض بمثلها في اثباته الارادة زيادة على الفعل

الثالث يقال له اذا قال لك الجهمي الارادة لا معنى لها الا عدم الاكراه أو نفس الفعل والامر به وزعم أن اثبات ارادة تقتضي محذورا ان قال بقدمها ومحذورا ان قال بحدوثها

وهنا اضطرت المعتزلة فانهم لا يقولون بارادة قديمة لامتناع صفة قديمة عندهم ولا يقولون بتجدد صفة له لامتناع حلول الحوادث عند أكثرهم مع تناقضهم

فصاروا حزبين البغداديون وهم أشد غلوا في البدعة في الصفات وفي القدر نفوا حقيقة الارادة وقال الجاحظ لا معنى لها الا عدم الاكراه وقال الكعبي لا معنى لها الا نفس الفعل اذا تعلقت بفعله ونفس الامر اذا تعلقت بطاعة عباده

والبصريون كأبي علي وأبي هاشم قالوا تحدث ارادة لاني محل فلا

ارادة فالترزوا حدوث حادث غير مراد وقيام صفة بغير محل وكلاهما عند العقلاء معلوم الفساد بالبديهية كان جوابه ان مادعي احالته من ثبوت الصفات ليس بمحال والنص قد دل عليها والعقل أيضاً فاذا أخذ الخصم ينازع في دلالة النص أو العقل جعله مسفهاً أو مقرمطاً وهذا بعينه موجود في الرحمة والمحبة فان خصومه ينازعونه في دلالة السمع والعقل عليها على الوجه القطعي

ثم يقال لخصومه بم أثبتتم انه عالم قدير فما أثبتوه به من سمع وعقل فبعينه تثبت الارادة وما عارضوا به من الشبه عورضوا بمثله في العالم والقدير واذا انتهى الامر الى ثبوت المعاني وانها تستلزم الحدوث أو التركيب والافتقار كان الجواب مقررناه في غير هذا الموضع فان ذلك لا يستلزم حدوثاً ولا تركيباً مقتضياً حاجة الى غيره

ويعارضون أيضاً بما ينفي به أهل التعطيل الذات من الشبه الفاسدة ويلزمون بوجود الرب الخالق المعلوم بالفطرة الخلقية والضرورة العقلية والقواطع العقلية واتفاق الامم وغير ذلك من الدلائل ثم يطالبون بوجود من جنس مانعهده أو بوجود يعلمون كفيته فلا بد أن يفروا الى اثبات ما لا تشبهه حقيقته الحقائق فالقول في سائر ماسمى ووصف به نفسه كالقول في نفسه سبحانه وتعالى ونكتة هذا الكلام ان غالب من نفي وأثبت شيئاً مما دل عليه الكتاب والسنة لا بد أن يثبت الشيء المقتضى وانتفاء المانع وينفي الشيء لوجود المانع أو لعدم المقتضى أو يتوقف اذا لم يكن له عنده مقتضى ولا مانع فيبين له أن المقتضى فيما نفاه قائم

كما أنه فيما أثبتته قائم اما من كل وجه أو من وجهه يجب به الاثبات فان كان المقتضى هناك حقاً فكذلك هنا والافدرء ذلك المقتضى من جنس درء هذا

وأما المانع فيبين ان المانع الذي تخيله فيما نفاه من جنس المانع الذي تخيله فيما أثبتته فإذا كان ذلك المانع المستحيل موجودا على التقديرين لم ينبج من محذوره باثبات أحدهما ونفي الآخر فانه ان كان حقاً نفاهما وان كان باطلا لم ينف واحداً منهما فعليه أن يسوى بين الامرين في الاثبات والنفي ولا سبيل الى النفي فتعين الاثبات

فهذه نكتة الالتزام لمن أثبت شيئاً وما من أحد الا ولا بد أن يثبت شيئاً أو يجب عليه اثباته فهذا يعطيك من حيث الجملة ان اللوازم التي يدعى أنها موجبة للنفي خيالات غير صحيحة وان لم يعرف فسادها على التفصيل واما من حيث التفصيل فيبين فساد المانع وقيام المقتضى كما قرر هذا غير مرة

فان قال من أثبت هذه الصفات التي هي فينا اعراض كالحياة والعلم والقدرة ولم يثبت ماهو فيها أبعاض كاليد والقدم هذه أجزاء وأبعاض تستلزم التركيب والتجسيم

قيل له وتلك اعراض تستلزم التجسيم والتركيب العقلي كما استلزمت هذه عندك التركيب الحسى فان أثبت تلك على وجه لا يتكون اعراضاً أو تسميتها اعراضاً لا يمنع ثبوتها قيل له وأثبت هذه على وجه لا يتكون تركيباً وأبعاضاً أو تسميتها تركيباً وأبعاضاً لا يمنع ثبوتها

فان قيل هذه لا يعقل منها الا الاجزاء قيل له وذاك لا يعقل منها الا
 الاعراض فان قال العرض مالا يبقى وصفات الرب باقية
 قيل والبعض ماجاز انفصاله عن الجملة وذلك في حق الله محال
 ففارقة الصفات القديمة مستحيلة في حق الله تعالى مطلقاً والمخلوق يجوز
 أن تفارقه أعراضه وأبعاضه

فان قال ذلك تجسيم والتجسيم منتف قبل وهذا تجسيم والتجسيم منتف
 فان قال أنا عقل صفة ليست عرضاً بغير متحيز وان لم يكن له في
 الشاهد نظير قيل له فاعقل صفة هي لنا بعض لغير متحيز وان لم يكن له
 في الشاهد نظير فان نفى عقل هذا نفى عقل ذاك وان كان بينهما نوع
 فرق لكانه فرق غير مؤثر في موضع النزاع ولهذا كانت المعطلة الهممية
 تنفي الجميع لكن ذاك أيضاً مستلزم لنفي الذات ومن أثبت هذه الصفات
 الخبرية من نظير هؤلاء صرح بأنها صفة قائمة به كالعالم والقدرة وهذا
 أيضاً ليس هو معقول النص ولا مدلول العقل وانما الضرورة الجأهم
 الي هذه المضايق وأصل ذلك انه-م أتوا بألفاظ ليست في الكتاب ولا
 في السنة وهي ألفاظ مجملة مثل متحيز ومحدود وجسم ومركب ونحو ذلك
 ونفوا مدلولها وجعلوا ذلك مقدمة بينهم مسلمة ومدلولها عليها بنوع
 قياس وذلك القياس أوقعهم فيه مسلك سلكوه في اثبات حدوث العالم
 بحدوث الاعراض أو اثبات امكان الجسم بالتركيب من الاجزاء فوجب
 طرد الدليل بالحدوث والامكان لكل ما شمله هذا الدليل اذ الدليل القطعي

لا يقبل الترك لمعارض راجح فرأوا ذلك يمكر عليهم من جهة النصوص ومن جهة العقل من ناحية أخرى فصاروا أحزابا تارة يغلبون القياس الاول ويدفعون معارضه وهم المعتزلة وتارة يغلبون القياس الثاني ويدفعون الاول كهشام بن الحكم الرافضي فانه قد قيل أول ماتكم في الجسم نفيا واثباتا من زمن هشام بن الحكم وأبي الهذيل الملاف فان أبا الهذيل ونحوه من قدماء المعتزلة نتوا الجسم لما سلكوا من القياس وعارضهم هشام وأثبت الجسم لما سلكوه من القياس واعتقد الاولون احواله ثبوته واعتقد هذا احواله نفيه وتارة يجمعون بين النصوص والقياس بجمع يظهر فيه الاحالة والتناقض

فما أعلم أحدا من الخارجين عن الكتاب والسنة من جميع فرسان الكلام وفلسفة الاولابدان يتناقض فيحيل ما أوجب نظيره ويوجب ما أحال نظيره اذ كلامهم من عند غير الله وقد قال الله تعالي (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

والصواب ما عليه أئمة الهدى وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضين أهل العلم والايان والمعاني المفهومة من الكتاب والسنة لاترد بالشبهات فتكون من باب تحريف الكلم عن مواضعه ولا يمرض عنها فيكون من باب الذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ولا يترك تدبر القرآن فيكون من باب الذين لا يعلمون الكتاب الا أماني فهذا أحد الوجهين وهو منع أن تكون هذه من المتشابهة

* الوجه الثاني انه اذا قيل هذه من المتشابهة أو كان فيها ما هو من المتشابهة كما نقل عن بعض الأئمة انه سمي بمض ما سئل به الجهمية بتشابهه فيقال الذي في القرآن انه لا يعلم تأويله الا الله اما المتشابهة واما الكتاب كله كما تقدم ونفي علم تأويله ليس نفي علم معناه كما قدمناه في القيامة وأمور القيامة وهذا الوجه قوى ان ثبت حديث ابن اسحاق في وفد نجران انهم احتجوا على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انا ونحن ونحو ذلك ويؤيده أيضا أنه قد ثبت ان في القرآن متشابهة وهو ما يحتمل معنيين وفي مسائل الصفات ما هو من هذا الباب كما أن ذلك في مسائل المعاد وأولى فان نفي المتشابهة بين الله وبين خلقه أعظم من نفي المتشابهة بين موعود الجنة وموجود الدنيا وانما نكتة الجواب هو ما قدمناه أو لان نفي علم التأويل ليس نفيًا لعلم الماني وزيدته تقريرًا ان الله سبحانه يقول (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج) وقال تعالى (الرتلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلمكم تعقلون) فأخبر انه أنزله ليعقلوه وانه طلب تذكركهم وقال أيضا (ولئك الامثال نضربها للناس لعلمهم يتفكرون) فخص على تدبره وفتنه وعقله والتذكرك به والتفكر فيه ولم يستثن من ذلك شيئا بل نصوص متعددة تصرح بالعموم فيه مثل قوله (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقوله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ومعلوم ان نفي الاختلاف عنه لا يكون الا بتدبره كله والا فتدبر بعضه لا يوجب الحكم بنفي مخالفة ما لم يتدبر

لما تدبر

وقال عليّ عليه السلام لما قيل له هل ترك عندكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا فهمما يؤئيه الله عبداً في كتابه وما في هذه الصحيفة فأخبر أن الفهم فيه مختلف في الامة والفهم أخص من العلم والحكم قال الله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) وقال النبي صلى الله عليه وسلم رب مبالغ أوعى من سامع وقال باغوا عني ولو آية وأيضاً فالسلف من الصحابة والتابعين وسائر الامة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها وفسروها بما يوافق دلائلها وروا عن النبي صلى الله عليه وسلم لم أحديث كثيرة توافق القرآن وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم مثل عبدالله بن مسعود الذي كان يقول لو أعلم اعلم بكتاب الله مني لبلغه آباط الابل لاتبته وعبد الله بن عباس الذي دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وهو حبر الامة وترجمان القرآن كاناها وأصحابهما من أعظم الصحابة والتابعين اثباتاً للصفات ورواية لها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن له خبرة بالحديث والتفسير يعرف هذا وما في التابعين أجمل من أصحاب هذين السيدين بل وثائهما في عليّة التابعين من جنسهم أو قريب منهم جلالة أصحاب زيد بن ثابت لكن أصحابه مع جلالهم ليسوا مختصين به بل أخذوا عن غيره مثل عمر وابن عمر وابن عباس ولو كان معاني هذه الآيات منفيًا أو مسكوتاً عنه لم يكن ربانيوا الصحابة أهل العلم بالكتاب والسنة أكثر كلاماً فيه.

ثم ان الصحابة نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يتعلمون منه التفسير مع التلاوة ولم يذكر أحد منهم عنه قط انه امتنع من تفسير آية

قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤنا عثمان بن عثمان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فنعلمنا القرآن والعلم والعمل وكذلك الأئمة كانوا اذا سئلوا شيئاً من ذلك لم ينفوا معناه بل يشبتون المعنى وينفون الكيفية كقول مالك بن أنس لما سئل عن قوله تعالى (الرحمن على العرش) استوى كيف استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة وكذلك ربيعة قبله وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول فليس في أهل السنة من ينكره وقد بين ان الاستواء معلوم كما ان سائر ما أخبر به معلوم ولكن الكيفية لا تعلم ولا يجوز السؤال عنها لا يقال كيف استوى ولم يقل مالك الكيف معدوم وإنما قال الكيف مجهول وهذا فيه نزاع بين أصحابنا وغيرهم من أهل السنة غير ان أكثرهم يقولون لا تخطر كفيته ببال ولا تجرى ماهيته في مقال ومنهم من يقول ليس له كفية ولا ماهية

فان قيل معنى قوله الاستواء معلوم ان ورود هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قاله بعض أصحابنا الذين يجعلون معرفة معانيها من التأويل الذي استأثر الله بعلمه

قيل هذا ضعيف فان هذا من باب تحصيل الحاصل فان السائل قد علم ان هذا موجود في القرآن وقد تلا الآية وأيضاً فلم يقل ذكر الاستواء في القرآن ولا اخبار الله بالاستواء وانما قال الاستواء معلوم فأخبر عن الاسم المفرد انه معلوم لم يخبر عن الجملة وأيضاً فانه قال والكيف مجهول ولو اراد ذلك لقال معنى الاستواء مجهول أو تفسير الاستواء مجهول أو بيان الاستواء غير معلوم فلم ينف العلم بكيفية الاستواء لا العلم بنفس الاستواء وهذا شأن جميع ما وصف الله به نفسه لو قال في قوله انني معكما أسمع وأرى كيف يسمع وكيف يرى لقلنا السمع والرؤيا معلوم والكيف مجهول ولو قال كيف كلم موسى تكليماً لقلنا التكليم معلوم والكيف غير معلوم* وأيضاً فان من قال هذا من أصحابنا وغيرهم من أهل السنة يقولون بأن الله فوق العرش حقيقة وان ذاته فوق ذات العرش لا ينكرون معنى الاستواء ولا يرون هذا من المتشابه الذي لا يعلم معناه بالكيفية

ثم السلف متفقون على تفسيره بما هو مذهب أهل السنة قال بعضهم ارتفع على العرش علا على العرش وقال بعضهم عبارات أخرى وهذه ثابتة عن السلف قد ذكر البخاري في صحيحه بعضها في آخره في كتاب الرد على الجهمية

وأما التأويلات المحرفة مثل استولى وغير ذلك فهي من التأويلات المبتدعة لما ظهرت الجهمية وأيضاً قد ثبت ان اتباع المتشابه ليس في خصوص الصفات بل في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال لعائشة يا عائشة اذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين
سعى الله فاحذرهم وهذا عام وقصة صبيغ بن عسل مع عمر بن الخطاب
من اشهر الفضايافانه بلغه انه يسأل عن متشابه القرآن حتى رآه عمر
فسأل عمر عن الذاريات ذروا فقال ما سمك قال عبد الله صبيغ فقال
وأنا عبد الله عمر وضربه الضرب الشديد وكان ابن عباس األح اياه
رجل في مسألة من هذا الجنس يقول مأحوجك أن يصنع بك كما صنع
عمر بصبيغ وهذا لانهم رأوا ان غرض السائل ابتغاء الفتنة لا الاسترشاد
والاستفهام كما قال النبي عليه الصلاة والسلام اذا رأيت الذين يتبعون
ما تشابه منه وكما قال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة) فما جوههم على هذا القصد الفاسد كالذي يمرض بين آيات
القرآن وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا تضربوا
كتاب الله بعضه ببعض فان ذلك يوقع الشك في قلوبهم ومع ابتغاء الفتنة
ابتغاء تأويله الذي لا يملكه الا الله فكان مقصودهم مذموما ومطلوبهم
متندرا مثل اغلوطات المسائل التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنها

ومما يبين الفرق بين المعنى والتأويل ان صبيغا سأل عمر عن
الذاريات وليست من الصفات وقد تكلم الصحابة في تفسيرها مثل علي
ابن أبي طالب مع ابن الكواء لما سأله عنها كره سؤاله لما زآه من قصده
لكن على كانت رعيته ملتوية عليه لم يكن مطاعا فيهم طاعة عمر حتى
يؤديه والذاريات والحاملات والجاريات والمقسمات فيها انتباه لان

اللفظ يحتمل الرياح والسحاب والنجوم والملائكة ويحتمل غير ذلك اذ
 ليس في اللفظ ذكر الموصوف والتأويل الذي لا يعلمه الا الله هو اعيان
 الرياح ومقاديرها وصفاتها ومتى تمب وأعيان السحاب وما تحمله من
 الامطار ومتى ينزل المطر وكذلك في الجاريات والمقسمات فهذا لا يعلمه
 الا الله وكذلك في قوله انا ونحن ونحوها من أسماء الله التي فيها معنى
 الجمع كما اتبعته النصارى فان معناه معلوم وهو الله سبحانه لكن اسم
 الجمع يدل على تعدد المعاني بمنزلة الاسماء المتعددة مثل العلم والقدير
 والسميع والبصير فان المسمى واحد ومعاني الاسماء متعددة فهكذا
 الاسم الذي لفظه الجمع

وأما التأويل الذي اختص الله به حقيقة ذاته وصفاته كما قال مالك
 والكيف مجهول فاذا قالوا ما حقيقة علمه وقدرته وسمعه وبصره قيل
 هذا هو التأويل الذي لا يعلمه الا الله

وما أحسن ما يعاد التأويل الى القرآن كله (فان قيل) فقد قال
 النبي صلي الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
 (قيل) أما تأويل الامر والنهي فذاك يعلمه واللام هنا لتأويل المعهود
 لم يقل تأويل كل القرآن فالتأويل المنفي هو تأويل الاخبار التي لا يعلم
 حقيقة مخبرها الا الله والتأويل المعلوم هو الامر الذي يعلم العباد تأويله
 وهذا كقوله (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله) وقوله (بل كذبوا
 بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) فان المراد تأويل الخبر الذي فيه عن

المستقبل فانه هو الذي ينتظر ويأتي واما باتهم وأما تأويل
الامر والنهي فذلك في الامر وتأويل الخبر عن الله
وعمن مضى ان أدخل في التأويل
لا ينتظر والله سبحانه أعلم
وبه التوفيق

تمت الرسالة الاولى

وبها الرسالة الثانية له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه مسألة سئل عنها الشيخ الامام العالم العامل شيخ الاسلام
 وقطب الائمة الاعلام ومن عمت بركاته أهل العراقين والشام تفي الدين
 أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي
 مع الله المسلمين ببركاته وكان بالديار المصرية * في رجل نقل عن بعض السلف
 من الفقهاء انه قال أكل الحلال ممتذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان
 فقيل له لم ذلك فذكر ان وقعة المنصورة لم تقسم الغنائم فيها واختلطت
 الاموال بالمعاملات بها فقيل له ان الرجل يؤجر نفسه لامل من الاعمال
 المباحة ويأخذ أجرته حلال فذكر أن الدرهم في نفسه حرام فقيل له
 كيف قبل الدرهم التغير أولا فصار حراما بالسبب الممنوع ولم يقبل التغير
 فيكون حلالا بالسبب المشروع فما الحكم في ذلك

فأجاب رضي الله عنه * الحمد لله * هذا القائل الذي قال أكل الحلال
 ممتذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان غلط مخطيء في قوله باتفاق أئمة
 الاسلام فان مثل هذه المقالة كان يقولها بعض أهل البدع وبعض أهل
 الفقه الفاسد وبعض أهل النسك الفاسد فأنكر الأئمة ذلك حتى الامام
 أحمد في ورعه المشهور كان ينكر مثل هذه المقالة وجاء رجل من
 النساك فذكر له شيئا من هذا فقال انظر الى هذا الحبيث يحرم
 أموال المسلمين

وقال بلغني أن بعض هؤلاء يقول من سرق لم تقطع يده لأن المال
 ليس بمعصوم ومثل هذا كان يقوله بعض المنتسبين الى العلم من أهل

العصر بناء على هذه الشبهة الفاسدة وهو أن الحرام قد غلب على الاموال
لكثرة الغصب والعقود الفاسدة ولم يتميز الحلال من الحرام
ووقعت هذه الشبهة عند طائفة من مصنفى الفقهاء فأفتوا بأن
الانسان لا يتناول الا مقدار الضرورة وطائفة لما رأته مثل هذا الحرج
سدت باب الورع فصاروا نوعين المباحية لا يميزون بين الحلال والحرام
بل الحلال ما حل بأيديهم والحرام ما حرموه لانهم ظنوا مثل هذا الظن
الفاسد وهو أن الحرام قد طبق الارض ورأوا أنه لا بد للانسان من
الطعام والكسوة فصاروا يتناولون ذلك من حيث أمكن فلينظر الماقل
عاقبة ذلك الورع الفاسد كيف أورت الانحلال عن دين الاسلام وهوؤلاء
يحكون في الورع الفاسد حكايات بعضها كذب بمن نقل عنه وبعضها غلط
كما يحكون عن الامام أحمد ان ابنه صالحا لما تولى القضاء لم يكن يخبز في
داره وان أهله خبزوا في تنوره فلم يأكل الخبز فألقوه في دجلة فلم يكن
يأكل من صيد دجلة

وهذا من أعظم الكذب والفرية على مثل هذا الامام ولا يفعل
مثل هذا الا من هو من أجهل الناس أو أعظمهم مكرآ بالناس واحتبالا
على أموالهم وقد نزهه الله عن هذا وهذا وكل عالم يعلم أن ابنه لم يتول
القضاء في حياته وانما تولاه بعد موته

ولكن كان الخليفة المتوكل قد أجاز أولاده وأهل بيته جوائز من
بيت المال فأمرهم أبو عبد الله أن لا يقبلوا جوائز السلطان فاعتذروا
اليه بالحاجة فقبلها من قبلها منهم فترك الاكل من أموالهم والانتفاع

بنيرانهم في خبز أو ماء لكونهم قبلوا جوائز السلطان وسألوه عن هذا المال احرام هو فقال لا فقالوا أنجح منه فقال نعم وبين لهم انما امتنع منه لئلا يصير ذلك سبباً الى أن يداخل الخليفة فيما يريد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خذ العطاء ما كان عطاء فاذا كان عوضاً عن دين أحدكم فلا يأخذه ولو ألقى في دجلة الدم والميتة ولحم الخنزير وكل حرام في الوجود لم يحرم صيدها ولم تحرم

ومن الناس من آل به الافراط في الورع الي أمر اجتهد فيه فيثاب على حسن قصده وان كان المشروع خلاف ما فعله مثل من امتنع من أكل ما في الاسواق ولم يأكل الا ما ينبت في البرارى ولم يأكل من أموال المسلمين وانما يأكل من أموال أهل الحرث وأمثال ذلك مما يكون فاعله حسن القصدوله فيما فعل تأويل لكن الصواب المشروع خلاف ذلك فان الله سبحانه خلق الخلق لعبادته وأمرهم بذلك وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فاني يستجاب لذلك فقد بين صلى الله عليه وسلم ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين من أكل الطيبات كما أمرهم بالعمل الصالح والعمل الصالح لا يمكن الا بأكل وشرب ولباس وما يحتاج اليه العبد من سكن ومركب وسلاح يقاتل به وكرام

يقاتل عايه وكتب يتعلم منها وأمثال ذلك مما لا يقوم ما أمر الله به الا به
وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فاذا كان القيام بالواجبات فرضاً على
جميع العباد وهي لا تتم الا بهذه الاموال فكيف يقال انه قليل بل هو
كثير غالب بل هو الغالب على أموال الناس ولو كان الحرام هو الاغلب
والدين لا يقوم في الجمهور الا به لازم أحد أمرين اما ترك الواجبات من
أكثر الخلق واما اباحة الحرام لأكثر الخلق وكلاهما باطل والورع
من قواعد الدين ففي الصحيح عن عثمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن
كثير من الناس فن ترك الشبهات استبرأ عرضه ودينه ومن وقع في الشبهات
وقع في الحرام كالزاعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها الا وان لكل
ملك حمى الا وان حمى الله محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهي القلب

وفي الحديث الآخر دع ما يريبك الى ما لا يريبك ورأى تمرة
ساقطة فقال لولا أخاف أن تكون من الصدقة لاكلتها وهذا مبسوط
في غير هذا الموضع وهذا يتبين بذكر أصول

أحدها انه ليس كل ما اعتقد فقيه معين انه حرام كان حراماً انما
الحرام ما ثبت تحريمه بالكتاب أو السنة أو الاجماع أو قياس مرجح
لذلك وما تنازع فيه العلماء رد الى هذه الاصول ومن الناس من يكون
نشأ على مذهب امام معين أو استفتى فقيهاً معيناً أو سمع حكاية عن بعض
الشيوخ فيريد أن يحمل المسلمين كلهم على ذلك وهذا غلط ولهذا انظار

منها مسألة المغانم فان السنة أن تجمّع وتخصم وتقسّم بين الغانمين بالعدل وهل يجوز للامام أن ينفل من أربعة أخماسها في قولان فذهب فقهاء الثغور وأبي حنيفة وأحمد وأهل الحديث ان ذلك يجوز لما في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم نفل في بدأته الربع بعد الخمس ونفل في رجعتة الثلث بعد الخمس

وقال سعيد بن المسيب ومالك والشافعي لا يجوز ذلك بل يجوز عند مالك التنفيل من الخمس ولا يجوز عند الشافعي الا من خمس الخمس وكان أحمد يعجب من سعيد بن المسيب ومالك كيف لم تبلغهما هذه السنة مع وفور عامهما

وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية قبل نجد فبلغت سهامنا اثنا عشر بعيراً ومعلوم ان السهم اذا كان اثني عشر بعيراً لم يحتل خمس الخمس أن يخرج منه لكل واحد بعير فان ذلك لا يكون الا اذا كان السهم أربعة وعشرين بعيراً وكذلك اذا فضل الامام بعض الغانمين على بعض لمصلحة راجحة كما أعطي النبي صلى الله عليه وسلم سامة بن الاكوع في غزوة ذي قرد سهم راجل وفارس فان ذلك يجوز في أصح قولي العلماء ومنهم من لا يجيزه كما تقدم

وكذلك اذا قال الامام من أخذ شيئاً فهو له ولم تقسم الغنائم فهذا جائز في أحد قولي العلماء وهو ظاهر مذهب أحمد ولا يجوز في القول الآخر وهو المشهور من مذهب الشافعي وفي كل من المذهبين خلاف

وعلى مثل هذا الاصل تنبني الغنائم في الازمان المتأخرة مثل الغنائم التي كان يغنمها السلاجقة الاراك والغنائم التي غنمها المسلمون من النصاري من ثغور الشام ومصر فان هذه أفتى بعض الفقهاء كأبي محمد الجويني والنوايي أنه لا يحل لمسلم ان يشترى منها شيئاً ولا يبطأ منها فرجاً ولا يملك منها مالا ولزم من هذا القول من الفساد ما لله به عليم فعارضهم أبو محمد بن سبع الشافعي فأفني ان الامام لا يجب عليه قسمة المغانم بحال ولا تخميد. ها وان له أن يفضل الراجل وان يحرم بعض الغانمين ويخص بعضهم وزعم أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تقتضى ذلك وهذا القول خلاف الاجماع والذي قبله باطل ومنكر أيضاً فكلاهما انحراف والصواب في مثل هذه ان الامام اذا قال من أخذ شيئاً فهو له فان قيل بجواز ذلك فمن أخذ شيئاً ملكه وعليه تخميسه وان كان الامام لم يقل ذلك ولم يهبهم المغانم بل أراد منها مالا يسوغ بالاتفاق أو قيل انه يجب عليه أن يقسم بالعدل ولا يجوز له الاذن بالانتهاب فهنا المغانم مال مشترك بين الغانمين ليس لغيرهم فيها حق فمن أخذ منها مقدار حقه جاز له ذلك واذا شك في ذلك فاما أن يحتاط ويأخذ بالورع المستحب أو يبني على غالب ظنه ولا يكلف الله نفساً الا وسعها وكذلك المزارعة على أن يكون البذر من العامل التي يسميها بعض الناس المخابرة وقد تنازع فيها الفقهاء لكن ثبت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة جوازها فانه عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر وزرع على أن يسروها من أموالهم واما نهيه عن المخابرة فقد جاء مفسراً في الصحيح

فان المراد به أن يشترط للمالك زرع بقية بعينها وكذلك كراء الارض بجزء من الحارج منها فحوزه أبو حنيفة والشافعي وأحمد في المشهور عنه ونهى عنه مالك وأحمد في رواية ونظائر ذلك كثيرة فهذا يبين

الاصل الثاني ان المسلم اذا عامل معاملة يعتقد هو جوازها وقبض المال جاز لغيره من المسلمين أن يعامله في مثل ذلك المال وان لم يعتقد جواز تلك المعاملة فانه قد ثبت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رفع اليه ان بعض عماله يأخذ خمرأ من أهل الذمة عن الجزية فقال قاتل الله فلانا ما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملواها وباعوها وأكوا أثمانها ثم قال عمر ولو هم ببيعها وخذوا منهم أثمانها فامر عمر أن يأخذوا من أهل الذمة الدراهم التي باعوا بها الخمر لانهم يعتقدون جواز ذلك في دينهم ولهذا قال العلماء ان الكفار اذا تعاملوا بينهم بمعاملات يعتقدون جوازها وتقابضوا الاموال ثم أساموا كانت تلك الاموال لهم حلالا وان تحاكموا اليها أقررتها في أيديهم سواء تحاكموا قبل الاسلام أو بعده وقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) فامرهم بترك ما بقى في الذم من الربا ولم يأمرهم برد ما قبضوه لانهم كانوا يستحلون ذلك والمسلم اذا عامل معاملات يعتقد جوازها كالحيل الربوية التي يفقها من يفتي من أصحاب أبي حنيفة وأخذ ثمنه أو زارع علي ان البذر من العامل أو أكرى الارض بجزء

من الخارج منها ونحو ذلك وقبض المال جاز لغيره من المسلمين أن يملكه في ذلك المال وان لم يعتقد جواز تلك المعاملة بطريق الأولى والأخرى ولو أنه تبين له فيما بعد رجحان التحريم لم يكن عليه إخراج المال الذي كسبه بتأويل سائغ فان هذا أولى بالعمو والعذر من الكافر المتأول ولما ضيق بعض الفقهاء هذا على بعض أهل الورع الجأء الى أن يعامل الكفار ويترك معاملة المسلمين ومعهم ان الله ورسوله لا يأمر المسلم ان يأكل من أموال الكفار ويدع أموال المسلمين بل المسلمون أولى بكل خير والكفار أولى بكل شر

الأصل الثالث ان الحرام نوعان * حرام لو صفه كالميتة والدم ولحم الخنزير فهذا اذا اختلط بالماء والمائع وغيره من الاطعمة وغير طعمه أو لونه أو ريحه حرمه وان لم يغيره ففيه نزاع ليس هذا موضعه * والثاني الحرام لكسبه كلما خوذ غصبا أو بعقد فإد فهذا اذا اختلط بالحلال لم يحرمه فلو غصب الرجل دراهم أو دنانير أو دقيقا أو حنطة أو خبزا وخط ذلك بماله لم يحرم الجميع لاعلى هذا ولا على هذا بل ان كانا متماثلين أمكن أن يقسموه ويأخذ هذا قدر حقه وهذا قدر حقه وان كان قد وصل الى كل منهما غير مال الآخر الذي أخذ الآخر نظيره وهل يكون الخلط كالاتلاف فيه وجهان في مذهب الشافعي وأحمد وغيرهما * أحدهما انه كالاتلاف فيعطيه مثل حقه من أين أحب * والثاني ان حقه باق فيه فللمالك أن يطلب حقه من المختلط فهذا أصل نافع فان كثير أمن الناس بتوهم ان الدراهم المحرمة اذا اختلطات

بالدراهم الحلال حرم الجميع فهذا خطأ وإنما تورع بعض العلماء فيما إذا كانت قليلة وأما مع الكثرة فما أعلم فيه نزاعاً

الأصل الرابع المال إذا تمذر معرفة ملكه صرف في مصالح المسلمين عند جماهير العلماء كمالك وأحمد وغيرهما فإذا كان بيد الإنسان غصوب أو عواري أو ودائع أو رهون قد يئس من معرفة أصحابها فإنه يتصدق بها عنهم أو يصرفها في مصالح المسلمين أو يسلمها إلى قاسم عادل يصرفها في مصالح المسلمين المصالح الشرعية ومن الفقهاء من يقول يوقف أبداً حتى يتبين أصحابها وأصواب الأول فإن حبس المال دائماً لمن لا يرجح لأفائدة فيه بل هو تعرض لهلاك المال واستيلاء الظلمة عليه وكان عبد الله بن مـعود قد اشترى جارية فدخل بيته ليأتي بالثمن فخرج فلم يجد البائع فجعل يطوف على المساكين ويتصدق عليهم بالثمن ويقول اللهم عن رب الجارية فإن قبل فذاك وإن لم يقبل فهو لي وعلي له مثله يوم القيامة وكذلك أفتى بعض التابعين من غل من الغنيمة وتاب بعد تفرقهم أن يتصدق بذلك عنهم ورضى بهذه الفتيا الصحابة والتابعون الذين بلغتهم كما عاوية وغيره من أهل الشام وهذا يبين

الأصل الخامس وهو الذي يكشف سر المسئلة وهو أن المجهول في الشريعة كالممدوم والممجوز عنه فإن الله سبحانه وتعالى قال (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) وقال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم فالله إذا أمرنا بأمر كان

ذلك مشروطاً بالقدرة عليه والتمكن من العمل به فما عجزنا عن معرفته أو عن العمل به سقط عنا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لم في اللقطة فان جاء صاحبها فأدبها اليه والافهى مال الله يؤتبه من يشاء فهذه اللقطة كانت ملكاً للمالك ووقعت منه فلما تمذر معرنة مالها قال النبي صلى الله عليه وسلم هي مال الله يؤتبه من يشاء فدل ذلك على ان الله شاء أن يزيل عنها ملك ذلك المالك ويعطيها لهذا الملتقط الذي صرفها سنة ولا نزاع بين الأئمة انه بعد تعريف السنة يجوز للملتقط أن يتصدق بها وكذلك له أن يملكها ان كان فقيراً او هل له التملك مع الغنى ففيه قولان مشهوران ومذهب الشافعي وأحمد أنه يجوز ذلك وأبو حنيفة لا يجوز له ولو مات رجل ولم يعرف له وارث صرف ماله في مصالح المسلمين وان كان في نفس الامر له ارث غير معروف حتى لو تبين الوارث يسلم اليه ماله وان كان قبل تبينه يكون صرفه الي من يصرفه جائزاً وأخذه له غير حرام مع كثرة من يموت وله عصابة بعد لم يعرف واذا تبين هذا فيقال ما في الوجود من الاموال المنصوبة والمنبوضة بمقود لا تباع بالقبض ان صرفه المسلم اجتنب فمن علمت انه سرق مالا أو خانه في أمانته أو غصبه فاخذه من المنصوب فهذا بغير حق لم يجزى أن آخذه منه لا بطريق الهبة ولا بطريق المعاوضة ولا وفاء عن أجره ولا بمن يبيع ولا وفاء عن قرض فان هذا غير مل ذلك المظلوم وأما ان كان ذلك المال قبضه بأويل سائغ في مذهب بعض الأئمة جازي أن أستوفيه من ثمن المبيع والاجر والقرض وغير ذلك من الديون وان كان مجهول الحال.

فالمجهول كالمعدوم والاصل فيما بيد المسلم ان يكون مالكه ان ادعى انه ملكه أو يكون وليا عليه كمنظر الوقف وولي اليتيم وولي بيت المال أو يكون وكيله فيه وما تصرف فيه المسلم أو الذمي بطريق الملك أو الولاية جاز تصرفه فاذا لم أعلم حال ذلك المال الذي بيده بذيت الامر على الاصل ثم ان كان ذلك الدرهم في نفس الامر قد غصبه هو ولم أعلم أنا كنت جاهلا بذلك والمجهول كالمعدوم فليس أخذى الثمن المبيع وأجرة العمل وبدل القرض بدون أخذى اللقطة فان اللقطة أخذتها بغير عوض ثم لم أعلم مالها وهذا المال لأعلم له مالها غير هذا وقد أخذته عوضا عن حقي فكيف يحرم هذا على لكن ان كان ذلك الرجل معروفا بأن في ماله حراما ترك معاملته ورعا وان كان أكثر ماله حراما ففيه نزاع بين العلماء وأما المسلم المستور فلا شبهة في معاملته أصلا ومن ترك معاملته ورعا كان قد ابتدع في الدين بدعة ما أنزل الله بها من سلطان وبهذا يتبين الحكم في سائر الاموال فان هذا الغالط يقول ان هذه الاحكام والالابان التي تؤكل قد تكون في الاصل قد نهيت أو غصبت فيقال المجهول كالمعدوم فاذا لم نعلم ان ذلك في حقنا كأنه لم يكن وهذا لان الله انما حرمه من المعاملات الفاسدة لما فيها من الظلم فان الله تعالى يقول في كتابه العزيز (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز) والغصب وأنواعه والسرقة والحيازة داخل في الظلم واذا كان كذلك فهذا

المظلوم الذي أخذ ماله بغير حق لم يبيع (١) أجره وأخذ منه والمشتري لا يعلم بذلك ثم ينقل من المشتري الى غيره ثم الى غيره ويعلم أن أولئك لم يظلموه وإنما ظالمه من اعندى عليه ولكن لو علم بهم فهل له مطالبتهم بما لم ياتزموا ضمانه على قولين للعلماء أحدهما أنه ليس له ذلك

مثال ذلك ان الظالم اذا أودع ماله عند من لا يعلم أنه غاصب فتلفت الوديعة فهل للمالك أن يطالب المودع على قولين أحدهما أنه ليس له ذلك ولو أطمع المالك لضييف لم يعلم بالظلم ثم علم المالك فهل له مطالبة الضيف على قولين أحدهما ليس له مطالبته ومن قال ان له مطالبته لا يقول انه أكله حرام بل يقول لا إثم عليه في أكله وإنما عليه أداء ثمنه بمنزلة ما اشتراه وصاحب القول الصحيح يقول لا إثم عليه في أكله ولا غرم عليه لصاحبه بحال وإنما الغرم على الغاصب الظالم الذي أخذه منه بغير حق فاذا نظرنا الى مال معين بيد انسان لا يعلم أنه مغصوب ولا مقبوض قبضاً لا يفيد معاملة المالك واستوفيناؤه منه أو استهناؤه منه أو استوفيناؤه عن أجره أو بدل قرض لا إثم علينا في ذلك بالاتفاق وان كان في نفس الامر قد سرقه أو غصبه ثم اذا علمنا فيما بعد انه مسروق فعلى أصح القولين لا يجب علينا الا ما التزمناه بالعقد أى لا يستقر علينا الا ضمان ما التزمناه بالعقد فلا يستقر علينا ضمان ما أهدي أو وهب ولا ضمان أكثر من اليقين وكذلك الاجرة وبدل القرض اذا كنا قد تصرفنا فيها لم يستقر علينا ضمان بدله لكن تنازع الفقهاء هنا في مسألة وهي انه هل للمالك تضمين هذا المغرور الذي تاف المال تحت

يده ثم يرجع الى الغارم بما ضمنه بغيره أم ليس له مطالبة المغرور
الا بما يستقر عليه ضمانه على قولين هما روايتان عن أحمد ومثل هذا
لو نصب رجل جارية فاشتراها منه انسان واستولدها أو وهبه اياها فقد
اتفق الصحابة والائمة على ان ولدها من المغرور يكونون أحرارا لان
الواطيء لا يعلم انها مملوكة لغيره بل اعتقد انها مملوكة مع اتفاقهم ان الولد
يتبع أمه في الحرية والرق ويتبع أباه في النسب والولاء ومع هذا
فجعلوا ابنه حرا لكون الوالد لم يعلم والمجهول كالمردوم وأوجبوا السيد
الجارية بدل الولد لانه كان يستحقه لولا الغرور فاذا خرجوا عن ملكه
بغير حق كان له بدلهم وأوجبوا له مهراة وقالوا في أصح القولين
ان هذا يلزم الغارم الظالم الذي غصب الجارية وباعها لا يلزم المغرور
المشترى الا ما التزمه بالعقد وهو بالثمن فقط ثم هل لصاحبها أن يطالب
المغرور بفداء الولد والمهر ثم يرجع به المغرور على الغارم الظالم أم ليس
له الا مطالبة الغارم الظالم على قولين هما روايتان عن أحمد ولا نزاع
بين الامة ان وطنه ليس بمحرام وان ولده ولد رشده لا ولد عنه فهو
ولد حلال لا ولد زنا وكذلك في سائر هذه الصور لم يتنازعوا انه لا يتم
على الآكل ولا على اللابس ولا على الواطيء الذي لم يعلم وانما تنازعوا
في الضمان لان الضمان من باب العدل الواجب في حقوق الأدييين
وهو يجب في العمد والخطأ (وما كان المؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ
ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبته مؤمنة ودية مسامة الى أهله الا
أن يصدقوا) فتأمل انفس خطأ لا ياتم ولا يفسق بذلك ولكن عليه

الدية وكذلك من أنفب مالا مقصوبا خطأ فمليه بدله ولا اثم عليه
 فقد تبين ان الاثم مننف مع عدم العلم
 وحينئذ فجميع الاموال التي بايدي المسامين واليهود والنصارى
 التي لا يعلم بدلالة ولا امانة أنها مقصوبة أو مقبوضة قبضا لايجوز
 معه معاملة القابض فانه يجوز معامتهم فيها بلاريب ولا تنازع في ذلك
 بين الائمة أعامه

ومعلوم ان غالب أموال الناس كذلك والقبض الذي لايفيد الملك
 هو الظلم المحض فاما المقبوض بعقد فاسد كالربا والميسر ونحوها فهـل
 يفيد الملك على ثلاثة أنواع للفقهاء أحدها أنه يفيد الملك وهو مذهب
 أبى حنيفة والثاني لايفيده وهو مذهب الشافعى وأحمد في الماروف
 من مذهبـه والثالث انه من باب أفاد الملك وان أمكن رده الى مالكة
 ولم يتغير في وصف ولا سعر لم يفد الملك وهو المحكى عن مذهب
 مالك وهذه الامور والقواعد قد بسطانها في غير هذا الجواب وليكن
 نهنا على قواعد شريفة تفتح باب الاشتباه في هذا الاصل الذي هو
 أحد أصول الاسلام كما قال الامام أحمد وغيره ان أصول الاسلام
 تدور على ثلاثة أحاديث قوله الحلال بين والحرام بين وقوله إنما
 الاعمال بالنيات وقوله من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد فان
 الاعمال اما مأمورات واما محظورات والاول فيه ذكر المحظورات
 والمأمورات اما قصد القلب وهو النية وأما العمل الظاهر وهو الم شروع
 الموافق للسنة كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى (ليلوكم أيكم

أحسن عملاً) قال أخضه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخضه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وان كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على السنة

فتبين ان ما ذكره هذا القائل الذي قال اكل الحلال متعذر ولا يمكن وجوده في هذا الزمان قوله خطأ مخالفاً للاجماع بل الحلال هو الغالب على أموال الناس وهو أكثر من الحرام وهذا القول قديقه طائفة من المنفعة المتصوفة وأعرف من قاله من كبار المشايخ بالعراق وامله من أولئك انتقل الى بعض شيوخ مصر ثم الذي قال ذلك لم يرد أن يسد باب الكل بل قال الورع حينئذ لا سبيل اليه ثم ذكر ما يأتي فيما يفعل ويترك لم يحضرني الآن

فليتدبر العاقل وليعلم انه من خرج عن القانون النبوي الشرعي المحمدي الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع سائر الامة وأئمتها احتاج الى أن يضع قانوناً آخر متناقضاً يرد به العقل والدين لكن من كان مجتهداً امتحن بطاعة الله ورسوله فان الله يشيبهه على اجتهاده ويفقر له خطاه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم)

وما ذكره من ان وقعة المنصورة لما تقسم فيها المغانم واختلطت فيها المغانم دخلت الشبهة
الجواب عنه من كلامين* أحدهما ان يقال الذي اختلط باموال

الناس من الحرام المحض كالغصب الذي يغصبه القادرون من الولاة والقطاع أو أهل الفتن وما يدخل في ذلك من الحياطة في المعاملات أكثر من ذلك بكثير لاسيما في هذه البلاد المصرية فانها أكثر من الشام والمغرب ظلما كظلم بعضهم بعضاً في المعاملات بالخيانة والغش ووجد الحق والكثر ما فيها من ظلم قطاع الطريق والفساحين والاعراب ولكثرة ما فيها من الظلم الموضوع من المتولين بغير حق فاحالة التحريم على هذا الامر أولى من احالته على المغنم

الثاني ان تلك المغنم قد ذكرنا مذهب الفقهاء فيها وبيننا ان الصحيح ان الامام اذا اذن في الاخذ من غير قسم جاز وانه اذا لم يجز فمن أخذ مقدار حقه جاز وان أخذ من أحد أكثر من حقه وفقد رده على أصحابه لعدم العلم بهم فانه يتصدق به عنهم وانه لو لم يتصدق به عنهم وتصرف فيه فمضى وصل اليه منه شيء لم يعلم بحالته لم يكن محرماً عليه ولا عايبه فيه اثم وهذا الحكم جار في سائر الغنم المذكورة وتبين بما ذكرناه ان من آجر نفسه أو دوابه أو عقاره أو مائة معلقه وأخذ الثمن والاجرة لم يجرم عايبه سواء علم ذلك الثمن والاجرة حلالاً للمالك أو لم يعلم حاله بان كان مستورا وان علم انه غصب تلك الدراهم أو سرقها أو قبضها بوجه لا يبيح أخذها به لم يجز أخذها عن يده وأجرته مع ان هذا فيه نزاع بين الفقهاء نضيق هذه الورقة عن بسطه

وأما قول القائل الدرهم كيف قبل التغير وصار حراماً بالسبب

الممنوع ولم يقبل التغير فيصير حلالاً بالسبب المشروع
 فيقال له بل قبل التغير فيما حرم لوصفه لا بما حرم لكسبه فالاول
 مثل الخمر فانها لما كانت عصياً لم تصر حلالاً طاهراً فلما تخمر كان
 حراماً نجساً فاذا تحللت بفعل الله من غير قصد لتخليها كانت خل
 خمر حلالاً طاهراً باتفاني العلماء وانما تنازعوا فيما اذا قد تخمرها
 وتنازعوا في سائر النجاسات كالخنزير اذا صار ملحاً والنجاسة اذا
 صارت رماداً فليل لا يطهر كقول الشافعي واحده القولين في مذهب
 مالك وأحمد والثاني مثل المال المغصوب هو حرام لانه قبض بالظلم فاذا
 قبض بحق أبيح مثل أن يأذن فيه المالك للغاصب أو يهبه اياه أو يبيعه
 منه أو يقبضه المالك أو وليه أو وكيله ثم الغاصب اذا أعطاه

لمن لا يعلم انه مغصوب كان قبضه بحق لان الله

لم يكلفه ما لا يعلم وكذلك بين قبضه من

القابض بحق وقد تقدم الكلام

في الضمان والله أعلم

تمت الرسالة الثانية

ويلها الرسالة الثالثة له أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا
هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً
(فصل) في زيارة بيت المقدس ثبت في الصحيحين عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال لا تشد الرحال الا الي ثلاثة مساجد المسجد الحرام
والمسجد الاقصى ومسجدي هذا وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد
وأبي هريرة وقد روي من طرق أخرى وهو حديث مسنق متلقى
بالقبول أجمع أهل العلم على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق واتفق علماء
المسلمين على استحباب السفر الى بيت المقدس للعبادة المتروعة فيه
كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف وقد روي من
حديث رواه الحاكم في صحيحه أن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثاً ملكاً
لا يبنى لاحد من بعده - والله حكيم يوافق حكمه وسأله أنه لا يؤم أحدهما
البيت لا يريد الا الصلاة فيه الاغفر له ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنه
يأتي اليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان لقوله لا يريد
الا الصلاة فيه فان هذا يقتضي اخلاص النية في السفر اليه ولا يأتيه
لغرض دنوى ولا بدعة

وتنازع العلماء فيمن نذر السفر اليه في الصلاة فيه أو الاعتكاف
فيه هل يجب عليه الوفاء بنذره على قولين مشهورين وهما قولان للشافعي

أحدهما يجب الوفاء بهذا النذر وهو قول الاكثرين مثل مالك وأحمد
ابن حنبل وغيرهما واثنان لا يجب وهو قول أبي حنيفة فان من أصله
أنه لا يجب بالنذر الا ما كان من جنسه واجب بالشرع فلهذا يوجب نذر
الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة فان من جنسها واجب بالشرع
وواجب نذر الاعتكاف فان الاعتكاف لا يصح عنده الا بصوم وهو
مذهب مالك وأحمد في أحد الروايتين عنه واما الاكثرون فيحتجون
بما رواه البخارى في صحيحه عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال من نذر أنه يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى
الله فلا يعصه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر لكل من نذر
أن يطيع الله ولم يشترط أن تكون الطاعة من جنس الواجب بالشرع
وهذا القول أصح وهكذا النزاع لو نذر السفر الى مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم مع أنه أفضل من المسجد الاقصى واما لو نذر اتياء
المسجد الحرام لحج أو عمرة وجب عليه الوفاء بنذره باتفاق العلماء
والمسجد الحرام أفضل المساجد ويليه مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم ويليه المسجد الاقصى وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال صلاة في مسجدي هذا خير أمن ألف صلاة فيما سواه
من المساجد الا المسجد الحرام

والذي عليه جمهور العلماء أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل
منها في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي أحمد والنسائي وغيرهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف

صلاة وأما في المسجد الأقصى فقد روى أنها بخمسين صلاة وقيل بخمسة
صلاة وهو أشبه

(ولو نذر السفر الى قبر الحليل عليه السلام) أو قبر النبي صلى
الله عليه وسلم أو الى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام أو الى
جبل حراء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد فيه وجاءه الوحي
فيه أو الغار المذكور في القرآن أو غير ذلك من المقابر والمقامات والمشاهد
المضافة الى بعض الانبياء والمشايخ أو الى بعض المغارات أو الجبال لم يجب
الوفاء بهذا النذر باتفاق الأئمة الأربعة فان السفر الى هذه المواضع منهي
عنه انهي النبي صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد
فاذا كانت المساجد التي هي من بيوت الله التي أمر فيها بالصلوات الخمس
قد نهى عن السفر اليها حتى مسجد قباء الذي يستحب ان كان بالمدينة
أن يذهب اليه لما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأتي قباء كل سبت راكباً ومشياً وروى
الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته
فحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان له كعمرة
قال الترمذي حديث حسن صحيح

فاذا كان مثل هذا ينهي عن السفر اليه وينهي عن السفر الى الطور
المذكور في القرآن وكما ذكر مالك بالمواضع التي لم تبني للصلوات الخمس
بل ينهي عن اتخاذها مساجد فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال في مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا آثار

أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره واكن
 كره أن يتخذ مسجداً وفي صحيح مسلم وغيره عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا
 القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ولهذا لم تكن الصحابة يسافرون
 الي شيء من مشاهد الانبياء لامشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ولا
 غيره والنبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج صلى في بيت المقدس ركعتين
 كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ولم يصل في غيره وأما ما روي به بعض
 الناس من حديث المعراج أنه صلى في المدينة وصلى عند قبر موسى
 عليه السلام وصلى عند قبر الخليل فكل هذه الاحاديث مكذوبة موضوعة
 وقد رخص بعض المتأخرين في السفر الى المشاهد ولم ينقلوا ذلك
 عن أحد من الأئمة ولا احتجوا بحجة شرعية

(فصل والعبادات المشروعة في المسجد الاقصى) هي من جنس
 العبادات المشروعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من سائر
 المساجد الا المسجد الحرام فانه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد
 بالطواف بالكعبة واستلام الركنين اليمانيين وتقبيل الحجر الاسود واما
 مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والمسجد الاقصى وسائر المساجد فليس
 فيها ما يطاف فيه ولا فيها ما يتسبح به ولا ما يقبل فلا يجوز لاحد أن يطوف
 بحجرة النبي صلى الله عليه وسلم ولا بغير ذلك من مقابر الانبياء والصالحين
 ولا بصخرة بيت المقدس ولا بغير هؤلاء كالقبة التي فوق جبل عرفات
 وأمثالها بل ليس في الارض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة

(ومن اعتقد ان الطواف بغيرها) مشروع فهو شر من يعتقد جواز الصلاة الى غير الكعبة فان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة صلى بالمسلمين ثمانية عشر شهراً الى بيت المقدس فكانت قبلة المسلمين هذه المدة ثم ان الله حول القبلة الى الكعبة وأنزل الله في ذلك القرآن كما ذكر في سورة البقرة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون الى الكعبة وصارت هي القبلة وهي قبلة ابراهيم وغيره من الانبياء فمن أخذ الصخرة اليوم قبلة يصلى اليها فهو كافر مرتد يستتاب فان تاب والقتل مع أنها كانت قبلة لكن نسخ ذلك فكيف بمن يتخذها مكاناً يطاف به كما يطاف بالكعبة والطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله وكذلك من قصد أن يسوق اليها غنماً أو بقرأً ليدبحها هناك ويعتقد ان الاضحية فيها أفضل وان يحلق فيها شعره في العيد أو ان يسافر اليها ليعرف بها عشية عرفه فهذه الامور التي يشبه بها بيت المقدس في الوقوف والطواف والذبح والحلق من بدع والضلالات ومن فعل شيئاً من ذلك معتقداً ان هذا قرابة الى الله فانه يستتاب فان تاب والقتل كما لو صلى الى الصخرة معتقداً ان استقبالتها في الصلاة قرابة كاستقبال الكعبة ولهذا بنى عمر بن الخطاب مصلى المسلمين في مقدم المسجد الاقصى

(فان المسجد الاقصى) اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام وقد صار بعض الناس يسمي الاقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب رضى الله عنه في مقدمه والصلاة في هذا المصلى الذي

بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المساجد فان عمر بن الخطاب
 لما فتح بيت المقدس وكان على الصخرة زبالة عظيمة لان النصارى كانوا
 يقصدون اهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون اليها فأمر عمر رضى الله عنه
 بازالة الذبابة عنها وقال لكعب الاحبار أين ترى أن نبي مصلى لمسلمين
 فقال خلف الصخرة فقال يا ابن اليهودية خالطتك يهودية بل ابنة امامها
 فان لنا صدور المساجد ولهذا كان أئمة الامة اذا دخلوا المسجد قصدوا
 الصلاة في المصلى الذى بناه عمر وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه
 صلي في محراب داود وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضى الله عنه
 ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة بل كانت
 مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلى ومعاوية ويزيد وصروان ولكن
 لما تولى ابنه عبد الملك الشام ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة كان الناس
 يحجون فيجتمعون بابن الزبير فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن
 ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف ليرغب
 الناس في زيارة بيت المقدس ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير
 وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم باحسان فلم يكونوا يعظمون
 الصخرة فاما قبة منسوخة كما ان يوم السبت كان عبداً في شريعة موسى
 عليه السلام ثم نسخ في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة
 فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الاحد بعبادة كما تفعل
 اليهود والنصارى وكذلك الصخرة انما يعظمها اليهود وبعض النصارى
 (وما يذكروه بعض الجهال فيها) من ان هناك أثر قدم النبي صلى

الله عليه وسلم وأثر عمامته وغير ذلك فكله كذب وأكذب منه من
يظن أنه موضع قدم الرب وكذلك المكان الذي يذكر أنه مهد عيسى
عليه السلام كذب وإنما كان موضع معمودية النصارى وكذا من زعم
أن هناك الصراط والميزان أو أن السور الذي يضرب به بين الجنة والنار
هو ذلك الحائط المبنى شرقي المسجد وكذلك تعظيم الساسنة أو موضعها
ليس مشروعاً

(فصل) وليس بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوي المسجد
الاقصى لكن إذا زار قبور الموتى وسلم عليهم وترحم عليهم كما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه فحس فان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام عليكم أهل الديار
من المؤمنين والمؤمنات وأنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المتقدمين
مننا ومنكم والمسنأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم
ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم

(فصل) وأما زيارة معابد الكفار مثل الموضع المسمى بالقمامة
أو بيت لحم أو صهيون أو غير ذلك مثل كنائس النصارى فنهى عنها من
زار مكاناً من هذه الامكنة متقدماً أن زيارته مستحبة والعبادة فيه أفضل
من العبادة في بيته فهو ضال خارج عن شريعة الاسلام يستتاب فان
تاب والا قتل وأما إذا أدخلها الانسان لحاجة وعرضت له الصلاة فيها
فللعلماء فيها ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره قيل تكراه الصلاة فيها
مطابقاً واخباره ابن عقيل وهو منقول عن مالك وقيل تباح مطلقاً وقيل

ان كان فيها صور تهني عن الصلاة والا فلا وهذا منصوص عن أحمد وغيره وهو مروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغيره فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تدخل ملائكة بيت فيه صورة ولما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة كان في الكعبة تماثيل فلم يدخل الكعبة حتى محيت تلك الصور والله اعلم

(فصل) وليس بيت المقدس مكانا يسمي حرما ولا بتربة الخليل ولا بغير ذلك من البقاع الاثلاثة أما كن أحدها هو حرم بانفاق المسلمين وهو حرم مكة شرفها الله تعالى والثاني حرم عند جمهور العلماء وهو حرم النبي صلى الله عليه وسلم من غير الى ثور يريد في يريد فان هذا حرم عند جمهور العلماء كلاك والشافعي وأحمد وفيه أحاديث صحيحة مستنبضة عن النبي صلى الله عليه وسلم والثالث وج وهو واد بالطائف فان هذا روى فيه أحاديث رواه أحمد في المسند وليس في الصحاح وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث وليس حرما عند أكثر العلماء وأحمد ضعف الحديث المروى فيه فلم يأخذه وأما ما روى هذه الاماكن الثلاثة فليس حرما عند أحد من علماء المسلمين فان الحرم ما حرم الله صيده ونباته ولم يحرم الله صيدهم كان ونباته خارجا عن هذه الاماكن الثلاثة

(فصل) وأما زيارة بيت المقدس فمشروعة في جميع الاوقات ولكن لا ينبغي أن يولي في الاوقات التي تقصدها الضلال مثل وقت عيد النحر فان كثيرا من الضلال يسافرون اليه ليقفوا هناك والسفر

اليه لاجل التعريف به معتقدا ان هذا قربة محرم بلا ريب وينبغي ان لا يتشبهه
 بهم ولا يكثر سوادهم وليس السفر اليه مع الحج قربة وقول القائل قدس
 الله حجتك قول باطل لا أصل له كما يروى من زارني وزار أبي في عام واحد
 ضمنت له الجنة فان هذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث بل وكذلك كل
 حديث يروى في زيادة قبر النبي صلى الله عليه وسلم فانه ضعيف بل موضوع
 ولم يرواه أهل الصحاح والسنن والمسائيد كما سنه أحمد وغيره من ذلك
 شيئا ولكن الذي في السنن مارواه أبو داود عن النبي صلى الله عليه
 وسلم انه قال مامن رجل يسلم على الأرد الله على روجي حتى أردد
 عليه السلام فهو يرد السلام على من سلم عليه عند قبره ويبلغ سلام
 من سلم عليه من البعيد كما في النساء عنه انه قال ان الله وكل بقبري
 ملائكة يبلغون عن أمي السلام وفي السنن عنه أنه قال أكثروا علي
 من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي قالوا
 كيف صلاتنا تعرض عليك وقد أرميت فقال ان الله قد حرم علي
 الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء فين صلى الله عليه وسلم ان الصلاة
 والسلام توصل اليه من البعيد والله قد أمرنا أن نصلي عليه ونسلم
 وثبت في الصحيح انه قال من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرة
 صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

(فصل) وأما السفر الى عسقلان في هذه الاوقات فليس
 مشروعا ولا واجبا ولا مستحبا ولكن عسقلان كان لسكنائها وقصدها
 فضيلة لما كانت نفرا للمسلمين يقيم بها المرابطون في سبيل الله فانه قد

ثبت في صحيح مسلم عن - إيمان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
رباط يوم وليمة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ومن مات
عرا بطلاً مات مجاهداً وأجزى عليه عمله وأجرى عليه رزقه من الجنة
وأمن الفتان وقال أبو هريرة لأن أرباط في سبيل الله أحب إلي من
أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود وكان أهل الخير والدين
يتصدون ثغور المسلمين للرباط فيها ثغور الشام ككسقلان وعكة
وطرسوس وجبل لبنان وغيرها وثغور مصر كالاسكندرية وغيرها
وثغور العراق كبدان وغيرها فما خرب من هذه البقاع ولم يبق بيوتا
ككسقلان لم يكن ثغورا ولا في السفر إليه فضيلة وليس فيه أحد من الصالحين
المتبعين لشريعة الإسلام ولكن فيه كثير من الجن وهم رجال الغيب
الذين يرون أحيانا في هذه البقاع قال تعالى (وإنه كان رجال من الإنس
يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وكذلك الذين يرون الخضر
أحيانا هو جني رآه وقد رآه غير واحد ممن أعرفه وقال أني الخضر
وكان ذاك جنيا لبس على المسلمين الذين رأوه والافالخضر الذي
كان مع موسى عليه السلام مات ولو كان حيا علي عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم لوجب عليه أن يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ويؤمن به ويجاهد معه فإن الله فرض علي كل نبي أدرك محمدا ولو كان
من الأنبياء أن يؤمنوا به ويجاهدوا معه كما قال الله تعالى (وإذا أخذ
الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلکم اصرى

قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ أَنْ يَبْعَثَ مُحَمَّدًا وَهُوَ حَيٌّ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُمَّتِهِ لَأَنْ يَبْعَثَ مُحَمَّدًا وَهُمْ أَحْيَاءُ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَلِيَنْصُرَنَّهُ وَلَمْ يَذْكُرْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ رَأَى الْخَضِرَ وَلَا أَنَّهُ أَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا أَعْلَمَ وَأَجَلَ قَدْرًا مِنْ أَنْ يَلْتَبَسَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ وَلَكِنْ لَبَسَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارَ يَتَمَثَّلُ لِأَحَدِهِمْ فِي صُورَةِ النَّبِيِّ وَيَقُولُ أَنَا الْخَضِرُ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَرَى مَيْتَهُ خَرَجَ وَجَاءَ إِلَيْهِ وَكَلِمَةٌ فِي أُمُورٍ وَقَضَاءٌ حَوَائِجٌ فَيُظَنُّهُ الْمَيْتَ نَفْسَهُ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ تَصَوَّرَ بِصُورَتِهِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَعِيثُ بِمَخْلُوقٍ أَمَا نَصْرَانِي كَجَرَجِسٍ أَوْ غَيْرِ نَصْرَانِي فَيَرَاهُ قَدْ جَاءَهُ وَرَبَّمَا يَكَلِّمُهُ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ تَصَوَّرَ بِصُورَةِ ذَلِكَ الْمَسْتَعِيثِ بِهِ لَمَّا أَشْرَكَ بِهِ الْمَسْتَعِيثُ تَصَوَّرَ لَهُ كَمَا كَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَدْخُلُ فِي الْأَصْنَامِ وَتَكَلِّمُ النَّاسَ وَمِثْلُ هَذَا موجودٌ كَثِيرٌ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ نَحَمَلُهُ الشَّيَاطِينُ فَتَطِيرُ بِهِ فِي الْهَوَاءِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ وَمِنْهُمْ مَنْ نَحَمَلُهُ إِلَى عِرْفَةِ فَلَا يَجِيحُ حَيْجًا شَرْعِيًّا وَلَا يَحْرَمُ وَلَا يَأْبِي وَلَا يَطُوفُ وَلَا يَسْعَى وَلَكِنْ يَقِفُ بَيْنَابِهِ مَعَ النَّاسِ ثُمَّ يَحْمَلُونَهُ إِلَى بَلَدِهِ وَهَذَا مِنْ تَلْعَبِ الشَّيَاطِينِ بِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ كَمَا قَدْ بَسَطَ الْكَلَامَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى

نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

تمت الرسالة الثالثة

ويلهما الرسالة الرابعة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين في قوله تعالى (انما أمرناشى إذا أردنا أن نقول له كن فيكون) فالكان المخاطب موجود فتحصيل الحاصل محال وان كان معدوما فكيف يتصور خطاب المعدوم

وقوله تعالى (ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فان كانت اللام لصيرورة في عاقبة الامر فما صار ذلك وان كانت اللام للعرض فلزم أن لا يتخلف أحد من المخلوقين عن عبادته وليس كذلك فكيف التخلّص من هذا المضيق

وفيما ورد من الاخبار والآيات بالرضا بقضاء الله تعالى فكراحتها وبغضها كراهة وبغض لقضاء الله تعالى

وفي قوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن في معنى قوله تعالى دعوني أستجب لكم فان كان الدعاء أيضا بما هو كائن فما فائدة الامر به ولا بد من وقوعه

وفي قوله صلوات الله عليه وعلى آله وسلم من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاختلف المفسرين في آية واحدة ان كان بالرأى فكيف النجاة وان لم يكن بالرأى فكيف وقع الاختلاف والحق لا يكون في طرفي نقيض افنونا مأجورين أنا بكم الجنة

قال شيخ الاسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

الحمد لله رب العالمين * أما المسئلة الاولى فهي مبنية على أصلين

أحدهما الفرق بين خطاب النكوتين الذي لا يطلب به سبحانه فعلا من المخاطب بل هو الذي يكون المخاطب به ويخلقه بدون فعل من المخاطب أو قدرة أو ارادة أو وجود له وبين خطاب التكليف الذي يطلب به من المأمور فعلا أو تركا يفعله بقدرة و ارادة وان كان ذلك جحيمه بحول الله وقوته اذ لا حول ولا قوة الا بالله وهذا الخطاب قد تنازع فيه الناس هل يصح أن يخاطب به المعدوم بشرط وجوده أم لا يصح أن يخاطب به الا بعد وجوده لانزاع بينهم انه لا يتعلق به حكم الخطاب الا بعد وجوده وكذلك تنازعوا في الاول هل هو خطاب حقيقي أم هو عبارة عن الاقتدار وسرعة التكوين بالقدرة والاول هو المشهور عند المنتسبين الى السنة والاصل اثنائي ان المعدوم في حال عدمه هل هو شيء أم لا فانه قد ذهب طوائف من متكلمة المعتزلة والشيعة الى انه شيء في الخارج وذات وعين وزعموا ان الماهيات غير مجعولة ولا مخلوقة وان وجودها زائد على حقيقتها وكذلك ذهب الى هذا طوائف من المتفلسفة والاشعريين وغيرهم من الملاحدة والذي عاينه جماهير الناس وهو قول متكلمة أهل الاثبات والمنتسبين الى السنة والجماعة انه في الخارج عن الذهن قبل وجوده ليس بشيء أصلا ولا ذات ولا عين وانه ليس في الخارج شيئا أحدهما حقيقة والآخر وجود الزائد على حقيقته فان الله أبدع الذوات التي هي الماهيات فكل ما سواه سبحانه فهو مخلوق ومحمول ومبدع ومبدوله سبحانه وتعالى لكن في هؤلاء من يقول المعدوم ليس بشيء أصلا وانما سمي شيئا باعتبار ثبوته في العلم كان مجازا

ومنه من يقول لارباب ان له ثبوتاً في العلم ووجوداً فيه فهو باعتبار هذا الثبوت والوجود هو شيء وذات وهؤلاء لا يفرقون بين الوجود والثبوت كما فرق من قال المعدم شيء ولا يفرقون في كون المعدم ايس شيء بين الممكن والممتنع كما فرق أولئك اذ قد تفقوا على أن الممتنع ليس بشيء وانما النزاع في الممكن وعمدة من جعله شيئاً انما هو لانه ثابت في العلم وباعتبار ذلك صح ان يخص بالقصد والخلق والحير عنه والامر به وانهى عنه وغير ذلك قالوا وهذه التخصيصات تمتنع أن تتعاقب بالعدم والمحض فان خص الفرق بين الوجود الذي هو الثبوت العيني وبين الوجود الذي هو الثبوت العلمي زالت الشبهة في هذا الباب وقوله تعالي انما امرنا شيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وذلك الشيء هو معلوم قبل ابداءه وقبل توجيه هذا الخطاب إليه وبذلك كان قد درامقضية فان الله سبحانه وتعالى يقول ويكتب من ما يعلمه ماشاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وفي صحيح البخارى عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله ولم يكن شيء معه وكان صرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفي سنن أبي داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله القلم فقال لها كتب فقال ما كتب قال ما هو كائن الى يوم القيامة الى أمثال ذلك من النصوص

التي تبين ان المخلوق قبل أن يخلق كان معلوما مخبرا عنه مكتوبا فهمي
 نبي باعتبار وجوده العلمى الكلامى الكتابى وان كانت حقيقته التي
 هي وجوده العيني ليس ثابتا في الخارج بل هو عدم محض ونفى صرف
 وهذه المراتب الاربعة المشهورة موجودات وقد ذكرها الله سبحانه
 في اول سورة انزلها على نبيه في قوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق
 الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم
 يعلم) وقد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضوع واذا كان كذلك
 كان الخطاب موجها الى من توجهت اليه الارادة وتعلقت به القدرة
 وخلق وكون كما قال (انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون)
 فالذي يقال له كن هو الذي يراد وهو حين يراد قبل أن يخلق له ثبوت
 وتميز في العلم والتقدير ولولا ذلك لما تميز المراد المخلوق من غيره وبهذا
 يحصل الجواب عن "تقسيم" فان قول السائل ان كان المخاطب موجودا
 فتحصيل الحاصل محال * يقال له هذا اذا كان موجودا في الخارج وجوده
 الذي هو وجوده ولا ريب ان المدوم ليس موجودا ولا هو في نفسه
 ثابت واما ما علم وأريد وكان شيئا في العلم والارادة و"تقدير فليس
 وجوده في الخارج محالا بل جميع المخلوقات لا توجد الا بعد وجودها
 في العلم والارادة وهو قول السائل ان كان ممدوما فكيف يتصور خطاب
 المدوم ويقال له اما اذا قصد أن يخاطب المدوم في الخطاب بخطاب
 ينهمه ويمثله فهذا محال اذ من شرط المخاطب أن يتمكن من الفهم
 والفعل والمدوم لا يتصور أن يفهم ويفعل فيمتنع خطاب التكلب

له حال عدمه بمعنى انه يطلب منه حين عدمه أن يفهم ويفعل وكذلك أيضا يتمتع أن يخاطب المعدم في الخارج خطاب تكويني بمعنى أن يتمتع أنه شيء ثابت في الخارج وانه يخاطب بان يكون وأما الشيء المعلوم المذكور المكتوب اذا كان توجيهه خطاب التكوين اليه مثل توجيهه الارادة اليه فليس ذلك محال بل هو امر يمكن بل مثل ذلك يجده الانسان في نفسه فيقدر أمرا في نفسه يريد أن يفعله ويوجه ارادته وطلبه الى ذلك المراد المطلوب الذي قدره في نفسه ويكون حصول المراد المطلوب بحسب قدرته فان كان قادرا على حصوله حصل مع الارادة والطلب الجازم وان كان عاجزا لم يحصل وقد يقول الانسان ليكن كذا ونحو ذلك من صيغ الطلب فيكون المطلوب بحسب قدرته عليه والله سبحانه على كل شيء قدير وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فان أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون

(فصل) وأما المسئلة الثانية فقول السائل قوله تعالى (وما خلقت

الجن والانس الا ليعبدون) ان كانت هذه اللام للصبرورة في عاقبة الامر فما صار ذلك وان كانت اللام للعرض لزم أن لا يخاف أحد من المخلوقين عن عبادته وليس الامر كذلك فما التلخص من هذا المضيقي

فيقال هذه اللام ليست هي اللام التي يسميها النحاة لام العاقبة والصبرورة ولم يقل ذلك أحد هنا كما ذكره السائل من أن ذلك لم يصر الا على قول من يفسره ويعبدون بمعنى يعرفون يعني الامر فالتى أمر بها المؤمن والكافر لكن هذا قول ضعيف وانما زعم بعض الناس

ذلك كله قوله (ولذلك خاتمهم) التي في آخر سورة هود فان بعض
 القدرية زعم ان تلك اللام لام العاقبة والصيرورة أى صارت عاقبتهم
 الي الرحمة والى الاختلاف وان لم يقصد ذلك الخلق وجعلوا ذلك
 كقوله (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وقول الشاعر
 لدواللموت وابنوا للخراب

وهذا ايضا يف هذا الارلام العاقبة انما تجيء في حق من لا يكون عالما
 بعواقب الامور ومصايرها فيفضل الفعل الذي له عاقبة لا يمامها كآل فرعون
 فاما من يكون عالما بعواقب الافعال ومصايرها فلا يتصور منهم أن يفعل
 فعلا له عاقبة لا يعلم عاقبته واذا علم أن فعله له عاقبة فلا يقصد بفعله ما يعلم
 انه لا يكون فان ذلك تمفي وليس بارادة

وأما اللام فهي اللام المعرونة وهي لام كي ولام التعليل التي اذا
 حذف انتصب المصدر المجرور بها على المفعول له وتسمى العلة الغائية
 وهي متقدمة في العلم والارادة متأخرة في الوجود والحصول وهذه
 العلة هي المراد المطلوب المقصود من الفعل لكن ينبغي أن يعرف ان
 الارادة في كتاب الله على نوعين

أحدهما الارادة الكونية وهي الارادة المستلزمة لوقوع المراد
 التي يقال فيها شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهذه الارادة في مثل
 قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن
 يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) وقوله (ولا ينفعكم نصحي ان أردت
 أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) وقال تعالى (ولو شاء

الله ما اقتتلوا ولكن الله يقبل ما يريد) وقال تعالى (ولو لا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لاقوة الا بالله) وأمثال ذلك وهذه الارادة في مدلول اللام في قوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خاقهم) قال الساف خلق فريقا الاختلاف وفريقا للرحمة ولما كانت الرحمة هنا الارادة وهناك كونية وقع المراد بها فقوم اختلفوا وقوم رحوا

وأما النوع الثاني فهو الارادة الدينية الشرعية وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وفي قوله تعالى (ما يريد الله ليجمل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) وقوله (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم) والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) فهذه الارادة لا تستلزم وقوع المراد الا أن يتعلق به لنوع الاول من الارادة ولهذا كانت الاقسام أربعة

أحدها ما تعلقت به الارادتان وهو ما وقع في الوجود من الاعمال الصالحة فان الله أرادته ارادة دين وشرع فامر به وأحبه ورضيه وأرادته ارادة كون فوقه ولو لا ذلك لما كان

والثاني ما تعلقت به الارادة الدينية فقط وهو ما أمر الله به من الاعمال الصالحة فمضى ذلك الامر الكفار والفجار فملك ككها ارادة

دين وهو بحبها ورضاها لو وقعت ولو لم تقع

والثالث ما تعلقت به الارادة الكونية فقط وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي فانه لم يأمر بها ولم يرخصها ولم يجبرها اذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولولا مشيئته وقدرته وخلقته لما كانت ولما وجدت فانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

ولرابع ما لم تتعلق به هذه الارادة ولا هذه فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي واذا كان كذلك فمقتضى الام في قوله (وما خالقت الجن والانس الا ليعبدون) هذه الارادة الدينية الشرعية وهذه تدبغ مرادها وقد لا يقع والمعنى ان الغاية التي تجب لهم وترضى لهم والتي أمروا بفعالها هي العبادة فهو العمل الذي خلق العباد له أى هو الذى يحصل كمالهم وصلاحهم الذى به يكونون مرضيين محبوبين فمن لم تحصل منه هذه الغاية كان عادما لما يحب ويرضى ويرادله الارادة الدينية التي فيها سعادته ونجاته وعادما اكماله وصلاحه العدم المستلزم فساده وعذابه وقول من قال العبادة هي العزيمة القطرية فقولان ضـ ميفان فـ امدان يظهر فسادها من وجوه متعددة

(فصل) وأما المسئلة الثالثة فقوله فيما ورد من الاخبار والآيات

في الرضا بقضاء الله فان كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وقدح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها وبنقضها كراهة وبنقض لقضاء الله تعالى

فيقال ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله آية ولا حديث يأمر

العباد أن يرضوا بكل مقضى مقدر من أفعال العباد - منها وسيئها فهذا أصل يجب أن يعتق ولكن على الناس أن يرضوا بما أمر الله به فليس لاحد أن يسخط ما أمر الله به قال تعالى افلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما سخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقال (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله برسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) وذكر الرسول هنا يبين ان الاتياء هو الاتياء الديني الشرعي لا الكوني القدرى وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً ويزنى للان ان يرضى بما يقدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوباً مثل ان يبتليه بفقر أو مرض أو ذل وأذى الخاق له فان الصبر على المصائب واجب وأما الرضا بها فهو مشروع لكن هل هو واجب أو مستحب على قولين لاصحاب أحمد وغيرهم أحدهما انه مستحب ايسر واجب ومن المعلوم ان أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وقد أمرنا الله ان نأمر بالمعروف ونحببه ونرضاه ونحب أهله ونهني عن المنكر ونبغضه ونسخطه ونبغض أهله ونجاهدهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا فكيف نتوهم انه ليس في الخلوقات ما نبغضه ونكرهه وقد قل تعالى لما ذكر ما ذكر من المنهيات كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها فاذا كان الله يكرهها وهو المقدر لها فكيف لا يكرهها من أمر الله أن يكرهها ويبغضها وهو القائل وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان

أولئك هم الراشدون وقال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخبط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم) وقد قال تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقال تعالى (وغضب الله عليهم ولعنهم) وقال تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول) فأخبر أن من القول الواقع ما لا يرضاه وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وقال (ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال (وان تشكروا يرضه لكم) فبين أنه يرضى الدين الذي أمر به فهو كان يرضى كل شيء ما كان له خصيصة وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته وقال ان الله يغار المؤمن يغار وغيره الله أن يأتي العبد ما حرم عليه ولا بد من الغيرة من كراهة ما يغار منه وبغضه وهذا باب واسع

(فصل) وأما المسئلة الرابعة فقوله اذا جف القلم بما هو كائن فما معنى قوله ادعوني أستجب لكم وان كان الدعاء أيضا مما هو كائن فما فائدة الامر به ولا بد من وقوعه

فيقال الدعاء في اقتضائه الاجابة كسائر الاعمال الصالحة في اقتضاءها الانابة وكسائر الاسباب في اقتضاءها المسببات ومن قال ان الدعاء علامة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسئول ليس بسبب أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجودا ولا عدما بل ما يحصل بالدعاء يحصل بدونها فهما قولان ضعيفان فان الله علق الاجابة به تعاقب المسبب

بالسبب فقوله وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه بها احدى خصال ثلاث اما ان يعجل له دعوته واما ان يدخر له من الخير مثلها واما ان يصرف عنه من الشر مثلها قالوا يارسول الله اذا نكثرت قال الله أكثر فعلق العطايا بالدعاء تعلق الوعد والجزاء بالعمل المأمور به وقال عمر بن الخطاب اني لأحملهم الاجابة وانما أحملهم الدعاء فاذا ألهمت الدعاء فان الاجابة معه وأمثال ذلك كثير وأيضاً فالواقع المشهود يدل على ذلك وبينه كما يدل على ذلك مثله في سائر الاسباب وقد أخبر سبحانه من ذلك ما أخبر به في مثل قوله (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) وقوله تعالى (وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا أنت - سبحانه اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نجى المؤمنين) وقوله (امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويحيى الاموات) وقوله تعالى (وقال تعالى الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصبحنا له زوجة) وقال تعالى (فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاههم الى البر اذا هم يشركون) وقال تعالى (ومن آياته الجوار فى البحر كالاتام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) فأخبر أنه ان شاء أو ببقهن فاجتمع أخذهم بذنوبهم

وعفوه عن كثير منها مع علم المجادلين في آياته انه ما لهم من محيص لانه في مثل هذا الحال يعلم المورد للشبهات في الدلائل الدالة على ربوبية الرب وقدرته ومشيئته ورحمته انه لا يخاص له مما وقع فيه كقوله في الآية الاخرى (وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال) فان المعارف التي تحصل في النفس بالاسباب الاضطرارية أثبت وأرسخ من المعارف التي ينتجها مجرد النظر اقياسي ينزاح عن النفوس في مثل هذه الحال هل الرب موجب في ذاته فلا يكون هو المحدث للحوادث ابتداء ولا يمكنه أن يحدث شيئاً ولا يغير العالم حتى يدعى ويسأل وهل هو عالم بالتفصيل والاجمال وقادر على تصرف الاحوال حتى يسأل التحويل من حال الي حال ليس كذلك كما يزعمه من يزعمه من المتفلسفة وغيرهم من الضلال فيجتمع مع العقوبة والعفو من ذى الجلال علم أهل المرء والجدال أنه لا محيص لهم عما أوقع بينهم من جادلوا في آياته وهو شديد المحال وقد تكلمنا على هذا وأشباهه وما يتعلق به من المقالات والديانات في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن يعلم أن الدعاء والسؤال هو سبب لنيل المطلوب المسؤل ليس وجوده كعدمه في ذلك ولا هو علامة محضة كما دل عليه الكتاب والسنة وان كان قد نازع في ذلك طوائف من أهل القبلة وغيرهم مع أن ذلك يقر به جماهير بنى آدم من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين لكن طوائف من المشركين والصابئين من المتفلسفة المشائين أتباع ارسطو ومن تبعه من متفلسفة أهل الملل

كالفارابي وابن سينا ومن سلك بهما معن خلط ذلك بالكلام والنصوف
والفقه ونحو هؤلاء يزعمون ان تأثير الدعاء في نيل المطلوب كما يزعمونه
في تأثير سائر الممكنات المخلوقات من القوى الفلكية والطبيعية والقوى
النفسانية والعقلية فيجعلون ما يترتب على الدعاء هو من تأثير النفوس
البشرية من غير ان يثبتوا للخالق سبحانه بذلك علماً مفصلاً أو قدرة
على تغيير العالم أو ان يثبتوا أنه لو شاء أن يفعل غير ما فعل لا يمكنه
ذلك فليس هو عندهم قادراً على أن يجمع عظام الانسان ويسوي بنانه
وهو سبحانه هو الخالق لها ولقواها فلا حول ولا قوة الا بالله

وأما قوله وان كان الدعاء مما هو كائن فمافائدة الامر به ولا بدم وقوعه
فيقال الدعاء المأمور به لا يجب كوننا بل اذا أمر الله العباد بالدعاء فمنهم
من يطيعه فيستجاب له دعاؤه وينال طلبه ويدل ذلك على أن المعلوم
المقدور هو الدعاء والاجابة ومنهم من يعصيه فلا يدعو فلا يحصل
معاق بالدعاء فيدل ذلك على أنه ليس في المعلوم المقدور الدعاء ولا
الاجابة فالدعاء الكائن هو الذي تقدم العلم بأنه كائن لا يكون فان قيل فما
فائدة الامر فيما علم أنه يكون من الدعاء قيل الامر هو سبب أيضاً في
امتثال المأمور به كسائر الاسباب فالدعاء سبب يدفع البلاء فاذا كان
أقوى منه دفعه وان كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه لكن يخففه
ويضعفه ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار
والصدقة والعق

(فصل) وأما المسئلة الخامسة في قوله صلى الله عليه وسلم من

فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاختلف المفسرين في آية واحدة ان كان بالرأى فكيف النجاة وان لم يكن بالرأى فكيف وقع الاختلاف والحق لا يكون في طرفي نقيض

فيقال ينبغي أن يعلم ان الاختلاف الواقع من المفسرين وغيرهم على وجهين أحدهما ليس فيه تضاد وتناقض بل يمكن أن يكون كل منهما حقاً وانما هو اختلاف تنوع أو اختلاف في الصنات أو العبادات وعامة الاختلاف الثابت عن مفسري السلف من الصحابة والتابعين هو من هذا الباب فان الله سبحانه اذا ذكر في القرآن اسماً مثل قوله (اهدنا الصراط المستقيم) في كل من المفسرين يبر عن الصراط المستقيم بعبارة يدل بها على بعض صفاته وكل ذلك حق بمنزلة ما يسمي الله ورسوله وكتابه بأسماء كل اسم منها يدل على صفة من صفاته فيقول بعضهم الصراط المستقيم كتاب الله أو اتباع كتاب الله ويقول الآخر الصراط المستقيم هو الاسلام أو دين الاسلام ويقول الآخر الصراط المستقيم هو السنة والجماعة ويقول الآخر الصراط المستقيم طريق اليهودية أو طريق الخوف والرضاء والحب وامتثال الأمور واجتناب المحظور أو متابعة الكتاب والسنة أو العمل بطاعة الله أو نحو هذه الاسماء والعبارات ومعلوم ان المسمى هو واحد وان تنوعت صفاته وتمددت أسماؤه وعباراته كما اذا قيل محمد وأحمد وهو الحائض وهو الماحي وهو العاقب وهو خاتم المرسلين وهو نبي الرحمة وهو نبي الملحمة وكذلك اذا قيل القرآن هو الفرقان والنور والشفاء والذكر الحكيم والكتاب الذي

أحكمت آياته ثم فصلت وكذلك أسماء الله الحسنى هو الاول والآخر
والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم وهو الذى خالق فسوى والذى
قدر فهمدى والذى أخرج المرعى فجعله غنماً أحوى وهو الذى لا اله الا
الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا
هو الملك لقدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر هو الله
الخالق البارئ المصور وأمثال ذلك فهو سبحانه واحد صمد وأسمائه
الحسنى تدل كلها على ذاته ويدل هذا من صفاته على ما لا يدل عليه
الآخر فهى متفقة في الدلالة على الذات متنوعة في دلالة على الصفات
فالاسم يدل على الذات والصفة المعينة بالمطابقة وبدل على أحدهما بطريق
النضمن وكل اسم يدل على الصفة التى دل عليها بالالتزام لانه يدل على
الذات المتسكنى به جميع الصفات فكثير من التفسير والترجمة تكون
من هذا الوجه

ومنه قسم آخر وهو أن يذكر المفسر والمترجم معنى اللفظ على
سبيل التعيين والتتميل لا على سبيل الجدل والحصر مثل أن يقول قائل
من العجب ما معنى الحبز فيشار له الى رغيف وليس المقصود مجرد عينه
وانما الاشارة الى تعيين هذا الشخص وهذا كما اذا سئلوا عن قوله
(فهم ظالم لنفسه) ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) أو عن قوله (ان
الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أو عن الصالحين أو الظالمين
ونحو ذلك من الاسماء الجامعة التى قد يتعسر أو يتعذر على
المستمع أو المتكلم ضبط مجموع معناه اذا لا يكون محتاجا الى ذلك فيذكر

له من أنواعه وأخصاصه فيحصل به فرضه وقد يستدل به على نظائره فان الظالم لنفسه هو تارك المأمور فاعل المحذور والمقتصد هو فاعل الواجب وتارك المحرم وتارك المحرم والمكروه فيقول المجيب بحسب حاجة السائل الظالم الذي ينوت الصلاة أو الذي لا يسبغ الوضوء أو الذي لا يتم الأركان ونحو ذلك والمقتصد الذي يصلى في الوقت كما أمر ولسابق بالخيرات الذي يصلى الصلاة بواجباتها ومستحباتها ويأتى بالنوافل المستحبة معها وكذلك يقول مثل هذا في الزكاة والصوم والحج وسائر الواجبات وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال التفسير على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يمدح أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله فمن ادعى علمه فهو كاذب والصحابة أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه كما أخذوا عنه السنة وان كان من الناس من غير السنة فمن الناس من غير بعض معانى القرآن اذ لم يتمكن من تغيير لفظه وأيضا فقد يخفى على بعض العلماء بعض معانى القرآن كما خفى عليه بعض السنة فيقع خطأ المجتهدين من هذا الباب والله أعلم

تمت الرسالة الرابعة

ويبلغها الرسالة الخامسة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام حـ سنة الايام اُوحِدَ المجتهدين قَامِعِ المبتدئين
 اتى الدين أحمد بن عيد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي رضى الله
 عنه * عن قوم يحتجون بالقدر ويقولون قد قضى الامر من الذر فالسعيد
 سعيد والشقي شقي من الذر ويحتجون بقوله تعالى (ان الذين سبقت لهم
 منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) ويقولون مالنا في جميع الانعالم قدرة
 وانما القدرة لله تعالى قدر الخير والشر وكتبه علينا والمراد بيان خطأ
 هؤلاء بالادلة القاطعة ويقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة
 ويحتجون بالحديث الذى فيه قوله صلى الله عليه وسلم وان زنا وان سرق
 وبغير ذلك فما الجواب عن هذا جميعه أفتونا مأجورين

فاجاب نعمنا الله بعلمه * الحمد لله رب العالمين * هؤلاء القوم اذا صبروا
 على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى فان النصرى
 واليهود يؤمنون بالامر والنهي والوعد والوعيد والثواب والعقاب لكن
 حرفوا وبدلوا وآمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال تعالى (ان الذين
 يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن
 ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم
 الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا) والذين آمنوا بالله ورسله
 ولم يفرقوا بين أحد منهم أو أئمة سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله
 غفورا رحیما) فاذا كان من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كافر حقا
 فكيف بمن كفر بالجميع ومن لم يقر بامر الله ونهيه ووعدته وعيده

بل ترك ذلك محتجاً بالقدر فهو أكفر من آمن ببعض وكفر ببعض
وقول هؤلاء يظهر بطلانه من وجوه

أحدها ان الواحد من هؤلاء اما ان يرى القدر حجة للعبد واما
أن لا يراه حجة للعبد فان كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس
فإنهم كلهم مشتركون في القدر وحينئذ يلزمه أن لا ينكر على من يظلمه
ويشتهه وبأخذ ماله ويفسد حريمه ويضرب عنقه ويهلك الحرث والنسل
وهؤلاء جميعهم كذابون متناقضون فان أحدهم لا يزال يذم هذا ويبغض
هذا ويخالف هذا حتى ان الذي ينكر عليهم يبغضونه ويعادونه
وينكرون عليه فاذا كان القدر حجة ان فعل المحرمات وترك الواجبات
لزمهم أن لا يدموا أحداً ولا يبنضوا أحداً ولا يقولوا عن أحد انه
ظالم ولو فعل ما فعل ومعلوم ان هذا لا يمكن أحداً فماله ولو فعل الناس
هذا هلك العالم فتبين ان توهم فاسد في العقل كما انه كفر في الشرع
وانهم كذابون مفترون في قولهم ان القدر حجة للعبد

الوجه الثاني ان هذا يلزم منه أن يكون ابليس وفرعون وقوم
نوح وقوم هود وكل من أهلكه الله بذنوبه معذورين وهذا من الكفر
الذي اتفق عليه أرباب الملل

الوجه الثالث ان هذا يلزم منه أن لا يفرق بين أولياء الله وأعداء
الله ولا بين المؤمنين والكفار ولا أهل الجنة وأهل النار وقد قال
تعالى (وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات) وقال تعالى (أم نجعل

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كلنفسين في الارض أم نجعل المتقين
 كالفجار) وقال تعالى (أم حسب الذين اجترحووا السيئات أن نجعلهم
 كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)
 وذلك ان هؤلاء جميعهم سبقت لهم من الله تعالى السوابق وكتب الله
 تعالى مقاديرهم قبل أن يخلقهم وهم مع هذا قد انقسموا الى سعيد
 بالايان والعمل الصالح والى شقي بالكفر والفسوق والعصيان فعلم بذلك
 ان القضاء والقدر ليس بحجة لاحد على معاصي الله تعالى

الوجه الرابع ان القدر تؤمن به ولا نحتج به فمن احتج بالقدر
 فحجته داحضة ومن اعتذر بالقدر فعدوه غير مقبول ولو كان الاحتجاج
 بالقدر مقبول لقبول من ابليس وغيره من العصاة ولو كان القدر حجة
 لا يباد لم يعذب الله أحدا من الخلق لافي الدنيا ولا في الآخرة ولو كان
 القدر حجة لم يقطع سارق ولا قتل قاتل ولا أقيم حد على ذى جريمة
 ولا جوهد في سبيل الله ولا أمر بمبروف ولا نهى عن منكر

الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن هذا فانه
 قال ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة
 فقيل يا رسول الله أفلا ندع العمل وتشكل على الكتاب فقال لا تعملوا
 فكل ميسر لما خاق له رواه البخارى ومسلم وفي حديث آخر في
 الصحيح انه قيل له يا رسول الله أرايت ما يعمل الناس فيه ويكدحون
 أفيا جفت به الاقلام وطويت به الصحف فقيل فقيم العمل (١) فقال اعملوا
 فكل ميسر لما خاق له (١) هذه الرواية لم تعلم فلتجرر

الوجه السادس أن يقال ان الله تعالى علم الامور وكتبها على ما هي عاينه فهو سبحانه قد كتب ان فلانا يؤمن ويعمل صالحا فيدخل الجنة وفلانا يفسق ويمسى فيدخل النار كما علم وكتب ان فلانا يتزوج امرأة ويطؤها فيأتيه ولد وان فلانا يأكل ويشرب فيشبع ويروي وان فلانا يبذر البذر فينبت الزرع فمن قال ان كنت من أهل الجنة فانا أدخلها ملا عمل صالح كان قوله قولاً باطلاً مناقضاً لما علمه الله وقدره ومثل من يقول أنا لأطأ امرأة فان كان الله قضي لي بولد فهو بولد فهذا جاهل فان الله تعالى اذا قضى بالولد قضى ان أباه يطاء امرأة فتجبل وتلد فاما الولد بلا حبل ولا وطاء فان الله لم يقدره ولم يكتبه كذلك الجنة انما أعدها الله تعالى للمؤمنين فمن ظن انه يدخل الجنة بلا ايمان كان ظنه باطلاً واذا اعتقد ان الاعمال التي أمر الله بها لا يحتاج اليها ولا فرق بين أن يعملها أو لا يعملها كان كافراً والله قد حرم الجنة الاعلى أصحابها

(فصل) وأما قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الآية فمن سبقت له من الله الحسنى فلا بد أن يصير مؤمناً تقياً فمن لم يكن من المؤمنين لم تسبق له من الله الحسنى لكن الله اذا سبقت للعبد منه سابقة استعمله بالعمل الذي يصل به الى تلك السابقة كن سبق له من الله تعالى أن يولد له ولد فلا بد أن يطاء امرأة يجلبها فان الله سبحانه وتعالى قدر الاسباب والمسببات فسبق منه هذا وهذا فمن ظن ان أحداً سبق له من الله الحسنى بلا سبب فقد ضل بل هو سبحانه ميسر

الاسباب والمسببات وهو قد قدر فيما مضى هذا وهذا

(فصل) ومن قال ان آدم عليه الصلاة والسلام ما عصى فهو مكذب للقرآن بابتتاب فان تاب والا قتل فان الله تعالى (قال وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبر به فاناب عليه وهدى) والمعصية هي مخالفة الامر الشرعى فمن خالف امر الله الذى أرسل فيه رسله وأنزل به كتبه فقد عصاه وان كان داخلاً فيما قدره الله وقضاه وهؤلاء ظنوا ان المعصية هي الخروج عن قدر الله فان لم تكن المعصية الا هذا فلا يكون ابليس وفرعون وقوم نوح وقوم عاد وثمود وجميع الكفار عصاة أيضاً لانهم داخلون في قدر الله تعالى ثم قائل هذا يضرب ويهان فاذا تظلم ممن فعل ذلك به قيل له هذا الذى فعل هذا ليس هو بعاص لله تعالى فانه داخل في قدر الله عز وجل كسائر الخلق وقائل هذا القول متناقض لا يثبت على حال (فصل) وأما قول القائل مالنا في جميع أفعالنا قدرة فقد كذب فان الله تعالى فرق بين المستطيع القادر وغير المستطيع وقال (فتقوا الله ما استطعتم) وقال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً) وقال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد توة ضعفاً وشيبة) والله تعالى قد أنبت للعبد مشيئة وفعلاً كما قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) وقال تعالى (جزاء بما كنتم تعملون) لكن الله سبحانه خلقه وخالق كل ما فيه من قدرة ومشيئة وعمل فانه لا رب غيره ولا اله سواه وهو خالق كل شئ وربّه ومليكه

(فصل) وأما قول القائل الزنا من المعاصي مكتوب فهو كلام صحيح لكن هذا لا ينفعه الاحتجاج به فان الله تعالى كتب أفعال العباد خيرا وشرا وكتب ما يصرون اليه من السعادة والشقاوة وجعل الاعمال سبباً للنواب والعقاب وكتب ذلك كما كتب الامراض وجعلها سبباً للمرض والموت فنأكل السم فانه يمرض أو يموت والله تعالى تدر وكتب هـذا وهـذا كذلك من فعل ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان فانه فعل ما كتب عليه وهو مستحق لما كتبه الله من الجزاء لمن عمل ذلك وحجة هؤلاء بالقدر على المعاصي من جنس حجة المشركين الذين قال الله تعالى عنهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ونحن لا أبأؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم) وقال تعالى (سيقول الذين أنكروا ما أنكرنا ولا أبأؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذقوا بأسنا نأتل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تبءون الا الظن وان أتم الا تخرصون قل فتمه الحجة البالغة فلو شاء هداكم أجمعين)

(فصل) وأما قول القائل من قال لا اله الا الله دخل الجنة واحتججه بالحديث المذكور فيقال لا ريب ان الكتاب والسنة فهما وعد ووعد وقد قال تعالى (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظالماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواناً وظالماً فسوف نصليه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً) ومثل هذا كثير في

الكتاب والسنة والعبودية أن يصدق بهذا وهذا لا يؤمن ببعض ويكفر
ببعض فهؤلاء انشركية أرادوا أن يصدقوا بالوعد ويكذبوا بالوعد
والحرورية والمعتزلة أرادوا أن يصدقوا بالوعد دون الوعد وكلاهما خطأ
والذي عليه أهل السنة والجماعة الايمان بالوعد والوعد وكما ان ماتوعد
الله به العبد من العقاب قد بين سبب جحانه انه مشروط بأن لا يتوب فان
تاب تاب الله عليه وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنوبه فان الحسنات
يذهبن السيئات وبأن لا يشاء الله أن يغفر له فان الله لا يغفر أن يشرك
به ويفر مادون ذلك لمن يشاء فهكذا الوعد له تفسير وبيان فمن قال
بلسانه لا اله الا الله وكذب الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر باتفاق
المسلمين وكذلك ان جحد شيئاً مما أنزل الله تعالى فلا بد من الايمان
بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ان كان من أهل الكتاب
فأمره الى الله تعالى ان شاء غفر له وان شاء عذبه وان ارتد عن
الاسلام ومات مرتداً كان في النار فالسيئات تحبطها التوبة والحسنات
تحبطها الردة ومن كان له حسنات وسيئات فان الله تعالى لا يظلمه بل
من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره والله
تعالى يتفضل عليه ويحسن اليه بمغفرته ورحمته ومن مات على الايمان
فانه لا ينجس في النار فالزاني والسارق لا ينجس في النار بل لا بد أن يدخل
الجنة فالتار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهؤلاء
المؤول عنهم يسمون القدرية المباحية انشركية وقد جاء في ذمهم

من الآثار ما يضيّق عنه هذا الجواب

تمت لرسالة الخامسة وبابها السادسة له أيضاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الامام أبو العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا
هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً

(فصل) في قوله صلى الله عليه وسلم فخج آدم موسى لما احتج
عاهه بالقدر وبين ذلك في المصائب لافي الذنوب وان الله أمر بالصبر
والتقوى فهذا في الصبر لافي التقوى وقال (فاصبر ان وعد الله حق
واستغفر لذنبك) فأمر بالصبر على المصائب والاستغفار من المعائب وذلك
ان بنى آدم اضطربوا في هذا المقام مقام تعارض الامر والتدر وقد
بسطا الكلام على ذلك في مواضع

والمقصود هنا انه قد ثبت في الصحيحين حديث أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت
أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأوجد لك
ملائكته فإذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقل له آدم أنت موسى
الذي كلمك الله تكليماً وكتب لك التوراة فبكم تجد فيها مكتوباً وعصى
آدم ربه فعوى تمل أن أخاق قال بأربعين سنة قال فخج آدم موسى
وهو مروى أيضاً من طريق عمر بن الخطاب بأناد حسن
وقد ظن كثير من الناس أن آدم احتج بالقدر السابق على نفي

الملام على الذنب ثم صاروا لاجل هذا الظن ثلاثة أحزاب
 ففريق كذبوا بهذا الحديث ككافي على الجبائي وغيره لانه من المعلوم
 بالاضطرار ان هذا خلاف ماجاءت به الرسل ولا ريب أنه يمتنع أن
 يكون هذا مراد الحديث ويجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم بل
 وجميع الانبياء واتباع الانبياء أن يجعلوا القدر حجة بان عصى الله ورسوله
 وفريق تأولوه بتأويلات معلومة الفساد كقول بعضهم انا حجة
 لانه كان أباه والابن لا يلوم أباه وقول بعضهم لان الذنب كان في شريعة
 والملام في أخرى وقول بعضهم لان الملام كان بعد التوبة وقول بعضهم
 لان هذا يختلف فيه دار الدنيا ودار الآخرة

وفريق ثالث جعلوه عمدة في سقوط الملام عن المخالفين لامر الله
 ورسوله ثم لم يمكنهم طرد ذلك فلا بد في نفس معاشهم في الدنيا ان يلام
 من فعل ما يضر نفسه وغيره لكن منهم من صار يحتج بهذا عند أهوائه
 وأغراضه لا عند أهواء غيره كما قيل في مثل هؤلاء أنت عند الطاعة
 قدرى وعند العصية جبرى أى مذهب وافق هواك تمذهبت به فالواحد
 من هؤلاء اذا أذنب أخذ يحتج بالقدر ولو أذنب غيره أو ظلمه لم
 يذكره وهؤلاء الظالمون معتدون

ومنهم من يقول هذا في حق أهل الحقيقة الذين شهدوا توحيد
 الربوبية وفتوا عماسواه فيرون ان لفاعل الا الله فهو لا يستحسنون
 حسنة ولا يفتجبون سيئة فانهم لا يرون لمخلوق فعلا بل لا يرون فاعلا
 الا الله بخلاف من شهد لنفسه فعلا فانه يذم ويماقب وهذا قول كثير

من متأخرى الصوفية المدعين للحقيقة وقد يعملون هذا نهاية التحقيق
 وغاية العرفان والتوحيد وهذا قول طائفة من أهل العلم قال ابن المظفر
 السهماني وأما الكلام فيما جرى بين آدم وموسى من المحاجة في هذا
 الشأن فانما ساع لهما الحجاج في ذلك لانهم ما نيدان جليلان خصا بعلم
 الحقائق وأذن لهما في استكشاف السرائر وليس سبيل الخلق الذين
 أمروا بالوقوف عند ما حد لهم والسكوت عما طوى عنهم سبيلهما وليس
 قوله فحج آدم موسى ابطال حكم الطاعة ولا اسقاط العمل الواجب
 ولكن معناه ترجيح أحد الامرين وتقديم رتبة العلة على السبب فقد
 تقع الحكمة بترجيح معنى أحد الامرين فسبيل قوله فحج آدم موسى
 هذا السبيل وقد ظهر هذا في قضية آدم قال الله تعالى (اني جاعل في
 الارض خليفة) الى أن قال فناء من هذا ان آدم لم يتهيأ له أن يستبدم
 سكنى الجنة بأن لا يقرب الشجرة اسابق القضاء المكتوب عليه في الخروج
 منها وهذا صال على موسى عند المحاجة وبهذا المعنى قضى له على موسى
 فقال فحج آدم موسى قات ولهذا يقول الشيخ عبد القادر قدس الله
 روحه كثير من الرجال اذا وصلوا الى القضاء والقدر امسكوا وانا انفتحت
 لى فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ولرجل من يكون
 منازعا للقدر لاموافقاله وهو رضى الله عنه كان يهظم الامر والنهى
 ويوصى باتباع ذلك وينهى عن الاحتجاج بالقدر وكذلك شيخه حماد
 الدباس وذلك لما راوه فى كثير من السالكين من الوقوف عند القدر
 للمعارض الامر والنهى والعبء مأمور بأن يجاهد فى سبيل الله ويدفع

ما قدر من المعاصي بما قدر من الطاعة فهو منازع للمقدور والمحذور
بالمقدور الأمور لله تعالى وهذا هو دين الله الذي يثبت به الأولين
والآخريين من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

ومن يشبهه هؤلاء كثير من الفلاسفة كقول ابن سينا بأنه يشهد
سر القدر والرازقي يقرر ذلك لأنه كان جبرياً محضاً
وفي الجملة فهذا المعنى دأب في نفوس كثير من الخاصة من أهل العلم
والعبادة فضلاً عن العامة وهو مناقض لدين الإسلام
ومن هؤلاء من يقول الحضر انما سقط عنه الملام لأنه كان مشاهداً
لحقيقة القدر ومن شبه هؤلاء من كان يقول لو قتلت سبعين نبياً ما
كنت مخدوماً

وممن من يقول بطرد قوله بحسب الامكان فيقول كل من قدر
على فعل شيء وفعله فلا ملام عليه فان قدر أنه خالف غرض غيره فذاك
ينازعه والاقوى منهما يقهر الآخر فأيهما أعانه القدر فهو المنصيب باعتبار
انه غالب والافثم خطأ

ومن هؤلاء الاتحادية الذين يقولون الوجود واحد ثم يقولون
بعضه أفضل من بعض والافضل يسـ تحق أن يكون ربا للمفضول
ويقولون ان فرعون كان صادقاً في قوله انا ربكم الاعلى وهذا قول
طائفة من ملاحدة المتصوفة المتفاسفة الاتحادية كالتامساني والقول
بالاتحاد المسمى وحيدة الوجود وهو قول ابن عربي الطائي وصاحبه
التونوي وابن سبين وابن الفارض وأمثلهم لكن لهم في المعاد والجزاء

نزاع كأنهم نزاعاً في ان الوجود هل هو شيء غير الذوات أم لا
وهؤلاء ضلوا من وجوه من جهة عدم الفرق بين الوجود والخالق
والخـلق ولوق وأما شهود القدر فيقال لا ريب ان الله تعالى خالق كل
شيء ومليكه

والقدر هو قدرة الله كما قل الامام أحمد وهو المقدر لكل ما هو
كائن لكن حقيقة الامر والنهي والوعد والوعيد أى من الافعال ما ينفع
صاحبه فيحصل له به نعيم ومنها ما يضر صاحبه فيحصل له به عذاب
فتجن لانكر اشتراك الجميع من جهة المشيئة والربوبية وابتداء الامور
لكن ثبت فرقا آخر من جهة الحكمة والاوامر الالهية ونهاية الامور
فان العاقبة لا تقوى لا لغير المتقين وقد قال تعالى (أفجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) وقال
تعالى (أفجعل المسلمين كالمجرمين) واذا كان كذلك فحقيقة الفرق أن
من الامور ما هو ملائم للانسان نافع له فيحصل له به اللذة ومنها ما هو
مضاد له ضار له يحصل له به الالم فرجع الفرق الى الفرق بين اللذة
والالم وأسباب هذا وهذا وهذا الفرق معلوم بالحس والعقل والشرع
يجمع عليه بين الاولين والآخريين بل هو معلوم عند البهائم بل هذا
موجود في جميع المخلوقات واذا أثبتنا الفرق بين الحسنات والسيئات
وهو الفرق بين الحسن والتبحيح فالفرق يرجع الى هذا والعقلاء
متفقون على ان كون بعض الافعال ملائماً للانسان وبعضها منافياً له
اذا قيل هذا حسن وهذا قبيح فهذا الحسن والتبجح مما يعلم بالعقل

بإتفاق العقلاء وتنازعوا في الحسن والقبيح بمعنى كون الفعل سبباً للذم والعقاب هل يعلم بالعقل أم لا يعلم إلا بالشرع وكان من أسباب النزاع أنهم ظنوا أن هذا القسم مغاير للأول وليس هذا خارجاً عنه فليس في الوجود حسن إلا بمعنى الملائم ولا قبيح إلا بمعنى المنافي والمدح والثواب بالملائم والذم والعقاب منافي فهذانوع من الملائم والمنافي

يبقى الكلام في بعض أنواع الحسن والقبيح لا في جميعه ولا ريب من أنواعه ما لا يعلم إلا بالشرع ولكن النزاع فيما قبحه من أمور لمعموم الخلق كإكاذب والكذب ونحو ذلك

والنزاع في أمور منها هل لفعل صفة صار بها حسناً وقبيحاً وان الحسن العقلي هو كونه موافقاً لمصاحبة العلم والقبيح العقلي بخلافه فهل في الشرع زيادة على ذلك وفي أن العقاب في الدنيا والآخرة هل يعلم بمجرد العقل وبسط هذا موضع آخر

ومن الناس من أثبت قسماً ثالثاً للحسن والقبيح وادعى الاتفاق عليه وهو كون الفعل صفة كمال أو صفة نقص وهذا القسم لم يذكره عامة المتقدمين المتكلمين في هذه المسئلة ولكن ذكره بعض المتأخرين كإرازي وأخذه عن الفلاسفة

والتحقق ان هذا القسم لا يخالف الأول فان الكمال الذي يحصل للإنسان ببعض الأفعال هو يعود إلى الموافقة والخلافه وهو الذم والالم فالنفس لذلك بما هو كمال لها وتتألم بالنقص فيعود الكمال والنقص إلى الملائم والمنافي وهذا مبسوط في موضع آخر

والمقصود هنا ان الفرق بين الافعال الحسنة التي يحصل لصاحبها
 بها لذة وبين السبئية التي يحصل له بها ألم أمر حتى يعرفه جميع الجاهل
 فن قال من المدعين للحقيقة القدرية والفناء في توحيد الربوبية
 والاصطلام انه يبقى في عين الجمع بحيث لا يفرق بين ما يؤلم وما يأنس
 كان هذا مما يعلم كذبه فيه ان كان يفهم ما يقول والا كان ضالا ينكلم
 بما لا يعرف حقيقة وهو الغاب على من ينكلم في هذا فان القوم
 قد يحصل لاحدهم هذا المشهد .شهد الفناء في توحيد الربوبية فلا
 يشهد فرقا مادام في هذا المشهد وقد يغيب عنه الاحساس بما يوجب
 الفرق مدة من الزمان فيظن هذا الفناء مقاما محمودا ويجعله غاية ولما
 لازمالالكين وهذا غلط فان عدم الفرق بين ما ينعم ويمذب أحيانا
 هو مثل عدم الفرق للنوم والنسيان والنفلة والاشتغال بشيء عن
 آخر وهو لا يزيد الفرق الثابت في نفس الامر ولا يزيل الاحساس
 به اذا وجد سببه والواحد من هؤلاء لا بد أن يجوع أو يعطش فلا
 يسوى بين الخبز والشراب وبين الملح الاجاج والعذب اقرات بل
 لا بد أن يفرق بينهما ويقول هذا طيب وهذا ليس بطيب وهذا هو
 الفرق بين كل ما أمر الله ورسوله به ونهى عنه فانه أمر بالطيب من
 القول والعمل ونهى عن الخبيث واذا عرف أن المراد بالفرق هو أن
 من الامور ينفع ويوجب اللذة والنعيم ومنها ما يضر ويوجب الألم
 والعذاب فبعض هذه الامور تدرك بالحس وبعضها يدركه اناس بعقولهم
 الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضرة

وهذا من العقل الذي ميز به الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال
 مالا يدركه الحس ولفظ العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة
 وما يدفع به المضرة والله تعالى بعث الرسل بتكميل الفطرة فدلوهم
 على ما ينالون به العيم في الآخرة ويخجون من عذاب الآخرة فالفرق بين
 المأمور والمحذور هو كالنرق بين الجنة والنار واللذة والام والنعيم
 والمذاب ومن لم يدرك هذا الفرق فان كان لسبب ازال عقله هو به
 معذور والا كان مطالبا بما فعله من الشر وتركه من الخير ولا ريب
 ان في الناس من تدبول عقله في بعض الاحوال ومن الناس من
 يتعطى ما يزيل العقل كالخمر واسماع الاصوات المطربة فان ذلك قد
 يقوى حتى يسكر أصحابها ويقترب بهم شياطين فيقتل بعضهم بعضا في
 السماع المسكر كما يقتل شراب الخمر بعضهم بعضا اذا سكروا وهذا مما
 يعرفه كثير من أهل الاحوال لكن منهم من يقول المقتول شهيد
 والتحقيق أن المقتول يشبه المتول في شرب الخمر فانهم سكروا سكر
 غير مشروع لكن غالبهم يظن ان هذا من حال أولياء الله المتقين فبقي
 القتل فيهم كالقتل في الميتة وليس هو كالذي تعمد قتله ولا هو
 كالمتول ظلما من كل وجه فان قيل فهل هذا الفناء يزول به التكليف
 قيل ان حصل للانسان سبب يعذر فيه زال به عقله الذي يميز
 به كان بمنزلة النائم والمنمى عليه والسكران سكر لا يأنم به كمن سكر
 قبل التحريم أو أوجر الخمر أو أكره على شربها عند الجمهور وأما ان

كان السكر لسبب محرم فهذا فيه نزاع معروف بين العلماء والذين
يذكرون عن أبي يزيد وغيره كلمات من الاتحام الخاص ونفى الفرق
ويمذرونه في ذلك يقولون انه غاب عقله حتي قال أنا الحق وسبحاني
وماني الحية الا الله ويقولون انه اذا نوي على صاحبه وكان قلبه ضعيفاً
يفيب بمحبوبه عن حبه وبوجوده عن وجده وبمذكوره عن ذكره
حتى يفنى من لم يكن وبيرتي من لم يزل

ويحكون ان شخصاً ألقى نفسه في الماء فالتى محبه نفسه خلفه فقال
أنا وقعت فلم وقعت أنت فقال غبت بك عنى فظننت أنك انى فمثل هذه
الحال التي يزول فيها تمييزه بين الرب والعبد وبين المأور والمحذور
ليست علماً ولا حقاً بل غايته انه نقص عقله الذي يفرق بين هذا
وهذا وغايته أن يعذر لان يكون قوله تحقيقاً وتوحيداً كما فعله صاحب
منازل السائرين وابن العريف وغيرهما كما ان الاتحام الامام جمله طائفة
تحقيقاً وتوحيداً كبن عربي الطائي وطائفة من الصوفية المدعين للتحقيق
يجعلون هذا تحقيقاً

وتد ظن طائفة ان الحلاج كان من هؤلاء ثم صاروا حزبين
حزب يقول وقع في ذلك الفناء فكان معذورا في الباطن واكن قتله
وجب في الظاهر ويقولون التل مجاهد والمتول شهيد

ويحكون عن بعض الشيوخ انه قال عثر عثره لو كنت في زمنه
لاخذت بيده ويجعلون حاله من جنس حال أهل الاصطلام والفناء
وحزب ثان وهم الذين يصوبون حال أهل الفناء في توحيد

الربوبية ويقولون هو الغاية يقولون بل الحلاج كان في غاية التحقيق والتوحيد

ثم هؤلاء في قتله فريقان فريق يقول قتل مظلوما وما كان يجوز قتله ويمادون الشرع وأهل الشرع اقتلهم الحلاج ومنهم من يعادى جنس الفقهاء وأهل العلم ويقولون هم قتلوا الحلاج وهؤلاء من جنس الذين يقولون لنا شريعة وانا حقيقة نخاف الشريعة والذين يتكلمون بهذا الكلام لا يميزون ما المراد بلفظ الشريعة في كلام الله ورسوله وكلام سائر الناس ولا المراد بلفظ الحقيقة أو الحق أو الذوق أو الوجود أو التوحيد في كلام الله ورسوله وكلام سائر الناس بل فهم من يظن الشرع عبارة عما يحكم به الناذي ومن هؤلاء من لا يميز بين القاضي العالم العادل والقاضي الجاهل والقاضي الظالم بل ما حكم به حاكم سماه شريعة ولا ريب انه قد تكون الحقيقة في نفس الامر التي يجها الله ورسوله خلاف ما حكم به الحاكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وانما أفضى بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنه أقطع له قطعة من النار فالحاكم يحكم بما يسمعه من البيعة والاقرار وقد يكون الآخر حجج لم يبينها ومثل هذا فالشريعة في نفس الامر هو الامر الباطن وما قضى به القاضي ينفذ ظاهراً وكثير من الامور قد يكون باطنها بخلاف ما يظهر لبعض الناس ومن هذا قصة موسى والحضر فانه كان الذي فعله له مصلحة وهو شريعة أمره الله بها ولم يكن ذلك مخالفاً

انشرع الله لكن لمسلم يعرف موسى الباطن كان في الظاهر عنده ان هذا لا يجوز فلما بين له الخضر الامور وافقه فلم يكن ذلك مخالفا للشرع وهذا الباب يقال فيه قد يكون الامر في الباطن بخلاف ما يظهر فهذا صحيح لكن تسمية الباطن حقيقة والظاهر شريعة أمر اصطلاحي

ومن الناس من يجمل الحقيقة هي الامر الباطن مطلقا والشريعة في الامور الظاهرة وهذا كما ان لفظ الاسلام اذا قرئ بالايمان أريد به الاعمال الظاهرة ولفظ الايمان يراد به الايمان الذي في القلب كما في حديث جبرائيل فاذا جمع بينهما فقبل شرائع الاسلام وحقائق الايمان كان هذا كلاما صحيحا لكن متى أفرد أحدهما فكل شريعة ليس لها حقيقة باطنة ناليس صاحبها من المؤمنين حقا وكل حقيقة لاتوافق الشريعة التي بعث الله بها تحمدا صلى الله عليه وسلم فصاحبها ليس بمسلم فضلا عن أن يكون من أولياء الله المتقين وقد يراد بالفظ الشريعة ما يقوله فقهاء الشريعة باجتهادهم وبالحقيقة ما يدوقه ويجده الصوفية بقلوبهم ولا ريب ان كلا من هؤلاء مجتهدون تارة مصدقون وتارة مخطؤون وليس لواحد منهما ما تعتمد عليه الرسالة ثم ان اتفق اجتهاد الطائفتين والافايس على واحدة أن نقول الاخرى الا أن تأتي بحجة شرعية توجب موافقتها

فمن الناس من يظن ان الحلاج قتل باجتهاد فقهى يخالف الحقيقة الذوقية التي عليها هؤلاء وهذا ظن كثير من الناس وليس كذلك بل الذي قتل عليه انما هو الكفر وقتل باتفاق الطائفتين مثل دعواه

لأنه يقدر أن يمرض القرآن بخير منه ودعواه أن من فاته الحج أنه يبني بيتا يطوف به ويتصدق بشئ قدره وذلك يسقط الحج عنه إلى أمور أخرى توجب الكفر بانفق المسلمين الذين يشهدون أن محمداً رسول الله وكذا علمائهم وعبادهم وفقهائهم وفقراءهم وصوفيتهم وفريق يقولون قتل لأنه باح بسر التوحيد والتحقيق الذي ما كان ينبغي أن يبوح به فإن هذا من الأسرار التي لا يشكلم بها إلا مع خواص الناس وهي مما تطوى ولا تروى وينشدون .

من باح بالسر كان القتل شيمته * بين الرجال ولم يؤخذ له نار
وأيضاً

باحوا بالسر تباح دماء الباطنين تباح
وحقيقة قول هؤلاء يشبه قول قائل أن مقاله النصراني في المسيح
حق وهو موجود لغيره من الأنبياء والأولياء لكن ما يمكن أن تصرح
به لأن صاحب الشرع لم يأذن في ذلك وكلام صاحب منازل السائرين
وأمثاله يشير إلى هذا وتوحيده لذي قال فيه

ما وحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد
توحيد من يجبر عن نية * عارية أباها الواحد
توحيد - إياه توحيد - * وامت من ينعمه لا حد

فإن حقيقة قول هؤلاء أن الموحّد هو الموحّد وإن الناطق بالتوحيد
على لسان العبد هو الحق وأنه لا يوحده إلا نفسه فلا يكون الموحّد إلا
الموحّد ويفرقون بين قول فرعون أنا ربكم الأعلى وبين قول الخلاج

أنا الحق أوسبجاني فان فرعون قال ذلك وهو يشهد نفسه فقال عن نفسه
وأما أهل الفناء فغابوا عن نفوسهم وكان الناطق على لسانهم غيرهم
وهذا مما وقع فيه كثير من المتصوفة المتأخرين ولهذا رد الجنييد رحمه
الله على هؤلاء السائل عن التوحيد فقال هو الفرق بين القديم والمحدث
فبين الجنييد سيد الطائفة ان التوحيد لا يتم الا بأن يفرق بين الرب
القديم والعباد المحدث لا كما يقوله هؤلاء الذين يجولون هذا هو هذا
وهؤلاء أهل الاتحاد والحلول الخاص والمقيد

وأما القائلون بالحلول والاتحاد الامام المطلق فاولئك هم الذين يقولون
انه بذاته في كل مكان أو انه وجود المحلوقات وقد بسط الكلام على
هؤلاء في غير هذا الموضوع

والمقصود هنا ان الحلاج لم يكن مقيداً بصنف من هذه الاصناف
بل كان قد قال من الاقوال التي توجب الكفر والقتل باتفاق طوائف
المسلمين ما قد ذكر في غير هذا الموضوع

وكذلك أنكروه أكثر المشايخ وذمروه كالجنييد وعمر بن عثمان المكي
وأبي يعقوب النهر جوري ومن التمس عليه حله منهم فلم يعرف حقيقة
مقاله الا من كان يقول بالحلول والاتحاد مطناً أو معيناً فانه يظن ان هذا
كان قول الحلاج وينصر ذلك ولهذا كانت خرقه ابن سبعين فيها من
رجال الظلم جماعة منهم الحلاج وجمهير المشايخ الصوفية وأهل العلم
الحلاج عندهم لم يكن من المشايخ الصالحين بل كان زنديقاً لاسباب متعددة
يطول عندهم وصفها ولم يكن من أهل الفناء في توحيد الربوبية بل

كان قد تعلم السحر وكان له شياطين تخدمه الى امور اخرى مبسوطة في غير هذا الموضع وبكل حال آدم لما اكل هو وحواء من الشجرة لم يكن زائل العقل ولا فانيا في شهود القدر العام ولا احتيج على موسى بذلك بل قال لم تلومني على امر كتبه الله علي قبل أن اخلق فاحتج بالقدر السابق لا يمدم تميزه بين المأمور والمحظوك

(فصل) اذا عرف هذا فتقول الصواب في قصة آدم وموسى أن موسى لم يلم آدم الا من جهة المصيبة التي أصابته وذريته بما فعل لا لاجل ان تارك الامر مذنب عاص ولهذا قال لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة لم يقل لماذا خالفت الامر ولماذا عصيت والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية كما قال الله تعالى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال ابن مسعود وغيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء الله فعمل فان لو تفتح عمل الشيطان فامر به بالحرص على ما ينفعه وهو طاعة الله ورسوله فليس لامباد أنفع من طاعة الله ورسوله وأمره اذا أصابه مصيبة مقدرة أن ينظر الى القدر ولا يتحسر بتقدير لا يفيد ويقول قدر الله وما شاء الله فعل ولا يقول لو اني فعلت كذا لكان كذا فيقدر ما لم يقع يتنى ان لو كان وقع فان ذلك انما يورث حيرة وحزننا لا يفيد والتسليم

للقدر هو الذي ينزله كما قال بعضهم الامور امر ان امر فيه حيلة فلا
 تعجز عنه وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه وما زال أئمة الهدى من
 الشيوخ وغيرهم يوصون الانسان بأن يفعل المأمور ويترك المحذور
 ويصبر على المقدور وان كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي فلو كان
 رجل أفق مله في المعاصي حتى مات ولم يخف لولده مالا أو ظلم الناس
 بظلم صاروا لاجله يبتغون أولاده ويحرمونهم ما يظنون لأمثالهم لكان
 هذا مصيبة في حق الاولاد حصلت بسبب فعل الاب فاذا قال أحدهم
 لآبيه أنت فلت بنا هذا قبل الابن هذا كان مقدوراً عليكم وأتم مأمورن
 بالصبر على ما يصيبكم والاب عاص لله فيما فعله من الظلم والتبذير ملوم على
 ذلك لا يرتفع عنه ذم الله وعقابه بالقدر السابق فان كان الاب قد تاب
 توبة نصوحا وتاب الله عليه وغفر له لم يجز ذمه ولا لومه بحال لامن
 جهة حق الله فان الله قد غفر له ولا من جهة المصيبة التي حصلت لغيره
 فعليه اذا لم يكن هو ظالماً لأولئك فان تلك كانت مقدرة عليهم وهذا
 مثل قصة آدم فان آدم لم يظلم أولاده بل انما ولدوا بعد هبوطه من
 الجنة وانما هبط آدم وحواء ولم يكن معهما ولد حتى يقال ان ذنبهما
 تعدي الى ولدهما ثم بعد هبوطهما الى الارض جاءت الاولاد فلم يكن
 آدم قد ظلم أولاده ظالماً يستحقون به ملامة وكونهم صاروا في الدنيا
 دون الجنة أمر كان مقدراً عليهم لا يستحقون به لوم آدم وذنب آدم
 كان قد تاب منه قال الله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبه ربه
 فتاب عليه وهدي) وقال (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فلم يبق

مستحقاً لدم ولا عقاب وموسى كان أعلم من أن يلومه بحق الله على ذنب
 قد علم أنه تاب منه فوسى أيضاً قد تاب من ذنب عمله وقد قال موسى
 (أنت ولينا فاعفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين) وآدم اعلم من أن
 يحتاج بالقدر على أن المذنب لا ملام عليه فكيف وقد علم أن ابليس لعنه
 الله بسبب ذنبه وهو أيضاً كان مقدراً عليه وآدم قد تاب من الذنب
 واستغفر فلو كان الاحتجاج بالقدر نافعا له عند ربه لاحتج به ولم
 يتب ويستغفر

وقد روى في الاسرائيليات انه احتج به وهذا مما لا يصدق به لو
 كان محتماً لا فكيف اذا خاف أصول الاسلام بل أصول الشرع والعقل نعم
 ان كان ذكر القدر مع التوبة فهذا ممكن لكن ليس فيما أخبر الله به عن
 آدم شيء من هذا ولا يجوز الاحتجاج في الدين بالاسرائيليات الامتدت
 نثله بكتاب الله أو سنة رسوله فان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال اذا
 حدثتكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وأيضاً فلو كان
 الاحتجاج بالقدر نافعا له فلماذا أخرج من الجنة وأهبط الى الارض
 فان قيل وهو قد تاب فلماذا بعد انوبة أهبط انى الارض

قيل التوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يمله فيبتلى بمد التوبة
 لينظر دوام طاعته لله قال تعالى (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا
 فان الله غفور رحيم) في التائب من الردة وقال في كتم العلم (الا الذين تابوا
 وأصلحوا وينوا فإوائك أتوب عليهم وأنا اتوب الرحيم) وقال (انه من
 عمل منكم سواء بحال تم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) وقال

في الذنوب (الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) وقال (الامن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) (ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب الى الله متاباً) وقال (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)

ولم تاب كعب بن مالك وصاحبه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسامحة لهما جرهما حتى نسأهم ثم نين ليلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم في العامدية لما رجما لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله

وقد أخبر الله عن توبته على بنى اسرائيل حيث قال لهم موسى (يا قوم انكم ظلمتم انفسكم بائخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقبلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم)

واذا كان الله تعالى قد يتلى العبد من الحسنات والسيئات والسراء والضراء بما يحصل معه شكره وصبره أم كفره وجزعه وطاعته أم معصيته فالتائب أحق بالابتلاء قادمه الهبوط الى الارض ابتلاء له ووقفه الله في هبوطه لطاعته فكان حاله بعد الهبوط خيراً من حاله قبل الهبوط وهذا بخلاف ما لو كان الاحتجاج بالقدر نافعاً له فإنه لا يكون عليه ملام البتة ولا هناك توبة تقتضى أن يتلى صاحبها ببلاء

وأيضاً فإن الله قد أخبر في كتابه بمقتوبات الكفار مثل قوم نوح وهود وصالح وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون وقومه ما يعرف بكل واحدة من هذه الوقائع أن لا حجة لاحد في القدر

وأيسا فقد شرع الله من عقوبة المحاربين من الكفار وأهل
القبلة وقتل المرتد وعقوبة لزاني والسارق والشارب ما يبين ذلك
﴿ فصل ﴾ فتد تبين أن آدم - حج موسى لمقصده موسى أن يهزم من
كان سببا في مصيبتهم وبهذا جاء الكتاب والسنة قال الله تعالى (مأصاب
من مصيبة الأبدن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) وقال تعالى (مأصاب من
مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك
على الله يسير) وسوا في ذلك المصائب السماوية والمصائب التي تحصل
بأفعال الآدميين قال تعالى (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا
جيلا) وقال (واتد أرسلنا رسلا من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا
حتى أتاهم نصرنا) وقال في سورة الطور بعد قوله (فذكر فما أنت بنعمة
ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون قل
ترصدوا فاني مكم من المر بصين) الى قوله (أم يقولون نقوله بل
لا يؤمنون) الى قوله (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم
الغيب فهم يكتبون) واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك
حين تقوم) وقال تعالى في سورة نون (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون
أم عندهم الغيب فهم يكتبون) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح
بحمد ربك حين تقوم) وقال تعالى في سورة نون (فاصبر لحكم ربك ولا تكن
كصاحب الخوت إذ نادى وهو مكظوم)

وقد قيل في معناه اصبر لما يحكم به عليك وقيل اصبر على أذاهم لتقضاء

ربك الذي هو آت والاول أصح

وحكم الله نوعان خلق وأمر فلاول ما يقرره من المصائب والثاني ما بأمر به وينهى عنه والعبد مأمور بالصبر على هذا وعلى هذا أن يصبر لما أمر به ولما نهى عنه فيفعل المأمور ويترك المحذور وعليه أن يصبر لما قدره الله عليه وبمض المفسرين بقول هذه الآية منسوخة بآية السيف وهذا يتوجه اذا كان في الآية النهى عن القتال فيكون هذا النهى منسوخا ليس بجميع أنواع الصبر منسوخة كيف والآية لم تتعرض لذلك هنا لا بنفي ولا اثبات بل الصبر واجب لحكم الله ومارال واجبا واذا أمر بالجهاد فمليه أيضاً أن يصبر لحكم الله فانه يتلى من قتالهم بما هو أعظم من كلامهم كما ابتلى به يوم أخذوا الخندق وعينه حينئذ أن يصبر ويفعل ما أمر به من الجهاد

والمقصود هنا قوله واصبر لحكم ربك فان ما فعلوه من الاذى هر بما حكم به عليك قدرا فاصبر لحكمه وان كانوا ظالمين في ذلك وهذا الصبر أعظم من الصبر على ما جرى وفعل بالانبياء وقوله (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم) وقال (وذاالنون اذ ذهب مغاضبا فظان أن ان تقدر عليه فنادى في الظلمات) وسواء كان مغاضبا لقومه أو لربه فكانت مغاضبته من أمر قدر عليه وصبره صبر لحكم ربه الذي قدره وقضاه وان كان انما نادى من تكذيب الناس له وقالت الرسل لقومهم ومالما أن لا تتوكل على الله وقد هدانا سبانا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال موسى لقومه لما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانافوقهم قاهرون قال موسى

لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
واله قبة للمؤمنين) وقال (فاصبر ان وعد الله - حق واستغفر لذنبك) وقال تعالى
(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظالموا لنبؤاتهم في الدنيا حسنة ولا اجر
الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون لذنب - صبروا وعلى ربهم يتوكلون)
فهؤلاء ظالموا فصبروا على ظلم الظالم لهم وسبب نزولها المهاجرون الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عامة في كل من اتصف بهذه الصفة

وأصل المهاجر من هجر ما نهى الله عنه كما ثبت ذلك عن النبي صلى
الله عليه وسلم فكل من هجر السوء فظلمه الناس على ترك الكفر
والتفسيق والعصيان حتى أخرجوه الى هجر بعض أموره في الدنيا فصبر
على ظلمهم فان الله يبوؤهم في الدنيا حسنة ولا اجر الآخرة أكبر كيوسف
الصديق فانه هجر الفاحشة حتى ألبأه ذلك الى هجر منزله والبيت في
السجن بعد ما ظلم فيكنه الله حتى تبوأ من الارض حيث يشاء وقال
الذين اتقوا الكفار (ربنا أفرغ علينا صبرا) وقال (ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا
ألفين باذن الله والله مع الصابرين) وقال (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله والله مع الصابرين)

فهذا كله صبر على ما قدر من أعمال الخلق والله سبحانه مدح في
كتابه الصبار الشكور كما قال (ان في ذلك آيات لكل صبار شكور) في

غير موضع فالصبر والشكر على ما يقدره الرب بعبده من السراء والضراء من النعم والمصائب من الحسنات التي يبلو بها والسيئات فعمله أن يتلقى المصائب بالصبر والنعم بالشكر ومن النعم ما ييسره له من أعمال الخير ومنها ما هي خارجة عن أعماله فيشهد القدر عند فعله للطاعات وعند انعام الله عليه فيشكره ويشهده عند المصائب فيصبر واما عند ذنوبه فيكون مستغفراً تائباً كما قال (فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك) واما من عكس هذا فشهد القدر عند ذنوبه وشهد فعله عند الحسنات فهو من أعظم المجرمين ومن شهد فعلهما فهما فهو قدرى ومن شهد القدر فهما ولم يعترف بالذنب ويستغفر فهو من جنس المشركين

وأما المؤمن فيقول أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي فاغفر لي كما في الحديث الصحيح الا لله باعبادي انما هي أعمالكم أحصياها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه

وكان نبينا صلى الله عليه وسلم منبأ ما أمر به من الصبر عنى أذى الحاقق في الصحيحين عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادماً له ولا دابة ولا شيئاً قط الا أن يجاهد في سبيل الله ولا ينيل منه شيء قط فانتقم لنفسه الا أن تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم انضبه شيء حتى ينتقم لله وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم عشر سنين فما قال لشيء فعاتته لم فعلته ولا اشئ لم أنعله لم لافعه وكان بعض أهله اذا عتبنى علىّ شيء يقول دعوه دعوه

فلو قضى شيء لكان

وفي السنن عن ابن مسعود رضي الله عنه انه ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قول بعض من آذاه فقال دعنا منك فتدأ وذى موسى بأكثر من هذا فصبر فكان يصبر على أذى الناس له من الكفار والمنافقين وأذى بعض المؤمنين كما قال (ان ذلك كان يؤذى النبي فيستحي منكم) وكان يذكر ان هذا مقدر والمؤمن مأثور بأن يصبر على المقدور وكذلك قال (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) فالتقوى فعل المأثور وترك المحذور والصبر الصبر على أذاهم

ثم انه حيث أباح المعاقبة قال (وان عاقبتم فعاقبوا بمنزل ما عوقبتم به واثن صبرهم هو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) فاخبر ان صبره بالله فالله هو الذي يعينه عليه فان الصبر على المكروه بترك الانتقام من الظالم ثقيل على النفس لکن صبره بالله كما أمره أن يكون لله في قوله (ولربك فاصبر) لکن هناك ذكره في الجملة الطائفة الامرية لانه مأثور أن يصبر لله لا لغيره وهنا ذكره في الخبرية فقال وما صبرك الا بالله فان الصبر وسائر الحوادث لا تقع الا بالله ثم قد يكون ذلك وقد لا يكون فما لا يكون بالله لا يكون وما لا يكون لله لا ينفذ ولا يدوم ولا يقال واصبر بالله فان الصبر لا يكون بالله لکن يقال استعينوا بالله واصبروا فاستعين بالله على الصبر وكما ان الانسان مأثور بشهود القدر وتوحيد الربوبية عند المصائب فهو مأثور بذنك عند ما ينعم الله عليه من فعل الطاعات فيشهد قبل فعلها

حاجته ونقره الى اعانة الله له وتحقق قوله ايك نعبد واياك نستعين وبدعو
 بالادعية التي فيها طاب اعانة الله له على فعل الطاعات كقوله أعني على
 ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقوله ياقلب القلوب ثبت قلبي على
 دينك وباصرف القلوب اصرف قلبي الى طاعتك وطاعة رسولاك
 وقوله (ربنا لاترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك
 أنت الوهاب) وقوله (وهب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا)
 ومثل قوله اللهم الهمني رشدي واكفني شر نفسي ورأس هذه الادعية
 وأفضلها قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير
 المغضوب عليهم ولا الضالين)

فهذا الدعاء أنضل الادعية وأوجهها على الحق فانه يجمع صلاح العبد في
 الدين والدنيا والآخرة وكذلك الدعاء بالتوبة فانه يتضمن الدعاء بان يلهمهم
 العبد التوبة وكذلك دعاء الاستحارة فانه طلب تعظيم العبد ما لم يعاينه
 وتيسيره له

وكذلك الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به اذا قام
 من الليل وهو في الصحيح اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر
 السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا
 فيه يخلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من
 تشاء الى صراط مستقيم

وكذلك الدعاء الذي فيه أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين
 معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به الى جننتك ومن اليقين ما تهون به علينا

مصائب الدنيا وكذلك الدعاء باليقين والعافية كما في حديث أبي بكر
وكذلك قوله اللهم أصلح لى قلبى ونيتى ومثل قول الخليل واسماعيل
(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وهذه أدعية
كثيرة تتضمن افتقار العبد الى الله فى أن يعطيه الايمان والعمل الصالح
فهذا افتقار واستعانة بالله قبل حصول المطلوب فاذا حصل بالدعاء أو
غير الدعاء شهد انعام الله فيه وكان فى مقام الشكر والعبودية لله وان
هذا حصل بفضلہ واحسانه لاجل العبد وقوته

فشهود القدر فى الطاعات من أنفع الامور لا عبد وغيبته عن ذلك
من أضر الامور به فانه يكون قدريا منكر النعمة الله عليه بالايمان
والعمل الصالح وان لم يكن قدرى الاعتقاد كان قدرى الحال وذلك
يورث العجب والكبر ودعوى القوة والمنة بعمله واعتقاد استحقاق
الجزاء على الله به فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف
بها لامع الاحتجاج بالقدر عليها خيرا من هذا الذى يشهد الطاعة
منه لا من احسان الله اليه ويكون أوائك المذنبون بما مفهم من الايمان
أفضل من طاعة بدون هذا الايمان وأما من أذنب وشهد أن لا ذنب له
أصلا ليكون الله هو الفاعل وعند الطاعة يشهد أنه الفاعل فهذا شر
الحاق وأما الذى يشهد نفسه فاعلا للامرين والذى يشهد ربه فاعلا
للامرين ولا يرى له ذنباً فهذا أسوأ عاقبة من القدرى والقدرى أسوأ
بداية منه كما هو مبسوط فى موضع آخر

والناس فى هذا المقام أربعة أقسام من بغضب لربه لالنفسه وعكسه

ومن يغضب لهما ومن لا يغضب لهما كما أنهم في شهود القدر أربعة
أقسام من يشهد الحسنة من فعل الله والسيئة من فعل نفسه وعكسه
ومن يشهد الاثنين من فعل ربه ومن يشهد الاثنين من فعل نفسه
فهذه الأقسام الأربعة في شهود الربوبية نظير تلك الأقسام الأربعة في
شهود الألوية فهذا تقسيم العباد فيما لله ولهم وذلك تقسيمهم فيما هو بالله
وهم والقسم المحض أن يعمل لله بالله فلا يعمل لنفسه ولا بنفسه
والمقصود هنا تقسيمهم فيما لله فاعلام حال النبي صلى الله عليه
وسلم ومن اتبعه وهو أن يصبروا على أذى الناس لهم باليد واللسان
ويجاهدوا في سبيل الله فيما يقبون ويغضبون وينتقمون لله لأنفسهم
يقبون لأن الله يأمر بمقابلة ذلك الشخص ويجب الانتقام منه كما في
جهاد الكفار وإقامة الحدود وأدنانهم عكس هؤلاء يبغضون وينتقمون
ويقبون لأنفسهم لا للربهم فاذا أذى أحدهم أو خولف هواه غضب
وانتقم وعاقب ولو انتهكت محارم الله أو ضيعت حقوقه لم يرجع ذلك
وهذا حال الكفار والمنافقين وبين هذين وهذين قسم يغضبون
لربهم وأنفسهم وقسم يميلون إلى العفو في حق الله وحقوقهم فوسى
في غضبه على قومه لما عبدوا المجل كان غضبه لله وقد مثل النبي صلى
الله عليه وسلم في حقوق الله أبا بكر وعمر إبراهيم وعيسى ونوح وموسى
فقال إن الله يلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن ويشدد
قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجر ومثلك يا أبا بكر كمثل
إبراهيم وعيسى ومثلك يا عمر كمثل نوح وموسى وأما عفو الإنسان

عن حقوقه فهذا أفضل وان كان الاقتصاص جازاً وكذلك غضبه لنفسه تركه أفضل وان كان الاقتصاص جازاً وأما ما كان من باب المصائب الخاصة بقدر الله ولم يبق فيها مذنب بإقرب فليس فيها الا الصبر والتسليم المقدر

وقصة آدم وموسى كانت من هذا الباب فان موسى لانه لاجل ما أصابه والذرية وآدم كان قد تاب من الذنب وغفر له والمصيبة كانت مقدرة فنج آدم وموسى وهكذا قد يصيب الناس مصائب يفعل أقوام مذنبين وتابوا مثل كافر يقتل مسلماً ثم يسلم ويتوب الله عليه أو يكون متأولاً لبدعة ثم يتوب من البدعة أو يكون مجتهداً أو مقلداً مخطئاً فهؤلاء اذا أصاب العبد أذى بفعلهم فهو من جنس المصائب السماوية التي لا يطاب فيها تقصاص من آدمي

ومن هذا الباب القتال في الفتنة قال الزهري وقت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فاجمعوا ان كل دم أو مال أو جرح أصيب بتأويل القرآن فهو هدر وكذلك تنال البغاة المتأولين حيث أمر الله بقتالهم اذا قاتلهم أهل العدل فاصابوا من أهل العدل نفوساً وأموالاً لم تكن مضمونة عند جماهير العلماء كابي حنيفة ومالك والشافعي في أحد قوليه وهذا ظاهر مذهب أحمد

وكذلك المرتدون اذا صار لهم شوكة فقاتلوا المسلمين وأصابوا من دماهم وأموالهم كما اتفق الصحابة في قتال أهل الردة انهم لا يضمنون بعد اسلامهم ما أتلفوه من النفوس والاموال فانهم كانوا متأولين وان

كان تأويلهم باطلا

كما ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة عنه مضت بان الكفار اذا قتلوا بض المسلمين وأتلفوا أموالهم ثم أسلموا لم يضمنوا ما أصابوه من النفوس والاموال وأصحاب تلك النفوس والاموال كانوا يجاهدون قد اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فبوض ما أخذ منهم على الله لاعلى أولئك الظالمين الذين قاتلهم المؤمنون واذا كان هذا في الدماء والاموال فهو أولى

فمن كان مجاهداً في سبيل الله باللسان بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان الدين وتبليغ ما في الكتاب والسنة من الامر والنهي والخير والشر وبيان الاقوال المخالفة لذلك والرد على من خالف الكتاب والسنة أو باليد كقتال الكفار فاذا أودى على جهاده بيد غيره أو لسانه فأجره في ذلك على الله لا يطاب من هذا الظالم عوض مظلمته بل هذا الظالم ان تاب وقبل الحق الذي جوهده عليه فالتوبة تجب ما قبلها (قل للذين كفروا ان ينهوا عن ما فعلوا هم ما قد سئف) وان لم يتب بل أصر على مخالفة الكتاب والسنة فهو مخالف لله ورسوله والحق في ذنوبه لله ولرسوله وان كان أيضاً للمؤمنين حق تبعاً لحق الله وهذا اذا عوقب عوقب لحق الله ولتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله لا لاجل القصاص فقط

والكفار اذا اعتدوا على المسلمين مثل أن يمثلوا بهم فلامسلمين أن يمثلوا بهم كما مثلوا والصبر أفضل واذا مثلوا كان ذلك من تمام الجهاد

والدعاء على جنس الظالمين الكفار مشروع مأمور به وشرع القنوت
والدعاء للمؤمنين والدعاء على الكافرين وأما الدعاء على معينين كما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يعلم يامن فلانا وفلانا فهذا قد روى انه منسوخ
بقوله ايس لك من الامر شئ كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا
الموضع فيما كتبه بقامة مصر

وذلك لان المعين لا يعلم ان رضا الله منه أن يهلكه بل قد يكون
من يتوب الله عليه بخلاف الجنس فانه اذا دعا عليهم بما فيه عز الدين
وذل عدوه وقومهم كان هذا دعاء بما يحبه الله ويرضاه فان الله يحب الايمان
وأهل الايمان وعلو أهل الايمان وذل الكفار فهذا دعاء بما يحب الله
وأما الدعاء على المعين بما لا يعلم ان الله يرضاه فغير مأمور به وقد كان
يفعل ثم نهى عنه لان الله قد يتوب عليه أو يعذبه ودعاء نوح على أهل
الارض بالهلاك كان بعد ان أعلمه الله أنه ان يؤمن من قومك الا من
قد آمن ومع هذا وقد ثبت في حديث الشفاعة في الصحيح أنه يقول
اني دعوت على أهل الارض دعوة لم أوسر بها فانه وان لم ينه عنها فلم يؤمر
بها فكان الاولى انه لا يدعو الا بدعاء مأمور به واجب أو مستحب
فان الدعاء من العبادات فلا يعبد الله الا بمأمور به واجب أو مستحب
وهذا لو كان مأمورا به لكان شرعا لنوح ثم ننظر في شرعنا هل
نسخه أم لا

وكذلك دعاء موسى بقوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على
قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) اذا كان دعاء مأمورا به بقي

النظر في موافقة شرعنا له

والقاء عدة الكلية في شرعنا ان الدعاء ان كان واحباً أو مستجاباً فهو حسن يثاب عليه داعي وان كان محرماً كما عدوان في الدعاء فهو ذنب ومعصية وان كان مكرهاً فهو ينقص مرتبة صاحبه وان كان مباحاً مستوى الطرفين فلا له ولا عليه فهذا هذا والله سبحانه أعلم

(فصل) وكلا الطائفتين الذين يسلكون الى الله محض الارادة والمحبة والدنو أو القرب منه من غير اعتبار بالامر والنهي المنزلي من عند الله وهم الذين ينتهون الى الفناء في توحيد الربوبية وهم يقولون بالجمع والاصطلام في توحيد الربوبية ولا يصحون الى الرق الثاني ويقولون ان صاحب الفناء لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة ويحبهون هذا غاية السلوك والذين يفرقون بين ما يستحسنونه ويستقبحونه ويحبهون ويكرهون ويأمرون به وينهون عنه لكن بارادتهم ومحبتهم وهوامهم لا بالكتاب المنزل من عند الله كلا الطائفتين متبع لهواهم بغير هدى من الله وكلا الطائفتين لم يحققوا شهادة أن لا اله الا الله وشهادة أن محمداً رسول الله فان تحقق الشهادة بالتوحيد يقتضى أن لا يجب الا لله ولا يبعث الا لله ولا يوالى الا لله ولا يعادى الا لله وان يجب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله ويأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه وانك لا ترجو الا الله ولا تخاف الا الله ولا تسأل الا الله وهذا ملة ابراهيم وهذا الاسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين (والفناء في هذا هو الفناء المأمور به) الذي جاءت به الرسل وهو

الثنائين بلا مرجح وكلاهما يقول لافرق بين الارادة والمحبة والرضا
ثم قالت الفدرية وقد علم بالكتاب والسنة واجماع السلف ان الله
يجب الايمان والعمل الصالح ولا يجب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر
بل يكره الكفر والفسوق والعصيان قلوا فيلزم من ذلك أن يكون كل
ما في الوجود من المعاصي واقعا بدون مشيئته و ارادته كما هو واقع على
خلاف أمره وخلاف محبته ورضاه وقلوا ان محبته ورضاه لاعمال
عباده هو بمعنى أمرها فكذلك ارادته لها هو بمعنى أمرها فلا يكون
قط عندهم مريدا لغير ما أمر به وأخذ هؤلاء يتأولون ما في القرآن من

ارادته لكل ما يحدث ومن خافه لأفعال العباد بتأويلات محرفة

وقالت الجهمية ومن اتبها من الأشعرية وأمثالهم قد علم بالكتاب
والسنة والاجماع ان الله خالق كل شيء وربهم ومليكه ولا يكون خاقا الا
بقدرته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل ما في الوجود فهو
بمشيئته وقدرته وهو خالقه سواء في ذلك أفعال العباد وغيرها

ثم قلوا واذا كان مريدا لكل حادث والارادة هي المحبة والرضا فهو
محب راض بكل حادث وقابوا كل ما في الوجود من كفر وفسوق
وعصيان فان الله راض به محبه له كما هو مريد له

ف قيل لهم فقد قال تعالى لا يجب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر
فقالوا هذا بمنزلة ان يقال لا يريد الفساد ولا يريد لعباده الكفر وهذا
يصح على وجهين اما أن يكون خاصا بمن لم يقع منه الكفر والفساد ولا
ريب ان الله لا يريد ولا يجب ما لم يقع عندهم فقالوا معناه لا يجب الفساد

العبادة المؤمنين ولا يرضاه لهم

وحقيقة قولهم ان الله لا يحب الايمان ولا يرضاه من الكفار فالمحبة والرضا عندهم كالارادة عندهم متعلّقة بما وقع دون ما لم يقع سواء كان مأمورا به أو منهيًا عنه وسواء كان من أسباب سعادة العباد أو نقتاتهم وعندهم ان الله يحب ما وجد من الكفر والفسوق والمعصيان ولا يحب ما لم يوجد من الايمان والطاعة كما أراد هذا دون هذا

والوجه الثاني قاوا لا يحب الفساد دينًا ولا يرضاه دينًا وحقيقة هذا القول انه لا يريد دينًا فانه اذا أراد وقوع الشيء على صفة لم يكن مراد له على خلاف تلك الصفة وهو اذا أراد وقوع شيء مع شيء لم يرد وقوعه وحده فاذا أراد أن يخلق زيدًا من عمر ولم يرد أن يخلقه من غيره واذا أراد أن ينزل مطر افتتحت الارض به فانه أراد انزاله على تلك الصفة واذا أراد أن يركب البحر قوم فيغرق بعضهم ويسلم بعضهم ويربح بعضهم فانما اراده على تلك الصفة فكذلك الايمان والكفر قرن بالايمان نعيم لاصحابه وبالكفر عذاب لاصحابه وان لم يكن عندهم جبل شيء لشيء سببا ولا خاق شيئًا لحكمة لكن جعل هذا مع هذا

وعندهم جعل السعادة مع الايمان لانه كما يقولون انه خلق الشيع عند الاكل لانه فالدين الذي أمر به هو ما قرن به سعادة صاحبه في الآخرة و لكفر والفسوق والمعصيان عندهم أحبه ورضيه كما أراد لكن لم يحبه مع سعادة صاحبه فلم يحبه دينًا كما انه لم يرد مع سعادة صاحبه

فلم يحبه ديننا كما انه لم يردده مع سعادة صاحبه فلم يردده ديننا وهذا المشهد
الذي شهده أهل الفناء في توحيد الربوبية فانهم رأوا الرب تعالى خالق
كل شيء بارادته وعلم أن سيكون ما أراد ولا يب عندهم لشيء ولا حكمة
بل كل الحوادث تحدث بالارادة

ثم الجهم بن صفوان ونفات لصفات من العزلة ونحوهم لا يثبتون
ارادة قائمة بذاته بل اما أن ينفوها راما أن يجعلوها بمعنى الخلق والامر
أن يقولوا أحدث ارادة لافي محمل واما مثبتة الصفات كإن كلاب
والانعمى وغيرها ممن يثبت الصفات ولا يثبت الاواحد معنا فلا
يثبت الارادة واحدة تتعاقب بكل حادث وسعنا واحدا معنا متعلقا بكل
مسموع وبصرا واحدا معنا متعلقا بكل مرئي وكلاما واحدا بالعين يجمع
جميع أنواع الكلام كما قد عرف من مذهب هؤلاء

فهؤلاء يقولون جميع الحوادث صادرة عن تلك الارادة لواحدة
العين المفردة التي ترجح أحد المتماثلين لا بمرجح وهي المحبة والرضا
وغير ذلك وهؤلاء اذا شهدوا هذا لم يبق عندهم فرق بين جمع الحوادث في
الحسن والتبجح الا من حيث موافقتها للانسان ومخالفة بعضها له فموانق
مرياده ومحجوبه كان حسنا عنده وما خالف ذلك كان قبيحا عنده فلا يكون
في نفس الامر حسنة يحبها الله ولا سيئة يكرهها الا بمعنى ان الحسنه هي
ما قرن بها لذة صاحبها او السيئة ما قرن بها ألم صاحبها من غير فرق يعود اليه
ولا الى الاذلال أصلا ولهذا كان هؤلاء لا يثبتون حسنا ولا قبيحا لا بمعنى
انلاءم للطبيع والمنافي له والحسن والتبجح النمرعى هو ما دل صاحبه على أنه

قد يحصل لمن فله لذة أو حصول ألم له ولهذا يجوز عندهم ان يأمر الله بكل شيء حتى الكفر والفسوق والمصيان وينهى عن كل شيء حتى عن الايمان والتوحيد ويجوز نسخ كل ما أمر به بكل ما نهى عنه ولم يبق عندهم في الوجود خير ولا شر ولا حسن ولا قبيح الا بهذا الاعتبار فما في لوجود ضر ولا نفع والضر أمران اضافيان فربما نفع هذا ماضر هذا كما يقال * مصائب قوم عند قوم فوائد*

فلما كان هذا حقيقة قولهم الذي يمتقدونه ويشهدونه صاروا حزبين حزبا من أهل الكلام والرأى أقروا بالفرق الطبعي وقالوا ما هم فرق الا الفرق الطبعي ايس هنا فرق يرجع الى الله بأنه يجب هذا ويبعض هذا

ثم منهم من يضعف عنده الوعد والوعيد اما لقوله بالارجاء واما لظنه ان ذلك لمصلحة الناس في دنيا اقامة للعادل كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة فلا يبقى عنده فرق بين فعل وفعل الا ما يحبه هو ويبغضه فما أحبه هو كان الحسن الذي ينهى فعله وما أبغضه كان القبيح الذي ينهى تركه

وهذا حال كثير من أهل الكلام والرأى الذين يرون رأى جهم والاشعري ونحوهما في القدر تجدهم لا ينتهون في المحبة والبغضة والموالاة والمادة الا الى محض أهوائهم وارادتهم وهو الفرق الطبعي ومن كان منهم مؤمناً بالوعد فانه قد يفعل الواجبات ويترك المحرمات - لكن لاجل ما قرن بهما من الامور الطيبة في الآخرة من أكل وشرب ونكاح

وهؤلاء ينكرون محبة الله و لتلذذ بالنظر اليه وعندهم اذا قيل ان
العباد يتلذذون بالنظر اليه فعنده انهم عند النظر يخافون لهم من اللذات
بالمخلوقات ما يتلذذون به لا ان نفس النظر الي الله يوجب لذة

وقد ذكر هذا غير واحد منهم أبو المعالي في الرسالة النظامية وجمال
هذا من أسرار التوحيد وهو من انوار التوحيد لذى يسميه هؤلاء
النفقات توحيداً ايس من أسرار التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل
به الكتب فان المحبة لا تكون الا ما في في المحبوب بحبه المحب وليس
عندهم في الموجودات شئ يحبه الرب الا بمعنى يريدوه وهو مريد لكل
الحوادث ولا في الرب عندهم معنى يحبه العبد وانما يحب العبد ما يشتهي
وانما يشتهي الامور الطبيعية الموافقة لطبعه ولا يوافق طبعه عندهم الا
للذات البدنية كالاكل والشرب والنكاح

والحزب الثاني من الصوفية الذى كان هذا المشهد منتهى سلوكهم
صرفوا الذرق الطيبى وهم قد سلكوا على ترك هذا الفرق الطيبى وانهم
يزهدون في حظوظ النفس وأهوائها لا يريدون شيئاً لأنفسهم وعندهم
ان من طلب شيئاً للاكل والشرب في الجنة قائماً طاب هواه وحظه
وهذا كله نقص عندهم ينافي حقيقة الفناء في توحيد الربوبية وهو بقاء
مع النفس وحظوظها والمقامات كلها عندهم اتوكل والمحبة وغير ذلك
انما هي منازل أهل النزع السائرين الى عين الحقيقة فاذا نهتوا توحيد
الربوبية كان ذلك عندهم عالماً في الحقيقة اما لنقص المعرفة والشود
واما لأنه ذنب عن النفس وطلب حظوظها فانه من شهد ان كل ما في

الوجود فالرب يحبه ويرضاه ويريد له لافرق عنده بين نبيء وشيء الا
 أن من الامور ما معه حظ لبعض الناس من لذة يصيبها ومنها ما معه ألم
 لبعض الناس فمن كان هذا مشهده فانه قطعاً يرى أن كل من فرق بين
 شيء وشيء لم يفرق الا لتقص معرفته وشهوده ان الله رب كل شيء ومريد
 لكل نبيء ومحب على قولهم لكل شيء

واما لفرق يرجع الى حظه وهواه فيكون طالبا لحظه ذابا عن نفسه
 وهذا علة وعيب عندهم فعصار عندهم كل من فرق اما ناقص المعرفة
 والشهادة واما ناقص القصد والارادة وكلاهما علة بخلاف صاحب الفناء
 في مشهد الربوبية فانه يشهد كل ما في الوجود بباراته ومحبته ورضاه
 عندهم لافرق بين شيء وشيء فلا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة
 كما قاله صاحب منازل السائرين

ولهذا في الكلام المنقول عن الذبيلى وأبي يزيد انه قال اذا
 رأيت أهل الجنة يتمتعون في الجنة وأهل النار يعذبون في النار
 وقع في قلبك فرق خرجت عن حقيقة التوكل أو قال التوحيد
 الذي هو أصل التوكل ومعلوم ان هذا الفرق لا يمد من الحيوان دائماً
 بل لا بد له منه يتيل الي ما لا بد له منه من أكل وشرب لكنه في حال
 الفناء قد يكون مستغرقا في ذلك المشهد واكن لا بد أن يميل الى أمور
 يحتاج اليها فيريدها وأمور تضره فيكرهها وهذا فرق طبعي لا يخلو منه
 بشر لكن قد يقولون بلفرق في الامور الضرورية التي لا يقوم الانسان
 الا بها من طعام ولباس ونحو ذلك فيكتفون في الدنيا والآخرة لا بد

منه من طعام ولباس و يرون هذا الزهد هو الغاية فيزهـ دون في
 كل شيء يهـ في انهم لا يريدونه ولا يكرهونه ولا يحبونه ولا يبغضونه
 ويكون زهـ دمهم في المساجد كزهدهم في الحانات ولهـ اذا قدم
 الشيخ الكبير منهم بلداً يبدؤ بالغايا في الحانات ويقول كيف انتم
 في قدر الله فانه لا فرق عنده في هذا المشهد بين المساجد والكنائس
 والحانات وبين أهل الصلاة والاحرام وقراءة القرآن وأهل الكفر
 وقطاع الطريق والمشركين بالرحمن ولا ريب ان فاءهم وغيبهم عن
 شهود الالهية والنبوة شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول لله وما
 تضمنه من الفرق يرجع الي تنص العلم و"شهود الايمان والوحيـ
 فشهدوا نعمتان نعمت الرب وغابوا عن آخر وهذا نقص وقد يرون
 ان شهود الذات مجردة عن الصفات أكمل ويقولون بشهود الافعال
 ثم شهود الصفات ثم شهود الذات المجردة

وربما جعلوا الاول للنفس والثاني للقلب والثالث للروح ويحلمون
 هذا النقص من ايمانهم ومعرفةهم وشهودهم هو الغاية فيكونون مضاهين
 للجهمية نفاة الصفات حيث أثبتوا ذاتا مجردة عن الصفات وقالوا هذا
 هو الكمال لكن أوائلك يقولون بانتفائها في الخارج فيقولون انهم يشهدون
 انها منتفية بانتفائها في الخارج فيقولون انهم يشهدون انها منتفية وهؤلاء
 يشبثونها في الخارج علما واعتقاداً ولكن يتولون الكمال في أن يغيب
 عن شهودها ولا يشهدون فيها الكي لا يشهدوا ثبوتها وهـ هذا نقص
 عظيم وجهل عظيم اما أولاً فلانهم شهدوا الامر على خلاف ما هو

عليه فذات مجردة عن الصفات لاحقيقة لها في الخارج وأما الثاني فهو
مطلوب الشيطان من التجهيم ونفي الصفات فان عدم العلم والشهود
اثبتوا يوافق فيه الجهمي المعتقد لاستفائها

ومن قال أعني أن محمداً ليس برسول وقال الآخر وان كنت
أعلم رسالته فانا نفي عنها فلا أذكرها ولا أشهدا فهذا كافر كالاول
فالكفر عدمه - يدق الرسول سواء كان معه اعتقاد تكذيب أم لا بل
وعدم الاقرار بما جاء به والمحبة فمن ألزم قباة أن يغيب عن صفات الله
كما يعرف ذاته وألزم قباة أن يشهد ذاتا مجردة عن الصفات فقد ألزم
قلبه أن لا يحصل له مقصود الايمان بالصفات وهذا من أعظم الضلال
وأهل الفناء في توحيد الربوبية قد يظن أحدهم انه اذا لم يشهد
الا فعل الرب فيه فلا تم عليه وهم في ذلك بمنزلة من أكل السموم
الذاتية وقال أنا أشهد أن الله هو الذي أطمعني ولا يضرني وهذا جهل
عظيم فان لذنوب والسيئات تضر الانسان أعظم مما تضره السموم
وشهوده ان الله فاعل ذلك لا يدفع ضررها ولو كان هذا دافعا لضررها
لكان أنبياء الله وأوليائه المنتقمون أقدر على هذا الشهود الذي يدفعون
به عن أنفسهم ضرر الذنوب

ومن هؤلاء من يظن ان الحق اذا وهبه حالا يتصرف به وكشفه
لم يحاسبه على تصرفه به وهذا بمنزلة من يظن اذا أعطاه ملكا لم يحاسبه
على تصرفه به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت
ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجبد منك الجبد فيبين انه مع انه

المعطي المانع فلا ينفع المجدود جده انما ينفعه الايمان والعمل الصالح
فهذا أصل عظيم ضل بالخطأ فيه خالق كثير حتى آل الامر بكثير
من هؤلاء الى أن جعلوا أولياء الله المتقين يقاتلون أنبياءه وبماونون
أعداءه وانهم مأمورون بذلك وهو أمر شيطاني قدرى

ولهذا يقول من يقول منهم ان الكفار لهم خفراء من أولياء الله
ويظن كثير منهم ان أهل الصفاء قاتوا النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
الغازي فقال يا أصحابي تخجلوني وتذمبون عني فقالوا نحن مع الله من
كان مع الله كنا معه

ويجوزون قتال الانبياء وقتلهم كما قال شيخ مشهور منهم كان
بالشام لو قتلت سبعين نبيا ما كنت مخطئا فانه ليس في مشهدهم لله محبوب
صرضى مراد الا ما يقع فسا وقع فالله يحبه وبرضاه وما لم يقع فالله لا يجبه
ولا يرضاه والواقع هو تتبع القدر لمشيئة الله وقدرته فاشاء كان وما لم
يشأ لم يكن فهم من غلب كانوا معه لان من غلب كان القدر معه والمقدور
عندهم هو محبوب الحق فاذا غلب الكفار كانوا معهم واذا غلب
المسلمون كانوا معهم واذا كان الرسول منصورا كانوا معه واذا غلب
أصحابه كانوا مع الكفار الذين غابوهم وهؤلاء الذين يصلون الى هذا
الحذ غالهم لا يعرف وعيد الآخرة فان من أقر بوعيد الآخرة وانه
للكفار لم يمكنه أن يكون معاونا للكفار مواليا لهم على ما بوجب
وعيد الآخرة

لكن قد يقولون بسقوطه مطلقا وقد يقولون بسقوطه عن شهد

توحيد الربوبية وكان في هذه الحقيقة القدرية وهذا يقوله طائفة من
شيوخهم كالشيخ المذكور وغيره فلهمذا يوجد هؤلاء الذين يشهدون
القدر المحض وليس عندهم غيره الا ما هو قدر أيضا من نعم أهل
الطاعة وعقوبة أهل المعصية لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر
ولا يجاهدون في سبيل الله ولا يدعون الله بنصر المؤمنين على الكفار
بل اذا رأى أحدهم من يدعو قال الفقير والمحقق أو العارف ماله
ولهذا يفعل الله ما يشاء وينصر من يريد فان عنده ان الجميع واحد
بالنسبة الى الله وبالنسبة اليه أيضا فانه ليس له غرض في نصر احدى
الطائفتين لامن جهة ربه فانه لا فرق على رأيه عند الله تعالى بينهما
ولا من جهة نفسه فان حظوظه لا تنقص باستيلاء الكفار بل كثير منهم
تكون حظوظه الدنيوية مع استيلاء الكفار والمنافقين والظلمة أعظم
وعامة من معهم من الخفراء هم من هذا الضرب فان لهم حظوظا
ينالونها باستيلائهم لا تحصل لهم باستيلاء المؤمنين وشياطينهم نجس تلك
الحظوظ المذمومة وتغريهم بطاهم وتخطبهم الشياطين بامرهمى وكشف
يظنون من جهة الله وان الله هو أمرهم ونهاهم وانه حصل لهم من
المكاشفة ما حصل لاولياء الله المتقين ويكون ذلك كله من الشياطين وهم
لا يفرقون بين الاحوال الرحمانية والشيطانية لان الفرق مبنى على
شهود الفرق من جهة الرب تعالى وعندهم لا فرق بين الامور الحادثة
كلها من جهة الله تعالى انما هو مشيئة محضة تناوت الاشياء تناولا
واحدا فلا يجب شيئا ولا يبغض شيئا ولهذا يشترك هؤلاء في جنس

السمع الذي ينير في النفوس من الحب والوجد والذوق فيثير من
 قاب كل أحد حبه وهواه وأهواؤهم منفردة فانهم لم يجتمعوا على محبة
 ما يحبه الله ورسوله اذ كان محبوب الحق على أصل قولهم هو ما قدره
 فوقع واذا اختلفت أهواؤهم في الوجد اختلفت أهواء شياطينهم فقد
 يقتل بعضهم بعضاً بشياطينه لانها أقوى من شياطين ذلك

وقد يسابه مامعه من الحال الذي هو التصرف والمكاشفة الحاصلة
 له بسبب شياطينهم فتكون شياطينه هربت من شياطين دالك فيضعف أمره
 ويسلب حله كمن كان ملكاً له أعوان فاخذت أعوانه فيبقى ذليلاً
 لا ملك له

فكثير من هؤلاء كالموك الظالمة الذين يعادى بعضهم بعضاً اما
 مقتول واما مسور واما هزوم فان منهم من بأسر غيره فيبقى تحت تصرفه
 ومنهم من يسابه غيره فيبقى لاحال له كالمالك الهزوم فهذا كله من
 تفريع أصل الجهمية الغلاة في الجبر في القدر

فانما يخاف من هذا كله من أثبت لله محبة لبعض الاور وبعضها
 لبعضها ورضا لبعضها ورضاً من بعضها وفرحاً ببعضها وسخطاً لبعضها
 كما أخبرت به الرسل وانطقت به الكتب وهذا هو الذي يشهد أن لا اله
 الا الله وأن محمداً رسول الله ويعلم ان التوحيد الذي بعثت به الرسل
 أن يعبد الله وحده لا شريك له فيعبد الله دون ما سواه

وعبادته تجمع كمال محبته وكمال الذل له كما قال تعالى (وأنيبوا الى
 ربكم وأسأموا له) فينيب قلبه الى الله ويسلم له ويتبع ملة ابراهيم حنيفاً

ومن أحد - من ديننا من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم
حنيفاً واتخذ لله ابراهيم خايلاً) وعلم ان مأمراً الله ورسوله به فان الله
يحب به وبرضاه وما نهى عنه فانه يبغضه وينهى عنه ويمقت عاينه ويستخط
على فاعله فصار يشهد الفرق من جهة الحق تعالى ويعلم ان الله تعالى
يجب أن يعبد وحده لا شريك له ويبغض من يجده - بل له أندادا يحبونهم
كحب الله وان كانوا مقرين بتوحيد الربوبية كما شركى العرب وغيرهم
وان هؤلاء القدرية الجبرية الجهمية أهل الفناء في توحيد الربوبية
حقيقة قولهم من جنس تول المشركين الذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء قال الله تعالى (كذلك كذب الذين من
قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا
الظن وان أنتم الا تخرسون قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)
فان هؤلاء المشركين ما أنكروا ما بعثت به الرسل من الامر والنهي
وأنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وهم يقرون
بتوحيد الربوبية وان الله خالق كل شيء مابق عندهم من فرق من
جهة الله تعالى بين مأمور ومحذور

فقالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء وهذا
حق فان الله لو شاء أن لا يكون هذا لم يكن - لكن أي فائدة لهم في هذا
هذا غابته ان هذا الشرك والتحريم بقدر ولا يلزم اذا كان مقدر ان
يكون محبوباً مرضياً لله ولا علم عندهم بان الله أمر به ولا أحبه ولا راضيه
بل ليسوا في ذلك الا على ظن وخرص

فان احتجوا بالقدر فالقدر عام لا يختص بحالهم وان قالوا نحن نحب هذا ونسيخط هذا فنحن نفرق الفرق الطبيعي لانتفاء الفرق من جهة الحق تعالى ولا علم عندكم بانتفاء الفرق من جهة الله تعالى والجهمية المثبتة لا شرع تقول بان الفرق الثابت هو أن التوحيد قرن به النعيم والشرك قرن به العذاب وهو الفرق الذي جاءه لرسول وهو عندهم يرجع الى علم الله بما سيكون واخباره بل هؤلاء لا يرجع الفرق عندهم الى محبة منه لهذا وبنقض لهذا وهؤلاء يوافقون المشركين في بعض قولهم لاني كله كما ان القدرية من الامة الذين هم مجوس الامة يوافقون المجوس المحضة في بعض قولهم لاني كله والا فالرسول قد دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له والى محبة الله دون ما سواه والى أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواها والمحبة تدبغ الحقيقة فان لم يكن المحبوب في نفسه مستحقا لان يحب لم يجز الا سبب محبته فضلا عن ان يكون أحب الينا من كل ما سواه واذا قيل محبته محبة عبادته وطاعته قيل محبته لعماده والطاعة فرع على محبة المعبود المطاع وكل من لم يحب في نفسه لم تحب عبادته وطاعته

ولهذا كان الناس يبنضون طاعة الشخص الذي يبنضونه ولا يمكنهم مع بنضه محبة طاعته الا لغرض آخر محبوب مثل عوض مطيعهم على طاعته فيكون المحبوب في الحقيقة هو ذلك العوض فلا يكون الله ورسوله أحب اليهم مما سواها الا بمعنى أن العوض الذي يحصل على

ذاك من المخلوقات أحب اليهم من كل شئ ومحبة ذلك العوض مشروط
بالشعور به فم لا يشعر به يمتنع محبته
واذا قيل هم قد وعدوا على محبة الله ورسوله بأن يمطوا أفضل
محبوباتهم المخلوقة

قيل لا معنى لمحبة الله ورسوله عندهم الا محبة ذلك العوض والعوض
غير مشهور به حتى يحب واذا قيل بل اذا قال من لأحب ذاته لغيره
المنى فإنتك اذا أطعتني أعطيتك أعظم ما تحببه صار محباً لذلك الأمر
قيل ليس الأمر كذلك بل يكون قلبه فارغاً من محبة ذلك الأمر وإنما
هو معلق بما وعده من العوض على عمله كالفعلية الذين يعملون من البناء
والحياطة والنساجة وغير ذلك ما يطالبون به أجورهم فهم قد لا يعرفون
صاحب العمل أولاً ولا يحبونه ولا لهم غرض فيه إنما غرضهم في العوض
الذي يحبونه

وهذا أصل قول الجهمية القدريّة والمعتزلة الذين ينكرون محبة
الله تعالى ولهذا قالت المعتزلة ومن أتبعها من الشيعة ان معرفة الله واجب
لكونها لطفاً في أداء الواجبات العقلية فعملوا أعظم المعارف تبعاً لما
ظنوه واجباً بالعقل وهم ينكرون محبة الله والنظر اليه فضلاً عن
لذة النظر

وابن عقيل لما كان في كثير من كلامه طائفة من كلام المعتزلة - مع
رجلاً يقول اللهم اني أسألك لذة النظر الى وجهك فقال يا هذا هب أن
تله وجهاً فتلذذ بالنظر اليه وهذا اللفظ مأثور عن النبي صلى الله عليه

وسلم في الحديث الذي رواه النسائي وغيره عن عمار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الدعاء اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي اللهم اني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نبيها لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت وأسألك لذة انظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقاءك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين

وقد روي هذا اللفظ من وجه آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أظنه من رواية زيد بن ثابت ومعناه في الصحيح من حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادياً أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم بيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما أعطاهم شيئاً أحب اليهم من انظر اليه وهي الزيادة يعني قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقد أخبر أنه ليس فيما أعطوه من النعيم أحب اليهم من النظر اليه واذا كان انظر اليه أحب الاشياء اليهم علم أنه نفسه أحب الاشياء اليهم والالم يكن انظر أحب انواع النعيم اليهم فان محبة الرؤية تتبع محبة المرئي وما لا يحب ولا يفيض في نفسه لا تكون رؤيته أحب الى الانسان من جميع انواع النعيم وفي الجملة فانكار الرؤية والمحبة والكلام أيضاً معروف من كلام

للمهية والمعتزلة ومن وافقهم وا شعرية ومن تابعهم يوافقونهم على نفي المحبة ويخالفونهم في اثبات الرؤية ولكن الرؤية التي يثبتونها الاحقية لها
 وأول من عرف عنه في الا-لام انه أنكر ان الله يتكلم وان الله
 يجب عباده الجعد بن درهم ولهذا أنكر ان يكون أنخذ الله ابراهيم
 خليلاً أو كلم موسى تكليماً فضحى به خالد بن عبد الله القسرى وقال
 فحوا أيها الناس تقبل الله سخاياً كم فاني مضح بالجعد بن درهم انه يزعم
 ان الله لم يخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول
 الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبجه

وأما الصوفية فهم يثبتون المحبة بل هذا أظهر عندهم من جميع
 الامور وأصل طريقهم انما هي الارادة والمحبة واثبات محبة الله مشهور
 في كلام أولاهم وأخراهم كما هو ثابت بالكتاب والسنة واتفق المذاهب
 والمحبة جنس تحتها أنواع كثيرة فبكل عابد فهو محب للمعبود
 فلمشركون يحبون آلهتهم كما قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون
 الله أنداداً يحبونهم كحب الله ولذين آمنوا أشد حباً لله) وفيه قولان
 أحدهما يحبونهم كحب المؤمنين الله واثباتي يحبونهم كما يحبون الله لانه
 قد قال (والذين آمنوا أشد حباً لله) فلم يمكن أن يقول ان المشركين يمدون
 آلهتهم كما يعبد الموحدون لله بل كما يحبونهم لله فانهم يمدلون آلهتهم برب
 العالمين كما قال (ثم الذين كفروا بربهم يمدلون) وقال (تالله ان كنا لفي ضلال
 مبين انذسويكم رب العالمين) وقد قال بعض من نصر القول الاول
 في الجواب عن حجة القول الثاني قال المفسرون قوله (والذين آمنوا

أشد حباً لله) أى أشد حباً لله من المشركين لآلهمم فيقال له ما قاله هؤلاء
المفسرون مناقض لقولك فانك تقول انهم يحبون الانداد كحب المؤمنين
لله وهذا يناقض أن يكون المؤمنون أشد حباً لله من المشركين لاربابهم
فتبين ضعف هذا القول وثبت ان المؤمنين يحبونهم أكثر من محبة
المشركين لله ولا آلهتهم لان أولئك أشركوا في المحبة والمؤمنون أخذوها
كلها لله وأيضاً فقوله كحب الله أضيف فيه المصدر الى المحبوب المنعول
وحذف فاعل الحب فاما أن يراد كما يحب الله من غير تعيين فاعل فيبقى
عاما في حق الطائفتين وهذا يناقض قوله (والذين آمنوا أشد حباً لله
واما أن يراد كحبهم لله ولا يجوز أن يراد كما يحب غيرهم لله اذ ليس في
الكلام ما يدل على هذا بخلاف جههم فانه قد دل عليه قوله ومن الناس
من يتخذ من دون الله أوداداً يحبونهم كحب الله فأضاف الحب المشبه
اليهم فكذلك الحب المنزبه بهم اذ كان سياق الكلام يدل عليه اذا قال
يحب زيدا كحب عمرو أو يحب علياً كحب أبي بكر أو يحب الصالحين
من غير أهلهم كحب الصالحين من أهلهم أو قيل يحب الباطل كحب الحق أو
يحب سماع المكاء والنصدية كحب سماع القرآن وأمثال ذلك لم يكن
المفهوم الا أنه هو المحب للمشبه والمشبه به فانه يحب هذا كما يحب هذا
لاينهم .نه انه يحب هذا كما يحب غيره هذا اذ ليس في الكلام ما يدل على
محبة غيره أصلاً

والمقصود ان المحبة تكون لما يتخذ إلهاً من دون الله وقد قال
تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم) فمن كان يعبد

مايهواه فقد اتخذاه هواه فها هو به الهه فهو لا يتأله من يعلم أن يستحق التأله بل يتأله مايهواه وهذا اتخذاه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم ومحبة عباد العجل له وهذه محبة مع الله لمحبة الله وهذه محبة أهل الشرك والنفوس قد تدعى محبة الله ويكون في نفس الامر محبة شرك تحب ماتهواه وقد أنكرته في الحب مع الله وقد يخفى الهوى على النفس فإن حبك الشيء يعمى ويصم

وهكذا الاعمال التي يظن الانسان انه يعملها لله وفي نفسه شرك قد خفي عليه وهو يعملها اما لب رياءة واما لب مال واما لب صورة ولهذا قاوا يارسول الله الرجل يقاتل شجاعة وحمية ورياء فأي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فلما صار كثير من الصوفية النساك المتأخرين يدعون لمحبة ولم يزونها بميزان العلم والكتاب والسنة دخل فيها نوع من الشرك واتباع الاهواء والله تعالى قد جعل محبته موجهة لاتباع رسوله فقال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وهذا لان الرسول هو الذي يدعوا الى ما يحبه الله واما شئ يحبه الله الا والرسول يدعو اليه وليس شئ يدعو اليه الرسول الا والله يحبه فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا في ذاته وان تنوعت الصفات فكل من ادعى انه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب ليست محبته لله وحده بل ان كان يحبه فهي محبة شرية فانما يتبع مايهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله فانهم لو اخلصوا له المحبة لم يحبوا الا ما احب فكانوا يتبعون الرسول

فلما أحبوا ما بغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس
 محبة المشركين وهكذا أهل البدع فمن قال انه من المرادين لله المحبين
 له وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبتهم
 فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة
 فان البدع التي ليست مشروعة وليست مما دعا اليه الرسول لا يحبها الله
 فان الرسول دعى الي كل ما يحبه الله فأمر بكل معروف ونهى عن
 كل منكر

وأيا فمن تمام محبة الله ورسوله بغض من حادته ورسوله والجهاد
 في سبيله لقوله تعالى (لا تحجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من
 حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك
 كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) وقال تعالى أيضا (ترى كثيرا
 منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم
 وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه
 ما أخذوهم أولياء) واكن كثيرا منهم فاسقون) وقال تعالى (ند كانت لكم
 آية حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا اقومهم انا برآء منكم وبما
 عبدون من دون الله كفروا بك وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
 أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده)

فأمر المؤمنين أن يتأوا بابراهيم ومن معه حيث أبدوا العداوة
 والبغضاء لمن اشرك حتى يؤمنوا بالله وحده فأين هذا من حل من لا يحسن
 حسنة ولا يستقبح سيئة وهؤلاء سلكوا طريق الارادة والمحبة مجتهدا من

غير اعتصام بالكتاب والسنة كما ملك أهل الكلام والرأى طريق النظر والبحث من غير اعتصام بالكتاب والسنة فوقع هؤلاء في ضلالات وهؤلاء في ضلالات كما قال تعالى (فأما أتيتكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وقال (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) وقال (قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عنا) ومثل هذا كثير في القرآن وقد بسط الكلام على هذا الاصل في غير هذا الموضع

فان قيل صاحب الفناء في توحيد الربوبية قد شهد أن الرب خالق كل شيء وقد يكون ممن يثبت الحكمة فيقول انا خالق المخلوقات لحكمة وهو يجب تلك الحكمة ويرضاها وانما خلق ما يكرهه لما يحبه والذين فرقوا بين المحبة والارادة قالوا ان المريض يريد الدواء ولا يحبه وانما يجب يحصل به وهو العافية وزوال المرض فالرب تعالى خالق الاشياء كلها بمشيئته فهو مريد لكل ما خلق ولما أحبه من الحكمة وان كان لا يجب بعض المخلوقات من الاعيان والافعال لكنه يجب الحكمة التي خالق لاجلها فالعارف اذا شهد هذا أحب أيضاً أن يخلق لتلك الحكمة وتكون الاشياء مرادة محبوبة له كما هي للحق فهو وان كره الكفر والفسوق والمعصيان لكن ما خلقه الله منه خلقه لحكمة وارادة فهو

مراد محبوب باعتبار غايته لاباعباره في نفسه

قبل من شهد هذا المشهد فهو يستحسن ما حسنه الله وأحبه ورضيه
ويستبج ما كرهه الله وسخطه ولكن اذا كان الله خالق هذا المكروه
لحكمة يجها فالعارف هو أيضاً يكرهه ويبغضه كما كرهه الله ولكن
يجب الحكمة التي خلق لاجلها فيكون حبه وتعلمه موافقاً لمعلم الله
وحبه لا يخالفنا والله عليم حكيم

فهو يعلم الاشياء على ما هي عليه وهو حكيم فيما يحبه ويريده ويتكلم
به وما يأمر به ويفعله فاذا كان يعلم أن الفعل الفلاني والشئ الفلاني
منصف بما هو مذوم لاجله مستحق للبغض والكرهية كان من حكمته
أن يبغضه ويكرهه واذا كان يعلم ان في وجوده حصول حكمة محبوبة
محمودة كان من حكمته أنه يخلفه ويريده لاجل تلك الحكمة المحبوبة
التي هي وسيلة الى حصوله واذا قيل ان هذا الوسط يجب باعتبار
ما انصف به من الصفات المذومة كان هذا حسناً كما تقول ان الانسان
قد يبغض الدواء من وجه ويحبه من وجه وكذلك أمور كثيرة تحب
من وجه وتبغض من وجه

وأيضاً يجب الفرق بين أن يكون مضرًا بالشخص مكروهًا له بكل
اعتبار وبين أن يكون الله خلقه لحكمة في ذلك واذا كان الله خالق كل
شئ لحكمة له في ذلك فاذا شهد العبد أن له حكمة ورأى هذا مع
الجمع الذي يشترك فيه المخلوقات فلا يتنعمه ذلك أن يشهد ما بينهما من
الفرق الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار بل لا بد من شهود

الفرق في ذلك الجمع وهذا الشهود مطابق لعلم الله وحكمته والله أعلم.
وقد قال الله تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وَاخوانكم
وأزواجكم وعشـيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة نخشون كسادها
ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى يأتي الله بامرء والله لا يهدي القوم الفاسقين)

فاخبر ان من كان محبوباته أحب اليه من الله ورسوله والجهاد في
سبيله فهو من أهل الوعيد وقال في الذين يحبهم ويحبونه (فسوف يأتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين يجاهدون
في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) فلا بد لمحـب الله من متابعة الرسول
والمجاهدة في سبيل الله بل هذا لازم لكل مؤمن قال تعالى (انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في
سبيل الله أولئك هم الصادقون) فهذا حب المؤمن لله

وأما المحبة الشركية فليس فيها متابعة للرسول ولا بغض لعدوه
ومجاهدة له كما يوجد في اليهود والنصارى والمشركين يدعون محبة الله
ولا يتابعون الرسول ولا يجاهدون عدوه

وكذلك أهل البدع المدعون للمحبة فهم من الاعراض من اتباع
الرسول بحسب بدعتهم وهذا من حبهم لغير الله وتجدهم من أبعاد الناس
عن موالاته أو إيماء الرسول ومعاداة أعدائه والجهاد في سبيله لما فيهم
من البدع التي هي شعبة من الشرك والذين ادعوا المحبة من الصوفية وكان
قولهم في القدر من جنس قول الجهمية المجبرة هم في آخر الامر

لا يشهدون للرب محبوباً الا ما وقع وقدر وكل ما وقع من كفر وفسوق
وعصيان فهو محبوبه عندهم فلا يبق في هذا الشهود فرق بين موسى
وفرعون ولا بين محمد وأبي جهل ولا بين أولياء الله وأعدائه ولا بين
عبادة الله وحده وعبادة الاوثان بل هذا كله عند الفاني في توحيد
لربوبية سواء ولا يفرق بين حادث وحادث الا من جهة ما يهواه هو
فانما يأله ويحب ما يهواه وهو وان كان عنده محبة الله فقد أخذ من دون
الله أنداداً يحبهم كحب الله وهم من يهواه هذا مادام فيه محبة الله وقد
يندأخ منها حتى يصير الى التعطيل كفرعون وأمثاله الذي هو أسوأ
حالا من مشركي العرب

ولهذا هؤلاء يحبون بلا علم ويبغضون بلا علم والعلم ما جاء به
الرسول كما قال (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) وهو الشرع
المنزل

ولهذا كان الشيوخ العارفون كثيراً ما يوصون المرئدين باتباع العلم
والشرع كما قد ذكرنا قطعة من كلامهم في غير هذا الموضع لان الارادة
والحبة اذا كانت بغير علم وشرع كانت من جنس محبة الكفار وارانهم
فهؤلاء السالكون المريدون الصوفية والفقراء الزاهدون العابدون الذين
سلكوا طريق المحبة والارادة اذ لم يتبعوا الشرع المنزل والعلم الموروث
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحبون ما حبه الله ورسوله ويبغضون
ما أبغض الله ورسوله والا أفضى بهم الامر الى شعب من شعب
الكفر والنفاق

ولا يتم الايمان والمحبة لله الا بتصديق الرسول فيما أخبر وطاعته
فيما أمر ومن الايمان بما أخبر الايمان بما وصف به نفسه ووصفه به
رسوله فمن نفي الصفات فقد كذب خبره

ومن الايمان بما أمر فعلى ما أمر وترك ما حذر ومحبة الحسنات
وبنص السيئات ولزوم هذا الفرق الى انعام

فمن لم يستحسن الحسن المأمور ولم يستقبح الشيء المنهي عنه لم
يكن معه من الايمان شيء كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
من رأى منكم منكراً فإغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع
فقلبه وذلك أضعف الايمان

وكما قال في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله في أمته قبلى الا كان له من
أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم انما تخلف
من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن
جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن
جاهدهم تقابه فهو مؤمن ايس وراء ذلك من الايمان حبة خرد
رواه مسلم

فأضعف الايمان انكار ما يبغضه الله ورسوله بالقلب فمن لم يكن في
قلبه بعض المنكر الذى يبغضه الله ورسوله لم يكن معه من الايمان شيء
ولهذا يوجد المبتدعون الذين يدعون المحبة الجميلة المشتركة التي
تضاهى محبة المشركين يكرهون من ينكر عليهم شيئاً من أحوالهم

ويقولون فلان ينكر وفلان ينكر

وقد يتلون كثيرا بمن ينكر مامعهم من حق وباطل فيصير هذا يشبه النصراني الذي يصدق بالحق والباطل ويحب الحق والباطل كالمشرك الذي يحب الله ويحب الانداد وهذا كاليهودي الذي يكذب بالحق والباطل ويبغض الحق والباطل فلا يحب الله ولا يحب الانداد بل يستكبر عن عبادة الله كما استكبر فرعون وأمثاله وهذا موجود كثيرا في أهل البدع من أهل الارادة والبدع من أهل الكلام هؤلاء يقولون بالحق والباطل مضاهاة للنصارى وهؤلاء يكذبون بالحق والباطل مضاهاة لليهود وانما دين الاسلام وطريق أهل القرآن والايمان انكار ما يبغضه الله ورسوله رحمة ما يحبه الله ورسوله والتصديق بالحق والتكذيب بالباطل فهم في تصديقهم ومحبتهم معتدلون يصدقون بالحق ويكذبون بالباطل ويحبون الحق ويبغضون الباطل يصدقون بالحق الموجود ويكذبون بالباطل المفقود ويحبون الحق الذي يحبه الله ورسوله وهو المعروف الذي أمر الله ورسوله به ويبغضون المنكر الذي نهى الله ورسوله عنه وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لا طريق المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق فلا يصدقون به ولا يحبونه ولا الضالين الذين يتقدمون ويحبون ما لم ينزل الله به سلطانا

والمقصود هنا ان الحجة الشرعية البدعية هي التي اوقعت هؤلاء في ان آل أمرهم الى أن لا يستحسنوا حسنة ولا يستقبحوا سيئة لظنهم

ان الله لا يحب ما موروا ولا يفيض محظورا فصاروا في هذا من جنس من أنكر ان الله يحب شيئا ويفيض شيئا كما هو قول الجهمية نفاة الصفات وهؤلاء قد يكون أحدهم مثبتا لمحبة الله ورضاه في أصل اعنقاده اثبات الصفات لكن اذا جاء الي القدر لم يثبت شيئا غير الارادة الشاملة وهذا وقع فيه طوائف من مثبتة الصفات تكلموا في القدر بما يوافق رأى جههم والاشعري فصاروا مناقضين لما أثبتوه من الصفات كحال صاحب منازل السائرین وغيره

وأما أئمة الصوفية والمشايخ المشهورون من القدماء مثل الجنيد بن محمد وأتباعه ومثل الشيخ عبد القادر وأمناله فهؤلاء من أعظم الناس لزوما للامر والنهي وتوصية باتباع ذلك وتحذيرا من المشي مع القدر كما مشى أصحابهم أولئك وهذا هو الفرق الثاني الذي تكلم فيه الجنيد مع أصحابه والشيخ عبد القادر كلامه كله يدور على اتباع المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور ولا يثبت طريقا تخالف ذلك أصلا لاهو ولا عامة المشايخ المقبولين عند المسلمين ويحذر عن ملاحظة القدر المحض بدون اتباع الامر أو النهي كما أصاب أولئك الصوفية الذين شهدوا القدر وتوحيد الربوبية وغابوا عن الفرق الالهى الدينى الشرعى المحمدي الذي يفرق بين محبوب الحق ومكروهه ويثبت أنه لا اله الا هو وهذا من أعظم ما يجب رعايته على أهل الارادة والسلوك فإنه كثير من المتأخرين من زاغ عن فضل سوا السبيل وإنما يعرف هذا من توجه بقلبه وانكشفت له حقائق الامور وصار يشهد الربوبية

العامّة والقيومية الشاملة فان لم يكن معه نور الايمان والقرآن الذي يحصل به الفرقان حتى يشهد الالهية التي تميز بين أهل التوحيد والشرك وبين ما يحبه الله وبين ما يبغضه وبين ما أمر به الرسول وبين ما نهى عنه والا خرج عن دين الاسلام بحسب خروجه عن هذا فان الربوبية العامة قد أقر بها المشركون الذين قال فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم يشركون) وانما يصير الرجل مسلماً حنيفاً موحداً اذا شهد أن لا اله الا الله فعبد الله وحده بحيث لا يشرك معه أحداً في تأله ومحبه له وعبوديته وانابته اليه واسلامه له ودعائه له ونوكه عليه وهو الاله فيه ومعاداته فيه ومحبه ما يحب وبغضه ما يبغض وبني بحق التوحيد عين باطل الشرك

وهذا فناء يقارنه البقاء فيفنى عن تأله ماسوى الله بتأله الله تحقيقاً لقوله لا اله الا الله فينقى ويفنى من قابسه تأله ماواه ويثبت ويبقى في قلبه تأله الله وحده وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة

وفي الحديث الآخر من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وقال في الصحيح لقنوا موتاكم لا اله الا الله فانها حقيقة دين الاسلام فمن مات عليها مات مسلماً والله تعالى قد أمرنا ان لانموت الا على الاسلام في غير موضع كقوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) وقال ابراهيم ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال الصديق توفى مسلماً

والحقي بالمالحين

والصحيح من القولين أنه لم يسأل الموت ولم يتمنه وإنما سأل أنه
اذا مات يموت على الاسلام فسأل الصفة لا المرصوف كما أمر الله بذلك
وأمر به خليله ابراهيم واسرائيل وهكذا قال
غير واحد من العلماء منهم ابن
عقيل وغيره والله
أعلم بالصواب

تمت الرسالة السادسة

ويابها الرسالة السابعة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله

في قوله تعالى حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين فما معنى كل مقام منها وأى مقام أعلى (الجواب)

* الحمد لله رب العالمين * للناس في هذه الاسماء مقالات معروفة

منها ان يقال علم اليقين ما علمه بالسمع والخبر والقياس والنظر وعين اليقين ما شاهده وعينه بالبصر وحق اليقين ما باشره ووجدته وذاقه وعرفه بالاعتبار * فالاول مثل من أخبر ان هناك عسلا وصدق الخبر أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده * والثاني مثل من رأى العسل وشاهده وعينه وهذا أعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعين * والثالث مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته ومعلوم ان هذا أعلى مما قبله ولهذا يشير أهل المعرفة الى ما عندهم من الذوق والوجد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع الى الكفر بدم ان أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا

فالناس فيما يجده أهل الايمان ويذوقونه من حلاوة الايمان وطعمه

على ثلاث درجات

الاولى من علم ذلك مثل من يخبره به شيخ له يصدقه أو يبلغه

مأخبر به لعارفون عن أنفسهم أو يجد من آثار أحوالهم ما يدل على ذلك
والثانية من شاهد ذلك وعينه مثل أن يمين من أحوال أهل
المعرفة والصدق واليقين ما يعرف به مواجيدهم وأذواقهم وان كان
هذا في الحقيقة لم يشاهد مذاقوه ووجدوه ولكن شاهد ما دل عليه
لمكن هو أبلغ من الخبر والمستدل بآثارهم

والثالثة ان يحصل له من الذوق والوجد في نفسه ما كان سمعه كما
قال بعض الشيوخ لقد كنت في حال أقول فيها ان كان أهل الجنة في
الجنة في مثل هذا الحال انهم انى عيش طيب وقال آخر انه لير على
القلب أوقات يرقص منها طربا وقال الآخر لأهل الليل في ليهم أذ
من أهل اللهو في لهوهم

والناس فيما أخبروا به من أمر الآخرة على ثلاث درجات
إحدها العلم بذلك لما أخبرتهم الرسل وما قام من الأدلة على
وجود ذلك

الثانية اذا عاينوا ما وعدوا به من الثواب والعقاب والجنة والنار
والثالثة اذا باشروا ذلك فدخل أهل الجنة الجنة وذاقوا ما كانوا
يوعدون ودخل أهل النار النار وذاقوا ما كانوا يوعدون فالناس فيما
يوجد في القلوب وفيما يوجد خارج القلوب على هذه الدرجات الثلاث
وكذلك في أمور الدنيا فان من أخبر بالشق أو النكاح ولم يره ولم يذقه
له علم به فان شاعده ولم يذقه كان له معاينة له فان ذاقه بنفسه كان له ذوق
وخبرة به ومن لم يذق الشيء لم يعرف حقيقةه فان العبارة إنما تفيد لتمثيل

والقريب وأمام معرفة الحقيقة فلا تحصل بمجرد العبارة إلا لمن يكون قد ذاق ذلك الشيء المعبر عنه وعرفه وخبره ولهذا يسمون أهل المعرفة لانهم عرفوا بالخبرة والذوق ما يعاونه غيرهم بالخبر والنظر

وفي الحديث الصحيح أن هرقل ملك الروم سأل أبا-فيان بن حرب فيما سأله عنه من أمور النبي صلى الله عليه وسلم قال فهل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له به-دأن يدخل فيه قال لا قال وكذلك الايمان اذا خلطت بشاشته القاب لا يسخطه أحد

فالايان اذا بانثر القاب وخالطته بشاشته لا يسخطه القلب بل يحبه ويرضاه فان له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذوقه

والناس متفاوتون في ذوقه والفرح والسرور الذي في القاب له من البشاشة والبر ما هو بحسبه واذا خالطت القلب لم يسخطه قال تعالى (قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وقال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه) وقال تعالى (واذا أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون) فأخبر سبحانه أنهم يستبشرون بما أنزل من القرآن والاستبشار هو السرور وذلك لما يجدونه في قلوبهم من الحلاوة واللذة والبهجة بما أنزل الله واللذة أبدأ تتبع المحبة فمن أحب شيئاً ونال ما أحبه وجد اللذة به فالذوق هو ادراك المحبوب فاللذة الظاهرة كالاكل مثلا حال الانسان

فيما أنه يشتهي الطعام ويحبه ثم يذوقه ويتناوله فيجد حينئذ لذته وحلاوته وكذلك النكاح وأمثال ذلك

وليس للعاق محبة أعظم ولا أكمل ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم وليس في الوجود ما يستحق أن يحب لذاته من كل وجه إلا الله تعالى وكل ما يحب سواه فمحبة تتبع حبه فان الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يحب لاجل الله ويطاع لاجل الله ويتبع لاجل الله كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وفي الحديث أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم) الى قوله (أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتر بعضوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي التوالم الفاسقين)

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين

وفي حديث لترمذى وغيره من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) فالذين آمنوا أشد حباً لله ومن كل محب لمحبوبه وقد بسطنا الكلام على هذا في مواضع متعددة

والمقصود هنا أن أهل الايمان يحبون بسبب محبتهم لله ولرسوله من حلاوة لايمان مايناسب هذه المحبة ولهذا علق النبي صلى الله عليه

وسلم ما يجدونه بالمحبة فقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
 أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواها وأن يحب المرء
 لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف
 في النار

ومن ذلك ما يجدونه من ثمرة التوحيد والاخلاص والتوكل والدعاء
 لله وحده فان الناس في هذا الباب علي ثلاث درجات منهم من علم
 ذلك سمعا واستدلالاً ومنهم من شاهد وعان ما يحصل لهم
 ومنهم من وجد حقيقة الاخلاص والتوكل على الله والاتجاه اليه
 والاعتانة به وقطع التعاقب بما سواه وجرب نفسه انه اذا تعاقب بالخلقين
 ورجاهم وطمع منهم أن يجابوا له منفعة أو يدفعوا عنه مضرة فانه يخذل
 من جهتهم ولم يحصل مقصوده بل قد يبذل لهم من الخدمة والاموال
 وغير ذلك ما يرجو أن ينفعوه وقت حاجته اليهم فلا ينفعونه اما
 لعجزهم واما لانصرف قلوبهم عنه واذا توجه الي الله بصدق الافتقار
 اليه واستغاث به مخاضاً له الدين أجاب دعائه وأزال ضرره وفتح له
 أبواب الرحمة فنل هذا قد ذاق حقيقة التوكل والدعاء لله ما لم يذوق غيره
 وكذلك من ذاق طعم اخلاص الدين لله وارادة وجهه دون
 ماواه بمجد من الاحوال والنتائج والفوائد لا يجده من لم يكن كذلك
 بل من اتبع هواه في مثل طلب الرياسة والعلو واملته بالصور الجميلة
 أوجهه للمال يجد في أثناء ذلك من الهموم والغموم والا-زان والآلام
 وضيق الصدر ما لا يعبر عنه وربما يطاوعه قابه على ترك الهوى ولا يحصل

له ما يسره بل هو في خوف وحزن دائماً كان طالباً لما يهواه فهو قبل
ادراكه حزين متألم حيث لم يحصل فاذا أدركه كان خائفاً من زواله
وفراقه

وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاذا ذاق هذا أو غيره
حلاوة الاخلاص لله والعبادة له وحلاوة ذكره ومناجاة وفهم كتابه
وأسلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكون عمله صالحاً ويكون لوجه الله
خالصاً فإنه يجد من السرور واللذة والفرح ما هو أعظم من الداعي
المثوكل الذي نال بدعائه وتوكله ما ينفعه من الدنيا أو يدفع عنه ما يضره
فان حلاوة ذلك هي بحسب ما حصل له من المنفعة أو يدفع عنه من المضرة
ولا أنفع للقلب من التوحيد واخلاص الدين لله ولا أضر

عائيه من الاشرار فاذا وجد حقيقة الاخلاص

التي هي حقيقة إياك نستعين كان هذا

فوق ما يجده كل أحد لم يجد

مثل هذا والله أعلم

تمت الرسالة السابعة

ويابها الرسالة الثامنة له أيضاً

(كتاب بيان الهدى من الضلال في أمر الهلال)

(للشيخ الامام العامل العالم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب * وجملة تبياننا لكل شيء
 وذكرى لاولى الالباب * وأمرنا بالاعتصام به إذ هو حبله الذي هو
 أثبت الاسباب * وهدانا به الى سبيل الهدى ومناهج الصواب * وأخبر فيه
 أنه جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
 والحساب * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رب الارباب
 * وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بجوامع الكلم والحكمة
 وفصل الخطاب * صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة باقية بمديوم المآب
 (وبعد) فإن الله قد أكمل لنا ديننا وأتمم علينا نعمته ورضى لنا
 الاسلام ديننا وأمرنا أن نتبع صراطه المستقيم ولا نتبع السبل فتفرق
 بنا عن سيده وجعل هذه الوصية خاتمة وصاياه العشر التي هي جوامع
 الشرائع التي تضاهي الكلمات العشر التي أنزلها على موسى في التوراة
 وان كانت الكلمات التي أنزلت علينا أكمل وأبغ ولهذا قال الربيع
 ابن خثيم من سره أن يقرأ كتاب محمد الذي لم يفض خاتمه بعده فليقرأ
 آخر سورة الانعام (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم) الآيات وأمرنا
 أن لانكون كالذين نفرتوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأخبر
 رسوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وذكر أنه
 جعله على شريعة من الامر أمره أن يتبعها ولا يتبع سبيل الذين
 لا يعلمون وقال تعالى (وأزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه

من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم
 عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجمعناكم
 أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيها أناكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم
 جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا
 تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فأمره
 أن لا يتبع أهواءهم عما جاء به من الحق وإن كان ذلك شرعاً أو طريقاً
 لغيره من الأنبياء فإنه قد جعل لكل سنةً وسبيلاً وحذره أن يصرفوه
 عن بعض ما أنزل الله إليه فإذا كان هذا فيما جاءت به شريعة غيره
 فكيف بما لا يعلم أنها جاءت به شريعة غيره بل هو طريقة من لا كتاب له
 وأمره وإيانا في غير موضع أن نتبع ما أنزل إلينا دون ما خالفه فقال
 (المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتذر به وذكرى
 للمؤمنين اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً
 ما تذكرون) وبين حال الذين رثوا الكتاب بخالفوه والذين استمسكوا
 به فقال (خائف من إمدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا
 الأدنى ويقولون سيغفر لنا) إلى قوله (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا
 الصلاة أنا لا نضيع أجر المصلحين) وقال (وهذا كتاب أنزلناه مبارك
 فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين
 من قبلنا) الآيات وقال (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
 إن الله كان عليماً حكيماً واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون
 خبيراً) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعاً) وحبل الله كتابه كما فسره النبي

صلى الله عليه وسلم وقار (واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله)
الى غير ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي أجمع المسلمون على
اتباعها وهذا مما لم يخالف المسلمون فيه جملة ولكن قد يقع النزاع
في تفصيله فتارة يكون بين العلماء المتبرين في مسائل الاجتهاد وتارة
ينازع في قوم جهال بالدين أو منافقون أو سماعون للمنافقين فقد أخبر
الله سبحانه أن فينا قوما سماعين للمنافقين يقبلون منهم كما قال (لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا وضوا خلائكم يبغونكم الفتنة وفيكم
سماعون لهم) وانما عدا باللام لانه متضمن معنى القبول والطاعة كما قال
الله على لسان عبده سمع الله لمن حمده أى استجاب لمن حمده وكذلك
سماعون لهم أى مطيعون لهم فاذا كان في الصحابة قوم مطيعون للمنافقين
فكيف بغيرهم وكذلك أخبر عن يظهر الانقياد لحكم الرول حيث
يقول (لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا
بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون
لقوم آخرين لم يأتوك) الى قوله (سماعون للكذب أكالون للسحت) فان
الصواب أن هذه اللام لام التمدية كفى قوله أكالون للسحت أى قائلون
للكذب مريدون له وسماعون مطيعون لقوم آخرين غيرك فليسوا
مفردين للطاعة لله ورسوله ومن قال ان اللام لام كي أى يسمعون
فيكذبوا لاجل أو لثك فلم يصب فان السياق يدل على ان الاول هو المراد
وكثيرا ما يضيع الحق بين الجهال الأعميين وبين المحرفين للكلم الذين فيهم
شعبة نفاق كما أخبر سبحانه عن أهل الكتاب حيث قال (أفتطمعون أن

يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد
 ما عقلوه وهم يعلمون (الى قوله (ومهم أميون لا يعلمون الكتاب الا
 أماني) الآية ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر ان هذه الامة
 تتبع سنن من قبلها - ذو القعدة بالقعدة حتى لو دخلوا جحر ضب
 لدخلتموه ووجب أن يكون فيهم - من يحرف الكلم عن مواضعه فيغير
 معنى الكتاب والسنة فيما أخبر الله به أو أمر به وفيهم أميون لا يفقهون
 معاني الكتاب والسنة بل ربما يظنون ان ما هم عليه من الاماني الذي
 هو مجرد التلاوة ومعرفة ظاهر من القول هو غاية الدين ثم قد ينظرون
 المحرفين وغييرهم من المنافقين أو الكفار مع علم أولئك بعالم يعلمه
 الاميون فاما أن يضل الطائفتان و يصير كلام هؤلاء فتنة على أولئك
 حيث يعتقدون ان ما يقوله الاميون هو غاية علم الدين و يصيروا في
 طرفي النقيض واما أن يتبع أولئك الاميون أولئك المحرفين في بعض
 ضلالهم وهذابن بعض أ - باب تغيير الملل الا أن هذا الدين محفوظ
 كما قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ولا يزال فيه طائفة
 قائمة ظاهرة على الحق فلم ينله مانال غيره من الاديان من تحريف
 كتبها وتغيير شرائعها مطلقا لما ينطق الله به القائلين بحجة الله
 وبينانه الذين يحيون بكتاب الله الموتي وتنوره أهل العمى فان
 الارض ان تخلو من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته
 كان مقتضى تقدم هذه المقدمة اني رأيت الناس في شهر صومهم -
 وفي غيره أيضاً منهم من يصنف الى ما يقوله بعض جهال أهل الحساب

من ان الهلال يرى أو لا يرى ويبيني على ذلك اما في باطنه واما في باطنه وظاهره حتى بلغني ان من القضاة من كان يرد شهادة المدد من المدبول لقول الحاسب الجاهل الكاذب انه يرى أو لا يرى فيكون ممن كذب بالحق لما جاءه وربما أجاز شهادة غير المرضى لقوله فيكون هذا الحاكم من السماعين للكذب فان الآية تتناول حكم السوء كما يدل عليه السياق حيث يقول سماون للكذب أو كقولن للسحت وحكام السوء يقبلون الكذب ممن لا يجوز قبول قوله من مخبر أو شاهد وبأكلون السحت من الرشا وغيرها وما أكثر ما يقتزن هذان وفيهم من لا يقبل قوله في المنجم لاني الباطن ولا في الظاهر لكن في قلبه حسية من ذلك وشبهة قوية لثقته به من جهة ان الشريعة لم تلتفت الي ذلك لاسيما ان كان قد عرف شيئا من حساب النيرين واجتماع القرصين ومفارقة أحدهما الآخر بعدة درجات وسبب الاهلال والابدار والاستتار والكسوف والحسوف فاجرى حكم الحاسب الكاذب الجاهل بالرؤية هذا المجري ثم هؤلاء الذين يجيزون من الحساب وصوره الافلاك وحركاتها أمرا صحيحا قد يعارضهم بعض الجهال من الأميين المنتسبين الى الايمان أو الي العلم أيضا فيراهم قد خالفوا الدين في العمل بالحساب في الرؤية أو في اتباع أحكام النجوم في تأثيراتها المحموده والمذمومة فيراهم لما تماطوا هذا وهو من المحرمات في الدين صار كل ما يقرئونه من هذا الضرب حق ولا يميز بين الحق الذي دل عليه السمع والعقل والباطل المخالف للسمع والعقل مع ان هذا أحسن

حالا في الدين من القسم الاول لان هذا كذب بشئ من الحق منا ولا جاهلا من غير تبديل لبعض اصول الاسلام والضرب الاول قديد خلون في تبديل الاسلام فانا نعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان العمل في رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الايلاء أو غير ذلك من الاحكام المعلقة بالهلال بنجر الحاسب انه يرى أو لا يرى لا يجوز والنصوص المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كثيرة وقد أجمع المسلمون عاياه ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلا ولا خلاف حديث الا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الخادئين بعد المائة الثالثة زعم انه اذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل في حق نفسه بالحساب فان كان الحساب دل على الرؤية صام والا فلا وهذا القول وان كان مقيدا بالاغمام ومختصا بالحاسب فهو شاذ مسبق بالاجماع على خلافه فاما اتباع ذلك في الصحو أو تمليق عموم الحكم العام به فما قا به مسلم وقد يقارب هذا قول من يقول من الاسماعيلية بالعدد دون الهلال وبعضهم يروى عن جعفر الصادق جدولا يعمل عليه وهو الذي افتراه عاياه عبد الله ابن معاوية وهذه الاقوال خارجة عن دين الاسلام وقد برأ الله منها جعفرا وغيره ولا ريب أن أحدا ما يمكنه مع ظهور دين الاسلام أن يظهر الاستناد الى ذلك الا انه قد يكون له عمدة في الباطن في قبول الشهادة وردها وقد يكون عنده شبهة في كون الشريعة تعلم الحكم به وانا ان شاء الله أبين ذلك وأوضح ما جاءت به الشريعة دليلا وتعليلًا شرعا وعقلا قال الله تعالى (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس

والحج) فاخبر انها مواقيت للناس وهذا عام في جميع أمورهم وخص
الحج بالذكر تمييزا له ولان الحج تشهد الملائكة وغيرهم ولانه يكون
في آخر شهر رجب والحول فيكون علما على الحول كما أن الهلال علم على
الشهر ولهذا يسمون الحول حجة فيقولون له سبعمون حجة وأقنا
خمس حجاج. فجعل الله الالهة مواقيت للناس في الاحكام الثابتة بالشرع
ابتداء أو سببا من العباد وللحكام التي تثبت بشروط العبد فثابت من
المؤقتات بشرع أو شرط فالهلال ميقات له وهذا يدخل فيه الصيام
والحج ومدة الايلاء والعدة وصوم الكفارة وهذه الخمسة في القرآن قال
الله تعالى (شهر رمضان) وقال تعالى (الحج أشهر معلومات) وقال تعالى
(للذين يؤولون من نسائهم تربص أربعة أشهر) وقال تعالى (فصيام شهرين
متتابعين) وكذلك قوله (فسبحوا في الارض أربعة أشهر) وكذلك صوم النذر
وغيره وكذلك الشروط من الاعمال المتعاقمة بالثمن ودين السلم والزكاة
والجزية والعدل والحيار والايمان وأجل الصداق ونجوم الكتابة والصالح
عن القصاص وسائر ما يؤجل من دين وعقد وغيرها وقال تعالى (والقمر
قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقال تعالى (هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
ما خلق الله ذلك الا بالحق) فقولنا لتعلموا متعاقق والله أعلم بقوله وقدره
للاجتماع لان كون هذا ضياء وهذا نورا لا تأثير له في معرفة عدد السنين
والحساب وانما يؤثر في ذلك اتقاهما من برج الي برج ولان الشمس

لم يعلق لنا بها حساب شهر ولا سنة وإنما علق ذلك بالهلال كما دلت عليه تلك الآية ولأنه قد قال (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم) فاخبر ان الشهور معدودة اثنا عشر والشهر هلالى بالاضطرار فلم ان كل واحد منها معروف بالهلال وقد بلغنى ان الشرائع قبلنا أيضا انما علق الاحكام بالالهة وانما بدل من اتباعهم كما يفعله اليهود في اجتماع القرصين وفي جعل بعض أعيادها بحساب السنة الشمسية وكما تفعله النصارى في صومها حيث يراعى الاجتماع القريب من أول السنة الشمسية وتجعل سائر أعيادها دائرة على السنة الشمسية بحسب الحوادث التي كانت للمسيح وكما يفعله الصابئة والمجوس وغيرهم من المشركين في اصطلاحات لهم فان منهم من يعتبر بالسنة الشمسية فقط ولهم اصطلاحات في عدد شهورها لأنها وان كانت طبيعية فشهورها عددى وضى ومنهم من يعتبر القمرية لكن يعتبر اجتماع القرصين وما جاءت به الشريعة هو أكمل الامور وأحسنها واينها وأصحها وأبدها من الاضطراب وذلك ان الهلال أمر مشهود مرئى بالابصار ومن أصح المعلومات ما شوهد بالابصار وهذا سموه هلالا لان هذه المادة تدل على الظهور والبيان اما سمما واما بصرا كما يقال أهل بالعمرة وأهل بالذبيحة لغير الله اذا رفع صوته ويقال تهال وجهه اذا استنار وأضاء وقيل ان أصله رفع الصوت ثم لما كانوا يرفعون أصواتهم عند رؤيته سموه هلالا ومنه قوله يهل بالفرقد ركبها * كما يهل الراكب المعتمر

وتهاى الوجه مأخوذ من استنارة الهلال

فالمقصود ان المواقيت حددت بامر ظاهر بين يشترك فيه الناس ولا يشترك الهلال فى ذلك شئ فان اجتماع الشمس والقمر الذى هو نماذجهما الكائن قبل الا هلال أمر خفى لا يعرف الا بحساب ينفرد به بعض الناس مع تعب وتضييع زمان كثير واشتغال عما يعنى الناس وما لا بدله منه وربما وقع فيه الغلط والاختلاف

وكذلك كون الشمس حاذت البرج القلاني أو الفلاني هذا أمر لا يدرك بالابصار وانما يدرك بالحساب الخفى الخاص المشكل الذى قد يغلط وانما يعلم ذلك بالاحساس تقريبا فانه اذا انصرم الشتاء ودخل الفصل الذى تسميه العرب الصيف وتسميه الناس الربيع كان وقت حصول الشمس فى نقطة الاعتدال الذى هو أول الحمل وكذلك مثله فى الخريف فالذى يدرك بالاحساس الشتاء والصيف وما بينهما من الاعتدالين تقريبا فأما حصولها فى برج بعد برج فلا يحسب الا بحساب فيه كلفة وشغل عن غيره مع قلة جدواه

فظهر انه ليس للمواقيت حد ظاهر عام المعرفة الا الهلال

وتد انقسمت عادات الامم فى شهرهم وسنتهم القسمة العقلية وذلك أن كل واحد من الشهر والسنة اما أن يكونا عدديين أو طبيعيين أو الشهر طبيعيا والسنة عددية أو بالعكس فالذين يعدونهما مثل من يجعل الشهر ثلاثين يوما والسنة اثني عشر شهرا والذين يجعلونهما طبيعيين مثل من يجعل الشهر قريبا والسنة شمسية ويلحق فى آخر الشهور

الايام المتفاوتة بين السنتين فان السنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وبعض يوم خمس وسدس وانما يقال فيها ثلاثمائة وستون يوماً جبراً للكسر في العادة عادة العرب في تكميل ما ينقص من التاريخ في اليوم والشهر والحول وأما الشمسية فتلاثمائة وخمسة وستون يوماً وبعض يوم ربيع يوم ولهذا كان التفاوت بينهما احد عشر يوماً اقل قليلاً تكون سنة في كل ثلاثة وثلاثين سنة وثلاث سنة ولهذا قل تعالى (ولبتوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسماً) قيل معاه ثلاثمائة سنة شمسية وازدادوا تسماً بحساب السنة القمرية ومراعاة هذين عادة كثير من الامم من أهل الكتابين بسبب تحريفهم وأظنه كان عادة المجوس أيضاً وأما من يجول السنة طبيعية والشهر عددياً فهذا حساب الروم والسريريانيين والقبط ونحوهم من الصابئين والمشركين ممن يمد شهر كانون ونحوه عدداً ويعتبر السنة بسير الشمس فاما القسم الرابع فبان يكون الشهر طبيعياً والسنة عددية فهو سنة المسلمين ومن وافقهم ثم الذين يجعلون السنة طبيعية لا يعتمدون على أمر ظاهر كما تقدم بل لا بد من الحساب والعدد وكذلك الذين يجعلون الشهر طبيعياً ويعتمدون على الاجتماع لا بد من العدد والحساب ثم ما يحسبونه أمر خفي ينفرد به القليل من الناس مع كلفة ومشقة وتعرض للاخطأ

فالذي جاءت به شريعتنا أكمل كل الامور لانه وقت الشهر بأمر طبيعي ظاهر عام يدرك بالابصار فلا يضل أحد عن دينه ولا يشغله مراعاته عن شيء من مصالحه ولا يدخل بسببه فيما لا يهنيه ولا يكون لاحد طريق

إلى التبايس في دين الله كما يفضل بعض علماء أهل الممل بملهم
وأما الحول فلم يكن له حد ظاهر في السماء فكان لا بد فيه من
الحساب والعدد فكان عدد الشهور الهلالية أظهر وأعم من أن يحسب
سير الشمس وتكون السنة مطابقة للشهر ولأن السنين إذا اجتمعت
فلا بد من عددها في عادة جميع الأمم إذ ليس للسنين إذا تعددت حد
سماوى يعرف به عددها فكان عدد الشهور موافقاً لعدد الشهور ثم
جعلت السنة إثني عشر شهراً بعدد البروج التي تكمل بدور الشمس
فيها شمسية فإذا دار القمر فيها كمل دورته السنوية وبهذا كله يتبين
معنى قوله (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) فإن عدد شهور
السنة وعدد السنة بعد السنة إنما أصله تقدير القمر منازل وكذلك معرفة
الحساب فإن حساب بعض الشهر لما يقع فيه من الآجال ونحوها إنما يكون
بالهلال وكذلك قوله تعالى (قل هي مواعيت للناس والحج)
ظهر بما ذكرنا أنه بالهلال يكون توقيت الشهر والسنة وأنه ليس شئ
يقوم مقام الهلال البتة لظهوره وظهور العدد المبني عليه وتيسر ذلك
وعمومه وغير ذلك من المصالح الخالية عن المفاسد
ومن عرف ما دخل على أهل الكتابين والصابئين والمجوس وغيرهم
في أعيادهم وعباداتهم وتواريتهم وغير ذلك من أمورهم من الاضطراب
والحرج وغير ذلك من المفاسد ازداد شكره على نعمة الاسلام مع
اتفاقهم أن الانبياء لم بشرعوا شيئاً من ذلك وإنما دخل عليهم ذلك من
جهة المتفلسفة الصابئة الذين دخلوا في ملتهم وشرعوا لهم من الدين ما لم

يأذن به الله فلهذا ذكرنا ما ذكرنا حفظاً لهذا الدين عن ادخال المفسدين
فان هذا مما يخاف تغييره فانه قد كانت العرب في جاهليتها قد غيرت
ملة ابراهيم بالنسيء الذي ابتدعه فزادت به في السنة شهراً اجملتها كيبداً
لاغراض لهم وغيروا به ميقات الحج والاشهر الحرم حتى كانوا يحجون
تارة في المحرم وتارة في صفر حتى يعود الحج الى ذى الحجة حتى بعث
الله المقيم لملة ابراهيم فوافي حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وقد
استدار الزمان كما كان ووقعت حجته في ذى الحجة فقال في خطبته المشهورة
في الصحيحين وغيرهما ان الزمان قد اسندار كهيئة يوم خلق الله السموات
والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وكان قبل
ذلك الحج لا يقع في ذى الحجة حتى حجة ابي بكر سنة تسع كانت في
ذى القعدة وهذا من أسباب تأخير النبي صلى الله عليه وسلم الحج وانزل
الله تعالى (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم
خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم) فأخبر الله
أن هذا هو الدين القيم ليبين أن ما سواه من أمر النسيء وغيره من
عادات الامم ليس فيما لا يدخله من الانحراف والاضطراب ونظير الشهر
والسنة اليوم والاسبوع فان اليوم طبعي من طلوع الشمس وغروبها وأما
الاسبوع فهو عددي من أجل الايام الستة التي خلق الله فيها السموات
والارض ثم استوى على العرش فوقع التمديد بين الشمس والقمر
باليوم والاسبوع بسبب الشمس والشهر والسنة بسبب القمر وبهما يتم

الحساب وبهذا قد توجه قوله لتعلموا الى جعل فيكون جعل الشمس والقمر لهذا كله فاما قوله نعمالي (وجاعل الليل سكونا والشمس والقمر حسابا) فقد قيل هو من الحساب وقيل بحسبان كحسبان الرحا وهو دوران الملك فان هذا مما لاخلاف فيه فقد دل الكتاب والسنة واجمع علماء الامة على مثل ما عليه أهل المعرفة من أهل الحساب من ان الافلاك مستديرة لا مسطحة

(فصل) لما ظهر بما ذكرناه عود المواقيت الى الأهلة وجب أن تكون المواقيت كلها معالمة بها فلا خلاف بين المسلمين انه اذا كان مبدأ الحكم في الهلال حسبت الشهور كلها هلالية مثل أن يصوم للكفارة في هلال المحرم أو يتوفى زوج المرأة في هلال المحرم أو يولى من امرأته في هلال المحرم أو يبيعه في الهلال الى شهرين أو ثلاثة فان جميع الشهور تحسب بالاهلة وان كان بعضها أو جميعها ناقصا فاما ان وقع مبدأ الحكم في أثناء الشهر فقد قيل الشهور كلها بالعدد بحيث لو باعه الى سنة في أثناء المحرم عدد ثلاثمائة وستين يوما وان كان الى ستة أشهر عدد مائة وثمانين يوما فاذا كان المبدأ منتصف المحرم كان المنتهى العشرين من المحرم وقيل بل يكمل الشهر بالعدد والباقي بالاهلة وهذان القولان روايتان عن أحمد وغيره وبعض الفقهاء يفرق في بعض الاحكام ثم لهذا القول تفسيران أحدهما أنه يجعل الشهر الاول ثلاثين يوما وباقي الشهور هلالية فاذا كان الايلاء في منتصف المحرم حسب باقيه فان كان الشهر ناقصاً أخذ منه أربعة عشر يوما وكله بستة عشر يوما من جمادى الاولى وهذا يقوله

طائفة من أصحابنا وغيرهم والتفسير الثانى وهو الصواب الذى عليه عمل المسلمين قديماً وحديثاً أن الشهر الاول ان كان كاملاً كمل ثلاثين يوماً وان كان ناقصاً جعل تسعة وعشرين يوماً فتى كان الايلاء في منتصف المحرم كملت الاثني عشر اربعة في منتصف جمادى الاولى وهكذا سائر الحجاب وعلى هذا القول فالجميع بالهلال ولا حاجة الى أن يقول بالمدد بل ينظر اليوم الذى هو المبدأ من الشهر الاول فيكون النهاية مثله من الشهر الآخر فان كان في أول ليلة من الشهر الاول كانت النهاية في مثل تلك الساعة بعد كمال الشهور وهو أول ليلة بعد انسلاخ الشهور وان كان في اليوم الماخر من المحرم أو غيره على قدر الشهور المحسوبة وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه ودل عليه قوله قل هي مواقيت للناس فجماها مواقيت لجميع الناس مع عامه سبحانه ان الذى يقع في أثناء الشهور أضاف أضاف ما يقع في أوائلها فلو لم يكن ميقاتاً الا لما يقع في أولها لما كانت ميقاتاً الا لاقبل من ثلث عشر أمور الناس ولأن الشهر اذا كان ما بين الهلالين فما بين الهلالين مثل ما بين هذا وبين هذا سواء والتسوية معلومة بالاضطرار والفرق تحكم محض وأيضاً فمن الذى جعل الشهر العددي ثلاثين وانبي صلى الله عليه وسلم قال الشهر هكذا وهكذا وهكذا وخمس ايامه في الثالثة ونحن نعلم أن نصف شهور السنة يكون ثلاثين ونصفها تسعة وعشرين وأيضاً فعامة المسلمين في عباداتهم ومعاملاتهم اذا أجل الحق الى سنة فان كان مبدؤه هلال المحرم كان منتهاه هلال المحرم سلخ ذى الحجة عندهم وان كان مبدؤه طائر المحرم أيضاً لا يعرف

المسلمون غير ذلك ولا يبنون الا عليه ومن أخذ ليزيد يوماً لنقصان الشهر
الاول كان قد غير عليهم ما فطروا عليه من المعروف وأتاهم بمنكر
لا يعرفونه فعلم أن هذا غلط ممن توهمه من الفقهاء ونهنا عليه ليحذر
الوقوع فيه وليعلم به حقيقة قوله (قل هي مواقيت للناس) وان هذا العموم
محفوظ عظيم القدر لا يستثنى عنه شيء وكذلك قوله (هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب)
وكذلك قوله (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل

وجعلنا آية النهار مبصرة لتعلموا عدد السنين

والحساب) يبين بذلك ان جميع عدد السنين

والحساب تابع لتقديره منازل

والله أعلم وأحكم

تمت الرسالة الثامنة

ويلمها الرسالة التاسعة له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه عن الصلاة بعد الاذان الاول يوم الجمعة هل فعله النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من الصحابة أو التابعين أو الأئمة أم لا وهل هو منصوص في مذهب من مذاهب الأئمة المتفق عليهم وقوله صلى الله عليه وسلم بين كل أذنين صلاة هل هو مخصوص بيوم الجمعة أم هو عام في جميع الاوقات

أجاب رضي الله عنه * أما النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يكن يصلي قبل الجمعة بعد الاذان شيئاً ولا نقل هذا عنه أحد فان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يؤذن على عهده الا اذا قدم على المنبر ويؤذن بالال ثم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم الخطبتين ثم يقم بالال فيصلى بالناس فما كان يمكن أن يصلى بعد الاذان لاهو ولا أحد من المسلمين الذين يصلون معه صلى الله عليه وسلم ولا نقل عنه أحد انه صلى في بيته قبل الخروج يوم الجمعة ولا وقت بقوله صلاة مقدرة قبل الجمعة بل ألفاظه صلى الله عليه وسلم فيها الترغيب في الصلاة اذا قدم الرجل المسجد يوم الجمعة من غير توقيت كقوله من بكر وابتكر ومشى ولم يركب وصلّى ما كتب له وهذا هو المأثور عن الصحابة كانوا اذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلون من حين يدخلون ما تيسر ففهم من يصلى عشر ركعات ومنهم من يصلى ثنتي عشرة ركعة ومنهم من يصلى ثمان ركعات ومنهم من يصلى أقل من ذلك ولهذا كان جماهير الأئمة متفقين على انه ليس قبل الجمعة سنة موقفة بوقت مقدرة بعدد لأن ذلك إنما يثبت بقول النبي صلى الله

عليه وسلم أو فعله وهو لم يبين في ذلك شيئاً لا بقوله ولا فعله وهذا مذهب مالك ومذهب الشافعي وأكثر أصحابه وهو المشهور من مذهب أحمد وذهب طائفة من العلماء إلى أن قبائها سنة فمنهم من جعلها ركعتين كما قاله طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد ومنهم من جعلها أربعاً كأبي حنيفة وطائفة من أصحاب أحمد وقد نقل عن الإمام أحمد ما استدل به على ذلك وهؤلاء منهم من يحتاج بحديث ضعيف ومنهم من يقول هي ظهر مقصورة وتكون سنة الظهر سنتها وهذا خطأ من وجهين * أحدهما أن الجملة مخصوصة بأحكام تفارق بها ظهر كل يوم باتفاق المسلمين وأن سميت ظهراً مقصورة فإن الجملة يشترط لها الوقت فلا تقضى والظهر تقضى والجملة يشترط لها العدد والاستيطان والإمام وغير ذلك والظهر لا يشترط لها شيء من ذلك فلا يجوز أن تتأقي أحكام الجملة من أحكام الظهر مع اختصاص الجملة بأحكام تفارق بها الظهر فانه إذا كانت الظهر تشارك الجملة في حكم وتفارقها في حكم لم يمكن إلحاق مورد النزاع أحدهما بالإبدليل فليس جعل السنة من موارد الاشتراك بأولى من جعلها من موارد الافتراق * الوجه الثاني أن يقال هب أنها ظهر مقصورة فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يصلي في - فره - سنة للظهر المقصورة لاقبلها ولا بعدها وإنما كان يصليها إذا أتم الظهر فصلى أربعاً فإذا كانت سنته التي قبائها في الظهر المقصورة خلاف التامة كان ما ذكره حجة عليهم لاهم وكان السبب المقتضى لحذف بعض الفريضة أولى بخلاف السنة الراتبية كما قال بعض الصحابة لو كنت متطوعاً لآتممت

الفريضة فانه لو استحب للمسافر أن يصلي أربعاً لكان صلاته للظاهر
أربعاً أولى من أن يصلي ركعتين فرضاً وركعتين سنة وهذا لانه قد ثبت
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة انه كان لا يصلي في السفر
الا ركعتين الظهر والعصر والعشاء وكذلك لما حج بالناس عام حجة
الوداع لم يصل بهم في منى وغيرها الا ركعتين وكذلك أبو بكر بعده لم
يصل الا ركعتين وكذلك عمر بعده لم يصل الا ركعتين ومن نقل عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الظهر أو العصر أو العشاء أربعاً فقد
أخطأ والحديث المروي في ذلك عن عائشة حديث ضعيف في الاصل مع
ما وقع فيه من التحريف فان لفظ الحديث أنها قالت للنبي صلى الله عليه
وسلم أفطرت وصمت وقصرت وأتممت فقال أصبت يا عائشة فهذا مع
ضممه وتيام الأدلة على انه باطل روى ان عائشة روت ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يفطر ويصوم ويصوم ويصوم ويصوم ويصوم ويصوم ويصوم
فيه أنها روت الامرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبسوط
في موضعه

والمقصود هنا أن السنة للمسافر أن يصلي ركعتين والائمة متفقون
على ان هذا هو الافضل الاقولا مرجوحا للشافعي وأكثر الائمة يكرهون
التربيع للمسافر كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في أنصر
الروايتين عنه

ثم من هؤلاء من يقول لا يجوز التربيع كقول أبي حنيفة ومنهم
من يقول بجوازه مع الكراهة كقول مالك وأحمد فيقال لو كان الله

يجب للمصلي في السفر أن يصلي ركعتين ثم ركعتين لكان يستحب له أن يصلي الفرض أربعاً فإن التقرب إليه ببعض الظهر أفضل من التقرب إليه بالتطوع مع الظهر ولهذا وجب فلو أراد المقيم أن يصلي ركعتين فرضاً وركعتين تطوعاً لم يجز له ذلك والله تعالى لا يوجب عليه وينهاه عن شيء إلا والذي أمره به خير من الذي نهاه عنه فلم أن صلاة الظهر أربعاً خير عند الله من أن يصليها ركعتين وركعتين تطوعاً فإما كان سبحانه لم يستحب للمسافر التربع بخير الأمرين عنده فلا أن لا يستحب التربع بالأمر المرجوح عنده أولى

ثبت بهذا الاعتبار الصحيح أن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أكمل الأمور وإن هديه خير الهدى وإن المسافر إذا اقتصر على ركعتي الفرض كان أفضل له من أن يقرن بهما ركعتي السنة وبهذا يظهر أن الجمعة إذا كانت ظهراً مقصورة لم يكن من السنة أن يقرن بها سنة ظهر المقيم بل يجعل كظهر المسافر المقصورة وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في السفر ركعتي الفجر والوتر ويصلي على راحلته قبل أي وجه توجهت به ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة هذا لأن الفجر لم تقصر في السفر فبقيت سنتها على حالها بخلاف المقصورات في السفر والوتر مستقل بنفسه كسائر قيام الليل وهو أفضل الصلاة بعد المكتوبة وسنة الفجر تدخل في صلاة الليل من بعض الوجوه فلماذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي في السفر لا سنة لاله وقيام المقتضى له

والصواب أن لا يقال ان قبل الجمعة سنة راتبة مقدرة ولو كان الاذان على عهد فانه قد ثبت عنه في الصحيح انه قال بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة ثم قال في الثالثة لمن شاء كراهة أن يتخذها الناس سنة فهذا الحديث الصحيح يدل على أن الصلاة مشروعة قبل العصر وقبل العشاء الآخرة وقبل المغرب وان ذلك ليس بسنة راتبة وكذلك قد ثبت ان أصحابه كانوا يصلمون بين أذاني المغرب وهو يراهم فلا ينهاهم ولا يأمرهم ولا يفعل هو ذلك فدل على ان ذلك فعل جائز وقد احتج بعض الناس على الصلاة قبل الجمعة بقوله بين كل أذانين صلاة وعارضه غيره فقال الاذان الذي على المنابر لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عثمان أمر به لما كثر اتناس على عهد ولم يكن يبلغهم الاذان حين خروج الامام وقعوده على المنبر ويتوجه عليه أن يقال هذا الاذان الثالث لما سنه عثمان واتفق عليه المسلمون صار أذانا شرعيا وحينئذ فتكون الصلاة بينه وبين الأذان الثاني جائزة حسنة وليست سنة راتبة كالصلاة قبل المغرب وحينئذ فمن فعل ذلك لم ينكر عليه ومن ترك ذلك لم ينكر عليه وهذا عدل الاقوال وكلام الامام أحمد يدل عليه وحينئذ فقد يكون تركها أفضل اذا كان الجهال يمتقدون أن هذه سنة راتبة ولا واجبة لاسيما اذا داوم الناس عليها فينبغي تركها أحيانا حتى لا تشبه به الفرض كما استحب أكثر العلماء أن لا يداوم على قراءة السجدة يوم الجمعة مع أنه قد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم فعلها فاذا كان يكره المداومة

على ذلك فترك المداومة على ما لم يسنه النبي صلى الله عليه وسلم أولى وان صلاها الرجل بين الاذانين أحيانا لانها تطوع مطلق أو صلاة بين أذانين كما يصلى قبل العصر والمساء لا لأنها سنة راتبة فهذا جائز واذا كان رجل مع قوم يصلونها فان كان مطاعا اذا تركها وبين لهم السنة لم يشكروا عليه بل عرفوا السنة فتركها حسن وان لم يكن مطاعا ورأى ان في صلاتها نائفا لقلوبهم الى ما هو أنفع أو دفعا للخصام والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم وقولهم له ونحو ذلك فهذا أيضاً حسن فالعمل الواحد يكون مستحباً فعله تارة وتركه تارة باعتبار ما يترجح من مصلحة فعله وتركه بحسب الأدلة الشرعية والمسلم قد يترك المستحب اذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم بناء البيت على قواعد ابراهيم وقال لعائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولاصقتها بالارض ولجأت لها بابين بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه والحديث في الصحيحين فترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الامر الذي كان عنده أفضل الامرين للمعارض الراجح وهو حدثان عهد قريش بالاسلام لما في ذلك من التنفير لهم فكانت المفسدة راجحة على المصلحة ولذلك استحسب الائمة أحمد وغيره أن يدع الامام ما هو عنده أفضل اذا كان فيه تأييد المأمومين مثل أن يكون عنده فصل القنوت أفضل بان يسلم في الشفع ثم يصلى ركعة الوتر وهو يؤم قوما لا يرون الا وصل الوتر فاذا لم يمكنه أن ينقاهم الى الافضل كانت المصلحة الحاصلة بموافقة لهم بوصول

الوتر أرجح من مصاحبة فصله مع كراهتهم للصلاة خلفه وكذلك لو كان ممن يرى المخافة بالبسملة أفضل أو الجهر بها وكان المأمومون على خلاف رأيه ففعل المفضل عنده لمصاحبة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على مصاحبة تلك الفضيلة كان هذا جائزاً حيناً وكذلك لو فعل خلاف الأفضل لاجل بيان السنة وتعليمها لمن لم يعلمها كان حيناً مثل أن يجهر بالاستفتاح أو التعموذ أو البسملة ليعرف الناس أن فعل ذلك حسن مشروع في الصلاة كما ثبت في الصحيح أن عمر بن الخطاب جهر بالاستفتاح فكان يكبر ويقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك قال الأسود بن يزيد صليت خلف عمر أكثر من سبعين صلاة فكان يكبر ثم يقول ذلك رواه مسلم في صحيحه ولهذا شاع هذا الاستفتاح حتى عمل به أكثر الناس وكذلك كان ابن عمرو ابن عباس رضي الله عنهم يجهروا بالاستعاذة وكان غير واحد من الصحابة يجهر بالبسملة وهذا عند الأئمة الجمهور الذين لا يرون الجهر بها سنة راتبة كان لتعليم الناس ان قراءتها في الصلاة سنة كما ثبت في الصحيح ان ابن عباس صلى على جنازة فقرأ بام القرآن جهراً وذكراً أنه فعل ذلك ليعلم الناس أنها سنة وذلك ان الناس في صلاة الجنازة على قولين منهم من لا يرى فيها قراءة بحال كما قاله كثير من السلف وهو مذهب أبي حنيفة ومالك ومنهم من يرى القراءة فيها سنة كقول الشافعي وأحمد لحديث ابن عباس هذا وغيره ثم من هؤلاء من يقول القراءة فيها واجبة كالصلاة ومنهم من يقول بل هي سنة

مستحبة ليست واجبة وهذا أعدل الأنواع الثلاثة فان السلف فعلوا هذا وهذا وكان كلا الفعلين مشهورا بينهم كانوا يصلون على الجنابة بقراءة وبغير قراءة كما كانوا يصلون تارة بالجهر بالبسملة وتارة بغير جهر وتارة باستفتاح وتارة بعير استفتاح وتارة برفع اليدين في المواطن الثلاثة وتارة بغير رفع وتارة يسلمون تسليمتين وتارة تسليمة واحدة وتارة يقرؤون خلف الامام بالسمر وتارة لا يقرؤون وتارة يكبرون على الجنابة سبعا وتارة خمسا وتارة اربعا كان فيهم من يفعل هذا وفيهم من يفعل هذا كل هذا ثابت عن الصحابة كما ثبت عنهم أن فيهم من كان يرجع في الاذان وفيهم من لم يرجع فيه وفيهم من يوتر الإقامة وفيهم من كان يشفعها وكلاهما ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم

فهذه لامور وان كان أحدها أرجح من الآخر فمن فعل المرجوح فقد فعل جازا وقد يكون فعل المرجوح أرجح لامصلحة الراجحة كما يكون ترك الراجح أرجح أحيانا لمصلحة الراجحة

وهذا واقع في عامة الاعمال فان العمل الذي هو في جنبه أفضل قد يكون في موطن غيره أفضل منه كما ان جنس الصلاة أفضل من جنس القراءة وجنس القراءة أفضل من جنس الذكر وجنس الذكر أفضل من جنس الدعاء ثم الصلاة بعد الفجر والعصر منهي عنها والقراءة والدعاء والذكر أفضل منها في تلك الاوقات وكذلك القراءة في الركوع والسجود منهي عنها والذكر هناك أفضل منها والدعاء في آخر الصلاة يمد التشهد أفضل من الذكر

وقد يكون العمل المفضل أفضل بحسب حال الشخص المعين
 لكونه عاجزا عن الأفضل أو لكونه محببه ورغبته واهتمامه وانتفاعه
 بالمفضل أكثر فيكون أفضل في حقه لما يقترب به من مزيد علمه
 وحبه وارادته وانتفاعه كما ان المريض ينتفع بالدواء الذي يشتهيه مالا
 ينتفع بما لا يشتهيه وان كان جنس ذلك أفضل ومن هذا الباب صار
 الذكر لبعض الناس في بعض الاوقات خيرا من القراءة والقراءة
 لبعضهم في بعض الاوقات خيرا من الصلاة وأمثال ذلك لكما انتفاعه
 به لآلته في جنسه أفضل

وهذا الباب باب تفضيل بعض الاعمال على بعض ان لم يعرف فيه
 التفضيل وان ذلك يتنوع بتنوع الاحوال في كثير من الاعمال والا
 وقع فيه اضطراب كثير فان من الناس من اذا اعتقد استحباب فعل
 ورجحانه يحافظ عليه مالا يحافظ على الواجبات حتى يخرج به الامر
 الى الهوى والتعصب والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يختار بعض هذه
 الامور فيراها شعارا لمذهبه ومنهم من اذا رأى ترك ذلك هو الأفضل
 يحافظ أيضا على هذا الترك أعظم من محافظته على ترك المحرمات حتى
 يخرج به الأمر الى اتباع الهوى والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يري
 الترك شعارا للمذهبه وأمثال ذلك وهذا كله خطأ

والواجب أن يعطى كل ذى حق حقه ويوسع ماوسع الله ورسوله
 ويؤلف ماألف الله بينه ورسوله وبراعى في ذلك مايجبه الله ورسوله
 من المصالح الشرعية والمقاصد الشرعية ويعلم أن خير الكلام كلام الله

وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وان الله بعثه رحمة للعالمين بعثه بسعادة الدنيا والآخرة في كل أمر من الأمور وان يكون مع الانسان ما يحفظ به هذا الاجال والا فكثير من الناس بمقد هذا جهلا ويدعه عند التفصيل اما جهلا واما ظلما واما ظنا واما اتباعا للهوى فندأل الله أن يهديننا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

(فصل) وأما السنة بعد الجمعة فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين كما ثبت عنه في الصحيحين أنه كان يصلي قبل الفجر ركعتين وبعد الظهر ركعتين وبعد المغرب ركعتين وبعد العشاء ركعتين وأما الظهر ففي حديث ابن عمر أنه كان يصلي قبلها ركعتين وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنه كان يصلي قبلها أربعاً وفي الصحيح عن أم حبيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة نبي الله له بيتا في الجنة وجاء مفسراً في السنن أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر فهذه هي السنن الراتبية التي ثبتت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله مدارها على هذه الأحاديث الثلاثة حديث ابن عمر وحديث عائشة وأم حبيبة

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بالليل اما احدى عشرة واما

ثلاث عشرة ركعة فكان مجموع صلاته بالليل والماء فرضه ونفله نحو
من أربعين ركعة

والناس في هذه السنن الرواتب على ثلاثة أقوال منهم من لا يؤت
في ذلك شيئاً كقول مالك فإنه لا يرى سنة الا الوتر وركعتي الفجر وكان
يقول انما توقت أهل العراق ومنهم من يقدر في ذلك أشياء باحاديث
ضعيفة بل باطلة كما يوجد في مذاهب أهل العراق وبعض من وافقهم
من أصحاب الشافعي وأحمد فان هؤلاء يوجد في كتبهم من الصلوات
المقدرة والاحاديث في ذلك ما يعلم أهل المعرفة بالسنة انه مكذوب على
النبي صلى الله عليه وسلم كمن روى عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى
قبل العصر أربعاً أو انه قضى سنة العصر أو انه صلى قبل الظهر ستاً
أو بعدها أربعاً أو انه كان يحافظ على الضحى وأمثال ذلك من الاحاديث
المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم

وأشد من ذلك ما يذكره طائفة من المصنفين في الرقائق والفضائل
في الصلوات الاسبوعية والحولية كصلاة يوم الاحد والاثنين والثلاثاء
والاربعاء والخميس والجمعة المذكورة في كتاب أبي طالب وأبي حامد
وعبد القادر وغيرهم وكصلاة الالفية التي في أول رجب ونصف شعبان
والصلاة الاثني عشرية التي في أول ليلة جمعة من رجب والصلاة التي في
أول ليلة سبع وعشرين من رجب وصلوات أخرى تذكر في الاشهر
الثلاثة وصلاة ليالي العيدين وصلاة يوم عاشوراء وأمثال ذلك من
الصلوات المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم مع اتفاق أهل المعرفة

بجديته على ان ذلك كذب عليه لكن باغ ذلك أقواما من أهل العلم
والدين فظنوه صحيحاً فعملوا به وهم مأجورون على حسن قصدهم
واجتهادهم لاعلى مخالفة السنة

وأما من تبينت له السنة فظن أن غيرها خير منها فهو ضال بل كافر
والقول الوسط العدل هو ما وافق سنته الصحيحة الثابتة عنه صلى
الله عليه وسلم وقد ثبت عنه انه كان يصلى بعد الجمعة ركعتين وفي صحيح
مسلم عنه انه قال من كان منكم مصابيا بعد الجمعة فليصل أربعاً
وقد روى الست عن طائفة من الصحابة جمعاً بين هذا وهذا
والسنة أن يفصل بين الفرض والنفل في الجمعة وغيرها كما ثبت
في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن توصل صلاة حتى
يفصل بينهما بقيام أو كلام فلا تفعل ما يفعله كثير من الناس يصل
السلام بركعتي السنة فان في هذا ارتكابا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم
وفي هذا من الحكمة التمييز بين الفرض وغير الفرض كما يميز بين
العبادة وغير العبادة ولهذا استحب تعجيل الفطور وتأخير السحور
والاكل يوم الفطر قبل الصلاة ونهى عن استقبال رمضان بيوم أو
يومين فهذا كله لافصل بين المأمور به من الصيام وغير المأمور به
والفصل بين العبادة وغيرها وهكذا تميز الجمعة التي أوجبها الله من
غيرها وأيضاً كثيراً من أهل البدع كالرافضة وغيرهم لا ينوون الجمعة
بل ينوون الظهور ويظهرون أنهم سلموا وما سلموا فيصـلون ظهراً

ويظن الظان أنهم يصلون السنة فاذا حصل

تميز بين الفرض والنفل كان في هذا

منها لهذه البدعة وهذا له

نظار كثيرة والله

سبحانه أعلم

تمت الرسالة التاسعة

ويبلغها الرسالة العاشرة له أيضا

تفسير المعوذتين اشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام ناصر السنة قانع البدعة تقي الدين أحمد بن تيمية
نفعنا المولى بعلومه وهو مما كتبه في القلعة

(فصل) في قل أعوذ برب الفلق قال تعالى فلق الحب والنوى

وقال تعالى فلق الاصباح وجاعل الاليل سكنا والفلق فعلى بمعنى

مفعول كالفعل بمعنى المقبوض فيكل ما فلقه الرب فهو فلق قال

الحسن الفلق كل ما انفلق عن شئ كالصبح والحب والنوى قال الزجاج

واذا تأملت الخلق بان لك ان أكثره عن انفلاق كالارض بالنبات

والسحاب بالمطر * وقد قال كثير من المفسرين الفلق الصبح فانه

يقال هذا بين من فلق الصبح و فرق الصبح * وقال بعضهم الفلق الخلق

كله وأما من قال انه واد في جهنم أو شجرة في جهنم أو انه اسم من

أسماء جهنم فهذا أمر لا نعرف صحته لا بدلالة الاسم عليه ولا بنقل عن

النبي صلى الله عليه وسلم ولا في تخصيص ربوبيته بذلك حكمة بخلاف

ما اذا قال رب الخلق أو رب كل ما انفلق أو رب النور الذي يظهره

على المباد بالنهار فان في تخصيص هذا بالذكر ما يظهر به عظمة الرب

المستعاض به واذا قيل الفلق يعم ويخص فبعمومه للخلق أستعيذ من شر

ما خلق وبمخصوصه للنور النهارى أستعيذ من شر غاسق اذا وقب

فان الغاسق قد فسر بالاليل كقوله أقم الصلاة لدلوك الشمس الى

غسق الاليل وهذا قول أكثر المفسرين وأهل اللغة * قالوا ومعنى

وقب دخل في كل شيء قال الزجاج الفاسق البارد وقيل الليل غاسق
لانه أبرد من النهار وقد روى الترمذى والنسائي عن عائشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة تعوذى بالله من شره
فانه الفاسق اذا وقب وروى من حديث أبي هريرة مرفوعاً أن الفاسق
النجم وقال ابن زيد هو الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند
وقوعها وترفع عند طلوعها وهذا المرفوع قد ظن بعض الناس منافاته
لمن فسره بالليل فجهلوه قولاً آخر ثم فسروا وقوبه بسكونه قال ابن
قتيبة ويقال الفاسق القمر اذا كسف وأسود ومعنى وقب دخل في
الكسوف وهذا ضعيف فان ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يمرض بقول غيره وهو لا يقول الا الحق وهو لم يأمر عائشة بالاستعاذة
منه عند كسوفه بل مع ظهوره وقد قال الله تعالى (وجعلنا الليل والنهار
آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) فالقمر آية الليل
وكذلك النجوم انما تطامع فترى بالليل فأمره بالاستعاذة من ذلك أمر
بالاستعاذة من آية الليل ودليله وعلامته والدليل من تلزم للمدلول فاذا
كان شر القمر موجوداً فشر الليل موجود وللقمر من التأثير ما ليس
لغيره فتكون الاستعاذة من الشر الحاصل عنه أقوى ويكون هذا كقوله عن
المسجد المؤسس على التقوى هو مسجدى هذا مع ان الآية تتناول
مسجد قباء قطعاً وكذلك قوله عن أهل الكساء هؤلاء أهل بيتي مع ان
القرآن يتناول نساءه فالتخصيص لكونه المخصوص أولى بالتوصيف فالقمر
حق ما يكون بائيل بالاستعاذة والليل مظلم منتشر فيه شياطين الالس

والجن مالا تنتشر بالتهار ويجرى فيه من أنواع الشر مالا يجرى بالتهار من أنواع الكفر والفسوق والعصيان والسحر والسرقة والحيانة والفواحش وغير ذلك فالشر دائماً مقرون بالظلمة ولهذا انما جعله الله اسكون الآدميين وراحتهم لكن شياطين الانس والجن تفعل فيه من الشر مالا يمكنها فعله بالتهار وبتوسلون بالقمر وبدعوته والقمر وعبادته وأبو موشى الباغى له مصحف القمر يذكر فيه من الكفريات والسحريات ما يناسب الاستمادة منه

فذكر سبحانه الاستمادة من شر الخلق عموماً ثم خص الامر بالاستمادة من شر الفاسق اذا وقب وهو الزمان الذى يم شره ثم خص بالذكر السحر والحسد* فالسحر يكون من الانفس الخبيثة لكن بالاستمادة بالاشياء كالنفت فى العقد* والحسد يكون من الانفس الخبيثة أيضاً اما باليمن واما بالظلم باللسان واليد وخص من السحر النفائات فى العقد وهن النساء والحاسد اترجال فى العادة ويكون من الرجال ومن النساء للنساء والشر الذى يكون من الانفس الخبيثة من الرجال والنساء وهو شر منفصل عن الانسان ليس هو فى قابه كالوسواس الخناس (١) وفى سورة الناس ذكر الوسواس الخناس فانه مبدأ الافعال المذمومة من الكفر والفسوق والعصيان ففيها الاستمادة من شر ما يدخل الانسان من الافعال التى تضره من الكفر والفسوق والعصيان وقد تضمن ذلك الاستمادة من شر نفسه وسورة الفلق فيها الاستمادة من شر المخلوقات

(١) من قوله وهن النساء الى قوله الخناس تشويش فى العبارة وقد اثبتناه كما له فليحذر

عموماً وخصوصاً ولهذا قيل فيها برب الفائق وقيل في هذه برب الناس فان فائق الاصباح بالنور يزيل بما في نوره من الحـير مافي لظلمة من الشر وفائق الحب والنوى بعد انعقادها يزيل مافي عقد النفائات فان فائق الحب والنوى أعظم من حل عقد النفائات وكذلك الحسد هو من ضيق الانسان وشحه لا ينترح صدره لانعام الله عليه فرب الفائق يزيل ما يحصل بضيق الحاسد وشحه وهو سبحانه لا يفلق شيئاً الا بخير فهو فائق الاصباح بالنور الهادي والسراج الوهاج الذي به صلاح العباد وفائق الحب والنوى بأنواع الفواكه والاقوات التي هي رزق اناس ودوابهم والانسان محتاج الى جلب المنفعة من الهدى والرزق وهذا حاصل بالفائق والرب الذي فائق لانس ما يحصل به منافعهم يستعاض به مما يضر الناس فيطلب منه تمام نعمته بصرف المؤذيات عن عبده الذي ابتدأ بانعامه عليه وفق الشيء عن الشيء هو دليل على تمام القدرة واخراج الشيء من ضده كما يخرج الحى من الميت والميت من الحى وهذا من نوع الفائق فهو سبحانه قادر على دفع الضد المؤذى بال ضد انافع

(فصل) في قل أعوذ برب الناس الى آخرها قوله من شر لوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس فيها أقوال ولم يذكر ابن الجوزي الاقواين ولم يذكر الثالث وهو الصحيح وهو أن قوله من الجنة والناس ابيان الوسواس أى الذى يوسوس من الجنة ومن الناس فى صدور الناس فان الله تعالى تد أخبر انه جعل لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف لقول غروراً وايحاذهم هو وسوستهم وليس من شرط الموسوس أن يكون

مستتراً عن البصر بل قد يشاهد قال تعالى (فوسوس لهما الشيطان ليدي لهما ما وورى عنهما من سو آتهما وقال مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين) وهذا كلام من يعرف قائله ايس شيئاً ياتى فى القلب لا يدرى عن هو وابل يس قد أمر بالوجود لآدم فابى واستكبر فلم يكن ممن لا يعرفه آدم وهو ونسله يرون بنى آدم من حيث لا يرونهم وأما آدم فقدر آه

وقد يرى الشياطين والجن كثير من الانس لكن لهم من الاجتنان والاستتار ما ليس للانس وقد قال تعالى (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) وقال (لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبه وقال انى برىء منكم) وفى انفسين والسيرة ان الشيطان جاءهم فى صورة بعض الناس وكذلك قوله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فاما كافر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين)

وفى حديث أبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نموذ بالله من شياطين الانس والجن قلت أو للانس شياطين قال نعم ثم من شياطين الجن

وأيضاً فانفس لها وسوسة كما قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) فهذا توسوس به نفسه انفسه كما يقال حديث النفس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به أنفسها ما لم

تسلكم به أو تعمل به أخرجه في الصحيحين

فالذي يوسوس في صدور الناس نفسه وشياطين الجن وشياطين

الانس

والوسواس الجناس يتناول وسوسة الجنة وسوسة الانس والا
 أى معنى للاستعانة من وسوسة الجن فقط مع أن وسوسة نفسه
 وشياطين الانس هي مما تضره وقد تكون أضر عليه من وسوسة الجن
 وأما قول الفراء المراد من شر الوسواس الذي يوسوس في صدور
 الناس الطائفتين من الجن والانس وانه سمي الجن ناسا كما سماهم رجالا
 وسماهم نفرا فهذا ضعيف فان لفظ الناس أشهر وأظهر وأعرف من
 أن يحتاج الى تويمه الى الجن والانس وقد ذكر الله تعالى لفظ الناس
 في غير موضع وأبضا فكونه يوسوس في صدور الطائفتين صفة توضيح
 وبيان وليس وسوسة للجن معروفة عند الناس وانما يعرف هذا بخبر
 ولاخبر هنائم قد قال من الجنة والناس فكيف يكون لفظ الناس عاما
 للجنة والناس وكيف يكون قسيم الشيء قسما منه فهو يجعل الناس قسيم
 الجن ويجعل الجن نوعا من الناس وهذا كما يقول أكرم العرب من
 المعجم والعرب فهل يقول هذا أحد واذا سماهم الله تعالى رجالا لم يكن
 في هذا دليل على أنهم يسمون ناسا وان قدر أنه يقال جاء ناس من الجن
 فذلك مع التقييد كما يقال انسان من طين وماء دافق ولا يلزم من هذا
 أن يدخلوا في لفظ الناس وقد قال تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي
 خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) فالناس كلهم مخلوقون من

آدم وحواء مع أنه سبحانه يخاطب الجن والانس
 والرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الجنسين لكن لفظ الناس
 لم يتناول الجن ولكن يقول يا معشر الجن والانس
 وكذلك قول الزجاج ان المعنى من شر الوسواس الذى هو الجنة
 ومن شر الناس فيه ضعف وان كان أرجح من الاول لان شر الجن
 أعظم من شر الانس فكيف يطابق الاستعاذة من جميع الناس ولا يستعيذ
 الا من بعض الجن وأبضا فالوسواس الحاس ان لم يكن الا من الجنة
 فلا حاجة الى قوله من الجنة ومن الناس فلماذا يخص الاستعاذة من
 وسواس الجنة دون وسواس الناس

وأبضا فانه اذا تقدم العطف اسما كان عطفه على القريب أولى
 كما ان عود الضمير الى الاقرب أولى الا اذا كان هناك دليل يقتضى
 العطف على البعيد فعطف الناس هنا على الجنة المقرون به أولى من
 عطفه على الوسواس

ويكفى ان المسلمين كاهم يقرؤن هذه السورة من زمن نبهم ولم
 ينقل هذان القولان الا عن بعض النحاة والاقوال المأثورة عن الصحابة
 والتابعين لهم باحسان ليس فيها شئ من هذا بل انما فيها القول الذى
 نصرناه كما فى تفسير معمر عن قتادة من الجنة والناس قال ان فى الجن
 شياطينا وان فى الانس شياطينا نعوذ بالله من شياطين الانس والجن
 فبين قتادة ان المعنى الاستعاذة من شياطين الانس والجن

وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله

الوسواس الحناس قال الحناس الذي يوسوس مرة ويخنس مرة من الجن والانس فبين ابن زيد ان الوسواس الحناس من الصنفين وكان يقال شياطين الانس أشد على الناس من شياطين الجن شيطان الجن يوسوس ولا تراه وهذا يعاينك معاينة

وعن ابن جريج من الجنة والناس قال انهما وسواسان فوسواس من الجنة فهو الحناس ووسواس من نفس الانسان فهو قوله والناس وهذا القول اثنان وان كان يشبه قول الزجاج فهذا أحسن منه فانه جعل من الناس من الوسواس الذي نفس الانسان فمعناه أحسن ذكر الثلاثة ابن أبي حاتم في تفسيره

وأيضاً فإنه ذكر في الآية رب الناس ملك الناس اله الناس فإن كان المقصود أن يستعين الناس بربهم وملكهم والههم من شر ما يوسوس في صدورهم فإنه هو الذي يطالب منه الخير الذي ينفعهم ويطلب منه دفع الشر الذي يضرهم والوسواس أصل كل شر يضرهم لانه مبدء للاكفر والفسوق والعصيان وعقوبات الرب انما تكون على ذنوبهم واذا لم يكن لاحد هم ذنب فكل ما يصيبه نعمة في حقه واذا ابتلى بما يؤلمه فان الله يرفع درجته ويأجره اذا قدر عدم الذنوب مطلقاً لكن هذا ليس بواقع منهم فان كل نبي آدم خطأ وخير الخطائين النوابون وقد قال تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المة فقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) فغاية المؤمنين الانبياء

فمن دونهم هي التوبة قال الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
انه هو التواب الرحيم) وقال (نوح رب انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس
لى به علم والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) وقال ابراهيم واسماعيل
(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا-كنا
وتب علينا انك أنت التواب الرحيم) وقال موسى (أنت ولينا فاغفر لنا
وارحمنا وأنت خير الغافرين) ودعاء نبينا بمنزل ذلك كثير معروف فيمكن
الوسواس مبدء كل شر فان كانوا قد استعاذوا بربههم وملئكمهم والههم من
شره فمدخل فى ذلك وسواس الجن والانس وسائر شر الانس انما
يقع بذنوبهم فهو جزاء على أعمالهم كالشر الذى يقع من الجن بغير
الوسواس وكما يحصل من العقوبات السماوية وهم لم يستعينوا هنا من
شر المخلوقات مطلقاً كما استعاذوا فى سورة الفلق بل من الشر الذى
يكون مبدؤه فى نفوسهم وان كان ذكر رب الناس ملك الناس اله الناس
يستعينوا به ليعيذهم وليعيذ منهم وهذا أعم المغنين فذلك يحصل باعاذته
من شر الوسواس الموسوس فى صدور الناس فانه هو الذى يوسوس
بظلم الناس بعضهم بعضاً وباغواء بعضهم بعضاً وباعانة بعضهم بعضاً على
الاشتم والعدوان

فما حصل لانبي شر من أنسى الا كان مبدؤه من الوسواس الخناس
والا فما يحصل من أذى بعضهم لبعض اذا لم يكن من الوسواس بل
كان من الوحي الذى بعث الله به ملائكته كان عدلاً كاقامة الحدود
وجهاد الكفار والاقتصاص من الظالمين فهذه الامور فيها ضرر وأذى

للظالمين من الانس لكن هي بوحى الله لامن الوسواس وهي نعمة من الله في حق عباده حتى في حق المعاقب فانه اذا عوقب كان ذلك كفارة له ان كان مؤمناً والا كان تخفيفاً لعذابه في الآخرة بالنسبة الى عذاب من لم يعاقب في الدنيا

ولهذا كان محمد صلى الله عليه وسلم لم رحمة في حق المالمين باعتبار ما حصل من الخير العام به وما حصل للمؤمنين به من سعادة الدنيا والآخرة وباعتبار أنه في نفسه رحمة فمن قبلها والا كان هو الظالم لنفسه وباعتبار أنه قمع الكفار والمنافقين فنقص شرهم وعجزوا عما كانوا يفعلونه بدونه وقتل من قتل منهم فكان تعجيل موته خيراً من طول عمره في الكفر له وللناس فكان محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للمالمين بكل اعتبار فلا يستعاذ منه ومن أمثاله من الانبياء وأتباعهم المؤمنين وهم من الناس وان كانوا يفعلون باعدائهم ما هو اذى وعقوبة وألم لهم فلم سبق الاستعاذة من الناس الا بما يأتي به الوسواس اليهم فيستعاذ برب الناس ملك اناس الى الناس على هذا التقدير من شر الوسواس الذي يوسوس للمستعيز ومن شر الوسواس الذي يوسوس لسائر الناس حتى لا يحصل منهم شر للمستعيز فاذا لم يكن للناس شر الا من الوسواس كان الاستعاذة من شر الذي يوسوس لهم تحصيلاً للمقصود وكان حياً للمادة وأقرب الى العدل وكان مخرجاً لانبياء الله وأوليائه أن يستعاذ من شرهم وأن يقرنوا بالوسواس الحساس ويكون ذلك تفضيلاً للجن على الانس وهذا لا يقوله عاقل

فان قيل فان كان أصل الشركه من الوسواس الخناس فلا حاجة
إلى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس فانه تابع لوسواس الجن
قيل بل اوسوسة نوعان نوع من الجن ونوع من نفوس الانس
كما قال (واقعد خاقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) فالشر من الجهتين
جميعاً والانس لهم شياطين كما للجن شياطين والوسوسة من جنس الوشوشة
بالشين المعجمة يقال فلان يوسوس فلانا وقد وشوشه اذا حسدته مرة
في أذنه وكذلك الوسوسة ومنه وسوسة الحلى لمكن هو بالسعين
المهملة أخص

ورب الناس الذي ير بهم بقدرته ومشيئته وتدبيره وهو رب العالمين
كلهم فهو الخالق للجميع ولاعمالهم
وملك الناس الذي يأمرهم وينهاهم فان الملك يتصرف بالكلام
والجماد لا ملك له فانه لا يعقل الخطاب لكن له مالك وانما يكون الملك
لمن يفهم عنه والحيوان يفهم بعضه عن بعض كما قال علمنا منطق الطير
وقالت نملة يأبها النمل فلهذا كان له ملك من جنسه ومن غير جنسه
كما كان سليمان ما يكهم والاله هو المعبود الذي هو المقصود بالارادات
والاعمال كلها كما قد بسط الكلام على ذلك

وقد قيل انما خص الناس بالذكر لانهم مستعيذون اولانهم المستعاذ
من شرهم ذكرهما أبو الفرج واما لهما وجه فان وسواس الجن أعظم ولم
يذكره بل ذكر الناس لانهم المستعيذون فيستعيذون برهم الذي يصونهم
وبما كهم الذي أمرهم ونهاهم وبالهم الذي يهدونهم من شر الذي يحول

بينهم وبين عبادته ويستعيذون أيضاً من شر الوسواس الذي يحصل في نفوس الناس منهم ومن الجنة فإنه أصل الشر الذي يصدر منهم والذي يرد عليهم

(فصل) وبهذا يتبين بعض هذه الاستعاذة والتي قبلها كما جاءت بذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يستعد المستعيذون بمنزلهما فإن الوسواس أصل كل كفر وفسوق وعصيان فهو أصل الشر كله فتي وقي الإنسان شره وقي عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال فإن جميع هذه إنما تحصل بطريق الوسواس وقي عذاب الله في الدنيا والآخرة فإنه إنما يعذب على الذنوب وأصلها من الوسواس ثم إن دخل في الآية وسواس غيره بحيث يكون قوله من شر الوسواس استعاذة من الوسواس الذي يعرض له والذي يعرض للناس بسببه فقد وقي ظلمهم وإن كان إنما يريد وسواسه فهم إنما يسلطون عليه بذنوبه وهي من وسواسه قال تعالى (أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) وقال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال (فما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)

والوسواس من جنس الحديث والكلام ولهذا قال المفسرون في قوله ما توسوس به نفسه قالوا ما تحدث به نفسه وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لآمتي ما تحدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به وهو نوعان خبر وإنشاء فالخبر إما عن ماضٍ وإما عن مستقبل

فالماضي يذكره به والمستقبل يحمدنه بأن يفعل هو أموراً أو ان أموراً
ستكون بقدر الله أو فعل غيره فهذه الاماني والمواعيد الكاذبة والانشاء
أمر ونهى واباحة

والشيطان تارة يحدث رسواس اشهر وتارة ينشي الخير وكان ذلك
بما يشغله به من حديث النفس قال تعالى في النسيان (واما ينسينك الشيطان
فلا تقم يدك الذكري مع القوم الظالمين) وقال في موسى (فاني نسيت
الحوت وما أنسانيه الا الشيطان) وقال تعالى (فأنساهم الشيطان ذكر ربه)
وتبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أذن
المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين فاذا قضى التأذين
أقبل فاذا ثوب بالصلاة أدبر فاذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء
ونفسه فيقول اذ كر كذا اذ كر كذا لما لم يذكر حتى يظل لرجل لم
يدركم صلى فالشيطان اذ ذكره بأمر ماضية حدث بها نفسه مما كانت في
نفسه من أفعاله ومن غير أفعاله فبتلك الامور نسي المصلي كم صلى ولم
يدركم صلى فان النسيان أزل ما في النفس من الذكر وشغلها بأمر آخر
حتى تنسى الاول واما اخباره بما يكون في المستقبل من المواعيد والاماني
فيكتموله وقال الشيطان لما قضى الامر (ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي
فلا تلوموني ولو موأنفسكم) وفي هذه الآية أمره ووعدته وقال تعالى
(ومن يخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً بعدهم
وبينهم وما يدهم الشيطان الا غروراً أولئك أوامهم ولا يجدون

عنها محبباً وقال تعالى (الشیطان یعدکم الذکر وبأمرکم بالنحشاء واللّه یعدکم مغفرة منه وفضلاً واللّه واسع علیم) ففي هذه أيضاً أمره ووعدّه وقال موسى لما قتل القبطی (هذامن عمل الشیطان انه عدو مضل مبین) وقد قال غیر واحد من الصحابة کابی بکر وابن مسعود فیما یتولونه باجتهادهم ان کان صواباً فمن اللّه وان کان خطأً ففی ومن الشیطان فجعلوا ما باقی فی النفس من الاعتقادات التي لیست بمطابقة من الشیطان وان لم یکن صاحبها آمناً لانه استفرغ وسمه کما لا یأثم بالوسواس الذي یكون فی الصلاة من الشیطان ولا بما یحدث به نفسه وقد قال المؤمنون (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) وقد قال اللّه قد فعلت

والنسیان لا یحق لمن الشیطان والخطأ من الشیطان قال تمالی (واذا رأیت الذین یخوضون فی آياتنا فأعرض عنهم حتی یخوضوا فی حدیث) غیره واما یسینک الشیطان فلا تقعد به الذکر مع القوم الظالمین وقد قال صلی اللّه علیه وسلم من نام عن صلاة أو نسیها فلیصلها اذا ذکرها ولما نام هو وأصحابه عن الصلاة فی غزوة خیبر قال لأصحابه ارتحلوا فان هذامکان حضرنا فیہ شیطان وقال ان الشیطان أتى بلالا فجعل یردیه کما یردی الصبی حتی نام وكان النبی صلی اللّه علیه وسلم وکل بلالا أن یوقظهم عند الفجر والنوم الذي یشغل عما أمر به والناس من الشیطان وان کان معفوا عنه ولهذا قیل للناس فی مجلس الذکر من الشیطان وكذلك الاحتلام فی المنام من الشیطان والنائم لا قلم علیه وقد ثبت فی الصحیحین عن النبی صلی اللّه علیه وسلم أنه قال الرؤیا

ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا ما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في النوم وقد قيل ان هذا من كلام ابن سيرين لكن تقسيم الرؤيا الى نوعين نوع من الله ونوع من الشيطان صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا ريب فهذان النوعان من وسواس النفس ومن وسواس الشيطان وكلاهما مفعول منه فان النائم قد رفع القلم عنه ووسواس الشيطان يغشى القلب كطيف الخيال فينسيه ما كان منه من الايمان حتى يعمى عن الحق فيقع في الباطل فاذا كان من المتقين كما قال الله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فان الشيطان مسهم بطيف منه يغشى القلب وقد يكون لطيفاً وقد يكون كثيفاً الا انه غشاوة على القلب تمنعه ابصار الحق قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب نكث في قلبه نكثة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زيد فيها حتى تملو قلبه فذلك الران الذي قال الله تعالى (كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

لكن طيف الشيطان غير رين الذنوب هذا جزء على الذنوب والغين الطاف من ذلك كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على قلمي واني لاسئفرف الله في اليوم -بعين مرة فالشيطان يلتقي في النفس الشر والملك يلتقي الخير وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن قاوا واياك يا رسول الله قال واياي الا أن الله أعانني عليه فأسلم وفي رواية فلا بأسني الا بنخير أي استسلم وانقاد

وكان ابن عيينة يرويه فاسلم بالضم ويقول ان الشيطان لا يسلم لكن قوله في الرواية الاخرى فلا يأمرني الا بخير دل على انه لم يبق يأمره بالشر وهذا السلامه وان كان ذلك كناية عن خضوعه وذلكه لاعن ايمانه بالله كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره وقد عرف العدو المقهور ان ذلك الظاهر يمر ف ما يشير به عليه من الشر فلا يقبله بل يعاقبه على ذلك فيحتاج لانتهازه معه الى انه لا يشير عليه الا بخير لذاته وعجزه لا اصلاحه ودينه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الا ان الله أعانني عليه فلا يأمرني الا بخير وقال ابن مسعود ان للملك لمة وان للشيطان لمة فامة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وقد قال تعالى (انما ذلکم الشيطان یخوف أولیاءه) أى يخوفکم أولیاءه بما یقذف فی قلوبکم من الوسوسة المرتبة کشیطان الانس الذی یخوف من العدو فیرجف ویخذل وعکس هذا توله تعالى (اذ یوحى ربک الى الانلائکة انى معکم فنبتوا الذین آمنوا - القى فی قلوب الذین کفروا الرعب) وقال تعالى (یتب الله الذین آمنوا بالقول الثابت فی الحیاة الدنیا وفي الآخرة) وقال تعالى (ولولا أن ثبتناک لقد کدت ترکن الیهم شیئا فلیلا) والثبت جعل الانسان ثابتا لامرتابا وذلك بالقاء ما یثبت من التصدیق بالحق والوعد بالخير كما قال ابن مسعود لمة الملك وعد بالخير وتصدیق بالحق فمتى علم القلب ان ما أخبر به الرسول حق صدقه واذا علم ان الله قد وعده بالتصديق وثق بوعد الله فثبت فلهذا ثبت بالكلام كما ثبت الانسان الانسان في أمر قد اضطرب فيه بان یخبره

بصدقه ويخبره بما يبين له أنه منصور فيثبت وقد يكون التثبت بالفعل بان يمسه، القاب حتى يثبت كما يمسه الانسان الانسان حتى يثبت وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من سأل القضاء واستعان عليه وكل اليه ومن لم يسأل القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده فهذا الملك يجعله سديد القول بما يلقى في قلبه من التصديق بالحق والوعد بالخير وقد قال تعالى (هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور) فدل ذلك على أن هذه الصلاة سبب لخروجهم من الظلمات الى النور وقد ذكر اخراجه للمؤمنين من الظلمات الى النور في غير آية كقوله (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) وقال (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور) وقال (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم) وفي الحديث ان الله وملائكته يصلون على معامى الناس الخير وذلك ان هذا بتعليمه الخير يخرج الناس من الظلمات الى النور والجزاء من جنس العمل ولهذا كان الرسول أحق الناس بكمال هذه الصلاة كما قال تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) والصلاة هي الدعاء اما بخير يتضمن الدعاء واما بصيغة الدعاء فالملائكة يدعون للمؤمنين كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والملائكة تصلى على أحدكم مادام في مصلاه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث فين ان صلاتهم قولهم

اللهم اغفر له اللهم ارحمه

وفي الاثر ان الرب يصلى فيقول سبقت أو غلبت رحمتي غضبي
وهذا كلامه سبحانه هو خبر وانشاء يتضمن ان الرحمة تسبق الغضب
وتغلبه وهو سبحانه لا يدعو غيره ان يفعل كما يدعو الملائكة وغيرهم
من الخلق بل طلبه بامرهم وقوله وقسمه كقوله لافعلن كذا وقوله
كن فيكون وقوله لافعلن كذا قسم منه كقوله (لأملأن جهنم منك
ومن تبعك) وقوله (ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس
أجمعين) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم واما يمكن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليدلتهم من بعد خوفهم أمنا) وقوله (كتب الله لاغابن أنا ورسلى
ان الله قوى عزيز) وهذا وعد مؤكد بالقسم بخلاف قوله (انا
لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) فان هذا وعد وخبر ليس فيه
قسم لكنه مؤكد باللام التي يمكن أن تكون جواب قسم وقوله (وعدكم
الله مغنم كثيرة تأخذونها) وقوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفين)
ونحو ذلك وعد مجرد

وقد قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء
حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) فاخبر انه يوحى الى
البشر تارة وحيا منه وتارة يرسل رسولا فيوحى الى الرسول باذنه
ما يشاء

والملائكة رسل الله ولفظ الملك يتضمن معنى الرسالة فان أصل

الكلمة . ملاك علي . وزن مفعل لكن لكثرة الاستعمال خففت بأن ألقى حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذقت الهمزة وملاك . مأخوذ من المالك والملاك بتقديم الهمزة على اللام واللام على الهمزة وهو الرسالة وكذلك الالوكة بتقديم الهمزة على اللام قال الشاعر

أبلغ النعمان عني مالكاً * انه قد طال حبسى وانتظاري
وهذا بتقديم الهمزة لكن الملك هو بتقديم اللام على الهمزة وهذا أجد فان نظيره في الاشتقاق الاكبر لك يلوك اذا لك الكلام والاجام والهمزة أتوى من الواو ويليه في الاشتقاق الاوسط أكل يأكل فان الآكل يلوك ما يدخله في جوفه من الغذاء والكلام والعلم ما يدخل في الباطن ويغذى به صاحبه قال عبد الله بن مسعود ان كل آدب يجب أن تؤتى مآدبه وان مآدبة الله القرآن والآدب المضيف و مآدبة الضيافة وهو ما يجمل من الطعام المضيف فين ان الله ضيف بمآدبه بالكلام الذي أنزله اليهم فهو غذاء قلوبهم وقوتها وهو أشد انتفاعا به واحتياجا اليه من الجسد بغذائه

وقال علي رضي الله عنه الربانيون هم الذين يفدون الناس بالحكمة ويربونهم عايبا وقد قال صلى الله عليه وسلم انى أبيت عند ربى يطعنى ويسقئنى وقد أخبر الله تعالى ان القرآن شفاء لساقى الصدور والناس الى الغذاء أحوج منهم الى الشفاء فى القلوب والابدان وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال مثل ما بينى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة أمسكت الماء فانبثت الكلأ

والعشب الكثير وكانت منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس وسقوا
وزرعوا وكانت منها طائفة انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تثبت كالأفذاك
مثل من فقه في دين الله ونفع ما بعنى الله به من الهدى والعلم ومثل من
لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به

فأخبر ان ما بعث به للقلوب كالماء للارض تارة تشربه فتنبت وتارة
تحفظه وتارة لا هذا ولا هذا والارض تشرب الماء وتغتذى به حتى يعمل
الخير وقد أخبر الله تعالى انه روح تحيا به القلوب فقال (وكذلك أوحينا
إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن
جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك أهدى إلى صراط
مستقيم) واذا كان ما يوجهه إلى عباده تارة يكون بوساطة ملك وتارة بغير
وساطة فهذا للمؤمنين كلهم مطاقا لا يختص به الانبياء قال تعالى (وأوحينا
إلى أم موسى أن أرضعيه) وقال تعالى (واذ أوحيت إلى الخواصين أن
آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واثقنا بهد باننا مسلمون) واذا كان قد قال
وأوحى ربك إلى النحل الآية فذكر أنه يوحى إليهم فإلى الانسان
أولى وقال تعالى (وأوحى في كل سماء أمرها) وقد قال تعالى (ونفس وما
سواها فألهمها فجورها وتقواها) فهو سبحانه يلهم الفجور والتقوى
للنفس والفجور يكون بوساطة الشيطان وهو الهام وسواس والتقوى
بوساطة ملك وهو الهام وحى هذا أمر بالفجور وهذا أمر بالتقوى
والامر لا بد أن يقترن به خبر

وقد صار في العرف لفظ الهام اذا أطلق لا يراد به الوسوسة

وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين الهام الوحي وبين الوسوسة فالأمور به ان كان تقوى الله فهو من الهام الوحي وان كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان

فيكون الفرق بين الالهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة فان كان مما ألقى في النفس مما دل الكتاب والسنة على انه تقوى لله فهو من الالهام المحمود وان كان مما دل على انه فجور فهو من الوسواس المذموم وهذا الفرق مطرد لا يتقضى وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان فقال ما كرهته نفسك لنفسك فهو من الشيطان فاستعد بالله منه وما أحبه نفسك لنفسك فهو من نفسك فانها عنه

وقد تكلم المفسر في العلم الحاصل في القلب عقب النظر والاستدلال فذكروا فيه ثلاثة أقوال كما ذكر ذلك أبو حامد في مستصفاه وغيره قول الجهمية وقول القدرية وقول الملائمة وكثير من أهل الكلام لا يذكر الا القولين قول الجهمية وقول القدرية

وذلك أنهم يذكرون في كتبهم ما يعرفونه من أقوال من يعرفونه تكلم في هذا وهم لا يعرفون الا هؤلاء والمسئلة هي من فروع القدر فان الحاصل في نفس حادث فيها فالتقول فيه كالأقوال في أمثاله

ومذهب جهنم ومن وافقه كأبي الحسن الأشعري وكثير من المتأخرين المثبتة هو مذهب أهل السنة والجماعة ان الله خالق كل شيء وان الله خالق أعمال العباد لكنه لا يثبت سيئاتهم ولا قدرة مؤثرة ولا حكمة

الفعل الرب فانكر الطباع والقوى التي في الالعيان وانكر الاسباب والحكم فلهذا لم يجعل لشيء سبباً بل يقول هذا حاصل بخلاق الله وقدرته ولم يذكروا له سبباً وهم صادقون في اضافته الي قدره وانه خالقه خلافاً للقدرية لكن من تمام المعرفة اثبات الاسباب ومعرفة * وأما القدرية من المتزلة وغيرهم فبنوه على أصلهم وهو ان كل ما تولد عن فعل العبد فهو فعله لا يضاف الى غيره كالشبع والري وزهوق الروح ونحو ذلك فقالوا هذا العلم متولد عن نظر العبد أو تذكر النظر

والتفاسفة بنوه على أصلهم في أن يحدث من الصور هو من فيض العقل الفعال عند الله - تعداد المواد اقلية فنالوا يحصل في نفوس البشر من فيض العقل الفعال عند الله - تعداد النفس بالاضطرار المقدمتين وهذا القول خطأ والذي قبله أقرب منه والاول أقرب وليس في شيء منها تحقيق الامر في ذلك

وحقيقته ان الله وكل بالانس ملائكة وشياطين يلقون في قلوبهم الخير والشر قاله الصادق من الخير والمقائد الباطلة من الشر كما قال ابن مسعود لمة الملك اصدق بالحق و لمة الشيطان تكذيب بالحق وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لم في القاضى أنزل الله عليه ملكاً يسدده وكما أخبر الله ان الملائكة توحى الى البشر ما توحى به وان كان البشر لا يشعر بأنه من الملك كما لا يشعر بالشيطان الموسوس لكن الله أخبر انه يكلم البشر وحياً ويكلمه بملك يوحى باذنه ما يشاء والثالث التكليم من وراء حجاب وقد قال بعض المفسرين المراد بالوحى هنا الوحي في المنام ولم

يذكر أبو الفرج غيره وليس الامر كذلك فان المنام تارة يكون من الله
وتارة يكون من النفس وتارة يكون من الشيطان وهكذا ما باقى في اليقظة
والانبياء معومون في اليقظة والمنام ولهذا كانت رؤيا الانبياء وحيا كما
قال ذلك ابن عباس وعبيد بن عمير وقرأ قوله اني ارى في المنام اني
اذبحك وايس كل من رأى رؤيا كانت وحيا فكذا ذلك ليس كل من ألقى
في قلبه شئ يكون وحيا والانسان قد تكون نفسه في يقظته أكل منها
في نومه كالمصلي الذي يتأذى به فاذا جاز أن يوحى اليه في حال النوم
فلهذا لا يوحى اليه في حال اليقظة كما أوحى الى أم موسى

والحواريين والى النحل لكن ليس لاحد أن يطابق

التول على ما يقع في نفسه انه وحى لاني

يقظة ولا في المنام الا بدليل يدل

على ذلك فان الوسواس

غالب على الناس

والله أعلم

تمت الرسالة العاشرة

ويلها الرسالة الحادية عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الاسلام علامة الانام أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية
رضي الله عنه

(فصل فيمن أوقع العقود المحرمة ثم تاب قال الله تعالى في الربا
(وان تبتم فليكن رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظالمون) وقد بسط الكلام
على هذا في موضعه وقد قال تعالى لما ذكر الخلع والطلاق فقال في
الخلع (ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً الا أن يخافا أن لا يقبلا
حدود الله فان خفتن أن لا يقبلا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اتدت به
تلك حدود الله فلا تعدوها ومن يتعد حدود الله فلاوائك هم الظالمون)
الى قوله (واذا طلقتم النساء فبأن أجهن فأمسكنهن بمعروف أو
سرحوهن بمعروف ولا تمسكنهن ضرراً تتمدوا ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه) وقال تعالى (اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة
واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين
بفاحشة مينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري
لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً فإذا بان أجهن فأمسكنهن بمعروف
أو فارقوهن بمعروف وأنهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل
له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه
ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً)

فالطلاق المحرم كالطلاق في الحيض وفي طهر قد أصابها فيه حرام

بالنص والاجماع والاطلاق الثلاث عند الجمهور وهو تمد حدود الله
 وفاعله ظالم لنفسه كما ذكر الله تعالى انه من يتعد حدود الله فقد ظلم
 نفسه والظالم لنفسه اذا تاب تاب الله عليه لقوله (ومن يعمل سوا أو يظلم
 نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) فهو اذا استغفره غفر له
 ورحمه وحينئذ يكون من المتقين فيدخل في قوله (ومن يتق الله يجعل
 له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)

والذين ألزمهم عمر ومن وافقه بالطلاق المحرم كانوا عاقلين بالتحريم
 وقد نهوا عنه فلم ينتهوا فلم يكونوا من المتقين فهم ظالمون لانهم مستحذون
 للعقوبة وكذلك قال ابن عباس ابض المستفتين ان عمك لم يتق الله فلم
 يجعل له فرجا ومخرجا ولو اتى الله لجعل له فرجا ومخرجا وهذا انما
 يقال لمن علم ان ذلك محرم وفعله فمن لم يعلم بالتحريم لا يستحق العقوبة
 ولا يكون متعديا اذا عرف أن ذلك محرم وتاب من عوده اليه والزم
 أن لا يفعله والذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعل ثلاثهم واحدة
 في حياته كانوا يتوبون فيصـيرون متقين ومن لم يتب فهو الظالم كما قال
 (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) فخصر
 الظلم فيمن لم يتب فمن تاب فليس بظالم فلا يجعل متعديا حدود الله بل
 وجود قوله كعدمه ومن لم يتب فهو محل اجتهاد فعمم عاقبهم بالالزام
 ولم يكن هناك تحجيل في كانوا الاعتقادهم ان النساء يحرم من عليهم لا يقعون
 في الملاق المحرم فاستكفوا بذلك عن تمدى حدود الله فاذا صاروا
 يوقعون الطلاق المحرم ثم يردون النساء بالتحجيل المحرم صاروا يفعلون

المحرم مرتين ويتمدون حدود الله مرتين بل ثلاثاً بل أربعاً لار الطلاق الاول كان تعدياً لحدود الله وكذلك نكاح المحلل لها ووطؤه لها قد صار بذلك ملعوناً هو والزوج الاول فقد تعدياً لحدود الله هذا مرة أخرى وذلك مرة والمرأة وولها لما علموا بذلك وفعلوه كانوا متعدين لحدود الله فلم يحصل بالالزام في هذه الحال انكشاف عن تعدي حدود الله بل زاد التعدي لحدود الله فترك الزامهم بذلك وان كانوا ظالمين غير تأييين خير من الزامهم فذلك الزنا يعود الى تعدي حدود الله مرة بعد مرة واذا قيل فالذي استفتى ابن عباس ونحوه لو قيل له تب لتاب ولهذا كان ابن عباس يفتي احياناً بترك اللزوم كما نقله عنه عكرمة وغيره وعمر ما كان يجعل الخلية والبرية الا واحدة رجعية ولما قال عمر (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تائبين) وادا كان الالزام عاماً ظاهراً كان تخصيص البهض بالاعانة تفضالاً لذلك ولم يوثق بتوبة فالمراتب أربعة أما اذا كانوا يتقون الله ويتوبون فلا ريب ان ترك الالزام كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر خير وان كانوا لا يتقون الا بالالزام فينتفون حينئذ ولا يوقعون المحرم ولا يحتاجون الى تحليل فهذا هو الدرجة الثانية التي فعلها فيهم عمر والثالثة ان يحتاجوا الى التحليل المحرم فهنا ترك الالزام خير والرابعة أنهم لا يتقون بل يوقعون المحرم ويلزمونه بلا تحليل فهنا ليس في الزامهم به فائدة الا اصر واغلال لم يوجب لهم تقوى الله وحفظ حدوده بل حرمت عليهم نساؤهم وخربت ديارهم فقط والشارع لم يشرع ما يوجب حرمة

النساء وتخریب الديار بل ترك الزامهم بذلك أقل فساداً وان كانوا اذنبوا
فهم مذنبون على التقديرين لكن تخریب الديار أكثر فساداً والله لا يحب
الفساد واما ترك الالزام فليس فيه الا أنه اذنب ذنباً بقوله فلم يتب منه
وهذا أقل فساداً من الفساد الذي قصد الشارع دفعه ومنعه بكل طريق
وأصل المسئلة أن النهي يدل على ان المنهي عنه فإداه راجح على
صلاحه فلا يشرع التزام الفساد من يشرع دفعه ومنعه

وأصل هذا ان كل ما نهى الله عنه وحرمه في بعض الاحوال وأباحه
في حال أخرى فان الحرام لا يكون صحيحاً نافذاً كالحلل يترتب عليه
الحكم كما يترتب على الحلل ويحصل به المقصود كما يحصل وهذا معنى
قولهم النهي يقتضى الفساد وهذا مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان
وأئمة المسلمين وجهورهم وكثير من المتكلمين من المعتزلة والاشعرية
يخالف في هذا لما ظن ان بعض ما نهى عنه ايسر بناسد كالاطلاق المحرم
والصلاة في الدار المغصوبة ونحو ذلك

قالوا لو كان النهي موجباً للفساد لزم انتفاض هذه العلة فدل على
أن الفساد حصل بسبب آخر غير مطلق النهي
وهؤلاء لم يكونوا من أئمة الفقه المارفين بتفصيل أدلة الشرع فقول
لهم باى شيء يعرف أن العبادة فاسدة والمقد فاسد قوا بان يقول الشارع
هذا صحيح وهذا فاسد وأما هذا فشرط في صحته كذا وكذا قالوا وجد اذناع
انتفت الصحة

وهؤلاء وأمثالهم لا يتكلمون في الادلة الشرعية الواقعة وهي الادلة التي

جعلها الله ورسوله أدلة على الاحكام الشرعية بل يشككون في أمور
يقدر، نهافي أذهانهم انها اذا وقعت هل يستدل بها أم لا يستدل والكلام
في ذلك لا فائدة فيه

ولذا لا يمكنهم أن ينتفعوا بما يقدرونه من أصول الفقه في
الاستدلال بالأدلة المنفصلة على الاحكام فانهم لم يعرفوا نفس أدلة الشرع
الواقعة بل قدروا أشياء قد لا تقع وأشياء ظنوا انها من جنس كلام
الشارع وهذا من هذا الباب

فان الشارع لم يدل الناس قط بهذه الاماظ التي ذكروها ولا يوجد في
كلامه شرط البيع أو النكاح كذا وكذا ولا هذه العبادة أو العقد
صحيح أو ليس بصحيح ونحو ذلك مما جعلوه دليلا على الصحة والفساد
بل هذه كلها عبارات أحدثها من أحدثها من أهل الرأي والكلام

وانما الشارع دل الناس بالامر والنهي والتحليل والتجريم بقوله
في عقود هذا لا يصلح فيقال الصلاح المضاد للفساد فاذا قال لا يصلح
علم انه فاسد كما قال في بيع مدين بمد تمرا لا يصلح والصحابة والتابعون
و-ائر أئمة المسلمين كانوا يحتجون على فساد العقود بمجرد النهي كما
احتجوا على فساد نكاح ذوات المحارم بالنهي المذكور في القرآن وكذلك
على فساد عقد الجمع بين الاختين ومنهم من توهّم ان التجريم فيها
تعارض فيها نصان فتوقف وقيل ان بعضهم أباح الجمع

وكذا نكاح المطلقة ثلاثا استدلوا على فساد بقوله (فارطقتها فلا
تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره)

وكذلك الصحابة استدلوا على فساد زكاح الشغار بالثمنى عنه وكذلك
عقود الربا وغيرها

وانهم قد علموا ان ما نهى الله عنه فهو من الفساد ليس من الصلاح
فان الله لا يحب الفساد ويحب الصلاح فلا ينهي عما يحبه وانما ينهي
عما لا يحبه

فعلموا ان المنهى عنه فاسد ليس بصالح وان كانت فيه مصادقة
فصالحته مرسوحة بمفسدته

وقد علموا ان مقصود شرع رفع الفساد ومنعه لا ايقاعه والالزام
به فلو اُزموا بموجب العقود المحرمة لكانوا مفسدين غير مصلحين
والله لا يصلح عمل المفسدين وقوله (واذ قيل لهم لا تفسدوا في
الارض) أى لا تعملوا بمعصية الله فيكل من عمل بمعصية الله فهو مفسد
والحرمات معصية الله فالشارع ينهى عنها ليمنع الفساد ويدفعه

ولا يوجد رقط في شيء من صور النهى صورة ثبتت فيها الصحة
ببص ولا اجماع فالطلاق المحرم والصلاة في الدار المغصوبة فيها نزاع
وايس على الصحة نص يجب انباءه فلم يبق مع المحتج بهما حجة لكن في
من البيوع ما نهى عنها لما فيها من ظلم احدهما للآخر كبيع المصرا
والمعيب وتاقى السلع وانجش ونحو ذلك وليكن هذه البيوع لم يجعلها
الشارع لازمة كالبيوع الحلال بل جعلها غير لازمة والخيرة فيها الى
المظلوم ان شاء أبطلها وان شاء أجازها فان الحق في ذلك له والشارع
لم ينه عنها لحق مختص بالله كما نهى عن الفواحش بل هذه اذا علم المظلوم

بالحال في ابتداء العقد مثل أن يعلم بالعيب والتدليس والتصرية ويعلم المراد إذا كان قادما بالساعة ويرضى بأن يفنيه المتأق جاز ذلك فكذلك اذا علم بعد العقد ان رضى أجاز وان لم يرض كان له الفسخ وهذا يدل على أن العقد يقع غير لازم بل موقوفا على الاجازة ان شاء أجازة صاحب الحق وان شاء رده وهذا متفق عليه في مثل بيع العيب مما فيه الرضا بشرط السلاوة من العيب فاذا فقد الشرط بقى موقوفا على الاجازة فهو لازم ان كان على صفة وغير لازم ان كان على صفة وأما اذا كان غير لازم مطلقا بل هو موقوف على رضا المجيز فهذا فيه نزاع وأكثر العلماء يقولون بوقف العقود وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وغيرهما وعليه أكثر نصوص أحمد وهو احيار القدماء من أصحابه كالخرفي وغيره كما هو مبسوط في موضعه

اذ المقصود هنا ان هذا النوع يحسب طائفة من الناس انه من جملة ما نهى عنه ثم نقول طائفة وليس بفساد فالنهي لا يجب أن يتنقض الفساد وتقول طائفة بل هذا فاسد فمهم من أفسد بيع النجش اذا نجش البائع أو اطأ ومنهم من أفسد نكاح الخاطب على خطابة أخيه ويهه على بيع أخيه ومنهم من أفسد بيع العيب المدلس فلما عورض بالمصرأة توقف ومنهم من صحح نكاح الخاطب على خطابة أخيه مطلقا وبيع النجش بلا خيار

والتحقيق ان هذا النوع لم يكن النهى فيه لحق الله كنكاح المحرمات والمطلقة ثلاثا وبيع الربا بل لحق الانسان بحيث لو علم المشتري ان

صاحب السلعة يخش ورضى بذلك جاز وكذلك اذا علم ان غيره يخش
وكذلك المخطوبة متى أذن الخاطب الاول فيها جاز ولما كان النهي هنا
لحق الآدمي لم يجبهه الشارع صحيحا لازما كاللحل بل أثبت حق المظلوم
وسلطه على الخيار فان شاء أمضى وان شاء فسخ قلمشترى مع النجش
ان شاء رد المبيع فحصل بهذا مقصوده وان شاء رضى به اذا علم
بالنجش فاما كونه فاسدا مردودا وان رضى به فهذا لاوجه له وكذلك
الرد بالميب والمدلس والمصرأة وغير ذلك وكذلك المخطوبة ان شاء
الخاطب أن يفسخ نكاح هذا المتعدى عليه ويتزوجها برضاها فله ذلك
وان شاء أن يمضى نكاحه فله ذلك وهو اذا اختار فسخ نكاحه عاد
الامر الى ما كان فان شاءت نكحته وان شاءت لم تنكحه اذ مقصوده
حصل بفسخ نكاح الخاطب واذا قيل هو غير قلب المرأة على قيل ان
شئت عاقبتها على هذا بان نكحه من نكاحها فيكون هذا قصاصاً اظلمه
اياك وان شئت عفوت عنه فانفذنا نكاحه

وكذلك الصلاة في الدار المنصوبة والذبح بآلة منصوبة وطبخ الطعام
بخطب منصوب وتسخين الماء بخطب منصوب كل هذا انما حرم لما
فيه من ظلم الانسان وذلك يزول باعطاء المظلوم حقه فاذا أعطاه بدل
ماأخذه من منفعة ماله أو من أعيان ماله فاعطاه كراء الدار وثمن
الخطب وتاب هو الي الله من فعل ما نهاه عنه فقد برىء من حق الله
وحق العبد وصارت صلته كالمسلاة في مكان مباح والطعام كالطعام
بوقود مباح والذبح بسكين مباحة وان لم يفعل ذلك كان لصاحب السكين

أجرة ذبحه، لأنحرم الشاة كلها وكان لصاحب الدار أجرة داره لأنحبط
صلاته كلها لأجل هذه الشبهة وهذا إذاً كل الطعام ولم يوفه ثمنه كان بمنزلة
من أخذ طعاماً لغيره فيه شركة ليس فعله حراماً ولا هو حلالاً محضاً
فإن نضج الطعام لصاحب النوقود فيه شركة وتلك الصلاة يبقى عليه
إثم الظلم ينقص من صلاته بقدره فلا تبرأ ذمته كبراءة من صلى صلاة
تامة ولا يعاقب كعقوبة من لم يصل بل يعاقب على قدر ذنبه

وكذلك آكل الطعام يعاقب على قدر ذنبه والله تعالى يقول (من
يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وإنما قيل
في الصلاة في الثوب النجس وبالمكان البعيد بخلاف هذا لأنه هناك
لا سبيل له إلى براءة ذمته إلا بالاعادة وهنا يمكنه ذلك براضائه المظلوم
ولكن الصلاة في الثوب الحرير هي من ذلك القسم الحق فيها لله ولكن
نهى عن ذلك في الصلاة وغير الصلاة لم ينه عنه في الصلاة فقط

فقد تنازع الفقهاء في مثل هذا فمنهم من يقول النهى هنا معنى في
غير المنهى عنه وكذلك يقولون في الصلاة في لدار المغصوبة والثوب
المغصوب والعلاق في الحيز والبيع وقت النداء ونحو ذلك وهذا الذي
قالوه لاحققة له فانه ان عني بذلك أن نفس الفعل المنهى عنه ليس فيه
معنى يوجب النهى فهذا باطل فإن نفس البيع اشتمل على تعطيل الصلاة
ونفس الصلاة اشتملت على الظلم والفخر والحيلاء ونحو ذلك مما أوجب
النهى كما اشتملت الصلاة في الثوب النجس على ملابسة الخبيث

وإن أرادوا بذلك ان ذلك المعنى لا يختص بالصلاة بل هو مشترك

بين الصلاة وغيرها فهذا صحيح فان البيع وقت النداء لم يمه عنه الا
 لكونه شاغلا عن الصلاة وهذا وجود في غير البيع لا يختص بالبيع
 لكن هذا الفرق لا يجيء في طلاق الحائض فانه ليس هناك معنى مشترك
 وهم يقولون انما نهى عنه لاطالة العدة وذلك خارج عن الطلاق فيقول
 وغير ذلك من المحرمات كذلك انما نهى عنها لافضائه الي فساد خارج
 عنها فالجمع بين الاختين نهى عنه لافضائه الى طبيعة الرحم والقطيعة
 أمر خارج عن النكاح والخمر والميسر حرما وجعلا رجسا من عمل
 الشيطان لان ذلك يفضى الى الصد عن الصلاة وايقاع المداوة والبقضاء
 وهو أمر خارج عن الخمر ولربا والميسر حرما لان ذلك يفضى الى أكل
 المال بالباطل وذلك خارج عن نفس عقد الربا والميسر

فكل ما نهى الله عنه لا بد أن يشتمل على معنى فيه يوجب النهي
 ولا يجوز أن ينهى عن شيء لا لمعنى فيه أصلا بل لمعنى أجنبي عنه فان
 هذا من جنس عقوبة الانسان بذنب غيره والشرع منزعه عن ذلك
 فكما لا تزر وازرة وزر أخرى في العمال فكذلك في الاعمال لكن في
 الاشياء ما ينهى عنه لسد الذريعة فهو مجرد عن الذريعة لم يكن فيه مفسدة
 كالنهي عن الصلاة في أوقات النهي قبل طلوع الشمس وغروبها ونحو
 ذلك وذلك لان هذا الفعل اشتمل على مفسدة الافضاء الى التشبه
 بالمشركين وهذا معنى فيه

ثم من هؤلاء الذين قالوا ان النهي قد يكون لمعنى في المنهى عنه وقد
 يكون لمعنى في غيره من قال انه قد يكون لوصف في الفعل لاني أصـ له

في دل على صحته كالنهي عن صوم يومي العيدين قالوا هو منهي عنه
لوصف العيدين بالجنس الصوم فاذا صام صح لانه سماه صوما فيقال
لهم وكذلك الصوم في أيام الحيض وكذلك الصلاة بلا طهارة والى غير
القبلة جنسه مشروع وانما النهى الوصف خاص وهو الحيض والمحدث
واستقبال غير القبلة ولا يعرف بين هذا وهذا فرق معقوله تأثير في
الشرع * فانه اذا قيل الحيض والحديث صفة في الحائض والمحدث وذلك
صفة في الزمان * قيل والصف في محل الفعل زمانه ومكانه كالصفة في فاعله
فانه لو وقف في عرفة في غير وقتها أو في غير عرفة لم يصح وهو صفة في
الزمان والمكان وكذلك لورمي الجمار في غير أيام منى أو في غير منى
وهو صفة في الزمان والمكان واستقبال غير القبلة هو الصفة في الجهة
لا فيه ولا يجوز ولو صام بالليل لم يصح وان كان هذا زمانا * فاذا قيل الليل
ليس بمحل للصوم شرعا * قيل ويوم العيد ليس بمحل للصوم شرعا كما ان
زمان الحيض ليس بمحل للصوم شرعا

فالفرق بين فعاين لا بد أن يكون فرقا شرعيا فيكون معقولا
ويكون الشارع قد جمعه مؤثرا في الحكم بحيث تعلق به الحل أو الحرمة
الذي يختص بأحد الفعاين

وكثير من الناس يتكلم بفروق لاحقيقة لها ولا تأثيره في الشرع
ولهذا يقولون في القياس انه قد يمنع في الوصف لاني الاصل أو الشرع
أو يمنع تأثيره في الاصل وذلك انه قد يذكر وصفا يجمع به بين الاصل
والفرع ولا يكون ذلك الوصف مشتركا بينهما بل قد يكون منفيا عنهما

أو عن أحدهما وكذلك الفرق قد يفرق بوصف يدعى انتقاضه باحدى
 الصورتين ايس هو مختصا بها بل هو مشترك بينهما وبين الاخرى
 كقولهم النهى لمعنى في المنهي عنه وذلك لمعنى في غيره أو ذلك لمعنى في
 وصفه دون أصله ولكن قد يكون النهى لمعنى يختص بالعبادة والعقد وقد
 يكون لمعنى مشترك بينهما وبين غيرها كما ينهى المحرم عما يختص بالاحرام
 مثل حلق الرأس ولبس العمامة وغير ذلك من الثياب المنهى عنها وينهى
 عن نكاح امرأته وينهى عن صيد البر وينهى مع ذلك عن الربا وعن
 ظلم الناس فيما ملكوه من الصيد وحينئذ فالنهي لمعنى مشترك أعظم
 ولهذا لو قتل المحرم صيدا مملوكا وجب عليه الجزاء لحق الله ووجب
 عليه بدله لحق المالك ولو زنا لافسد احرامه كما يفسده بنكاح امرأته
 ولا يستحق حد الزنا مع ذلك وعلى هذا فمن لبس في الصلاة ما يحرم
 فيها وفي غيرها كالثياب التي فيها خيلاء ونخر كالمسبلة والحريز كان أحق
 ببطلان الصلاة من الثوب انجس وفي الحديث لذى في السنن ان الله
 لا يقبل صلاة مسبل

والثوب النجس فيه نزع وفي قدر النجاسة نزع والصلاة في الحرير
 لارجال من غير حاجة حرام بالنسب والاجماع وكذلك البيع بعد ائداء
 اذا كان قد نهى عنه وغيره يشتمل عن الجمعة كان ذلك أو كد في النهي
 وكل مشتمل عنها فهو شر وفساد لاخبر فيه والمالك الحاصل بذلك كالمالك
 الذي لم يحصل الا بمعصية الله وغضبه ومخالفته كالذى لا يحصل الا بغير
 ذلك من المعاصي مثل الكفر والسحر والكهانة والفاشحة وقد قال

النبي صلى الله عليه وسلم حلوان الكاهن خبيث ومهر البغي خبيث
 فاذا كنت لأملك الساعة ان لم أترك الصلاة المفروضة كان حصول الملك
 سبب ترك الصلاة كما ان حصول الحلوان والمهر بالكهانة والبغاء وكما لو
 قبل له ان ترك الصلاة اليوم أعطيناك عشرة دراهم فان ما يأخذه على
 ترك الصلاة خبيث كذلك ما يملكه بالماوضة على ترك الصلاة خبيث ولو
 استأجر أجيرا بشرط أن لا يصلى كان هذا الشرط باطلا وكان
 ما يأخذه عن العمل الذي يعمل بمقدار الصلاة خبيث مع ان جنس
 العمل بالاجرة جائز كذلك جنس الماوضة جائز لكن بشرط أن
 لا يتعدى عن فرائض الله واذا حصل البيع في هذا الوقت وتعذر الرد
 فله نظيره الذي أداءه ويتصدق بالربح والبائع له نظير ساعته ويتصدق
 بربح ان كان ربح ولو تراضيا بذلك بعد الصلاة لم ينفع فان النهي هنا الحق
 الله فهو كما لو تراضيا بمهر البغي وهناك بنصه على أصح القولين
 لا يعطى لزانى وكذلك في الخمر ونحو ذلك مما أخذ صاحبه منفعة
 محرمة فلا يجمع له العوض والم عوض فان ذلك أعظم اثما من بيهه فاذا
 كان لا يحل أن يباع الخمر بالثمن فكيف اذا أعطى الخمر وأعطى الثمن
 واذا كان لا يحل لزانى أن يزنى وان أعطى فكيف اذا أعطى المال
 والزنا جميعا بل يجب اخراج هذا المال كسائر أموال المصالح المشتركة
 فكذلك هنا اذا كان قد باع الساعة وقت النداء بربح واحد وأخذ ساعته
 فان فاتت تصدق بالربح ولم يعطه للمشتري فيكون اعانة له على الشراء
 والمشتري بأخذ الثمن ويعيد الساعة فان باعها بربح تصدق به ولم يعطه

لابائع فيكون قد جمع له بين ربحين وقد تنازع الفقهاء
في المقبوض بالعتد الفاسد هل يملك أو لا يملك أو
يفرق بين أن يفوت أو لا يفوت كما هو
مبسوط في غير هذا الموضع

تمت الرسالة الحادية عشر

ويليه الرسالة الثانية عشر له أيضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه عما يقع في كلام كثير من الفقهاء من قولهم هذا خلاف القياس لما ثبت بالنص أو قول الصحابة أو بمضهم وربما كان حكماً مجمعاً عليه

فمن ذلك قولهم تطهير الماء اذا وقع فيه نجاسة خلاف القياس بل وتطهير النجاسة على خلاف القياس والتوضؤ من لحوم الابل على خلاف القياس والفطر بالحجامة على خلاف القياس والسلم على خلاف القياس والاجارة والحوالة والكتابة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والقرض وصحة صوم المنظر نائياً والمضي في الحج الفاسد كل ذلك على خلاف القياس وغير ذلك من الاحكام فهل هذا القول صواب أم لا وهل يعارض القياس الصحيح النص أم لا

فاجاب الحمد لله رب العالمين * أصل هذا ان تلم أن لفظ القياس لفظ مجمل يدخل فيه القياس الصحيح والقياس الفاسد فالقياس الصحيح هو الذي وردت به الشريعة وهو الجمع بين المتماثلين والفرق بين المختلفين الاول قياس الطرد والثاني قياس العكس وهو من البدل الذي يمت الله به رسوله

(فالقياس الصحيح) مثل ان تكون العلة التي علق بها الحكم في الاصل موجودة في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها او مثل هذا القياس لاتانى الشريعة بخلافه قط وكذلك القياس بالغاء الفارق وهو أن لا يكون بين الصورتين فرق مؤثر في الشرع فنمل هذا القياس

لأنّ الشريعة بخلافه وحيث جاءت الشريعة باختصاص بعض الأنواع بحكم يفارق به نظائره فلا بد أن يختص ذلك النوع بوصف يوجب اختصاصه بالحكم ويمنع مساواته له - يره لكن الوصف الذي اختص به قد يظهر لبعض الناس وقد لا يظهر وليس من شرط القياس الصحيح المعتدل أن يعلم صحته كل أحد فمن رأى شيئاً من الشريعة مخالفاً للقياس فأنما هو مخالف للقياس الذي انعقد في نفسه ليس مخالفاً للقياس الصحيح الثابت في نفس الأمر

وحيث علمنا أن النص جاء بخلاف قياس علمنا قطعاً أنه قياس فاسد - في أن صورة النص امتازت عن تلك الصور التي يظن أنها مثلها بوصف أوجب تخصيص الشارع لها بذلك الحكم فليس في الشريعة ما يخالف قياساً صحيحاً لكن فيها ما يخالف القياس الفاسد وإن كان من الناس من لا يعلم فساده

ونحن نبين أمثلة ذلك مما ذكر في السؤال فالذين قالوا المضاربة والمساقاة والمزارعة على خلاف القياس ظنوا أن هذه العقود من جنس الاجارة لأنها عمل بعوض والاجارة يشترط فيها العلم بالدوس والمعوض فلما رأوا العمل في هذه العقود غير معلوم والربح فيها غير معلوم قالوا تخالف القياس وهذا من غلطهم فإن هذه العقود من جنس المشاركات لا من جنس الممازعات الخاصة التي يشترط فيها العلم بالموضين والمشاركات جنس غير جنس المعاوضة وإن قلنا أن فيها شوب المعاوضة وكذلك المقاسمة جنس غير جنس المعاوضة الخاصة وإن كان فيها شوب معاوضة

حتى ظن بعض الفقهاء انها بيع يشترط فيها شروط البيع الخاص
 (وأيضاح هذا) ان العمل الذي يقصد به المال ثلاثة أنواع أحدها أن
 يكون العمل مقصودا معلوما مقدورا على تسليمه فهذه الاجارة اللازمة
 والثاني أن يكون العمل مقصودا لكن به مجهول أو غرر فهذه الجمالة
 وهي عقد جائز ايسر بالازم فاذا قال من رد عبدي الآبق فله مائة فقد
 يقدر على رده وقد لا يقدر وقد يرد من مكان قريب وقد يرد من
 مكان بعيد فلهذا لم تكن لازمة لكن هي جائزة فان عمل هذا العمل
 استحق الجمل والا فلا ويجوز أن يكون الجمل فيها اذا حصل بالعمل
 جزأ شائما ومجهولا جهالة لا تمنع التسليم مثل أن يقول أمير الغزوم
 دل على حصن فله ثلث ما فيه ويقول للسرية التي يسريها لك خمس
 ما تغنمين أو ربهه وقد تنازع العلماء في سلب القتال هل هو مستحق
 بالشرع كقول الشافعي أو بالشرط كقول أبي حنيفة ومالك على قولين
 هما روايتان عن أحمد فمن جملة مستحقا بالشرط جملة من هذا الباب
 ومن هذا الباب اذا جعل للطبيب جعلا على شفاء المريض جاز كما
 أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين جعل لهم قطيع على شفاء
 سيد الحي فرقاه بعضهم حتى برى فآخذوا القطيع فان الجمل كان على
 الشفاء لا على الأتراء ولو استأجر طبيبا اجارة لازمة على الشفاء لم يجز
 لان الشفاء غير مقدور له فقد يشفيه الله وقد لا يشفيه فهذا ونحوه مما
 تجوز فيه الجمالة دون الاجارة اللازمة (وأمما النوع الثالث) فهو ما لا يقصد
 فيه العمل بل المقصود المال وهو المضاربة فان رب المال ليس له

قصد في نفس عمل العامل كما للجاعل والمتأجر قصد في عمل العامل
ولهذا لو عمل ما عمل ولم يربح شيئاً لم يكن له شيء وان سمي هذا جملة
بجزء مما يحصل بالعمل كان نزاعاً لفظياً بل هذه مشاركة هذا بنفع
بدنه وهذا بنفع ماله وما قسم الله من الربح كان بينهما على الاشاعة
ولهذا لا يجوز أن يخص أحدهما بربح مقدر لآخر هذا يخرجهما عن
العدل الواجب في الشركة وهذا هو الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم
من المزارعة

فانهم كانوا يشترطون لرب المال زرع بقعة بعينها وهو ما نبت على
الميازيب واقبال الجداول ونحو ذلك فنهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك ولهذا قال الليث بن سعد وغيره ان الذي نهى عنه صلى الله
عليه وسلم هو أمر اذا نظر فيه ذو البعير بالحلال والحرام علم أنه لا يجوز
أو كما قال فين ان النهي عن ذلك موجب النيباس فان مثل هذا لو شرط
في المضاربة لم يجوز لان معنى المشاركات على العدل بين الشريكين فاذا
خص أحدهما بربح دون الآخر لم يكن هذا عدلاً بخلاف ما اذا كان لكل
منهما جزء شائع فانهما يشتركان في المنعم وفي المنعم فان حصل ربح
اشتركا في المنعم وان لم يحصل ربح اشتركا في الحرمان وذهب نفع بدن
هذا كما ذهب نفع مال هذا ولهذا كانت الوضيمة على المال لان ذلك في
مقابلة ذهاب نفع العامل ولهذا كان الصواب انه يجب في المضاربة الفاسدة
ربح المثل لأجرة المثل فيعطي العامل ما حرت به العادة أن يعطاه مثله
من الربح اما نصفه واما ثلثه واما ثلثاه فاما أن يعطي شيئاً مقسداً

مضمونا في ذمة المالك كما يعطي في الاجارة والجمالة فهذا غلط ممن
 قاله وسبب انقلاط ظنه أن هذا اجارة فاعطاه في فائدتها عوض المثل
 كما يعطيه في المسمى الصحيح وما يبين غلط هذا اقول ان العامل قد
 يعمل عشر سنين فلو أعطى أجرة المثل لا يعطي أضاف رأس المال
 وهو في الصحيحة لا يستحق الاجزاء من الربح ان كان هناك ربح فكيف
 يستحق في الفاسدة أضاف ما يستحقه في الصحيحة

وكذلك الذين أبطلوا المزارعة والمساقاة ظنوا انها اجارة بعوض
 مجهول فابطلوها وبعضهم صحح منها ما يدعو اليه الحاجة كالمساقاة على
 الشجر لعدم امكان اجارتها بخلاف الارض فانه يمكن اجارتها وجوزوا
 من المزارعة ما يكون تبعا للمساقاة اما مطلقا واما اذا كان البياض الثالث
 وهذا كله بناء على ان مقتضى الدليل بطلان المزارعة وانما جوزت
 للحاجة ومن أعطى النظر حقه علم ان المزارعة أبعد من الظلم والقمار
 من الاجارة باجرة مسماة مضمونة في الذمة فان المستأجر انما يقصد
 الانتفاع بالزرع النابت في الارض فاذا وجب عليه الاجرة ومقصوده
 من الزرع قد يحصل وقد لا يحصل كان في هذا حصول أحد
 المتماوضين على مقصوده دون الآخر وأما المزارعة فان حصل الزرع
 اشتركا فيه وان لم يحصل شيء اشتركا في الحرمان فلا يختص أحدهما
 بحصول مقصوده دون الآخر فهذا أقرب الى العدل وأبعد من الظلم
 من الاجارة والاصل في القود جميعها هو العدل فانه بعثت به الرسل
 وأنزلت الكتب قال تعالى (لقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا معهم

الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والشارع نهي عن الربا لما فيه من الظلم وعن الميسر لما فيه من الظلم والقرآن جاء بتحريم هذا وهذا وكلاهما أكل المال بالباطل وما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم من المعاملات كبيع الغرر وبيع الثمر قبل بدو صلاحه وبيع السنين وبيع جبل الحبلية وبيع المزانة والمحاقلة ونحو ذلك هي داخلة أما في الربا وأما في الميسر فالاجارة بالاجرة المجهولة مثل أن يكربه الدار بما يكسبه المكترى في حانوته من المال هو من الميسر فهذا لا يجوز وأما المضاربة والمساقاة والمزارعة فليس فيها شيء من الميسر بل هو من أقوم العدل وهذا مما يبين لك ان المزارعة التي يكون فيها البذر من العامل أحق بالجواز من المزارعة التي يكون فيها من رب الارض ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزارعون على هذا الوجه وكذلك عامل النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر يشطر ما يخرج منها من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم والذين اشترطوا أن يكون البذر من رب الارض قاسوا ذلك على المضاربة فقالوا في المضاربة المال من واحد والعمل من آخر وكذلك ينبغي أن يكون في المزارعة وجعلوا البذر من رب المال كالارض وهذا القياس مع أنه مخالف لسنة ولاقوال الصحابة فهو من أفسد القياس وذلك ان المال في المضاربة يرجع الى صاحبه ويقسمان الربح فهو نظير الارض في المزارعة وأما البذر الذي لا يعود نظيره الى صاحبه بل يذهب كما يذهب نفع الارض فالحاقه بالنفع الذاهب أولى من الحاقه بالاصل الباقي فالماقد اذا أخرج البذر ذهب عمله وبذره

ورب الارض ذهب نفع أرضه وبذر هذا كارض هذا فمن جعل البذر كالمال كان ينبغي له أن يعيد مثل البذر الى صاحبه كما قال مثل ذلك في المضاربة فكيف ولو اشترط رب البذر نظير عود بذره اليه لم يجوزوا ذلك وليس هذا موضع بسط هذه المسائل وإنما الغرض التنبيه على جنس قول التائل هذا يخالف القياس

(فصل) وأما الحوالة فمن قال تخالف القياس قال انها بيع دين بدين وذلك لا يجوز وهذا غلط من وجهين أحدهما أن بيع الدين بالدين ليس فيه نص عام ولا اجماع وإنما ورد النهي عن بيع الكالي بالكالي والكالي هو المؤخر الذي لم يقبض بالمؤخر الذي لم يقبض وهذا كما لو أسلم شيئاً في شيء في الذمة وكلاهما مؤخر فهذا لا يجوز بالاتفاق وهو بيع كالي بكالي وأما بيع الدين بالدين فينقسم الى بيع واجب بواجب كما ذكرناه وينقسم الى بيع ساقط بساقط وواجب وهذا فيه نزاع * الوجه الثاني ان الحوالة من جنس ايفاء الحق لامن جنس البيع فان صاحب الحق اذا استوفى من المدين ماله كان هذا استيفاء فإذا أحاله على غيره كان قد استوفى ذلك الدين عن الدين الذي له في ذمة المحيل ولهذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحوالة في معرض الوفاء فقال في الحديث الصحيح مظل الغني ظلم وإذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع فأمر المدين بالوفاء ونهاه عن المظل وبين انه ظالم اذا مظل وأمر الغريم بقبول الوفاء اذا أحيل على مليء وهذا كقوله تعالى فاتباع بالمرء وأداء اليه باحسان أمر المستحق أن يطالب بالمرء وأمر

المدين أن يؤى باحسان ووفاء. الدين ليس هو البيع الخاص وان كان فيه شوب المعاوضة وقد ظن بعض الفقهاء ان الوفاء انما يحصل باستيفاء الدين بسبب أن الغريم اذا قبض الوفاء صار في ذمته للمدين مثله يتقاص ماعليه بماله وهـذا تكلف أنكره جمهور الفقهاء وقالوا بل نفس المال الذى قبضه يحصل به اوفاء ولا حاجة أن نقدر في ذمة المستوفي ديننا وأرائك قدس وأن يكون وفاء الدين بدين وهذا لا حاجة اليه بل الدين من جنس المطلق الكلى والمعين من جنس المعين فمن ثبت في ذمته دين مطلق كلى فانقصود منه هو الاعيار الموجودة وأي معين استوفاه حصل به المقصود من ذلك الدين المطلق

(فصل ومن قال القرض خـلاف القياس) قال لانه بيع ربوي بجنسه من غير قبض وهذا غلط فان القرض من جنس التبرع بالمنافع كالعارية ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم منيحة فقال أو منيحة ذهب أو منيحة ورق وباب العارية أصله أن يعطيه أصل المال لينتفع بما يستخاف منه ثم يعيده اليه فتارة ينتفع بالمنافع كما في عارية العفاروتارة يمنحه ماشية ليشرب لبنها ثم يعيدها ونارة يعيره شجرة لياكل ثمرها ثم يعيدها فان اللبن والتمر يستخاف شيئا بعد شيء بمنزلة المنافع ولهذا كان في الوقف مجرى مجرى المنافع والمقرض يقرضه ما يقرضه لينتفع به ثم يعيده له بمثله فان اعادة المثل تقوم مقام اعادة العين ولهذا نهى أن يشترط زيادة على المثل كما لو شرط في العارية أن يرد مع الاصل غيره وليس هذا من باب البيع فان عاقلا لا يبيع درهما بمثله من كل وجه الى

أجل ولا يباع الشيء بمجردة الى أجل الا مع اختلاف الصفة أو القدر كما يباع نقد بنقد آخر وصحيح بتكسور ونحو ذلك ولا يمكن قد يكون الفرض منفعته ثلما قرض كما في مسألة السفينة ولهذا كرهها من كرهها والصحيح أنها لا تكرر لان المقترض ينتفع بها أيضاً ففيها منفعة لهما جميعاً اذا أقرضه (فصل) وأما قول من يقول ازالة النجاسة على خلاف القياس والنكاح على خلاف القياس . نحو ذلك فهو من أفسد الأقوال وشبهتهم أنهم يقولون الانسان شريف والنكاح فيه ابتداء المرأة وشرف الانسان يتنافى الابتداء وهذا غلط فان النكاح من مصلحة شخص المرأة ونوع الانسان والقدر الذي فيه من كون الذكر يقوم على الاثني هو من الحكمة التي بها تتم مصلحة جنس الحيوان فضلاً عن نوع الانسان ومثل هذا الابتداء لا يتنافى الانسانية كما لا يتنافى ان يتغوط الانسان اذا احتاج الى ذلك وان يأكل ويشرب وان كان الاستغناء عن ذلك أكمل بل ما احتاج اليه الانسان وحصل له به مصلحته فانه لا يجوز ان يمنع منه والمرأة محتاجة الى النكاح وهو من تمام مصلحتها فكيف يقال القياس يقتضي منعها أن تزوج

وكذلك ازالة النجاسة فان شبهة من قال انها تخالف القياس ان الماء اذا لاقها نجس الماء ثم اذا صب ماء آخر لاقى الاول وهلم جرا قالوا فكان القياس انه تنجس المياه المتلاحقة والنجس لا يزال النجس وهذا غلط فانه يقال لم تقدم القياس يقتضي ان الماء اذا لاقى النجاسة نجس * فان قائم لانه في بعض الصور كذلك * قيل الحكم في الاصل ممنوع عند

من يقول الماء لا ينجس الا بالتغير ومن سلم الاصل قال ليس جعل الازالة مخالفة للقياس بأولى من جعل تنجس الماء مخالفا للقياس بان يقال انقياس يتنضى ان الماء اذا لاقى نجاسة لا ينجس كما انه اذا لاقها حال الازالة لا ينجس فهذا القياس أصح من ذلك لان النجاسة تزول بالماء بالص والاجماع واما تنجس الماء بالملاقاة فمورد نزاع فكيف يجعل مواقع النزاع حجة على مواقع الاجماع والقياس أن يقاس موارد النزاع على مواقع الاجماع ثم يقال الذي يقتضيه المعقول ان الماء اذا لم تغيره انجاسة لا ينجس فانه باق على أصل خلقه وهو طيب داخل في قوله تعالى (ويحلي لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) وهذا هو القياس في مسائل جميعها اذا وقعت فيها نجاسة فاستحانت حتى لم يظهر طعمها ولا لونها ولا ريحها أن لا تنجس فقد تنازع الفقهاء هل القياس يقتضى نجاسة الماء بملاقاة النجاسة الا ما استثناء الدليل أو القياس يقتضى أنه لا ينجس اذا لم تتغير على قوانين والاول قول أهل العراق والثاني قول أهل الحجاز وفتنهما الحديث منهم من يختار هذا ومنهم من يختار هذا وهم أهل الحجاز وهو الصواب الذي تدل عليه الاصول والنصوص والمعقول فان الله أباح الطيبات وحرم الخبائث والطيب والحديث باعتبار صفات قائمة بالشيء فما دام على حاله فهو طيب فلا وجه لتحريمه ولهذا لو وقعت قطرة خمر في جب لم يجلد شاربه والذين يسمون أن القياس نجاسة الماء بالملاقاة فرقوا بين ملاقاته في الازالة وبين غيرها بفرق منهم من قال الماء ههنا واراد على النجاسة وههنا ورددت النجاسة عليه وهذا ضعيف فانه لو صب ماء في جب نجس نجس عندهم ومنهم

من قال الماء اذا كان في مورد التطهير لازلة الخبث أو الحدث لم يثبت له حكم النجاسة ولا الاستعمال الا اذا انفصل واما قبل الانفصال فلا يكون مستعملاً ولا نجساً وهذا حكاية مذهب ليس فيه حجة ومنهم من قال الماء في حال الازالة جار والماء الجارى لا ينجس الا بالتغير وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهو أنص الروايتين عن أحمد وهو القول القديم للشافعي ولكن ازالة النجاسة تارة تكون بالجريان وتارة تكون بدونه كما لو صب الماء على الثوب في الطست

فالصواب ان مقتضى القياس أن الماء لا ينجس الا بالتغير والنجاسة لا تزول به حتى يكون غير متغير واما في حال تغيره فهو نجس لكن تخفف به النجاسة واما الازالة فانما تحصل باناء الذي ليس بتغير وهذا القياس في الماء هو القياس في المائات كلها انها لا تنجس اذا استتخالت النجاسة فيها ولم يبق لها فيها أثر فانما تحصل باناء الذي ليس بتغير وهذا القياس هو القياس في ذليل الماء وكثيره وقليل المائع وكثيره فان قام دليل شرعي على نجاسة شيء من ذلك فلا نقول انه خلاف القياس بل نقول دل ذلك على أن النجاسة ما استتخالت

ولهذا كان اظهر الاقوال في المياه مذهب أهل المدينة والبصرة أنه لا ينجس الا بالتغير وهو احدى الروايات عن الامام أحمد نصرها طائفة من أصحابه كالامام أبي الوفاء بن عقيل وأبي محمد بن المني وكذلك علماء المستعمل في طهارة الحدث باق على طهوريته وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الماء لا ينجس فلا يصير الماء جنباً ولا يتهمدى

إليه حكم الجنباة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الدائم
 أو عن الاغتسال فيه لا يدل على أنه يصير نجساً بذلك بل قد نهى عنه
 لما يفضي إليه البول بعد البول من افساده أو لما يؤدي إلى الوسواس
 كما نهى عن بول الرجل في مستحجمه وقال عامة الوسواس منه ونهيه
 عن الاغتسال قد جاء فيه أنه نهى عن الاغتسال فيه بعد البول وهذا
 يشبه نهيه عن بول الأناث في مستحجمه

(وقد) ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن
 فأرة وقعت في سمن فقال ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم والتفريق
 المروى فيه أن كان جامداً فألقوها وما حولها وإن كان مائماً فلا تقربوه
 غلط كما بينه البخاري والترمذي وغيرهما وهو من غلط معمر فيه وابن
 عباس راويه أفتى فيما إذا ماتت أن تاتى وما حولها وتؤكل فتيل لهما أنها
 قد دارت فيه ففاز إنما ذلك لما كانت حية فلما ماتت استقرت رواه أحمد
 في مسائل ابنه صالح وكذلك الزهري راوى الحديث أفتى في الجامد
 والمائع القليل والكثير سمناً كان أو زيتاً أو غير ذلك بأن تاتى وما
 قرب منها ويؤكل الباقي واحتج بالحديث فكيف قد يكون روى
 فيه الفرق

وحديث القلتين إن صح عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدل على
 ذلك أيضاً فإن قوله إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث وفي اللفظ الآخر
 لم ينجه نىء يدل على أن الموجب لنجاسته كون الخبث فيه محمولاً فتى
 كان مستهلكاً فيه لم يكن محمولاً فنطوق الحديث وتأمله لم يدل على ذلك

واما تخصيص القلتين بالذکر فانهم سألوه عن الماء يكون بأرض القلاة وما يتوبه من السباع والدواب وذلك الماء الكثير في العادة فبين صلى الله عليه وسلم ان مثل ذلك لا يكون فيه خبث في العادة بخلاف القليل فانه قد يحمل الخبث وقد لا يحمله فان الكثرة تعين على اجالة الخبث الى طبعه والمفهوم لا يجب فيه العموم فليس اذا كان القلتان لا تحمل الخبث يلزم أن مادونها يلزمه مطلقا على أن التخصيص وقع جوابا لأناس سألوه عن مياه معينة فقد يكون التخصيص لان هذه كثيرة لا تحمل الخبث والقلتان كثير ولا يلزم أن لا يكون الكثير الا قلتين والا فلو كان هذا حداً فاصلاً بين الحلال والحرام لذكره ابتداء ولان الحدود الشرعية تكون معروفة كمنصب الذهب والمعثرات ونحو ذلك والماء الذي تقع فيه النجاسة لا يعلم كيله الا خرساً ولا يمكن كيله في العادة فكيف يفصل بين الحلال والحرام بما يتعذر معرفته على غالب الناس في غالب الاوقات وقد اطلق في غير حديث قوله الماء طهور لا ينجسه شيء والماء لا ينجب ولم يقدره مع ان تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ومنطوق هذا الحديث يوافق تلك ومفهومه انما يدل عند من يقول بدلالة المفهوم اذا لم يكن هناك سبب يوجب التخصيص بالذکر لا الاختصاص بالحكم وهذا لا يعلم هنا

وحديث الامر باراقة الاناء من ولوغ الكلب لان الآنية التي يابغ فيها الكلب في العادة صغيرة ولعابه لزج يبقى في الماء ويتصل بالاناء فيراق الماء ويغسل الاناء من ريقه الذي لم يستحل بعد بخلاف ما اذا ولىع في

اناء كبير وقد نقل حرب عن أحمد في كلب ولغ في جب كبير فيه زيت فأمره بأكله وبسط هذه المسائل له موضع آخر وإنما المعصود التنبيه على مخالفة القياس وموافقته

(فصل) وقول القائل ان تطهير الماء على خلاف القياس هو بناء على هذا الاصل الفاسد والا فن كان من أصله ان القياس ان الماء لا ينجس الا بالتغير فانقياس عنده نظيره فان الحكم اذا ثبت بعلة زال بزوالها واذا كانت العلة التغير فاذا زال التغير زالت النجاسة كما ان العلة لما كانت في الحجر الشدة المطربة فاذا زالت تطهرت كيف والنجاسة في الماء واردة عليه كنجاسة الارض ولكن قد يقال هذا مبني على مسئة الاستحالة وفيها نزاع مشهور ففي مذهب مالك وأحمد قولان ومذهب أبي حنيفة وأهل الظاهر أنها تطهر بالاستحالة ومذهب الشافعي لا تطهر بالاستحالة وقول القائل انها تطهر بالاستحالة أصح فان النجاسة اذا صارت مائحاً أو رماداً فقد تبدت الحقيقة وتبدل الاسم والصفة فالنصوص المتناولة لتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير لا تتناول الملح والرماد والستراب لالفاظها ولا معنى والمعنى الذي لاجله كانت تلك الأعيان خبيثة معدوم في هذه الأعيان فلا وجه للقول بأنها خبيثة نجسة والذين فرقوا بين ذلك وبين الحجر قالوا الحجر نجست بالاستحالة فطهرت بالاستحالة فيقال لهم وكذلك البول والدم والمذرة انما نجست بالاستحالة فينبغي أن تطهر بالاستحالة

(فصل) وأما قول القائل التوضؤ من لحوم الابل على خلاف

القياس فهذا انما قاله لانها لحم واللحم لا يتوضأ منه وصاحب الشرع قد فرق بين لحم الغنم ولحم الابل كما فرق بين معادن هذه ومبارك هذه فأمر بالصلاة في هذا ونهى عن الصلاة في هذا فدعوى المدعى أن القياس التسوية بينهما من جنس قول الذين قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا والفرق بينهما ثابت في نفس الامر كما فرق بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم فقال الفخر والحياة في الفدادين أصحاب الابل والسكينة في أهل الغنم وروى في الابل انها جن خلقت من جن وروى علي ذرورة كلبه بعير شيطان فالابل فيها قوة شيطانية والغاذى شبيه بالعتدى ولهذا حرم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير لانها دواب عادية بلا غتداء بها تجعل في خلق الانسان من الدوان ما يضره في دينه فنهى الله عن ذلك لان المقصود أن يقوم الناس بالفسط والابل اذا أكل منها تبى فيه قوة شيطانية وفي الحديث الذى فى السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما يطفى النار بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا غضب أحدكم فليتوضأ فاذا توضأ أبعد من لحوم الابل كان فى ذلك من اطفاء القوة الشيطانية ما يزيل المفسدة بخلاف من لم يتوضأ منها فان الفساد حاصل معه ولهذا يقال ان الاعراب بأكلهم لحوم الابل مع عدم الوضوء منها صار فيهم من الحقد ما صار ولهذا أمر بالوضوء مما مست النار وهو حديث صحيح وقد ثبت فى أحاديث صحيحة أنه أكل مما مست النار ولم يتوضأ فقبل ان الاول

منسوخ لكن لم يثبت ان ذلك، منقـدم على هذا بل رواه أبو هريرة
 واسلامه متأخر عن تاريخ بعض تلك الاحاديث كحديث السويق الذي
 كان بخير فانه كان قبل اسلام أبي هريرة وقيل بل الامر بالتوضؤ مما
 مست النار استحباب كالامر بالتوضؤ من الغضب وهذا أظهر القولين
 وهما وجهان في مذهب أحمد فان النسخ لا يصر اليه الا عند التنافي
 والتاريخ وكلاهما منتف بخلاف حمل الامر على الاستحباب فان له نظائر
 كثيرة

وكذلك التوضؤ من مس الذكر ومس النساء هو من هذا الباب
 لما فيه من تحريك الشهوة فالتوضؤ مما يحرك الشهوة كالتوضؤ من
 الغضب وما مسته النار هو من هذا الباب فان الغضب من الشيطان والشيطان
 من النار وأما لحم الابل فقد قيل ان توضؤ منه مستحب لكن تفريق النبي
 صلى الله عليه وسلم بينه وبين لحم الغنم مع ان ذلك مسته النار والوضوء
 منه مستحب دليل على الاختصاص وما فوق الاستحباب إلا الايجاب ولان
 الشيطنة في الابل لازمة وفيما مسته النار عارضة ولهذا نهى عن الصلاة
 في أعطانها للزوم الشيطان لها بخلاف الصلاة في مباركها في السفر
 فانه جائز لانه عارض والحشوش محتضرة فهي أولى بالتهي من أعطان
 الابل وكذلك الحمام بيت الشيطان وفي الوضوء من النجوم الحبيثة عن
 أحمد روايان علي أن احكم مما عقل معناه فيعدى أو ايس كذلك
 والحبات التي أبيضت للضرورة كالنجوم السباع أبلغ في الشيطنة من لحوم
 الابل فالوضوء منها أولى

وقد تنازع العلماء في الوضوء من النجاسة الخارجة من غير السبيلين كالنساء والحجامة والجرح والقيء والوضوء من مس النساء لشهوة وغير شهوة والتوضيء من مس الذكر والتوضيء من الفهقمة فبعض الصحابة كان يتوضأ من مس الذكر كعمد وابن عمر وكثير منهم لم يكن يتوضأ منه والوضوء منه هل هو واجب أو مستحب فيه عن مالك وأحمد روايتان وإيجاه قول الشافعي وعدم الإيجاب مذهب أبي حنيفة وكذلك مس النساء لشهوة إذا قيل بالتحجابه فهذا يتوجه وأما وجوب ذلك فلا يقوم لدليل الاعلى خلافة ولا يقدر أحد تط أن ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أصحابه من مس النساء ولا من النجاسات الخارجة لعموم البلوى بذلك وقوله تعالى (أو لامستم النساء) المراد به الجماع كما فسره بذلك ابن عباس وغيره لوجوه متعددة وقوله صلى الله عليه وسلم لامستم نساءنا ذلك عرق وليس بالحبيضة تعليل لعدم وجوب الغسل لا لوجوب الوضوء فإن وجوب الوضوء لا يخص بدم العروق بل كانت قد ظنت أن ذلك الدم هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فبين لها النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا ليس هو دم الحيض الذي يوجب الغسل فإن ذلك يرشح من الرحم كالعرق وإنما هذا دم عرق انفجر في الرحم ودماء العروق لا توجب الغسل وهذه مسائل مبسوطة في مواضع أخر

والمقصود هنا التنبيه على فساد من يدعى التناقض في معاني الشريعة أو ألفاظها ويزعم أن الشارع يفرق بين المتمثلين بل نبينا

محمد صلى الله عليه وسلم بمث بالهدى ودين الحق بالحكمة والعدل
والرحمة فلا يفرق بين شيئين في الحكم الا لا فتراق صفاتهما المناسبة
للفرق ولا يسوي بين شيئين الا لتمامهما في الصفات المناسبة للتسوية
والاظهر انه لا يجب الوضوء من مس الذكر ولا الذئاء ولا
خروج النجاسات من غير السيلين ولا القهقهة ولا غسل الميت فانه
ليس مع الموجبين دليل صحيح بل الادلة الراجحة تدل على عدم
الوجوب لكن الاستحباب متوجه ظاهر فيستحب أن يتوضأ من مس
النساء شهوة ويستحب أن يتوضأ من الحجامة والقيء ونحوها كما في
السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوضأ والقمل انما يدل على
الاستحباب ولم يثبت عنه انه أسر بالوضوء من الحجامة ولا أمر
أصحابه بالوضوء اذا جرحوا مع كثرة الجراحات والصحابة نقل عنهم
فمل الوضوء لا يجابه وكذلك القهقهة في الصلاة ذنب ويشرع لكل من
أذنب أن يتوضأ وفي استحباب الوضوء من القهقهة وجهان في مذهب
أحمد وغيره وأما الوضوء من الحدث الدائم لكل صلاة ففيه أحاديث
متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم قد صحح بعضها غير واحد من
العلماء فقول الجمهور الذين يوجبون الوضوء لكل صلاة أظهر وهو
مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد والله أعلم

(فصل) وأما الحجامة فاننا اعتقد أن الفطر منها مخالف للقياس
من اعتقد ان الفطر مما خرج لا يداخل وهو لاء أشكل عليهم اتقى
والاحتلام ودم الحيض والنفاس وأما من تدبر أسول الشرع ومقاصده

فانه رأى الشارع لما أمر بالصوم أمر فيه بالاعتدال حتى كره الوصال
وأمر بتعجيل الفطر وتأخير السحور وجعل أعدل الصيام وأفضله
صيام داود وكان من العادل أن لا يخرج من الانسان ما هو قيام قوته
فالتي يخرج الغذاء والاستثناء يخرج المني والحيض يخرج الدم وبهذه
الامور توام البدن لكن فرق بين ما يمكن الاحتراز منه وما لا يمكن
فلاحتلام لا يمكن الاحتراز منه وكذلك من ذرعه الشيء وكذا دم
الاستحاضة فانه ليس له وقت معين بخلاف دم الحيض فان له وقتاً معيناً
فالاحتجام أخرج دمه وكذلك المقتصد بخلاف من خرج دمه بغير
اختياره كالمجروح فان هذا لا يمكن الاحتراز منه فكانت الحجامه من
جنس الشيء والاستثناء والحيض وكان خروج دم الجرح من جنس
الاستحاضة والاحتلام وذرعه الشيء فقد تناسبت الشريفة وتشابهت ولم
تخرج عن القياس والالفاظ سرانه لا يفطر بالكحل ولا بالتقشير في
الاحليل ولا بابتلاع ما لا يغذى كالحصاة ولكن يفطر بالسقوط لقوله
وبالغ في الاستنطاق الا أن تكون صائماً

(فصل) وأما قولهم السلم على خلاف القياس فتعلم هذا من
جنس ما رويوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تبع ما ليس عندك
وأرخص في السلم وهذا لم يرو في الحديث وإنما هو من كلام بعض
الفقهاء وذلك أنهم قالوا السلم بيع الانسان ما ليس عنده فيكون مخالفاً
لقياس ونهى النبي صلى الله عليه وسلم حكيم بن حزام عن بيع ما ليس
عنده اما ان يراء به يبيع عن معينة فيكون قد باع مال الغير قبل أن يشتريه

وفيه نظر واما ان يراد به بيع مالا يقدر على تسليمه وان كان في الذمة وهذا أشبه فيكون قد ضمن له شيئا لا يدري هل يحصل أولا يحصل وهذا في السلم الخال اذا لم يكن عنده ما يوفيه والناسبة فيه ظاهرة فاما السلم المؤجل فانه دين من الديون وهو كالاتباع بضمن مؤجل فاي فرق بين كون أحد العوضين مؤجلا في الذمة وكون العوض الآخر مؤجلا في الذمة وقد قال تعالى (اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه) وقال ابن عباس أشهد أن السلب المضمون في الذمة حلال في كتاب الله وقرأ هذه الآية فاباحة هذا على وفق القياس لاعلى خلافه

﴿ فصل ﴾ وأما الكتابة فقال من قال هي خلاف القياس لكونه يبيع ماله بماله وليس كذلك بل باعه نفسه بمال في الذمة والسيد لاحق له في ذمة العبد وانما حتمه في بدنه فان السيد حقه مائة العبد في انسانيته فهو من حيث يؤمر وينهى انسان مكلف فيلزمه الايمان والصلاة والصيام لانه انسان والذمة العهد وانما يطالب العبد بما في ذمته بعد عتقه وحينئذ لا ملك للسيد عليه فالكتابة يبعه نفسه بمال في ذمته ثم اذا اشترى نفسه كان كسبه له ونفعه له وهو حادث على ملكه الذي استحقه به قد الكتابة لكن لا يعتق فيها الا بالاذن لان السيد لم يرض بخروجه من ملكه الا بان يسلم له العرض فمتى لم يحصل له العوض وعجز العبد عنه كان له الرجوع في المبيع وهذا هو القياس في المعاضات ولهذا يقول اذا عجز المشتري عن الثمن لا فلاسه كان للبائع الرجوع في

المبيع فالعبد المكاتب مشتر لنفسه فمجزه عن أداء الوض اعجز المشتمى وهذا القياس في جميع الماوضات اذا عجز الماوض عما عايه من العوض كان للأخر الرجوع في عوضه وبدخل في ذلك عجز الرجل عن الصدق وعجز الزوج عن الوطء وطرده عجز الرجل عن العوض في الخلع والصالح عن انقصاص

﴿ فصل ﴾ وأما الاجارة والذين قالوا هي علي خلاف القياس قالوا انها بيع معدوم لان المنافع معدومة حين العقد وبيع المعدوم لا يجوز ثم ان القرآن جاء باجارة الظئر للرضاع في قوله تعالى (فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) فقال كثير من الفقهاء ان اجارة الظئر للرضاع علي خلاف قياس الاجارة فال اجارة عقد علي منافع واجارة الظئر عقد علي اللبن واللبن من باب الاعيان لامن باب المنافع ومن العجز انه ليس في القرآن ذكر اجارة جائزة الا هذه وقالوا هذه خلاف القياس والشيء انما يكون خلاف القياس اذا كان النص قد جاء في موضع بحكم وجاء في موضع يشابه ذلك بنقيضه فينال هذا خلاف القياس ذاك النص وليس في القرآن ذكر الاجارة الباطلة حتى يقال القياس يقتضي بطلان هذه الاجارة بل فيه ذكر جواز هذه الاجارة وايس فيه ذكر فساد اجارة يشبهها بل ولا في الائمة بيان اجارة فائدة تشبه هذه وانما اصل قولهم ظنهم ان الاجارة لشريعة انما تكون علي المنافع التي هي أعراض لاعلى اعيان هي اجسام وسنبين ان شاء الله كشف هذه الشبهة ولما اعتقد هؤلاء ان اجارة الظئر علي خلاف القياس صار بعضهم يحتمل لاجرائها

على القياس الذي اعتقدوه بقاوا الموقوف عليه فيها هو القام الذي
أورضه في الحجر أو نحو ذلك من المنافع التي هي مقدمات الرضاع
ومعلوم ان هذه الاعمان انما هي وسيلة الى المقصود به - قد الاجارة
والافهي بمجرد ما ليست مقصودة ولا موقودا عليها بل ولا قيية لها
أصلا وانما هو كفتح اباب لمن ا كترى دارا أو حانوتا أو كصعود الدابة
لمن ا كترى دابة ومقصود هذا هو السكنى ومقصود هذا هو الركوب
وانما هذه الاعمان مقدمات ووسائل الى المقصود بالقدتم هؤلاء الذين
جعلوا اجارة الظئر على خلاف القياس طردوا ذلك في مثل ماء البئر
والديون التي تتبع في الارض فقالوا ادخات ضمنا وتبما في العقد حتى
ان العقد اذا وقع على نفس الماء كالذى بعقد على عين تتبع ليدقى بها
بستانه أو ايسوقها الى مكانه ليشرب منها ويتنفع بماها قالوا الموقوف عليه
الاجراء في الارض أو نحو ذلك مما يتكلفونه ويخرجوا الماء المقصود
بالموقوف عن أن يكون موقودا عليه

ونحن على هذين الاصلين على قول من جعل الاجارة على خلاف
القياس وعلى قول من جعل اجارة الظئر ونحوها على خلاف القياس
أما الاول فنقول قولهم الاجارة يبيع معدوم ويبيع المعدوم على خلاف
القياس مقدماتان يجملان فيهما تايس فان قولهم الاجارة يبيع ان أرادوا
أنها البيع الخاص الذي يعقد على الاعيان فهو باطل وان أرادوا البيع
العام الذي هو معاوضة اما على عين واما على منفعة فقولهم في المقدمة
الثانية ان يبيع الماعوم لا يجوز انما يسلم ان سلم في الاعيان لافي المنافع

والا كان لفظ البيع يحتمل هذا وهذا تنازع الفقهاء في الاجارة هل
تتمتع بلفظ البيع على وجهين والتحقيق أن المتعاقدين ان عرفا المقصود
انتمعت فأى لفظ من الالفاظ عرف به المتعاقدان مقصودها انتمتع
به العقد وهذا عام في جميع العقود ان الشارع لم يحدد في الالفاظ العقود حددا
بل ذكرها مطلقة فكما تتمتع العقود بما يدل عاها من الالفاظ المارسية
والرومية وغيرها من الالان العجمية فهي تتمتع بما يدل عليها من
الالفاظ العربية ولهذا وقع الطلاق والعتاق بكل لفظ يدل عايه وكذلك
البيع وغيره وطرد هذا النكاح فان اصح قولى العلماء أنه يتمتع بكل
لفظ يدل عليه لا يختص باللفظ الانكاح والتزويج وهذا مذهب جمهور
العلماء كأبي حنيفة ومالك وهو أحد القولين في مذهب أحمد بل
انصوبه لم يدل الاعلى هذا الوجه واما الوجه الآخر من أنه انما يتمتع بلفظ
الانكاح والتزويج فهو قول أبي عبد الله بن حامد وأتباعه كالقاضي
أبي يعلى ومتبعيه وأما قدماء أصحاب أحمد وجمهورهم فلم يقولوا به هذا
الوجه وقد نص أحمد في غير موضع على أنه اذا قال أعتقت أمتي
وجعلت عتقا صداقها انتمعت النكاح وايس هنا لفظ انكاح وتزويج
ولهذا ذكر ابن عقيل وغيره ان هذا يدل على أنه لا يختص النكاح باللفظ
وأما ابن حامد فطرد قوله وقال لا بد أن يقول مع ذلك وتزوجتها القاضي
أبو يعلى جعل هذا خارجا عن القياس فحوز النكاح هنا بدون لفظ
الانكاح والتزويج وأصول الامام أحمد وانصوبه يخالف هذا فان من
أصله أن العقود تتمتع بما يدل على مقصودها من قول أو فعل فهو

لا يرى اختصاصها بالصريح ومن أصله ان الكناية مع دلالة الحال كالصريح لا تقتصر الى اظهار الية ولهذا قال بذلك في الطلاق والقذف وغير ذلك والذين قالوا ان النكاح لا ينعقد الا بالفظ الانكاح والتزويج من أصحاب الشافعي قاروا لان ماسوى اللفظين كناية والكناية لا يثبت حكمها الا بالية والنية باطن والنكاح مقتدر الى نهاية والشهادة انما تقع على السمع فهذا أصل أصحاب الشافعي الذين خصوا عقد النكاح باللفظين وابن حامد وأتباعه وافقوهم لكن أصول أحمد وانصوحه يخالف هذا فان هذه المقدمات باطلة على أصله أما قول القائل ماسوى هذين كناية فانما يستقيم ان لو كان الفاظ الصريح والكناية نائبة بعرف الشرع كما يقوله الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد كالخزقي والقاضي أبي يعلى وغيرهما ان الصريح في الطلاق هو الطلاق والفراق والسراح لحيء القرآن بذلك فاما جمهور الماماء كأبي حنيفة ومالك وغيرهما وجمهور أصحاب أحمد كأبي بكر وابن حامد وأبي الخطاب وغيرهم فلا يوافقون على هذا الاصل بل منهم من يقول الصريح هو لفظ الطلاق فقط كأبي حنيفة وابن حامد وأبي الخطاب وغيرهما من أصحاب أحمد وبعض أصحاب الشافعي ومنهم من يقول بل الصريح أعم من هذه الالفاظ كما يذكر عن مالك وهو قول أبي بكر وغيره من أصحاب أحمد وهو الجمهور يقولون كلا المتقدمين المذكورين ان صريح الطلاق تليه مقدمة باطلة اما قولهم ان هذه الالغاز صريحة في خطاب الشارع فليس كذلك بل لفظ السراح والفراق في القرآن مستعمل في غير الطلاق

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن نمسوهن فإلكنم عليهن من عدة تعتدونها فتعوهن وسرحوهن سراح جيلا) فأمر بتسريحهن بمد الطلاق قبل الدخول وهو طلاق بائن لا رجعة فيه وليس التسريح هنا تطلقاً باتفاق المسلمين وقال تعالى (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف) وفي الآية الأخرى أوفارقوهن بمعروف فلفظ الفراق والسراح ليس المراد به هنا الطلاق فاما المطلقة الرجعية فهو مخير بين ارتجاعها وبين تخلية سبيلها لا يحتاج الي طلاق ثان

وأما المقدمة الثانية فلا يلزم من كون اللفظ صريحاً في خطاب الشارع أن يكون صريحاً في خطاب كل من يتكلم وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ان قول القائل ان الاجارة نوع من البيع ان أراد به البيع الخاص وهو الذي يفهم من لفظ البيع عند الاطلاق فليس كذلك فان ذلك انما ينمقد على أعيان معينة أو مضمونة في الذمة وان أراد به أنها نوع من المعاوضة العامة التي تتناول العقد على الاعيان والمنافع فهذا صحيح لكن قوله ان المعاوضة العامة لا تكون على ممدوم دعوى مجردة بل دعوى كاذبة فان الشارع جوز المعاوضة العامة على الممدوم وان قاس بيع المنافع على بيع الاعيان فقال كما ان بيع الاعيان لا يكون الا على موجود فيكذلك بيع المنافع وهذا حقيقة كلامه فهذا القياس في غاية الفساد فانه من شرط القياس أن يمكن اثبات حكم الاصل في الفرع وهو هنا معذر لان المنافع لا يمكن ان يعقد عليها في حال وجودها

فلا يتصور ان تباع المنافع في حال وجودها كما تباع الاعيان في حال وجودها والشارع أمر الانسان أن يؤخر العقد على الاعيان التي لم تخلق الى أن يخلق فيهن عن بيع السنين وبيع جبل الحبله وبيع الثمر قبل بدو صلاحه وعن بيع الحب حتى يشتد ونهى عن بيع المضامين والملاقيح وعن الحجر وهو الحمل وهذا كله نهى عن بيع حيوان قبل أن يخلق وعن بيع حب وثمر قبل أن يخلق وأمر بتأخير بيعه الى أن يخلق وهذا التفصيل وهو منع بيعه في الحال واجارته في حال يتمتع مثله في المنافع فانه لا يمكن أن تباع الا هكذا فما بقاء حكم الاصل مساوياً لحكم الفرع الا أن يقال فانا أقيسه على بيع الاعيان المدومة فيقال له هنا شيان أحدهما يمكن بيعه في حال وجوده وحال عدمه فنهى الشارع عن بيعه الا اذا وجد الشيء الآخر لا يمكن بيعه الا في حال عدمه فالشارع لما نهى عن بيع ذلك حال عدمه فلا بد اذا قسمت عليه أن تكون العلة الموجبة للحكم في الاصل ثابتة في الفرع فلم قلت ان العلة في الاصل مجرد كونه معدوماً ولم لا يجوز ان يكون بيعه في حال عدمه مع امكان تأخير بيعه الى حال وجوده وعلى هذا التقدير فالعلة مقيدة بعدم خاص وهو معدوم يمكن بيعه بعدم وجوده وأنت ان لم تبين أن العلة في الاصل القدر المشترك كان قياسك فاسداً وهذا سؤال المطالبة وهو كاف في وانف قياسك لكن نبين فساده فنقول ما ذكرناه علة مطردة وما ذكرته علة منتقضة فانك اذا علمت المنع بمجرد عدم انتقضت عليك بعض الاعيان والمنافع واذا علمته بعدم ما يمكن تأخير بيعه الى حال

وجوده أو بعدمه هو غرراً طردت العلة وأيضاً فالمناسبة تشهد لهذه العلة
فانه اذا كان له حال وجود وعدم كان بيعه حال العدم فيه مخاطرة وقمار
وبها عمل النبي صلى الله عليه وسلم المنع حيث قال أرأيت ان منع الله
الثمرة فيها يأخذ أحدكم مال أخيه بغير حق بخلاف ما ليس له الا حال
واحدة والغالب فيه السلامة فان هذا ليس مخاطرة فالحاجة داعية اليه
ومن أصول الشرع أنه اذا تعارض المصلحة والمفسدة قدم أرجحهما
فهو انما نهى عن بيع الغرر لما فيه من المخاطرة التي تضر بأحدهما وفي
المنع مما يحتاجون اليه من البيع ضرر أعظم من ذلك فلا يمنعهم من
الضرر اليسير بوقوعهم في الضرر الكثير بل يدفع أعظم الضررين
باحتمال أدناها ولهذا لما نهامهم عن المزانية لما فيها من نوع ربا أو مخاطرة
فيها ضرر أباحها لهم في العرايا للحاجة لان ضرر المنع من ذلك أشد
وكذلك لما حرم عليهم المينة لما فيها من خبث التنفيذية اباحها لهم عند
الضرورة لان ضرر الموت أشد ونظائره كثيرة * فان قيل فهذا كله على
خلاف القياس * قبل قدوة - من ان الضرر يختص بوصف أو جب
الفرق بينه وبين الاصل فكل فرق صحيح على خلاف القياس الفاسد
وان أريد بذلك ان الاصل والفرع استويا في المقتضى والمانع واختلاف
حكمهما فهذا باطل قطعاً ففي الجملة النبي اذا شابه غيره في وصف وفارقه
في وصف كان اختلافهما في الحكم باعتبار الفارق مخالفاً لاسواءهما
باعتبار الجامع لكن هذا هو القياس الصحيح طرداً وعكساً وهو
التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المختلفين وأما التسوية بينهما

في الحكم مع افتراقهم ما فيما يوجب الحكم ويمنه فهذا قياس فاسد
والشرع دائماً يبطل القياس الفاسد كقياس الميس وقياس المشركين
الذين قالوا انما البيع مثل الربا والذين قالوا الميت على انذكي وقالوا
أنا كلون ماقتلهم ولانا كلون ماقتل الله فجعلوا العلة في الاصل كونه قتل
آدمي وقياس الذين قاسوا المسيح على اصنامهم فقالوا لما كانت آلهتنا
تدخل النار لانها عبادت من دون الله فكذلك ينبغي أن يدخل المسيح
النار قال الله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون
وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون)
وهذا كان وجه مخصوصة ابن الزبيري لما أنزل الله (انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم اتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها
وكل فيها خالدون) فان الخطاب للمشركين لا لاهل الكتاب والمشركون
لم يعبدوا المسيح وانما كانوا يعبدون الاصنام والمراد بقوله وما تعبدون
الاصنام فالآية لم تتناول المسيح لالفاظ ولا معنى وقول من قال ان
الآية عامة تتناول المسيح ولكن آخر بيان تخصيصها غلط منه ولو كان
ذلك صحيحاً لكانت حجة المشركين متوجهة فان من خاطب بلفظ
العام يتناول حقاً وباطلاً لم يبين مراده توجه الاعتراض عليه وقد قال
تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) أي هم ضربوه مثلاً كما قال (ما ضربوه
لك الا جدلاً) أي جعلوه مثلاً لآلهتهم فقاسوا الآلهة عليه وأوردوه
مورد الممارسة فقالوا اذا دخلت آلهتنا النار لكونها معبودة فهذا المعنى
موجود في المسيح فيجب أن يدخل النار وهو لا يدخل النار فهي

لاتدخل النار وهذا قياس فاسد لظنهم أن العلة مجرد كونه معبوداً وليس كذلك بل العلة أنه معبود ليس مستحقاً للشواب أو معبود لا ظلم في ادخاله النار فالمسيح والعزير والملائكة وغيرهم ممن عبد من دون الله وهو من عباد الله الصالحين وهو مستحق لكرامة الله بوعده الله وعدله وحكمته فلا يعذب بذنب غيره فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى والمقصود بالقاء الاصنام في النار اهانة عابديها وأولياء الله لهم الكرامة دون الاهانة فهذا الفارق بين فساد تعليق الحكم بذلك الجامع والاقبيسة الفاسدة من هذا الجنس فمن قال ان الشريعة تأتي بخلاف مثل هذا القياس فقد أصاب هذا من كمال الشريعة واشتمالها على العدل والمدل والحكمة التي بعث الله بها رسوله ومن لم يخالف مثل هذه الاقبيسة الفاسدة بل سوى بين الشيعيين باشتراكهما في أمر من الامور لزمه أن يسوى بين كل موجودين لاشتراكهما في مسمى الوجود فيسوى بين رب العالمين وبين بعض الخلق فيكون من الذين هم برهم يعدلون ويشركون فان هذا من أعظم القياس الفاسد وهؤلاء يقوون بالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم رب العالمين ولهذا قال طائفة من السلف أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والنمر الابالمقاييس أي بمثل هذه المقاييس التي يشبه فيها النفي بما يفارقه كاقبيسة المشركين ومن كان له معرفة بكلام الناس في العقليات رأى عامة ضلال من ضل من الفلاسفة والمتكلمين بمثل هذه الاقبيسة الفاسدة التي يسوى فيها بين الشيعيين لاشتراكهما في بعض الامور مع ان بينهما من الفرق ما يوجب أعظم

المخالفة واعتبر هذا بكلامهم في وجود الرب ووجود المخلوقات فان فيه من الاضطراب ما قد بسطناه في غير هذا الموضوع وهذا الذي ذكرناه في الاجارة بناء على تسليم قولهم ان بيع الاعيان المدومة لا يجوز وهذه المقدمة الثانية والكلام عليها من وجهين أحدهما أن نقول لانسلم صحة هذه المقدمة فليس في كتاب الله ولا سنة رسوله بل ولا عن أحد من الصحابة ان يبيع المدوم لا يجوز لالفظ عام ولا معنى عام وانما فيه النهي عن بيع بعض الاشياء التي هي مدومة كقايه النهي عن بيع بعض الاشياء التي هي موجودة وليست العنة في المنع لا الوجود ولا العدم بل الذي ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن بيع الغرر والغرر ما لا يقدر على تسليمه سواء كان موجودا أو معدوما كالعبد الآبق والبعير الشارد ونحو ذلك مما قد لا يقدر على تسليمه بل قد يحصل وقد لا يحصل هو غرر لا يجوز بيعه وان كان موجودا فان موجب البيع تسليم المبيع والبائع عاجز عنه والمشتري انما يشتره مخاطرة ومقاومة فان أمكنه أخذه كان المشتري قد قر البائع وان لم يمكنه أخذه كان البائع قد قر المشتري وهكذا المدوم الذي هو غرر نهى عن بيعه لكونه غررا لالكونه معدوما كما اذا باع ما يحمل هذا الحيوان أو ما يحمل هذا البستان فقد يحمل وقد لا يحمل واذا حمل فالمحمول لا يعرف قدره ولا وصفه فهذا من القمار وهو من الميسر الذي نهى الله عنه ومثل هذا اذا أكرأ دواب لا يقدر على تسليمها أو عقارا لا يمكنه تسليمه بل قد يحصل وقد لا يحصل فانه اجارة غرر

الوجه الثاني أن نقول بل الشارع صحح بيع المردوم في بعض المواضع فإنه ثبت عنه في غير وجه أنه نهى عن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه ونهى عن بيع الحب حتى يشتد وهذا من أصح الحديث وهو في الصحيح عن غير واحد من الصحابة فقد فرق بين ظهور الصلاح وعدم ظهوره فأحل أحدهما وحرم الآخر ومعلوم أنه قبل ظهور الصلاح لو اشتراه بشرط القطع كما يشتري الحصرم ليقطع حصره ما جاز بالاتفاق ونما نهى عنه إذا بيع على أنه باق فيدل ذلك على أنه جوز به بعد ظهور الصلاح أن يبيعه على البقاء إلى كمال الصلاح وهذا مذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم ومن جوز بيعه في الموضوعين بشرط القطع ونهى عنه بشرط التيقية أو مطلقا لم يكن عنده لظهور الصلاح فائدة ولم يفرق بين ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما أذن فيه وصاحب هذا القول يقول موجب العقد التسليم غيبه فلا يجوز التأخير فيقال له لا نسلم أن هذا موجب العقد أما أن يكون ما أوجبه الشارع بالعقد أو ما أوجبه المتعاقدان على أنفسهما وكلاهما منتف فلا الشارع أوجب أن يكون كل بيع مستحق التسليم عقب المقر ولا العاقد إن التزم ذلك بل تارة يعقدان العتد على هذا الوجه كما إذا باع معينا بدين حال وتارة يشترطان تأخير تسليم الثمن كما في السلم وكذلك في الأعيان وقد يكون للبائع مقصود صحيح في تأخير التسليم كما كان لجابر حين باع بعيره من النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستثنى ظهره إلى المدينة ولهذا كان الصواب أنه يجوز لكل عاقد أن يستثنى من منفعة

المعقود عليه ماله فيه غرض صحيح كما اذا باع عتاروا واستثنى سكناه مدة أو
دوابه واستثنى ظهرها أو وهب ماله واستثنى منفته أو أعتق العبد واستثنى
خدمته مدة أو مادام السيد أو وقف عينا واستثنى غلتها لنفسه مدة
حياته وأمثال ذلك وهذا منصوص أحمد وغيره وبعض أصحاب أحمد
قال لا بد اذا استثنى منفعة المبيع من أن يسلم العين الى المشتري ثم
يأخذها ليستوفي المنفعة بناء على هذا الاصل الفاسد وهو انه لا بد من
استحقاق القبض عقب العقد وهو قول ضعيف وعلى هذا الاصل قال
من قال انه لا تجوز الاجارة الا لمدة تلي العقد وهؤلاء نظروا الى
ما يفعله الناس أحيانا جعلوه لازما لهم في كل حال وهو من التباس الفاسد
وعلى هذا بنوا اذا باع العين المؤجرة ففهم من قل البيع باطل لكون
المنفعة لا تدخل في البيع فلا يحصل التسليم ومنهم من قال هذا مستثنى
بالشرع بخلاف المستثنى بالشرط * ولو باع الامة المزوجة صح باتفاقهم
وان كانت منعمة البضع المزوج وقد فرق من فرق بينهما بما قد بسط
في موضعه والمقصود هنا ان هذا كله تفريع على ذلك الاصل الضعيف
وهو ان موجب العقد استحقاق التسليم عقبه والشرع لم يدل على هذا
الاصل بل القبض في الاعيان والمنافع كالقبض في الدين تارة يكون
موجب العقد قبضه عقبه بحسب الامكان وتارة يكون موجب العقد
تأخير التسليم لمصلحة من المصالح وعلى هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم
جوز بيع الثمر بعد بدو الصلاح مستحق الابقاء الى كمال الصلاح
وعلى البائع السقي والخدمة الى كمال الصلاح ويدخل في هذا ما هو

معدوم لم يخلق وهذا اذا قبض كان بمنزلة قبض العين المؤجرة فتبضه
 يبيح له التصرف فيه في أظهر قولي العلماء وهو أصح الروايتين عن
 أحمد وتبضه لا يوجب انتقال الضمان اليه بل اذا تلف الثمر بعد بدو
 صلاحه كان من ضمان البائع كما هو مذهب أهل المدينة مالك وغيره وهو
 مذهب أهل الحديث أحمد رضي الله عنه وغيره وهو قول معلق للشافعي وقد
 ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بعت من أخيك ثمرة
 فأصابها جائحة فلا يحل لك أن تأخذ من مال أخيك شيئاً ما يأخذ أحدكم
 مال أخيه بغير حق وايسر مع المنازع دايلاً شرعياً بدل علي ان كل قبض
 يجوز التصرف بنقل الضمان وما لم يجوز التصرف لم ينقل الضمان بل قبض
 العين المؤجرة يجوز التصرف ولا ينقل الضمان ومن هذا الباب بيع المقائى
 فان من العلماء من لم يجوز بيعها الا لقطعة لقطعة لانه يبيع معدوم وجعلوا هذا
 من بيع الثمر قبل بدو صلاحه ثم من هؤلاء قال اذا بيعت بعروقها
 كان كبيع أصل الشجر مع الثمر وذلك يجوز قبل ظهور صلاحه
 لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته من باع نخلاً قد
 أبرت ثمرها للبائع الا أن يشترطه المبتاع اذا اشترط الثمر دخل في
 البيع وهنا جاز بيع الثمر قبل بدو صلاحه تبعاً للاصل ولهذا تكون
 خدمته علي المشتري ومعلوم ان المقصود من الشجر هو الاصل
 والمقصود في المقائى هو الثمر فلا يقاس أحدهما بالآخر ومن العلماء
 من جوز بيع المقائى كما هو قول مالك وغيره وهو قول في مذهب أحمد
 وهذا أصح فانه لا يمكن بيعها الا على هذا الوجه اذ لا تتميز لقطعة عن

لقطة وسلا يباع الاعلى وجه واحد لا ينهى عن بيعه كما تقدم والنبي صلى
الله عليه وسلم انما نهى عن بيع الثمار التي يمكن تأخير بيعها حتى يبدو
صلاحها فلم تدخل المقائي في نهيه ولذلك كثير من العلماء أدخلوا
ضمان البساتين في نهيه فقالوا اذا ضمن الحديقة لمن يعمل عليها حتى
تثمر بشيء معلوم كان هذا بيعاً للثمر قبل بدو صلاحه فلا يجوز ومن
الناس من حكي الاجماع على منع هذا وليس كما قال بل قد ثبت أن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قبل حديقة أسيد بن خضير ثلاث سنين
ويستلف الضمان فقصى به ديناً كان على أسيد لانه كان وصيه وقد
جوز ابن عقيل ضمانها مع الاراضى المؤجرة اذا لم يمكن افراد أحدها
عن الآخر وجوز مالك ذلك تبعاً الارض في قدر الثلث وقضية عمر
ابن الخطاب مما يشتهر مثلها في العادة ولم ينقل ان أحداً من الصحابة
أنكره فالصواب ما فعله عمر بن الخطاب اذ الفرق بين البيع والضمان
هو الفرق بين البيع والاجارة ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن بيع الحب حتى يشتد ثم اذا استأجر أرضاً ليزرعها جاز هذا
مع ان المستأجر مقصود الحب لكن مقصوده ذلك بعمله هو لا بعمل
البائع وكذلك الذي يستأجر البستان ليخدم شجره ويسقيها حتى تثمر
هو بمنزلة المستأجر ليس بمنزلة المشتري الذي يشتري ثمراً وعلى البائع
مؤنة خدمتها وسقيها* فان قيل هذه اعيان والاجارة لا تكون على الاعيان
* قيل الجواب من وجهين . أحدهما ان الاعيان هنا حصلت بعمله هو من
الاصل المستأجر كما حصل الحب بعمله المؤجر في أرض* واذا قيل الحب

حصل من بذره والثمر حصل من شجر المؤجر كان هذا فرقا لا أثر له في الشرع ألا ترى ان المساقاة كالزراعة والمساقاة يستحق جزأ من الثمرة الحاصلة من أصل المالك والمزارع يستحق جزأ من الزرع النبات في أرض المالك وان كان البذر من المالك وكذلك ان كان البذر منه كما ثبت بالسنة واجماع الصحابة فالبذر يتلف لا يعود الي صاحبه وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج من ثمر وزرع على أن يعمروها من أموالهم فالأرض والنخل والماء كان للنبي صلى الله عليه وسلم واستحقوا بعملهم جزأ من الثمر كما استحقوا جزأ من الزرع وان كان البذر منهم والشجر من النبي صلى الله عليه وسلم فعلم ان هذا الفرق لا تأثير له في الشرع واذا لم يؤثر في المساقاة والمزارعة التي يكون النماء مشتركاً لم يؤثر في الاجارة بطريق الاولى فان استئجار الأرض ليس فيه من النزاع ما في المزارعة فاذا كانت اجارتها أجوز من المزارعة فاجارة الشجر أجوز من المساقاة

الوجه الثاني أن نقول هذا كاجارة الظئر والبير ونحو ذلك والكلام على هذا هو الكلام على الاصل الثاني في الاجارة فنقول قول الفائل ان اجارة الظئر على خلاف القياس انما هو لاعتقاده ان الاجارة لا تكون الا على منافع اعراض لا تستحق بها أعيان وهذا القدر لم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس بل الذي دلت عليه الاصول ان الاعيان التي تحدث شيئاً بعد شيء مع بقاء أصلها حكمها حكم المنافع كالتمر والشجر واللبن في الحيوان ولهذا سوى بين هذا

وهذا في الوقف فان الاصل تحميس الاصل وتبديل الفائدة فلا بد أن يكون الاصل باقيا وأن تكون الفائدة تحدث مع بقاء الاصل فيجوز أن تكون فائدة الوقف منفعة كالمسكني ويجوز أن يكون ثمره كوقف الشجر ويجوز أن يكون لبناً كوقف الماشية للانتفاع بلبنها وكذلك باب التبرعات فان العارية والعربة والمنحة هي اعطاء العين لمن ينتفع بها ثم يردها فلما حدة اعطاء الماشية لمن يشرب لبنها ثم يردها والعربة اعطاء الشجرة لمن يأكل ثمرها ثم يردها والمسكني اعطاء الدار لمن يسكنها ثم يمدها فكذلك في الاجارة تارة تكره العين للمنفعة التي ليست أعياناً كالمسكني والر كوب وتارة للعين التي تحدث شيئاً بعد شيء مع بقاء الاصل كلبن الظئر ونقع البئر والعين فان الماء واللبن لما كانا شيئاً بعد شيء مع بقاء الأصل كان كل منهما والمسوغ للاجارة هو ما بينهما من القدر المشترك وهو حدث والمقصود بالمقد شيئاً فشيئاً سواء كان الحوادث عيناً أو منفعة اذ كونه جسماً أو معني قائماً بالجميع لأنزله في جهة الجواز مع اشتراكهما في المقتضى للجواز بل هذا أحق بالجواز فان الاجسامأكمل من صفاتها ولا يمكن العقد عليها الا كذلك وطردها أكثر في الظئر من الحيوان للارضاع ثم الظئر تارة نستأجر بأجرة مقدرة وتارة بطعامها وكسوتها وتارة يكون طعامها وكسوتها من جملة الأجرة وأما الماشية اذا عقد على لبنها بعوض فتارة يشتري بلبنها مع ان علفها وخدمتها على المالك وتارة على ان ذلك على المشتري فهذا الثاني يشبه ضمان البساتين وهو بالاجارة أشبه لان اللبن تسقيه الطفل فيذهب وينتفع به فهو كاستئجار العين يستقى بمائها أرضه بخلاف

من يقبض اللبن فانه هنا قبض العين المقود عليها وتسمية هذا بيما
وهذا اجارة نزاع لفظي والاعتبار بالمقاصد ومن الفقهاء من يجعل
اختلاف العبارات مؤثرا في صحة العقد وفساده حتى ان من هؤلاء من
يصحح العقد بلفظ دون لفظ كما يقول بعضهم ان السلم الحال لا يجوز واذا
كان بلفظ البيع جاز ويقول بعضهم ان المزارعة على أن يكون البذر
من العامل لا يجوز واذا عقده بلفظ الاجارة جاز وهذا قول بعض
أصحاب أحمد وهذا ضعف فان الاعتبار في المقود بمقاصدها واذا كان
المعنى المقصود في الموضوعين واحدا فتجوز به بعبارة دون عبارة كتجوز
بلغة دون لغة نعم اذا كان أحد اللفظين يقتضي حكما لا يقتضيه الآخر
فهذا له حكم آخر وايس هذا موضع بسط هذه المسائل وانما المقصود
التنبيه على ما يقال انه موافق القياس ومخالفه وان الشارع اذا سوى بين
شئين كما سوى بين الاستئجار على الرضاع والحدمة فالفارق بينهما عدم
التأثير وهو كون هذا عينا وهذا منفعة واذا فرق بين شئين فالجامع
بينهما ليس هو وحده مناط الحكم بل للفارق تأثير

(فصل) ومن هذا الباب قول من يقول حمل العقل على
خلاف القياس فيقال لا ريب أن من أتلف مضمونا كان ضامنا عليه
والناس متنازعون في العقل هل تحمله العاقلة ابتداء أو تحملا كما تنازعوا
في صدقة الفطر التي تجب على الغير كصدقة الفطر عن الزوجة والولد
هل تجب ابتداء أو تحملا وفي ذلك نزاع معروف في مذهب أحمد
وغيره وعلى ذلك ينبنى لو أخرجها الذي يخرج عنه بدون اذن المخاطب

بها فن قال هي واجبة على المخاطب بحملا قال تجزئ ومن قال هي واجبة عليه ابتداء قال هي كداء الزكاة عن الغير ولذلك تنازعوا في العقل اذا لم تكن عاقلة هل تجب في ذمة القاتل أم لا والعقل فارق غيره من الحقوق في أسباب اقتضت اختصاصه بالحكم وذلك ان دية المقتول مال كثير والعاقلة انما تحمل الخطأ لا تحمل العمد بلا نزاع وفي شبه العمد نزاع والظاهر انها لا تحملها والخطأ مما يعذر فيه الانسان فإيجاب الدية في ماله ضرر عظيم به من غير ذنب تعمده ولا بد من ايجاب بدل المقتول فالشارع أوجب على من عليهم موالاة القاتل ونصره أن يعينوه على ذلك فكان هذا كإيجاب النفقات التي تجب للقريب أو تجب للفقراء والمساكين وإيجاب فسكك الاسير من بلد العدو فان هذا أسير بالدية التي تجب عليه وهي لم تجب باختيار مستحقها ولا باختياره كالديون التي تجب بالقرض والبيع وليست أيضا قليلة في الغالب كابدال المتلفات فان اتلاف مل كثير بقدر الدية خطأ نادر جدا بخلاف قتل النفس خطأ فما سببه العمد في نفس أو مال فالمتلف ظالم مستحق فيه للعقوبة وما سببه الخطأ في الاموال فقليل في العادة بخلاف الدية ولهذا كان عند الاكثرين لا تحمل العاقلة الا ماله قدر كثير فعند مالك وأحمد لا تحمل مادون الثلث وعند أبي حنيفة مادون السن والموضحة فكان ايجابها من جنس ما أوجبه الشارع من الاحسان الى المحتاجين كبنى السبيل والفقراء والمساكين والاقارب المحتاجين ومعلوم ان هذا من أصول الشرائع التي بها قيام مصلحة العالم فان الله لما قسم خلقه الى غني وفقير

ولا تتم مصابحتهم الا بسد خلة الفقراء وحرم الربا الذي يضر الفقراء
فكان الامر بالصدقة من جنس النهي عن الربا ولهذا جمع الله بين هذا
وهذا في مثل قوله تعالى (يعحق الله الربا ويربي الصدقات) وفي مثل قوله
تعالى وما آتيتم من ربا لبريوفي أموال الناس فلا يريو عنده الله وما آتيتم
من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) وقد ذكر الله في آخر
البقرة أحكام الاموال وهي ثلاثة أصناف عدل وفضل وظلم فالعدل
البيع والظلم الربا والفضل الصدقة فمدح المتصدقين وذكر ثوابهم وذم
المربيين وبين عقابهم وأباح البيع وانتداهن الى أجل مسمى فالعقل
من جنس ما أوجبه من الحقوق لبعض الناس على بعض كحق المسلم
وحق ذي الرحم وحق الجار وحق المملوك والزوجة

(فصل) والاحكام التي يقال انها على خلاف القياس نوعان نوع
يجمع عليه ونوع متنازع فيه فما لانزاع في حكمه تبين انه على وفق
القياس الصحيح وينبنى على هذا ان مثل هذا هل يقاس عليه أم لا
فذهب طائفة من الفقهاء ان ما ثبت على خلاف القياس لا يقاس عليه
ويحكي هذا عن أصحاب أبي حنيفة والجمهور انه يقاس عليه وهذا هو
الذي ذكره أصحاب الشافعي وأحمد وغيرها وقالوا انما ينظر الى
شروط القياس فما علمت علمته ألحقنا به ما شاركه في العلة سواء قيل انه
على خلاف القياس أو لم يقل وكذلك ما علم انتفاء الفارق فيه بين الاصل
والفرع والجمع بدليل الملة كالجمع بالعلة وأما اذا لم يقم دليل على ان الفرع
كالاصل فهذا لا يجوز فيه القياس سواء قيل انه على وفق القياس

أوخلافه ولهذا كان الصحيح ان العرايا يباحق بها ما كافر في مناهها
وحقيقة الامر انه لم يشرع نبي علي خلاف القياس الصحيح بل ما قيل
انه علي خلاف القياس فلا بد من اتصافه بوصف امتاز به عن الامور
التي خالفها واقتضى مفارقتها لها في الحكم واذا كان كذلك فذلك الوصف
ان شاركه غيره فيه فحكمه كحكمه والا كان من الامور المفارقة له . وأما
المتنازع فيه فتلما يأتي حديث بخلاف أمر فيقول القائلون هذا بخلاف
القياس أو بخلاف قياس الاصول وهـ ذله أمثلة من أشهرها المصراة
فان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لانصروا الابل ولا الغنم فمن ابتاع
مصراة فهو بخير النظرين بعد أن يحملها ان رضىها أمسكها وان سقطها
ردها وصاعا من تمر وهو حديث صحيح فقال قائلون هذا يخالف قياس
الاصول من وجوه . منها انه رد المبيع بلا عيب ولا خلف في صفة . ومنها
ان الحراج بالضمنان فالابن الذي يحدث عند المشتري غير مضمون عليه
وهنا قد ضمنه . ومنها ان الابن من ذوات الامثال فهو مضمون بمثله
ومنها ان مالا مثل له يضمن بالقيمة من النقد وهنا ضمنه بالتمر . ومنها
ان المال المضمون يضمن بقدره لا بقدر بدله بالشرع وهنا قدر بالشرع
فقال المتبعون للحديث بل ما ذكرتموه خطأ والحديث موافق للاصول
ولو خالفها لكان هو أصلا كما أن غيره أصل فلا يضرب الاصول بعضها
ببعض بل يجب اتباعها كلها فانها كلها من عند الله أما قولهم رد بلا عيب
ولا فوات صفة فليس في الاصول ما يوجب انحصار الرد في هـ ذين
الشبيئين بل الترد ليس نوع ثبت به الرد وهو من جنس الخلف في الصفة

فان البيع تارة. تظهر صفاته بالقول وتارة بالفعل فاذا نظر انه على صفة
 وكان على خلافها فهو تدليس وقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم
 الخيار للركب اذا نلقوا واشترى منهم قبل ان يهبطوا السوق ويعلموا
 السعر رليس كذلك واحدمن الامرين ولكن فيه نوع تدليس * وأما
 قوله الخراج بالضمنان فأولا حديث المصراة أصح منه باتفاق أهل العلم
 مع أنه لا منافاة بينهما فان الخراج ما يحدث في ملك المشتري ولفظ
 الخراج اسم للغة مثل كسب العبد وأما اللبن ونحوه فملحق بذلك
 وهناك اللبن موجوداً في الضرع فصار جزءاً من المبيع ولم يجعل
 الصاع عوضاً عما حدث بمد العقد بل عوضاً عن اللبن الموجود في
 الضرع وقت العقد وأما تضمين اللبن بغيره وتقديره بالشرع فلان
 اللبن المضمون اختلط باللبن الحادث بعد العقد فتعذرت معرفة قدره
 فلهذا قدر الشارع البديل قطعاً للزراع وقدر بغير الجنس لان التقدير
 بالجنس قد يكون أكثر من الاول أو أقل فيفضى الي الربا بخلاف غير
 الجنس فانه كأنه ابتاع لذلك اللبن الذي أمذرت معرفة قدره بالصاع
 من التمر والتمر كان طعام أهل المدينة وهو مكيل مطعوم يقات به كما
 أن اللبن مكيل مقات وهو أيضاً يقات به بلا صنعة بخلاف الخنطة
 والشعير فانه لا يقات به الا بصنعة فهو أقرب الاجناس التي كانوا
 يقاتون بها الى اللبن ولهذا كان من موارد الاجتهاد أن جميع الامصار
 يضمون ذلك بصاع من تمر أو يكون ذلك لمن يقات التمر فهذا من
 موارد الاجتهاد كأمرة في صدقة الفطر بصاع من شعير أو تمر ومن

ذلك قول بعضهم ان أمره للمصلى خلف الصف وحده بالاعادة على خلاف القياس فان الامام يقف وحده والمرأة تقف خلف الرجال وحدها كما جاءت به السنة وليس الامر كذلك فان الامام يسن في حقه التقدم بالاتفاق والمؤمنون يسن في حقهم الاصطفاف بالاتفاق فكيف يشبه هذا بهذا وذلك لان الامام يؤتم به فاذا كان امامهم رأوه وكان اقتداؤهم به أكمل وأما المرأة فانها تقف وحدها اذا لم يكن هناك امرأة غيرها فالسنة في حقها الاصطفاف لكن قضية المرأة تدل على شيئين تدل على انه اذا لم يجد خلف الصف من يقوم معه وتمذر الذخول في الصف صلى وحده للحاجة وهذا هو القياس فان الواجبات تسقط للحاجة وأمره بأن يضاف غيره من الواجبات فاذا تمذر ذلك سقطت للحاجة كما سقط غير ذلك من فرائض الصلاة للحاجة في مثل صلاة الخوف محافظة على الجماعة وطر ذلك اذا لم يمكنه أن يصلى مع الجماعة الاقدام الامام فانه يصنى هنا لاجل الحاجة امامه وهو قول طوائف من أهل العلم وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد وان كانوا لا يجوزون التقدم على الامام اذا أمكن ترك التقدم عليه وفي الجملة فليست المصافة أوجب من غيرها فاذا سقطت غيرها للمذر في الجماعة فهي أولى بالسقوط * ومن الاصول الكلية ان المعجوز عنه في الشرع ساقط الوجوب وان المضطر اليه بلا معصية غير محذور فلم يوجب الله ما يعجز عنه العبد ولم يحرم ما يضطر اليه العبد ومن ذلك قول بعضهم في الحديث الصحيح الذي فيه ان الرهن مركوب ومحلوب وعلى الذي

يركب ويحلب النفقة انه على خلاف القياس وايس كذلك فان الرهن اذا كان حيوانا فهو محترم في نفسه ولما لم يكن فيه حق والمرتهن فيه حق واذا كان بيد المرتهن فلم يركب ولم يحلب ذهبت منفقته باطلا وقد قدمنا ان الابن يجري مجرى المنفعة فاذا استوفى المرتهن منفقته وعوض عنها نفقته كان في هذا جمع بين المصلحتين وبين الحقين فان نفقته واجبة على صاحبه والمرتهن اذا اتفق عليه أدى عنه واجبا وله فيه حق فله ان يرجع ببذله والمنفعة تصلح ان تكون بدلا فأخذها خير من ان تذهب على صاحبها وتذهب باطلا وقد تنازع الفقهاء فيما أدى عن غيره واجبا بغير اذنه كالدين فذهب مالك وأحمد في المشهور عنه له ان يرجع به عليه ومذهب أبي حنيفة والشافعي ليس له ذلك واذا اتفق نفقة تجب عليه مثل ان ينفق على ولده الصغير أو عبده فبعض أصحاب أحمد قال لا يرجع وفرقوا بين النفقة والدين والمحققون من أصحابه سواهم يذهبون اليها وقالوا الجميع واجب ولو اقتداه من الاسر كان له مطالبته بالفداء وليست ديننا والقرآن يدل على هذا القول فان الله قال فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن فأمراً بآيتاء الاجر بمجرد الارضاع ولم يشترط عقدا ولا اذن الاب وكذلك قال (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) فأوجب ذلك عليه ولم يشترط عقدا ولا اذنا ونفقة الحيوان واجبة على ربه والمرتهن والمستأجر له فيه حق فاذا اتفق عليه النفقة الواجبة على ربه كان أحق بالرجوع من الاتفاق على ولده فاذا

قدر أن الراهن قال لم آذن لك في النفقة قال هي واجبة عليك وأنا
 أستحق أن أطالبك بها لحفظ المرهون والمستأجر وإذا كان المنفق قد
 رضى بأن يعترض بمنفعة الرهن التي لا يطالبه بنظر النفقة كان قد
 أحسن إلي صاحبه فهذا خير محض مع الراهن وكذلك لو قدر أن
 المؤمن على حيوان الغير كالمودع والشريك والوكيل أنفق من مال
 نفسه واعتاض بمنفعة المال لأن هذا إحسان إلى صاحبه إذا لم ينفق عليه
 صاحبه وما يقل أنه أبعد الأحاديث عن القياس الحديث لذي في السنن
 عن الحسن بن قبيصة بن حريث عن سلمة بن المحبق أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قضى في رجل وقع على جارية امرأته إن كان
 استكرهها فهي حرة وعليه لسيدتها مثلها وإن كانت طاوعته فهي له
 وعليه لسيدتها مثلها وقد روى في لفظ آخر وإن كانت طاوعته فهي
 ومثلها من ماله لسيدتها وهذا الحديث تكلم بعضهم في إسناده لكنه
 حديث حسن وهم يحتجون بما هو دونه في القوة ولكن لا شك أنه قوي
 عندهم تضعيفه وهذا الحديث يستقيم على القياس مع ثلاثة أصول هي
 صحيحة كل منها قول طائفة من الفقهاء أحدها أن من غير مال غيره
 بحيث يفوت مقصوده عليه فله أن يضمه إياه بمثله وهذا كما إذا تصرف
 في المغصوب بما أزال اسمه ففيه ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره
 أحدها أنه باق على ملك صاحبه وعلى الغاصب ضمان النقص ولا شيء
 له في الزيادة كقول الشافعي والثاني يملكه الغاصب بذلك ويضمه
 لصاحبه كقول أبي حنيفة والثالث ينجز المالك بين أخذ وتضمن النقص

وبين المطالبة بالبدل وهذا أعـدل الاقوال وأقواها فان فوت صفاته
 للمعنوية مثل أن ينسبه صناعته أو يضعف قوته أو يفسد عقله ودينه
 فهذا أيضاً يجبر المالك بين تضمين النقص وبين المطالبة بالبدل ولو
 قطع ذنب بعـله القاضى فعند مالك يضمها بالبدل ويملكها لتـمـذـر
 مقصودها على المالك في العادة أو يجبر المالك وكذلك السلطان اذا قطع
 آذان فرسه وذنبا **الاصـل الثـانـي** * أن جميع المتلفات تضمن بالجنس
 بحسب الامكان مع مراعاة القيمة حتى الحيوان كما أنه في القرض يجب
 فيه رد المثل واذا اقترض حيوانا رد مثله كما اقترض النبي صلى الله عليه
 وسلم بكرا ورد خـيـرا منه وكذلك في المغرور يضم ولدته بمثلهم كما
 تضمنت به الصحابة وكذلك اذا استثنى رأس المبيع ولم يذبحه فان الصحابة
 قضوا بشرائه أى برأس مثله في القيمة وهذا أحد القولين في مذهب
 أحمد وغيره وقصة داود وسليمان عليهما السلام من هذا الباب فان
 الماشية كانت قد أتلفت حرث القوم وهو يستأنهم قالوا وكان عينا والحرث
 أسم للشجر والزرع فقضى داود بالغنم لاصحاب الحرث كانه ضمنهم ذلك
 بالقيمة ولم يكن لهم مال الا الغنم فأعطاهم الغنم بالقيمة * وأما سليمان
 فحكى بأن أصحاب الماشية يقومون على الحرث حتى يعود كما كان
 فضمنهم اياه بالمثل وأعطاهم الماشية يأخذون منفعتها عوضا عن المنفعة
 التي فانت من حين تلف الحرث الى أن يعود وبذلك أفقى الزهري
 لعمر بن عبد العزيز فيمن كان أتلف له شجرا فقال بفرسه حتى يعود
 كما كان وقيل ربعة وأبا الزناد قال عليه القيمة فغلط الزهري القول

فهما وهذا موجب الأدلة فان الواجب ضمان المتلف بالمثل بحسب
الامكان قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وقال (فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم) وقال (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به) وقال (والحرمت قصاص) فاذا أتلف نقدا أو حبوبا ونحو
ذلك أمكن ضمانها بالمثل وان كان المتلف ثيابا أو آنية أو حيوانا فهنا
مثله من كل وجهه وقد يتعمذر فالا مضر دائر بين شيئين اما أن يضمه
بالقيمة وهي دراهم مخالفة للمتلف في الجنس والصفة لكنها تساويه في
المالية واما أن يضمه بثياب من جنس ثياب المثل أو آنية من جنس
آنيته أو حيوان من جنس حيوانه مع مراعاة القيمة بحسب الامكان
ومع كون قيمته بقدر قيمته فهنا المالية مساوية كما في النقد وامتاز هذا
بالمشاركة في الجنس والصفة فكان ذلك أمثل من هذا وما كان أمثل
فهو أعدل فيجب الحكم به اذا تمذر المثل من كل وجه ونظير هذا
ما ثبت بالسنة واتفاق الصحابة من القصاص في اللطمة والضربة وهو
قول كثير من السلف وقد نص عليه أحمد في رواية اسماعيل
ابن سعيد الشافعي التي شرحها الجوزجاني في كتابه المسمى بالترجم
فقال طائفة من الفقهاء المساواة متعذرة في ذلك فيرجع الى التعزير
فيقال لهم ما جاءت به الآثار هو موجب القياس فان التعزير عقاب
غير مقدر الجنس ولا الصفة ولا القدر والمرجع فيها الى اجتهاد
الوالي ومن المعلوم الامر بضرب يقارب ضربه وان لم يعلم انه مساو له
أقرب الى العدل والمماثلة من عقوبة تخالفه في الجنس والوصف غير

مقدرة أصلا واعلم أن المعامل من كل وجه متعذر حتى في المكيلات فضلا عن غيرها فانه اذا أنصف صاعا من بر فضمن بصاع من بر لم يعلم ان أحد الصاعين فيه من الحب ماهو مثل الآخر بل قد يزيد أحدهما علي الآخر ولهذا قال تعالي (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفسا الاوسمها) فان تحديد الكيل والوزن مما قد يميز عنه البشر ولهذا يقال هذا أمثل من هذا اذا كان أقرب الى الممثلة منه اذا لم تحصل الممثلة من كل وجه . الاصل الثالث من مثل بعينه عتق عليه وهذا مذهب مالك وأحمد وغيرهما وقد جاءت بذلك آثار مرفوعة عن النبي صل الله عليه وسلم وأصحابه كعمر بن الخطاب كما قد ذكر في غير هذا الموضوع فهذا الحديث موافق لهذه الاصول الثلاثة الثابتة بالادلة الموافقة للمقياس العادل فاذا طواعته فقد أفسدها علي سيدها فانها مع المطاوعة تبقى زينة وذلك ينقص قيمتها ولا يمكن سيدها من استخدامها لما كانت تمكن قبل ذلك ابغضها ولطمع الجارية في السيد ولا استشراف السيد اليها لاسيما وبمسر علي سيدها فلا يطعمها كما كانت تطعمه واذا تصرف بالمال بما ينقص قيمته كان لصاحبه المطالبة بالمثل ففرض لها بالمثل ومعلموم انها لو رضيت أن تبقى ملكا لها وتغرمه مانقص من قيمتها لم يمتنع من ذلك وانما المقضى به ما يبيع لها وليكن موجب هذا أن الامة اذا أفسدها رجل علي أهلها حتى طواعت علي الزنا فلاهلها أن يطالبوه ببدها واجب مثلها بناء علي أن المثل يجب في كل مضمون بحسب الامكان وأما اذا استكرهها فان هذا من باب المسئلة فان الاكراه علي الوطاء

مسألة فإن الوطء يجري مجرى الاتلاف ولهذا قيل ان من استكره عبده على التلوط به عتق عليه ولهذا لا يخلو من عقر أو عقوبة لانجرى مجرى منفعة الخدمة فهي اما صارت له بافسادها على سيدها أو جب عليه مثلها كما في المطاوعة واعتقها عليه لكونه مثلها . وقد يقال انه يلزم على هذا اذا استكره عبده على الفاحشة عتق عليه ولو استكره أمة الغير على الفاحشة عتقت وضمنها بمثلها الا أن يفرق بين أمة امرأته وبين غيرها فان كان بينهما فرق شرعي والافرج القياس التسوية وأما قوله عز وجل (ولا تكرر هو افتياتكم على البناء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فار الله من بعدا كراههن غفور رحيم) فذا انتهى عن اكرههن على كسب المال بالبناء كما نقل ان ابن أبي المنافق كان له من الاماء ما يكرهن على البغاء وليس هو استكرها الامامة على أن يزني هو بها فان هذا بمنزلة التمثيل بها وذلك الزام لها بأن يذهب فزني بنفسها مع انه قد يمكن أن يقل العتق بالمثلة لم يكن مشروعا عند نزول الآية ثم شرع بعد ذلك والكلام على هذا الحديث من أدق الامور فان كان ثابتاً فهو هذا الذي ظهر في توجيهه وتخرجه على الاصول الثابتة وان لم يكن ثابتاً فلا يحتاج الى الكلام عليه وبالجملة فما عرفت حديثاً صحيحاً الا ويمكن تخرجه على الاصول الثابتة وقد تدبرت ما يمكنني من أدلة الشرع فيما رأيت قياساً صحيحاً يخالف حديثاً صحيحاً لما أن المعقول الصريح لا يخالف المنقول الصحيح بل متى رأيت قياساً يخالف أثراً فلا بد من ضمف أحدهما لكن التمييز

بين صحيح القياس وفاسده مما يخفي كثير منه على أفاضل العلماء فضلا
عن هو دونهم فان ادراك الصفات المرتبة في الاحكام على الوجه ومعرفة
الحكم والمعاني التي تضمنها الشريعة من أنرف العلوم فمنه الجايل
الذي يعرفه كثير من الناس ومنه الدقيق الذي لا يعرفه الا خواصهم
فلهذا صار قياس كثير من العلماء يرد مخالفاً للنصوص الخفاء القياس
الصحيح عليهم كما يخفي على كثير من الناس مني النصوص من الدلائل
الدقيقة التي تدل على الاحكام

(فصل) وأما توهم ان المضي في الحج الفاسد على خلاف القياس
فليس الامر كذلك فان الله أمر باتمام الحج والعمرة فعلى من شرع
فيهما أن يمضي فيهما وان كان متطوعاً بالدخول باتفاق الأئمة وهم
متنازعون فيما سوى ذلك من التطوعات هل تلزم بالشروع فقد وجب
عليه بالاحرام أن يمضي الى حين يتحلل وأن لا يبطأ في الحج فاذا وطئ
في الحج لم يمنع وطؤه ما وجب عليه من اتمام الحج ونظير هذا الصيام في
رمضان لما وجب عليه الاتمام بقوله ثم أتوا الصيام الى الليل فاذا أفطر
لم يسقط عنه فطره ما رجب من الاتمام بل يجب عليه اتمام صوم
رمضان وان أفسده وهذا لان الصيام له حد محدود وهو غروب
الشمس كما للحج وقت مخصوص وهو يوم عرفته وما بعده ومكان
مخصوص وهو يوم عرفته وما بعده ومكان مخصوص وهو عرفته ومن دافه
بونه فلا يمكنه احلال الحج قبل وصوله الى مكانه كما لا يمكنه احلال
الصيام اللهم الا اذا كان معذوراً كالمحصر فهذا كالمعذور في الفطر

وهذا بخلاف الصلاة اذا أفسدها فانه يبتديها لان الصلاة يمكنه فعلها في
 اثناء الوقت والحج لا يمكنه فعله في اثناء الوقت

(فصل) وأما الاكل ناسياً فالذين قالوا هو خلاف القياس
 قالوا هو من باب ترك المأمور ومن ترك المأمور ناسياً لم تبرأ ذمته كما لو
 ترك الصلاة ناسياً أو ترك نية الصيام ناسياً لم تبطل عبادته الا من فعل
 محذور ولكن من يقول هو على وفق القياس يقول القياس ان من
 فعل محظوراً ناسياً لم تبطل عبادته لان من فعل محظوراً ناسياً فلا يتم
 عليه كما دل عليه قوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) وقد
 ثبت في الصحيح ان الله قال قد فعلت وهذا مما لا يتنازع فيه العلماء
 ان الناسى لا يأثم لكن يتنازعون في بطلان عبادته فيقول القائل اذا لم
 يأثم لم يكن قد فعل محرماً ومن لم يفعل محرماً لم تبطل عبادته فان
 العبادة انما تبطل بترك واجب أو فعل محرم فاذا كان ما فعله من باب
 فعل المحرم وهو ناس فيه لم تبطل عبادته وصاحب هذا القول يقول
 القياس أن لا تبطل الصلاة بالكلام في الصلاة ناسياً وكذلك يقول
 القياس ان من فعل شيئاً من محظورات الاحرام ناسياً لا فدية عليه وقيل
 الصيد هو من باب ضمان المتلفات كدببة المقتول بخلاف الطيب واللباس فانه
 من باب الترفه وكذلك الحاق والتقليم هو في الحقيقة من باب الترفه لامن
 باب متلف له قيمة فانه لا قيمة لذلك فلماذا كان أعدل الاقوال أن لا كفارة
 في شيء من ذلك الا في جزء الصيد وطرده هذا ان من فعل المحلوف عليه
 ناسياً لا يحنث سواء حلف بالطلاق أو العتاق أو غيرها لان من فعل المنهى

عنه ناسياً لم يعص ولم يخالف والحذث في الأيمان كالمصيبة في الاسرو والنهي
وكذلك من باثر النجاسة في الصلاة ناسياً فلا إعادة غايه لانه من باب
فعل المحذور بخلاف ترك طهارة الحدث فانه من باب المأمور * فان قيل
الترك في الصوم مأمور به ولهذا يشترط فيه النية بخلاف الترك في هذه
المواضع فانه ليس مأموراً به فانه لا يشترط فيه النية * قيل لاريب أن
النية في الصوم واجبة ولو لا ذلك لما أئيب لان الثواب لا يكون الا مع
النية وتلك الامور اذا قصد تركها لله أئيب على ذلك أيضاً وان لم
يخطر بقلبه قصد تركها لم يشب ولم يعاقب ولو كان ناوياً تركها لله وفعله
ناسياً لم يقدح نسيانه في أجره بل يثاب على قصد تركها لله وان فعلها
ناسياً كذلك الصوم فانما يفعله الناس لا يضاف اليه بل فعله لله به من
غير قصده ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من أكل أو شرب ناسياً
فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه فأضاف اطعامه واسقائه الى الله لانه
لم يعتمد ذلك ولم يقصده وما يكون مضافاً الى الله لا ينهى عنه العبد فانما
ينهى عن فعله والافعال التي ليست اختيارية لا تدخل تحت التكليف
ففعل الناس كفعل النائم والمجنون والصغير ونحو ذلك يبين ذلك ان
الصائم اذا احتلم في منامه لم يفطر ولو استمنى باختياره أفطر ولو ذرعه
التي لم يفطر ولو استدعى التي أفطر فلو كان ما يوجد بغير قصده بمنزلة
ما يوجد بقصده لأفطر بهذا وهذا * فان قيل فالخطيء يفطر مثل من
يأكل يظن بقاء الليل ثم تبين انه طلع الفجر أو يأكل يظن غروب
الشمس ثم تبين له أن الشمس لم تغرب * قيل هذا فيه نزاع بين السلف

والخلف والذين فرقوا بين الناس والمخطي قالوا هـ - هذا يمكن الاحتراز منه بخلاف النسيان وقاسوا ذلك على ما اذا أفطر يوم الشك ثم تبين أنه من رمضان ونقل عن بعض السلف انه يقضى في مسألة الغروب دون الطلوع كما لو استمر الشك والذين قالوا لا يفطر في الجميع قالوا حجبتنا أقوى ودلالة الكتاب والسنة على قولنا أظهر فان الله قال (ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو اخطأنا) فجمع بين النسيان والخطأ ولان من فعل المحظورات الحجج والصلاة مخطئا كمن فعها ناسيا وقد ثبت في الصحيح أنهم أفطروا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم طلعت الشمس ولم يذكرها في الحديث أنهم أمروا بالقضاء ولكن هشام ابن عروة قال أو بد من القضاء وأبوه أعلم منه وكان يقول لا قضاء عليهم وثبت في الصحيحين أن طائفة من الصحابة كانوا يأكلون حتى يظهر لاحدهم الحيط الأبيض من الحيط الأسود وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حدهم ان وسادك لمرريض انما ذلك بياض النهار وسواد الليل ولم ينقل أنه أمرهم بقضاء وهؤلاء جهلوا الحكم فكانوا مخطئين وثبت عن عمر بن الخطاب انه أفطر ثم تبين النهار فقال لا تقضى فانما لم تتجاف لانهم وروى عنه انه قال لا تقضى ولكن اسناد الاول أثبت وصح عنه انه قال الخطب يسير فتأول ذلك من تأوله على انه أراد حفة أم القضاء لكن اللفظ لا يدل على ذلك وفي الجملة فهذا القول أقوى أثرا ونظرا وأشبه بدلالة الكتاب والسنة والقياس وبه يظهر ان القياس في الناسي أنه لا يفطر والاصل الذي دل عليه الكتاب والسنة ان من فعل

محظورا ناسيا لم يكن قد فعل منها عنه فلا يبطل بذلك شيء من العبادات ولا فرق بين الوطء وغيره سواء كان في إحرام أو صيام

﴿ فصل ﴾ وأما قول القائل أنهم يقولون ذلك فيما يروى عن بعض الصحابة فهو - ذا باب واسع والذي ياترزه إنما كان من أقوال الصحابة فقال بعضهم بتول وقال بعضهم بخلافهم فقد يكون أحد القولين مخالفا للقياس الصحيح بل وللنص الصريح والذي لا ريب فيه انه حجة ما كان من سنة الخلفاء الراشدين الذي سنوه للمسلمين ولم ينقل ان أحدا من الصحابة خالفهم فيه فهذا لا ريب انه حجة بل اجماع وقد دل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة مثال ذلك حبس عمر وعثمان رضى الله عنهما للأرضين المفتوحة وترك قسمتها على الغانمين فمن قال ان هذا لا يجوز قال لأن النبي صلى الله عليه وسلم قسم خيبر وقال ان الامام اذا حبسها نقض حكمه لاجل مخالفة السنة فهذا القول خطأ وجراة على الخلفاء الراشدين فان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر إنما يدل على جواز ما فعله لا يدل على وجوبه فلو لم يكن معنا دليل يدل على عدم وجوب ذلك لكان فعل الخلفاء الراشدين دليلا على عدم الوجوب فكيف وقد ثبت انه فتح مكة عنوة كما استفاضت به الاحاديث الصحيحة بل تواتر ذلك عند أهل المغازى والسير فانه قدم حين نقضوا العهد ونزل بمر الظهران ولم يأت أحد منهم صالح ولا

أرسل إليهم أحدا يصالحهم بل خرج أبو سفيان يتجسس الاخبار فأخذه
العباس وقدم به كالأسير وغايته أن يكون العباس أمناه فصار مستأمنا
ثم أسلم فصار من المسامحين فكيف يتصور أن يعقد عقد صالح الكفار
بعد اسلامه بغير اذن منهم مما يبين ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
علق الامان بابواب كقوله من دخل دار أبو سفيان فهو آمن ومن
دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن فآمن من لم يقاتله
فلو كانوا معاهدين لم يحتاجوا لي ذلك وأيضا فسماهم النبي صلى الله عليه
وسلم طلقاء لانه أطاقهم بعد القدرة عليهم كما يطلق الأسير فصاروا بمنزلة
من أطلقهم من الأسر كتمامة بن أنال وغيره وأيضا فانه أذن في قتل
جماعة منهم من الرجال والنساء . وأيضا فقد ثبت عنه في الصحاح انه قال
في خطبته ان مكة لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما حلت
لي ساعة من نهار ودخل مكة وعلى رأسه المغفر لم يدخلها باحرام فلو كانوا قد
صالحوه لم يكن قد أحل له شيء لو صالح مدينة من مدائن اهل لم يكن قد أحلت
شكيف يحل له البلد الحرام وأهله مسالمون له صالح مع . وأيضا فقد
قاتلوا خالدا وقتل طائفة منهم وفي الجملة من نذر الآثار المقولة علم
بالاضطرار ان مكة فتحت عنوة ومع هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقسم
أرضها كما لم يسترق رجالها ففتح خيبر عنوة وقسمها وفتح مكة عنوة
ولم يقسمها فعلم جواز الامرين والافوال في هذا الباب ثلاثة اما
وجوب قسم البقار كقول الشافعي واما تحريم قسمه ووجوب تحميمه
كقول مالك واما التخيير بينهما كقول الاكثرين التورى وأبي

حنيفة وأبي عبيد وهو ظاهر مذهب أحمد وعنه كالقولين الأولين ومن
أشكل ما أشكل على الفقهاء، من أحكام الخلفاء الراشدين أمن العقود
فانه قد ثبت عن عمر بن الخطاب انه لما أجل امراته أربع سنين وأمرها
أن تزوج بعد ذلك ثم قدم المفقود خيره عمر بين امراته وبين مهرها
وهذا مما اتبعه فيه الامام أحمد وغيره وأما طائفة من متأخري أصحابه
فقالوا هـ هذا يخالف القياس والقياس انها باقية على نكاح الاول الا أن
نقول افرقة تنفذ ظاهرا وباطنا فهي زوجة الثاني والاول قول الشافعي
والثاني قول مالك وآخرون أسرفوا في انكار هذا حتى قالوا لو حكم
حاكم بقول عمر لنقض حكمه لبعده عن القياس وآخرون أخذوا
ببعض قول عمر وتركوا بعضه فقالوا اذا تزوجت فهي زوجة الثاني
واذا دخل بها الثاني فهي زوجته ولا ترد الى الاول ومن خالف عمر لم
يهتد الى ما اهتدى اليه عمر ولم يكن له من الخبرة بالقياس الصحيح مثل
خبرة عمر فان هذا مبنى على أصول وهو وقف العقود اذا تصرف
الرجل في حق الغير بغير اذنه هل يقع تصرفه مردودا أو موقوفا على
اجازته على قولين مشهورين هما روايتان عن أحمد أحدهما الرد في
الجملة على تفصيل عنه والرد مطلقا قول الشافعي والثاني انه موقوف
وهو مذهب أبي حنيفة ومالك وهذا في النكاح والبيع والاجارة وغير
ذلك فظاهر مذهب أحمد ان المتصرف اذا كان معذورا لعدم تمكنه
من الاستئذان وحاجته الى التصرف وقف على الاجازة بلا نزاع وان
أمكنه الاستئذان أو لم يكن به حاجة الى التصرف ففيه النزاع فالاول

مثل من عنده أموال لا تعرف أصحابها كالتصوب والعواري ونحوهما
إذا تعذرت عليه معرفة أرباب الاموال ويئس منها فان مذهب أبي
حنيفة ومالك وأحمد أنه يتصدق به عنهم فان ظهروا بعد ذلك كانوا
مخبرين بين الامضاء وبين النضمين وهذا مما جاءت به السنة في
اللقطة فان المتلقط يأخذها بعد التعريف ويتصرف فيها ثم ان جاء
صاحبها كان مخيرا بين امضاء تصرفه وبين المطالبة بها فهو تصرف
موقوف لكن تعذر الاستئذان ودعت الحاجة الى التصرف وكذلك
الموصى بما زاد على الثلث وصيته موقوفة على اجازة الورثة عند
الاكثرين وانما يخبرون عند الموت في المفقود المنقطع خبره ان قيل
ان امرأته تبتى الى أن يعلم خبره بقت لا يما ولا ذات زوج الى أن
تصير عجوزا وتموت ولم تعلم خبره والشريعة لم تأت بمثل هذا فلما
أجلت أربع سنين ولم ينكشف خبره حكم بموته ظاهرا وان قيل
انه يسوغ للإمام أن يفرق بينهما للحاجة فانما ذلك لاعتقاده موته والا
قلو علم حياته لم يكن مفقودا كما ساغ التصرف في الاموال التي تعذر
معرفة أصحابها فاذا قدم الرجل تبين انه كان حيا كما اذا ظهر صاحب
المال والامام قد تصرف في زوجته بالتفريق فيبقى هذا التفريق موقوفا
على اجازته فان شاء اجاز بما فعله الامام واذا اجاز صار كالتفريق
المأذون فيه ولو أذن للإمام أن يفرق بينهما ففرق وقعت الفرقة بلا
ريب وحينئذ فيكون نكاح الاول صحيحا وان لم يجز مافعله الامام
كان التفريق باطلا من حين اختار امرأته لاما قبل ذلك بل المجهول

كالمعدوم كما في الالقطة فانه اذا ظهر مالها لم يبطل مائة - دم قبل ذلك
وتكون باقية على نكاحه من حين اختارها فتكون زوجته فيكون
القيام بخير ا بين اجازة ما فعله الامام ورده واذا اجازته فقد اخرج البضع
عن ملكه وخروج البضع من ملك الزوج متقوم عند الاكثرين كمالك
والشافعي وأحمد في أنص الروايتين عنه وهو مضمون بالمسمى كما يقوله
مالك وأحمد في احدى الروايتين عنه والشافعي يقول هو مضمون بمهر
المثل والنزاع بينهم فيما اذا شهد شهود انه طلق امرأته ورجعوا عن
الشهادة فليل لاشيء عليهم بناء على ان خروج البضع من ملك الزوج
غير متقوم وهو قول أبي حنيفة وأحمد في احدى الروايتين اختارها
مناخروا أصحابه كالناضي أبي يعلى وأصحابه وقيل عليهم مهر المثل وهو
قول الشافعي وهو وجه في مذهب أحمد وقيل عليهم المسمى وهو
مذهب مالك وهو أشهر في نصوص أحمد وقد نص على ذلك فيما اذا
أفسد نكاح امرأته برضاع انه يرجع بالمسمى والكتاب والسنة دل على
هذا القول ففي سورة المتحنته في قول الله تعالى (واسئلوا ما أنفقتم
وليسئلوا ما أنفقوا) وقوله (فاتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا)
وهذا المسمى دون مهر المثل وكذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم زوج
المختلعة أن يأخذ ما أعطاها ولم يأمر بمهر المثل وهو انما يأمر في
الماوضات المطلقة بالعدل وهو مبسوط في غير هذا الموضع فقصة عمر
تنبني على هذا والقول بوقف المعقود عند الحاجة متفق عليه بين
الصحابه ثبت ذلك عنهم في قضايا متعددة ولم يعلم ان أحدا أنكر ذلك

مثل قصة ابن مسعود في صدقته عن سيد الجارية التي ابتاعها باليمن
الذي كان له عليه في ذمته لما تعذرت عليه معرفته وكتصدق الغال بالمال
المقول لما تعذر قسمته بين الجيش واقرار معاوية على ذلك وغير ذلك
من القضايا مع أن القول بوقف المفقود مطلقا هو الاظهر في الحاجة
وهو قول الجمهور وليس ذلك اضرازا أصلا بل صلاح بلا فساد فان
الرجل قد يرى أن يشتري لغيره أو يبيع له أو يستأجر له أو يوجب له
ثم يشاوره فان رضي ولا فلم يصبه ما يضره وكذلك في تزويج موليته
ونحو ذلك وأما مع الحاجة فالقول به لا بد منه فمسئلة المفقود هي مما
يقف فيها تعريف الامام على أن الزوج اذا جاء كما يقف نصرف الملتقط
على اذن المالك اذا جاء والقول برد المهر اليه لخروج امرأته من ملكه
ولكن تنازعوا في المهر الذي يرجع به هل هو ما أعطاها هو أو ما أعطاها
الثاني وفيه روايتان عن أحمد والصواب انه انما يرجع بمهره هو فانه
الذي استحقه وأما المهر الذي أصدقها الثاني فلا حق له فيه واذا ضمن
الاول للثاني المهر فهل يرجع به عليهما فيه روايتان . احدها يرجع
لانها التي أخذته والثاني قد أعطاها المهر الذي عليه فلا يضمن مهراين
بخلاف المرأة فانها لما اختارت فراق الاول ونكاح الثاني فعليها أن ترد
المهر لان الفرقة جاءت منها . والثانية لا يرجع لان المرأة تستحق المهر
بما استحلت من فرجها والاول يستحق المهر لخروج البضع من ملكه
فكان على الثاني مهراين وهذا المأثور عن عمر في مسألة المفقود هو
عند طائفة من أئمة الفقهاء من أبعد الأقوال عن القياس حتى قال من

أئمة الفقهاء فيه ماقال وهو مع هذا أصح الأقوال وأجراها على القياس
وكل قول قيل - سواء فهو خطأ فمن قال انها تعاد الى الاول وهو
لا يختارها ولا يريدتها وقد فرق بينه وبينها تفريقاً سائغاً في الشرع وأجاز
هو ذلك التفريق فانه وان كان الامام تبين ان الامر بخلاف ما اعتقده
فالحق في ذلك للزوج فاذا أجاز ما فعله الامام زال المحذور وأما كونها
زوجة الثاني بكل حال مع ظهور زوجها وتبين الامر بخلاف ما فعل
فهو خطأ أيضاً فانه لم يفارق امرأته وانما فرق بينهما بسبب ظهوره لم
يكن كذلك وهو يطالب امرأته فكيف يحال بينهما وهو لو طلب ماله
أو بدله رد اليه فكيف لا ترد اليه امرأته وأهلها أعز عليه من ماله وان
قيل تعاق حق الثاني بها قيل حقه سابق على حق الثاني وقد ظهر
انتقاص السبب الذي به استحق الثاني أن تكون زوجة له ومالموجب
لمراعاة حق الثاني دون حق الاول . فالصواب ما قضى به أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب واذا ظهر صواب الصحابة في مثل هذه المشكلات
التي خالفهم فيها مثل أبي حنيفة ومالك والشافعي فلأن يكون الصواب
معهم فيما وافقهم فيه هؤلاء بطريق الاولى وقد تأملت من هذا الباب
ما شاء الله فرأيت الصحابة أئمة الامة وأعلمها واعتبر هذا بمسائل
الايان بالنذر والعتيق والطلاق وغير ذلك ومسائل تعليق الطلاق
بالشروط ونحو ذلك وقد بينت فيما كتبت ان المنقول فيها عن الصحابة
هو أصح الأقوال قضاء وقياساً وعايه يدل ان الكتاب والسنة وعليه يدل
القياس الجلي وكل قول سوى ذلك تناقض في القياس مخالف لانصوص

وكذلك، في مسائل غير هذه مثل مسألة ابن الملا عنة ومسئلة ميراث
المرتد وما شاء الله من المسائل لم أجد أجود الاقوال فيها الا الاقوال
المنقولة عن الصحابة والى ساعتي هذه ما علمت قولاً قاله الصحابة ولم
يختلفوا فيه الا وكان القياس معه لكن العلم بتصحيح القياس وفاسده من
أجل العلوم وانما يعرف ذلك من كان خبيراً بأرار الشرع ومقاصده
وما اشتملت عليه شريعة الاسلام من المحامن التي تفوق التعداد
وما اشتملت عليه من مصالح العباد في المعاش والمعاد وما فيها من
الحكمة البالغة والرحمة السابغة والعدل التام

والله أعلم بالصواب واليه

المرجع والمآب

(تم)

كتاب السماع والرقص

جمعه

الشيخ محمد بن محمد بن محمد النبيجي الحنبلي من كلام الائمة

والعلماء المفسرين وقد نقلت هذه

النسخة عن أصل مسودته

رحمه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام بحر العلوم تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية
رضى الله عنه عن صفة سماع الصالحين ماهو وهل سماع القصائد
المالحة بالآلات المطربة هو من القرب والطاعات أم هو محرم أو مباح
فاجاب الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
*أصل هذه المسئلة أن يفرق بين السماع الذي ينتفع به في الدين وبين
ما يرخص فيه رفعا للحرج وبين سماع المتقربين وسماع المتعلمين فاما
السماع الذي شرعه الله لعباده وكان سلف الامة من الصحابة والتابعين
وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات
الله وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة فان الله تعالى
لما ذكر من ذكره من الانبياء عليهم السلام في قوله (أولئك الذين أنعم
الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم
واسرائيل ومن هدينا واجتبينا اذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا
سجدا وبكيا) وقوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تلى عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله تعالى
(ان الذين أتوا السلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان
يكونون يزيدهم خشوعا) وقوله تعالى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول
ترى أعينهم تفيض من الدمع مما صرفوا من الحق) وبهذا السماع أمر

الله تعالى في قوله (واذقريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم
ترحمون) وعلى أهله أئني تعالى كما في قوله تعالى (فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتعنون أحسنه) وقال تعالى في الاخرى (أفلا يتدبرون
القرآن أم على قلوب أفهاها) فالقول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا
بسماعه وقال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وكما أئني
تعالى على هذا السماع ذم تعالى المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى
(واذاتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً)
وقال تعالى (وقالوا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)
وقال تعالى (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً)
وقال تعالى (فإلهم عن التذكرة معرضين كأنهم حرم مستنقرة فزت
من قسورة) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما ندعونا اليه وفي
آذاننا وقر ومن بيننا وبيننا حجاب) وقال تعالى (واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً
وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) وهذا هو
السماع الذي شرعه الله للمسلمين في صلواتهم وخطبهم كصلاة الفجر
وصلاة العشاءين وفي غير ذلك وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجتمعون وكانوا اذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم
يقرأ والباقى يستمعون وكان عمر يقول لابي موسى ذكرنا ربنا فيقرأ
وهم يستمعون

وهذا هو السماع الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهده مع أصحابه

ويستدعيه منهم كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اقرأ على قال قلت اقرأ عليك وعايك أنزل قال اني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت الي هذه الآية (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك فاذا عيناه تذر فان

وهذا هو الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمعه وأصحابه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) والحكمة هي السنة وقال تعالى (قل انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وان أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المذنبين) وكذلك غيره من الرسل صلوات الله عليهم قال تعالى (يا بني آدم اما يأتيكنم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وكذلك يحنج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى (يا مشر الجن والانس ألم يأتكنم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا) الآية وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الي جهنم زمرا حتى اذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكنم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى) الآية

وقد أخبر الله تعالى ان المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمرض

ضال شـ. قى قال الله تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحسره يوم اقيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى) الآية وقال تعالى (ومن يمش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)

وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزناه) وقال تعالى (أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم) وقال (يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون) وقال تعالى (وما يأتهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلاعبون) وقال تعالى (وانه لذكر لك ولقومك) وقال تعالى (ان هـ والاذكر للعاقلين) وقال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) وهذا السماع له آثار ايمانية من المعارف القدسية والاحوال الزكية ما يطول شرحها ووصفها وله فى الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشمرار الجلد وهذا مذکور فى القرآن وهذه الصفات موجودة فى الصحابة ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب الصراخ والانعماء والموت فى التابيين

وهلجثة فهذا السماع هو أصل الايمان فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك ضل وشقى

وأما سماع المكاء والتصديّة والتصديّة هي التصفيق بالأيدي
والمكاء مثل الصفيق ونحوه فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى
في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصديّة) فأخبر الله
تعالى عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد
والتصويت باليد قربة ودينًا ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضروه قط ومن
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل
المعرفة بمحدثه وسننه والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي في
مسئلة السماع في صفة التصوف ورواه من طريقه الشيخ أبو حفص
عمر السهروردي صاحب عوارف المعارف ان النبي صلى الله عليه
وسلم أنشده اعرابي

قد لست حية الهوي كبدى * فلا طيب لها ولا راق
الا الحبيب الذي شفقت به * فعنده رقيتي وترياقي
وانه تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه فقال معاوية ما أحسن لوكم
فقال مهلا يا معاوية ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر الحبيب هو حديث
مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن وأظهر منه كذبا
حديث آخر يذكر فيه انه لما بشر الفقراء ببقعهم للاغنياء الى
الجنة تواجدوا وخرقوا أثوابهم وان جبريل نزل من السماء فقال يا محمد
ان ربك يطلب نصيبه من هذه الخروق فأخذ منه خرقة فعاقها بالعرش
وان ذلك هو زبق الفقراء * وهذا وأمثاله انما يرويه من هو من أجهل

الناس بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم بمعرفة الايمان والاسلام وهو شبيه برواية من روى ان أهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما انكسر المسلمون يوم حنين أو غير يوم حنين وانهم قالوا نحن مع الله من كان معه كنا معه ومن روى ان صبيحة المعراج وجد أهل الصفة يتحدثون بشيء كان الله أمر نبيه أن يكتبه فقال لهم من أين لكم هذا فقالوا الله علمنا اياه فقال يارب ألم تأمرني أن لأفشي به فقال أمرتك أنت أن لا تفشي به ولكن أنا أعلمهم به ونحو هذه الاحاديث التي يروونها طوائف منتسبون الى الدين مع فرط جهلهم بدين الاسلام ويبنون عليها من النفاق والبدع ما يناسبها نارة يسقطون بالتوسط بالرسول وانهم يصلون الى الله من غير طريق الرسول مطلقاً وهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى فان أولئك أسقطوا وساطة رسول واحد ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقاً وهؤلاء اذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً عن أنفسهم كان هذا أعظم من كفر أولئك لكنهم يقولون لانسقط الوساطة الا عن الخاصة لا عن العامة فيكونون أكفر من أهل الكتاب من جهة اسقاط السفارة مطلقاً عنهم وفي بعض الاحوال وأهل الكتاب أكفر من جهة اسقاط السفارة مطلقاً بل أهل الكتاب الذين يقولون انه رسول الي الاميين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء فان أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب وهؤلاء يخرجون عن رسالته من لا يبقى معه الا خيالات ووسوس وظنون الفهاها اليه الشيطان مع ظنه انه من خواص أولياء الله وهو من أعداء الله وتارة يجملون هذه

الآثار المختلفة حجة فيما يفترونه من أمور نخالف دين الاسلام
ويدعون انها من أسرار الخواص كما يفعله الملاحدة والقرامطة والباطنية
وتارة يجعلونه حجة في الأعراض عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى ما ابتدعوه من اتخاذ دينهم لهوا واهباً
وبالجملة قد علم بالاضطرار من دين الاسلام أن النبي صلى الله عليه
و-لم لم يشرع لصالحى أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع
الاييات الممحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم
يمح لاحد أن يخرج عن متابعتهم واتباع ماجاء به من الكتاب والحكمة
لا في باطن الامر ولا في ظاهره لا امامى ولا لخاص ولكن رخص النبي
صلى الله عليه وسلم في أنواع من اللهو في العرس ونحوه كما رخص للنساء
أن يضربن بالدف في الاعراس والافراح وأما الرجال على عهدهم فلم
يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف بل قد ثبت عنه في
الصحيح انه قال انما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ولعن المتشبهات
من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء والضرب
بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك
مخنتاً ويسمون الرجال المغنين مخانيث وهذا مشهور في كلامهم ومن
هذا الباب حديث عائشة رضى الله عنها لما دخل عليها أبو بكر
في أيام العيد وعندها جاريتان من الانصار تغنيان بما تقاولت
به الانصار يوم بعث فقال أبو بكر أئزمير الشيطان في بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضاً عنه مقبلاً

بوجهه الى الحائظ فقال دعهما يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا
 أهل الاسلام ففي هذا الحديث بيان ان هذا لم يكن من عادة النبي صلى
 الله عليه وسلم وأصحابه الاجتماع عليه ولهذا سماه الصديق أبو بكر
 رضى الله عنه مزموور الشيطان والنبي صلى الله عليه وسلم أقر الجوارى
 عليه معادلا ذلك بأنه يوم عيد والصغار يرخص لهم في الالب في الاعياد
 كما جاء في الحديث ليعلم المشركون ان في ديننا فسحا وكما كان يكون
 لعائشة لب تلعب بهن ونحوه وواجباتها من صغار النسوة يلعبن بها
 وليس في حديث الجاريتين أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع الى
 ذلك والامر والنهي انما يتعلق بالاستماع لا بمجرد السماع كما في الرؤية
 فانه انما يتعلق بقصد الرؤية لانها يحصل منها بغير الاختيار كذلك في
 اشتمام الطيب انما ينهى المحرم عن قصد الشم فاما اذا شم مالا يقصده
 فانه لا اثم عليه وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس الخمس من السمع
 والبصر والنم والذوق والشم انما يتعلق الامر والنهي في ذلك بالامد
 فيه قصد وعمل وأما ما يحصل بغير اختياره فلا امر فيه ولا نهى وهذا
 مما وجه به الحديث الذي في السنن حديث ابن عمر انه كان مع النبي
 صلى الله عليه وسلم فسمع صوت زمارة راع فعدل عن الطريق وقال
 هل تسمع حتى انتقطع الصوت فان من الناس من يقول بنقدير صحة
 الحديث لم يأمر ابن عمر بسد أذنه فيجيب بان ابن عمر لم يكن يستمع
 وانما كان يسمع وهذا لا اثم فيه وانما النبي صلى الله عليه وسلم عدل طلبا
 الاكمل والابضل كما اجتاز بطريق فسمع قوما يتكلمون بكلام:

محرم فسد أذنه كيلا يسمعه فهذا حسن ولو لم يسد أذنه لم يأتهم بذلك

إلاهم إلا أن يكون في سماعه ضرب دهنى لا يندفع إلا بالسد

وبالجملة فهذه مسألة السماع تكلم فيها كثير من المتأخرين في السماع

هل هو محذور أو مكروه أو مباح وليس المقصود بذلك رفع الحرج

بل مقصودهم بذلك أن يتخذ طريقا الى الله يجتمع عليه أهل الربابات

لصلاح القلوب والتشويق الى المحبوب والتخويف من الهروب

والتحزين على فوات المطلوب يستنزل به الرحمة ويستجلب به النعمة

ويحرك به مواجيد أهل الايمان ويستجلب به مشاهد أهل العرفان

حتى يقول بعضهم انه أفضل لبعض الناس أو للاغصاة من سماع القرآن

من عدة وجوه وحتى يجمع لونه قوتا للقلوب وغذاء للارواح وحاديا

للنفوس يحدوها على المسير الى الله عز وجل ويحثها على الاقبال عليه

ولهذا يوجد من اعتاده واغتذي به لا يحب القرآن ولا يفرح به ولا

يحمدي في سماع الآيات كما يحمدي في سماع الايات بل اذا سمعوا

القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية واذا سمعوا سماع أهل

المكاء والتصديفة خشعت الاصوات وسكنت الحركات وأصغفت القلوب

وتعاطت المنروب فمن تكلم في هذا هل هو مكروه أو مباح وشبهه

بما كان النساء يغنين به في الاعياد والافراح لم يكن قد اهتمدى الى

الفرق بين طريق أهل الحسارة والفلاح ومن لم يتكلم في هذا هل

هو من الدين ومن سماع المتقين ومن أحوال المقربين والمقتصددين

ومن أعمال أهل البقين ومن طريق المحبين المحبوبين ومن أفعال

السالكين الى رب العالمين كان كلامه فيه من وراء وراء بمنزلة من سئل عن علم الكلام المختلف فيه هل هو محمود أو مذموم فاخذ يتكلم في جنس الكلام وانقسامه الى الاسم والفعل والحرف أو يتكلم في مدح الصمت أو في أن الله أباح الكلام والنطق وأمثال ذلك مما لا يمس المحل المشتهى المتنازع فيه واذا عرف هذا

فاعلم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة لابلحجاز ولا بالشام ولا باليمن ولا بمصر والمغرب والعراق وخراسان من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصديفة لا بدف ولا بكف ولا بقضيب وإنما حدث هذا بعد ذلك في أواخر المائة الثانية فلما رآه الأئمة أنكروه فقال الشافعي خلفت بي بغداد شيئاً أحذثته الزنادقة يسمونه التغير يصعدون به الناس عن القرآن وقال يزيد بن هرون ما يغبر إلا فاسق ومتى كان التغير وسئل عنه أحمد فقال أكرهه هو محدث قيل أتجلس معهم قال لا وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه فلم يحضروه مثل إبراهيم بن أدهم ولا الفضيل بن عياض ولا معروف الكرخي ولا أبو سليمان الداراني ولا أحمد بن أبي الحواري ولا السري السقطي وأمثالهم والذين حضروه من الشيوخ من المحمودين تركوه في آخر أمرهم وأعيان المشايخ عابوا أهلهم كما ذكر ذلك الشيخ عبد القادر والشيخ أبو البيان وغيرهما من الشيوخ وما ذكره الامام الشافعي رضي الله عنه أنه من أحداث الزنادقة من كلام امام خبير باصول الاسلام فان هذا السماع لم يرغب فيه ويدعو

اليه في الاصل الا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندى والفارابي وابن
سينا وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسألة السماع عن
ابن الراوندى أنه قال اختلف الفقهاء في السماع فأباحه قوم وكرهه
قوم وأنا أوجبه أو قال أمر به فخالف اجماع العلماء في الامر به وأبو
انصر الفارابي كان بارعا في الغناء الذي يسمونه الموسيقى وله فيه طريقة
معروفة عند أهل صناعة الغناء وحكايته مع ابن حمدان مشهورة لما
ضرب فابكاهم ثم أضحكهم ثم نومهم ثم خرجوا ابن سينا ذكر في
اشاراته في مقامات المارفين من الترغيب فيه وفي عشق الصور ما يناسب
طريقة أسلافه الصابئين المشركين الذين كانوا يعبدون الكواكب
والاصنام كارسطو وشيعته من اليونان ومن اتبعه كبرقلس ونا مسطيوس
والاسكندر الافروديسي وكان ارسطو وزير الاسكندر بن فيلنوس
المقدوني الذي تؤرخ له اليهود والنصارى وكان قبل المسيح نحو ثلاثمائة
سنة وأما ذو القرنين المذكور في القرآن الذي بنى السد فكان قبل
هؤلاء بزمن طويل وأما الاسكندر الذي وزر له ارسطو فانه انما بلغ
بلاد خراسان ونحوها في دولة الفرس لم يصل الى السد وهذه الامور
مبسوطة في غير هذا الموضع وابن سينا أحدث فلسفة ركبها من كلام
سلفه اليوناني ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ونحوهم
وسلك طريق الملاحدة الاسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية
والعملية ومزجه بشئ من كلام الصوفية وحقيقته تعود الى كلام
اخوانه الاسماعيلية الفرامطة الباطنية فان أهل بيته كانوا من اتباع

الحاكم الذي كان بمصر وكانوا في زمانه ودينهم دين أصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم من أئمة منافق الامم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى وكان الفارابي قد حذق في حروف اليوناني التي هي لغات ارسطو واتباعه من الفلاسفة المشائين وفي أصولهم صناعة الفناء ففي هذه الطوائف من يرغب لله ويحمله مما تزكوه به النفوس وترتاض به وتهذب به الاخلاق

وأما الحنفاء أهل ملة ابراهيم الخليل الذي جعله الله للناس اماما وأهل دين الاسلام لا يقبل الله من أحد دينا غيره المتبعون لتريعة خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم تسليما فهو لاء ليس منهم من يرغب في ذلك ولا يدعو اليه وهو لاء هم أهل انقرآن والايمان والهدى والرشاد والسمو والقلاح وأهل المعرفة والعلم واليقين والاخلاص لله والحب له والتوكل عليه والخشية منه والانابة اليه

ولكن قد حضره أقوام من أهل الارادة وعن له نصيب في المحبة لما فيه من التحريك لهم ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغيبته كما دخل قوم من الفقهاء أهل الايمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في أنواع من كلام الفلاسفة المخالف لدين الاسلام ظنا منهم أنه حق موافق ولم يعلموا غائلته ولا عرفوا مغيبته فان القيام بمحاثق الدين علما وقولا وعملا وذوقا وخبرة لا يستقل به أكثر الناس ولكن الدليل الجامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة فان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله

شهيدا وقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وقال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيماً) ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعا فيها وأذواقها ومواجيدها عرف أن سماع الماء والتصدية لا يجلب للقلب منفعة ولا مصلحة الا وفي ضمن ذلك من الضلال والمفسدة ما هو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد يفعل في النفوس أعظم ما تفعله حيا الكؤوس ولهذا يورث أصحابه سكر أعظم من سكر الخمر فيجسدون لذة كما يجسد شارب الخمر بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدهم ذلك عن ذكر الله أعنى الصلاة أعظم مما يصددهم الخمر ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس بيد بل بما يقتربهم من الشياطين فانه يحصل لهم أحوال شيطانية بحيث تنزل عليهم الشياطين في تلك الحال ويتكلمون على ألسنتهم كما يتكلم الجنى على لسان المصروع اما بكلام من جنس كلام الاعاجم الذين لا يفقهه كلامهم كسان الترك أو الفرس أو غيرهم ويكون الانسان الذي لبسه الشيطان عربياً لا يحسن أن يتكلم بذلك بل يكون الكلام من جنس كلام من تكون تلك الشياطين من اخوانهم واما بكلام لا يعقل

ولأ يفهم له معنى وهو - هذا يعرفه أهل المكاشفة شهودا وعبانا وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط فان الشياطين تلبس أحدهم بحيث يسقط احساس بدنه حتى ان المصروع يضرب ضرباً عظيماً وهو لا يحس ولا يؤثر في بدنه فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين فتدخل بهم النار وقد تطير بهم في الهواء وانما يلبس أحدهم الشيطان مع تغييب عقله كالمصروع وبالغرب ضرب من الزط يقال لاحدهم المصل يلبسه الشياطين ويدخلها ويطير في الهواء ويفعل أشياء أبغح مما يفعله هؤلاء وهم من الزط الذين لاخلاق لهم والجن تخطب كثيراً من الانس وتغيبه عن ابصار الناس وتطير به في الهواء وقد باشرنا من هذه الامور ما يطول وصفه وكذلك هؤلاء المتوكلون المنتسبون الي بعض الشيوخ اذا حصل لهم وجد سماعي عند سماع المكاء والتصديقه منهم من يصعد في الهواء ومنهم من يدخل النار ويأخذ الحديد المحمي بالنار يضعه على بدنه وأنواع من هذا الجنس ولا تحصل لهم هذه الافعال عند الصلاة ولا عند الذكر ولا عند قراءة القرآن لان هذه عبادات شرعية ايمانية اسلامية نبوية محمدية تطرد الشياطين وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستجلب الشياطين

وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً يقرب الى الجنة الا وقد حدث به ولا شيئاً يبعد عن النار الا وقد حدث به وان هذا السماع لو كان مصالحة لشرعه الله ورسوله فان الله

يقول (اليوم أكملت لكم دينكم) الآية واذا وجد السامع به منفعة لقلبه ولم يجد شاهد ذلك من كتاب الله ولا من سنة رسوله لم ياتفت اليه كما ن الفقيه اذا رأى قياساً لا يشهد له الكتاب والسنة لم ياتفت اليه

وفصل النزاع في حكم مسألة السماع ثلاث تواعد من أهم قواعد الايمان والسلوك فمن لم يبين عليها فبناؤه على شفا جرف هار ~~ب~~ القاعدة الاولى ~~ب~~ ان الذوق والحال والوجد هل هو حاكم أو محكوم عليه بحاكم آخر أو متحاكم اليه فهذا منشأ ضلال من ضل من المفسدين لطريق القوم الصحيحة حيث جعلوه حاكماً يتحاكمون اليه فيما هو صحيح فاسد فجعلوه حكماً بين الحق والباطل فبندوا الكتاب والسنة ولم يحكموا العلم والنصوص وحكموا الاذواق والحال والمواجيد فعظم الفساد وطغت معالم الايمان والسلوك المستقيم والعجب أنهم دخلوا في الرياضات والمجاهدات والزهد ليتجردوا عن شهوات النفوس وحظوظها فانتقلوا من شهوات الى شهوات أكبر منها ومن حظوظ الى حظوظ أعظم منها وكان حالهم في الشهوات التي انتقلوا عنها أكمل وخير من هؤلاء لانهم لم يمارضوا بها العلم ولا قدموها على النصوص ولا جعلوا ما يقربه ودينياً واقفون مع حظوظهم من الله فانون بهاعن مرد الله وامما زهدوا في حظ الى حظ أعلا منه وتركوا شهوة بشهوة فليتدبر اللبيب هذا في نفسه وفي غيره فكل ماخالف مرا- الله الديني من العبد فهو حظه وشهوته ذوقاً كان أو حالاً أو وجداً، لا أوصورة ونحو ذلك فمن قدمه على مراد فهو أسوأ حالاً ممن يترف انه يهوى ويحببه وان

مراد الله أولى بالتقديم منه وانه ذنب تجب التوبة منه
 ﴿القاعدة الثانية﴾ انه اذا وقع النزاع في حكم فعل من الافعال أو حال
 أو ذوق هل هو صحيح أو فاسد أو حق أو باطل وجب الرجوع فيه الى
 الحجة المقبولة عند الله من كتاب الله وسنة رسوله فهذا هو الاساس
 ومن لم يبن على هذا الاصل فعلمه وسلوكه ليس على شيء
 ﴿القاعدة الثالثة﴾ اذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل
 هو الاباحية أو التحريم فلينظر الى مفسدته وتمرته وغايته فان كان
 مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على الشارع الامر به
 أو اباحته بل يقطع ان الشرع يحرمه لاسيما اذا كان طريقه مفضيا الى
 اما يفضيه الله ورسوله فكيف يظن بالحكيم الخبير أن يحرم مثل رأس
 الالبزة من المسكر لانه يشوق النفس الى المسكر الذي يشوقها الى
 المحرمات ثم يبيع ما هو أعظم منها شوقا للنفس الى المحرم بكثير فان
 الغناء كما قال ابن مسعود هورقية الزنا وقد شاهد الناس أنه ما عاناها صبي
 الا وفسد ولا امرأة الا وبغت ولا شاب ولا شيخ الا وقع في محذور
 وقال شيخ الاسلام بن تيمية فصل الخطاب في هذا الباب ينبغي أن
 ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك
 والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجييج فانهم ينشدون أشعار
 يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام وغير ذلك فسماع تلك الأشعار مباح
 وفي معنى هؤلاء الغزاة فانهم ينشدون أشعارا يحرصون بها على الغزو
 وفي هذا المعنى انشاد المتبارزين للقتال وقد قال الرسول صلى الله عليه

وسلم لحاديه رويده سوكا بالقوارير وقال عبد الله بن رواحة بمدح النبي
صلى الله عليه وسلم

وفينا رسول الله ينلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
يبيت بجاني جنبه عن فراشه * اذا استمقلت بالمشركين المضاجع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنت أن مقال واقسح
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج على أهل الصفة
وفيهم واحد يقرأ والباقي يستمعون فجلس معهم

وقال الشيخ في موضع ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات
الله هل هو حرام أو مكروه أو مباح وذكر أصحاب أحمد لهم في ذلك
ثلاثة أقوال وذكرنا عن الشافعي قولين ولم يذكروا عن أبي حنيفة
وماك في ذلك نزاعا وذكر زكريا بن يحيى الساجي وهو أحد الأئمة
المتقدمين من المائلين إلى مذهب الشافعي أنه لم يخالف من الفقهاء
المتقدمين إلا إبراهيم بن سعد من أهل المدينة وعبيد الله بن الحسن
الغضري من أهل البصرة وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو
القاسم القشيري وغيرهما عن مالك وأهل المدينة في ذلك فغلط وإنما
وقعت به لأن بعض أهل المدينة كان يحضر السماع إلا أن هذا ليس
قول أئمتهم وفقهائهم

وقال شيخ الإسلام أيضا وجماع الأمر في ذلك أنه إذا كان الكلام
في السماع وغيره هل هو طاعة وقربة فلا بد من دليل شرعي يدل على
ذلك وإذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم فلا بد من دليل شرعي

يدل على ذلك اذ لا حرام الا ما جرّمه الله ولا دين الا ما شرعه الله والله تعالى سبحانه ذم المشركين على انهم ابدعوا في الدين ما لم يأذن به الله وانهم حرموا ما لم يحرمه الله قال الله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها الآية

قال أبو سليمان الداراني انه لتمرّ بي النكته من نكت القوم فلا أقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال أيضا ليس لمن ألهم شيئا من الخبر أن يفعله حتى يسـمع فيه بأثر فاذا سمع بأثر كان نورا على نور وقال الجنيّد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن وبكاتب الحديث لا يصاح له أن يتكلم في علمنا وقال سهل بن عبد الله التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على اقتداء فهو عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس وقال أبو عثمان النيسابوري من أمر السنة على نفسه قولا وفعلنا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلنا نطق بالبدعة وقال أبو الفرج بن الجوزي اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين أحدهما أن يلهي القلب عن التذكير في عظمة الله تعالى والقيام بخدمته والثاني أن يميله الى اللذات العاجلة ويدعو الى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته الا في المتجددات ولا سبيل الى كثرة المتجددات من الحل فلذلك بحث على الزنا فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح وازنا أكبر لذات النفس

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه في السماع وأما أبو حنيفة ومالك والثوري ونحوهم فهم أعظم كراهة وانكار لذلك من الشافعي وأحمد

وقال في موضع آخر ولم يحضره مثل ابراهيم بن أدهم ولا الفضيل ابن عياض ولا معروف الكرخي ولا السري السقطي ولا أبو سليمان الداراني ولا مثل الشيخ عبد القادر والشيخ عدي والشيخ أبي اليان والشيخ حباة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء مثل الشيخ عبد القادر وغيره النهى عنه وكذلك أعيان المشايخ وقد حضره من المشايخ جماعة وشرطوا المكان والامكان والحال والشيخ الذي يحرس من الشيطان وأكثر الذين حضروه من المشايخ الموثوق بهم رحبوا عنه في آخر عمرهم كالجنيد فإنه كان يحضره وهو شاب وتركه في آخر عمره وكان يقول من تكلف السماع فتن به ومن صادف السماع استراح به فقد ذم من يجتمع له ورخص فيمن يصادفه من غير قصد ولا اعتماد للاجلوس له وسبب ذلك انه يحمل ليس فيه تفصيل فان الايات المتضمنة لذكر الحب والوصل والهجر والقطيعة والشوق والصبر على العزل واللوم ونحو ذلك هو قول يحمل يشترك فيه محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصابان ومحب الاخوان ومحب الاوطان ومحب الذوان ومحب الصبيان فقد يكون فيه منفعة اذ هيح القاطن اثار الساكن وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله لكن تكون فيه مضرة راجحة على نفعه كما في الخمر والميسر فان فيهما اثما كبيرا ومنافع للناس واثمهما

أكبر من نفعهما فلهذا لم يأت به الشريعة فان الشريعة لم تأت الا بالمصلحة الخالصة أو الراجحة وأما ما تكون مفسدته غالبه على مصلحته فهو بمنزلة من يأخذ درهما بدينار أو يسرق خمسة دراهم يتصدق منها بدرهمين وذلك انه يبيع الوجد المشترك فيشير من النفس كوا من تضره آثارها ويغذى النفس وبقيتها به فتعاض به عن سماع القرآن حتي لا يبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا ياتذ به ولا يستعليه بل قد يبتغي في النفس بنقض لذلك واستئصاله به كمن يستنقل نفسه بتعلم التوراة والانجيل وعلوم أهل الكتابين والصائين واستفادة العلم والحكمة منها فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله الي أشياء أخر يطول ذكرها

فلما كان هذا السماع لا يعطى بنفسه ما يحبه الله ورسوله من الاحوال والمعارف بل قد يصد عن ذلك ويعطي ما لا يحبه الله ورسوله بل ما يبغضه الله ورسوله لم يأمر الله به ولا رسوله ولا سلف الامة ولا أعيان مشايخها

والصوت يؤثر في النفس بحسب الاوقات تارة فرحا وتارة حزنا وتارة غضبا وتارة رضا واذا قوى السكر بصوت اللذة المطربة من غير تمييز كما يحصل للنفس اذا سكرت بالصور والجسد اذا سكر بالطعام والشراب فان السكر هو الطرب الذي يورث لذة بلا عقل فلا تقوم

منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل الذي صد عن

ذكر الله وعن الصلاة وأورث العداوة والبغضاء

وأما الرقص فلم يأمر الله عز وجل به ولا رسوله ولا أحد من

الائمة بل قال الله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا) والرقص شيء من هذا وقال تعالى (واقصد في مشيك) وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أي بسكينة ووقار

وانما عبادة المسلمين الركوع والسجود بل الزفن والرقص في الطريق لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الامة بل أمروا في الصلاة بالسكينة والوقار ونو ورد على الانسان حال يغلب فيها حتى يخرج الى حالة خارجة عن المشروع وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن الكريم ونحوه اسلم الله ذلك كما تقدم فاما الذي اذا تكلف من الاسباب ما لم يؤمر به مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له فهو بمنزلة من شرب الخمر مع علمه انها تسكره واذا قال ورد على حال وأنا سكران قيل له اذا كان السبب محظورا لم يكن صاحبه معذورا فهذه الاحوال الفاسدة من كان فيها صادقا فهو مبتدع ضال من جنس خفر التمر وأعوان الظلمة من ذوى الاحوال الفاسدة الذين ضاهوا عبادة النصاري والمشركين ببعض ما لهم من الاحوال ومن كان كاذباً فهو منافق ضال

(فصل) وقد استدل قوم على اباحة السماع بامور الخصمها لك منها انه مستلذ طيب تلتذ به النفوس وتستريح اليه وان الطفل يسكن الى الصوت الطيب بل بعض الصغار لا ينام حتى تحذوله القائمة بامرهم والابل تقاسى تعب السير ومشقة الحمولة فهون عليها بالحداء ومنها أن الصوت الطيب نعمة من الله على صاحبه وزيادة في خاقه

وقد يستدلون عليه بقوله (يزيد في الخاق ما يشاء) وبأن الله تعالى ذم الصوت
الفضيخ (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) فقال
ومنها ان الله وصف أهل الجنة أنهم في روضة يجرون وان ذلك
هو السماع الطيب فكيف يكون حراما وهو في الجنة
ومنها ما ثبت ان الله تعالى ما أذن اشيء كاذبه أى كاستماعه لنبى
حسن الصوت يتغنى بالقرآن

ومنها ان أباموسى الاشعري استمع النبي صلى الله عليه وسلم لصوته
وأثنى على حسن الصوت وقال لقد أوتى هذا زممارا من زممير آل
داود وقال له أبو موسى لو أعلم انك استمعت لحبرته لك تحبيرا أى
زينة وحسنه

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لم زينوا القرآن باصواتكم وقوله
ليس منا من لم يتغن بالقرآن والصحيح انه من التغنى وهو تحسين
الصوت به كذا ذكره العلامة ابن القيم وصححه ويعضده ما فسر به الامام
أحمد فقال يحسن صوته ما استطاع

ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر عائشة على غناء القينتين يوم
العيد وقال لاني بكر دعهما فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل
الالام

ومنها انه صلى الله عليه وسلم أذن في العرس بالغناء وسماه هوا
ومنها انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحداء وأذن فيه
ومنها انه كان يسامع ابتداء الصحابة وكانوا يرتجزون بين يديه

في حفر الخندق

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

ودخل مكة والمرنجز يرتجز بين يديه بشعر عبد الله بن رواحة وحدا

به الحادي في منصرفه من خيبر فجعل يقول

والله لولا الله ما هتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

فأزلن سكينه علينا * وثبت الأقدام ان لا قينا

ان الالي قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أيينا

قدما لقائلة

ومنها انه سمع قصيدة كعب بن زهير وأجازه

ومنها انه استنشد الأسود بن سريع قصائد حمد بها ربه واستنشد

من شعر أمية بن أبي الصلت مائة قافية وأنشد الاعشى شيئا من شعره

فسمعه

ومنها انه صدق لييدا في قوله

ألا كل شيء - اخلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

ودعا لحسان أن يؤيده الله بروح القدس مادام يتافع عنه وكان يعجبه

شعره وقال له اهجهم وروح القدس مملك وأنشدت عائشة رضی الله

عنها قول أبي كثير الهذلي

وإذا نظرت الى أسمة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

وقالت أنت أحق بهذا البيت فسر بقولها

ومنها انهم ادعوا انه رخص فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن

جعفر وأهل المدينة وبار كذا وكذا ولي لله حضوره وسمعوه فمن حرمه
فقد قدح في هؤلاء السادة القدوة الاعلام

ومها ان اجماع العلماء منمقد على اباحة أصوات الطيور المطربة
الشجية فلذة سماع صوت الآدمي أولى بالاباحة أو مساوية وبان السماع
يحمد وروح السماع وقلبه الي نحو محبوبه فان كان محبوبه حراما كان
السماع مميئلا له على الحرام وهو حرام في حقه وان كان مباحا كان
السماع في حقه مباحا وان كانت محبته رحمانية كان السماع في حقه قرينة
وظعة لانه يحرك المحبة الرحمانية ويميجها وبان التذاذ الاذن بالصوت
الطيب كالتذاذ العين بالمنظر الحسن والشم بالروائح الطيبة والذوق بالطعم
الطيب فاذا كان هذا حراما كانت هذه الذات والادراكات محرمة
والجواب عن ذلك وبالله التوفيق فيما تقدم من كلام شيخ الاسلام
ابن تيمية والامامة ابن القيم وغيرهما كفاية وما ذكر حيد عن المقصود
وروغان عن محل النزاع فان جهة كون الشيء مسئلا للحاسة ملائما لها
لا يدب على اباحته ولا تحريمه ولا كراهته ولا استحبابه فان هذه اللذة
تكون في أحكام التكليف الخمسة فكيف يستدل بها على الاباحة من
يعرف شروط الدليل ومواقع الاستدلال وهل هذا الا بمنزلة من
يستدل على اباحة الزنا بما يجذب به فاعله من اللذة ولذته لا ينكرها
ذو طبع سليم وهل يستدل بوجود اللذة الملائمة على حل اللذيذ الملائم
أحد وهل خلت غالب المحرمات من اللذات وهل أصوات المعازف
التي صح عن انبي صلى الله عليه وسلم تحريمها وان في أمته من يستحلها

باضح الاسانيد وأجمع أهل العلم على تحريم بعضها وقال بعضهم بتحريم
 جميعها وقد حكى ابن الصلاح الاجماع على تحريم الغناء مع الدف والشبابة
 يعنى اذا كان معه آلة لهو وهل التذاذ الابل والطفل بالصوت الطيب
 دليل نرعى من اباحة أو تحريم وأعجب من هذا الاستدلال على الاباحة
 بان الله تعالى خالق الصوت الطيب وهو زيادة نعمة منه لصاحبه فيقال
 والصورة الحسنة الجميلة أليست زيادة في النعمة والله تعالى خالقها ومعطى
 حسناتها أفيدل ذلك على اباحة التمتع بها والالتذاذ بها على الاطلاق
 وهل هذا الامذهب أهل الاباحة الجارين على رسوم الطبيعة وهل في
 ذم الله لصوت الحمار ما يدل على اباحة الاصوات المطربات بالنعيمات
 الموزونات والالمان اللذيذات من الصور المستحسنات بأنواع التصانيد
 المستحسنات بالدقوف والشبابات هذا من المضحكات المدهجيات وأعجب من
 هذا الاستدلال على الاباحة بسماع أهل الجنة أنهم في روضة يجبرون
 فيما يخاف صاحب هذا الاستدلال فان هذا كمن يستدل على اباحة
 الخمر بان في الجنة خمر او على اباحة لبس الحرير بان لباس أهل الجنة
 الحرير وعلى حمل أواني الذهب والفضة والتحلل بها للرجال فان هذا
 كله مباح لاهل الجنة

فان قبل قام الدليل على تحريم هذا ولم يقم على تحريم السماع
 قيل هذا الآن استدلال آخر على الاستدلال على اباحته لاهل الجنة
 نعم لم ان استدلالك باباحته لاهل الجنة استدلال باطل وقولك لم يقم
 دليل على تحريم السماع فيقال أى السماعات تبنى وأى المسموعات

تريد فان منهما المحرم والمكروه والمباح ولواجب والمستحب فممن نوعا
يقع الكلام فيه نفيا واثباتا

فان قلت سماع القصائد ممدوح الله به ورسوله وكتابه وهجي به
أعداؤه فهذا لم يزل المسلمون يروونها ويسمعونها ويدرسونها وهي
التي سمعها الرسول وأصحابه وأتاب عليها وحرص حسان عليها وهي
التي غرت أصحاب السماع الشيطاني فقاتلوا تلك قصائد ويكفي هذا
والسنة كلام والبدعة كلام والتسييح كلام والغيبة كلام وليكن هل
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سماعكم هذا المشتمل
على قريب من مائة مفردة ونظير هذا ما استدلوا به علي ان الرسول
استحسن الصوت الحسن وأذن فيه كما تقدم من حديث أبي موسى
الاشعري وغيره فنقلوا هذا الاستحسان الى صوت النسوان والمدان
وغيرهم بالغناء المقرون بالدفوف بالصفير والشبابات والاونار وغير
ذلك من المعازف وذكر القدود والتغور والنهود والحضور ووصف
خواتم العيون وسوادها وسواد الشعور ومحاسن الشباب وحمرة الحدود
وذكر الوصل والصد والتجني والهجران والعتاب والاستعفاف
والاشتياق واللقاء والفراق وما أشبه ذلك مما هو أفسد للقلب من
سكر الخمر وأى نسبة لسكر يوم ونحوه الى سكرة المشق اتي لا يستفيق
صاحبها الا في عسكر الهاكبين أسيرا قتيلا حزينا وهل يقاس سكرة
الشراب الى سكرة الارواح بالسماع فان نازع منازع في سكر السماع
وتأثيره في العقول والارواح خرجوا عن الذوق والحس فظهرت

مكابرة القوم فكيف يحمي الطبيب والمريض عما يشوش عليه صحته
ويبيح له ما فيه أعظم الستم والكلام مع من وجد لامن فقد وأعجب
من هذا من استدل على اباحة السماع المركب من الهيئة الاجتماعية
اجتماع البنين الصغرتين وهما دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد
وفرح بايات للعرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الاخلاق
والشيم فأين هذا من هذا والعجب ان هذا من أكبر الحجج عليهم فان
الصديق سمى ذلك مزموور الشيطان وأقره على هذه التسمية مرخصا
فيه لجورين غير مكلفتين ولا مفسدة في انشاده ولا في استماعه أفيدل
هذا على اباحة ما يفهمونه من السماع اليوم وأعجب من هذا كله
الاستدلال على اباحته بما سمعه الرسول من الحد المشتمل على الحق
والتوحيد وهل حرم أحد مطاق الشعر وقوله واستماعه وأعجب
استدلالهم باباحته على اباحة أصوات الطيور اللذيذة وهل هذا الا من
جنس قياس الذين قالوا انما البيع مثل الربا وأين أصوات الطيور الي
نفقات النسوان والمردان والاونار والعيدان والغناء منهم بما يحدو
الارواح والقلوب الى مواصلة كل محبوبة ومحبوب وأين الفتنة بمن
هو من جنسك الى الفتنة بصوت القمرى والبايل والهزار والشحرور
ونحوها وأعجب من هذا من قال انه من أنكروه فقد أنكروا على كذا
كذا ولي الله فحجة عامية نعم ينكر أولياء الله على أولياء الله فقد أنكروا
عليهم من أولياء الله من هو أكثر منهم عددا وأعظم عند الله وعند
المؤمنين وقد تقاتل أولياء الله في صفين بالسيوف ولما سار بعضهم الى

بعض كان يقال سار أهل الجنة الى الجنة وكون ولي الله يرتكب
المكروه أو المحذور متأولاً أو عاصياً لا يمنع ذلك الانكار عليه ولا
يخرجه عن أصل ولايته لله وهبات هبات أن يكون أحد من أولياء
الله المتقدمين حضر هذا السماع المحدث المشتمل على هذه الهيئة التي
تفتن القلوب أعظم فتنه

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من كلامه قال اسحق
ابن موسى الطباع سألت مالكا عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء
فقال انما يفعله عندنا المساق وهذا النص عن مالك معروف في كتب
أصحاب مالك مشهور وهم أعرف بمذهبه واضبط ممن ينقل عنه الغلط
وعن أهل المدينة من طائفة بالمشرق لاعلم بمذاهب الفقهاء ومن
ذكر عن مالك انه ضرب بعود فقد افترى عليه وانما نهت على هذا
لان فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن طاهر المقدسي في ذلك
حكايات وآثارا يظن من لاخبرته له بالعلم وأحوال السلف انها صدق
وكان الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي فيه من الخير ولزهد والدين
والتصوف ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التي توافق
مقصوده كل ما يجده ولهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة
والكلام ما ينتفع به في الدين ويوجد فيها من الآثار السقيمة والكلام
المردود ما يضر من لاخبرته له وبعض الناس توقف في روايته حتى ان
البيهقي كان اذا روى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه
وأكثر الحكايات التي يرويها أبو القاسم القشيري صاحب الرسالة عنه

فانه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية ومحمد بن طاهر له فضيلة جيدة في معرفة الحديث ورجاله وهو من حفاظ وقته لكن كثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وغيرهم اذا صنفوا في باب ذكروا ما روي من غث وسمين ولم يميزوا ذلك اه كلامه

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر ذكر من صنف في السماع ومن روى فيه من الاحاديث الموضوعة والمكذوبة ثم قال وكثير من المتأخرين أهل الحديث وأهل الزهد وأهل الفقه والتصوف وغيرهم اذا صنفوا في باب ذكروا ما روى فيه من غث وسمين ولم يميزوا ذلك كما يوجد في كثير ممن يصنف في الابواب مثل المصنفين في فضائل الشهر والاقوات وفضائل الاعمال والعبادات وفضائل الاشخاص وغير ذلك من الابواب مثل ما صنف بعضهم في فضائل صيام رجب وغيره وفي فضائل صلوات الايام والليالي صلاة يوم الاحد وصلاة يوم الاثنين والثلاثاء وصلاة اول جمعة في رجب والتي اول رجب ونصف شعبان واحياء ليلة العيدن وصلاة يوم عاشوراء وكل هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وأجود حديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيام رجب ما رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن صيام رجب وقد ثبت بالاسناد الصحيح عن عمر بن الخطاب انه كان يضرب أيدي الناس في رجب حتى يظفروا ويقول لا تشبهوه بمرضان وكذا كره افراده بالصوم غير واحد من السلف والائمة وأجود ما روى من هذه الصلوات حديث

صلاة التسبيح وقد رواه أبو داود والترمذي وغيرهما زعم هذا فلم يقل
 به أحد من الأئمة الأربعة بل الإمام أحمد ضعف الحديث وقال لا يصح
 ولم يستحب هذه الصلاة وأما ابن المبارك والمنقول عنه فشيء مثل
 الصلاة المرفوعة فإن تلك فيها قعدة طويلة بعد السجدة الثانية وهذا
 يخالف الأصول فلا يجوز أن يثبت بمثل هذا الحديث ومن تدبر
 الأصول علم أنه موضوع وأما سائر هذه الأحاديث فإنها كلها أحاديث
 موضوعة مكذوبة بانفاق أهل المعرفة مع أنها توجد في مثل كتاب
 أبي طالب وكتاب أبي حامد وكتاب الشيخ عبد القادر وتوجد في
 مثل أمالي أبي القاسم بن عساكر وفيما صنفه أبو حفص بن شاهين
 وعبد العزيز الككناني وأبو علي بن البناء وأبو الفضل بن ناصر وغيرهم
 وكذلك أبو الفرج بن الجوزي ذكر مثل هذا في كتاب فضائل الشهور
 ويذكر في الموضوعات أنه كذب موضوع

والذين جمعوا الأحاديث في الزهد والرقائق يذكرون ما روى في
 هذا الباب ومن أجل ما صنّف في هذا الباب كتاب الزهد لعبد الله بن
 المبارك وفيه أحاديث وأهية وكذلك كتاب الزهد لهاد بن السري
 ولو كيع وكذلك الزهد لاسد بن موسى وغيرهم وأجود ما صنّف
 في ذلك كتاب الزهد للإمام أحمد لكنه مرتب على الأسماء وزهد
 ابن المبارك على الأبواب وهذه الكتب يذكر فيها زهد الأنبياء
 والصحابة والتابعين ثم إن المتأخرين على صنفين منهم من ذكر زهد
 المتقدمين والمتأخرين كأبي نعيم في الحلية وأبي الفرج في صفوة الصفوة

ومنهم من اقتصر على ذكر المناخرين من حين حدث اسم الصوفية كما
فعل أبو عبد الرحمن السامى فى طبقات الصوفية وصاحبه أبو القاسم
القشيرى فى رسالته ثم الحكايات التى يذكرها هؤلاء ونحوهم كابن
خديس الموصلى وأمثاله يذكرون حكايات مرسله بعضها صحيح وبعضها
باطل قطما والله أعلم

وقال الشيخ رحمه الله والمقصود هنا ان المذكور عن سلف الامة
وأئمتها من المنقولات يتبنى الانسان أن يميز بين صحيحه وسقيمه كما
ينبنى مثل ذلك فى المقولات والظريات وكذلك فى الاذواق والمواجيد
والمكاشفات والمخاطبات فان كل صنف من هذه الاصناف الثلاثة فيها
حق وباطل فلا بد من التمييز بين هذا وهذا وجماع ذلك أن ماوافق
كتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه وما كان عايه أصحابه فهو حق وما
خالف ذلك فهو باطل فان الله تعالى يقول (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) الآية

(فصل) وأما من زعم ان الملائكة أو الانبياء تحضر سماع المصلى
والتصديفة محبة له ورغبة فيه فهو كاذب مفتر بل نما تحضره الشياطين
وهي التى تنزل عليهم وتنسخ فيهم كما روى الطبرانى وغيره عن ابن
عباس مرفوعا ان الشيطان قال يارب اجعل لى بيتا قال بينك الحمام
قال اجعل لى قرآنا قال قرآك الشعر قال اجعل لى مؤذنا قال مؤذنتك
المزمار وقد قال الله تعالى مخاطبا للشيطان (واستفزز من استطعت منهم
بصوتك وأجاب عليهم بخيلك ورجلك) وقد فسر ذلك بصوت الغناء

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنما نهبت عن صوتين أحمرين فاجرين صوت لهُو ولعب ومزامير الشيطان وصوت لطم خدود وشق جيوب ودعاء بدعوى الجاهلية وتدكوشن جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجامع السماعات الجاهلية ذات المكاء والتصديّة وكيف يدور الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني حتى ان بعضهم صار يرقص فوق رؤس الحاضرين ورأى بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد حمله حتى رقص به فلما صرخ شيطانه هرب وسقط ذلك الرجل وهذه الامور لها أسرار وحقائق لا يشهدا الا أهل البصائر الايمانية والمشاهد الايقانية ولكن من اتبع ماجاءت به الشريعة وأعرض عن السبل المبتدعة فقد حصل له الهدى وخبر الدنيا والآخرة وان لم يعرف حقائق الامور بمنزلة من سلك السبيل الى مكة خلف الدليل الهادى فانه يصل الى مقصوده ويجد الزاد والماء في موطنه وان لم يعرف كيف حصل ذلك وسببه ومن سلك خلف غير الدليل الهادى كان ضالا عن الطريق فاما أن يهلك واما أن يشقى مدة ثم يعود الى الطريق والدليل الهادى هو الرسول الذي بعثه الله الى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهاديا الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وآثار الشيطان تظهر على أهل السماع الجاهلي مثل الازباد والارضاء والصراخات المنكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم الشيطان وكذلك يجردون في

نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب الصوت اما وجد في الهوي المذموم واما غضب وعدوان على من هو مظلوم واما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحزون المحروم الى غير ذلك من الآثار الشيطانية التي تعتري أهل الاجتماع على شرب الخمر اذا سكروا بها فان السكر بالاصوات المطربة قد يصير من جنس السكر بالاشربة المطربة فتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة وتمنع قلوبهم حلاوة القرآن وفهم معانيه واتباعه فيصيرون مضارعين للذين يشترون لهو الحديث ايضا عن سبيل الله ووقع بينهم العداوة والبغضاء حتى يقتل بعضهم بعضا بأحواله الفاسدة الشيطانية كما يقتل العائن من اصابه بعينه ولهذا قال من اقال من العلماء ان هؤلاء يجب عليهم القود والدية اذا عرف انهم قتلوا بالاحوال الفاسدة لانهم ظالمون وهم انما يفتيطون بما ينفذونه من مراداتهم المحرمة كما يفتيط الظالمة المسلطون ومن هذا الجنس حال فقراء الكافرين والمبتدعين والظالمين فانهم قد يكون لهم زهد وعبادة ومحة كما يكون للمشركين وأهل الكتاب وكما كان للخوارج المارقين الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم الحديث وقد يكون لهم مع ذلك أحوال باطنة كما يكون لهم مملكة ظاهرة فان سلطان الباطن مضاه لسلطان الظاهر ولا يكون من أولياء الله الا من كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وما فعلوه من الاعانة على الظالم يستحقون العقاب عليه بقدر الذنب وباب القدرة والتمكن

ظاهرا وباطنا ليس مستلزما لولاية الله بل قد يكون ولي الله متمكنا اذا سلطان
وقد يكون مستضعفا الى أن ينصره الله وقد يكون عدو الله مستضعفا
وقد يكون مسلطا الى أن ينتقم الله منه نخفراء السر في الباطن من
جنس التستر في الظاهر هؤلاء في العباد بمنزلة هؤلاء في الاجناد وأما
الغلبة فان الله قد يبدل الكافرين كما كان يكون لاصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع عدوهم لكن العاقبة للمتقين فان الله يقول (انا
لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) واذا
كان في المسلمين ضعف وكان العدو مستظهرا عليهم كان ذلك لسبب
ذنوبهم وخطاياهم اما لتفريطهم في أداء الواجبات باطنا وظاهرا وأما
امداواتهم بتعدي الحدود باطنا وظاهرا قال الله تعالى (ان الذين
تولوا منكم يوم انتقى الجمعان انما استزلمهم الشيطان ببعض ما كسبوا وقال
تعالى (اولما اصابتمكم مصيبة قد اصابتم مثلها قلتم اني هذا قل هو من عند
انفسكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز
الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمر وبال معروف
ونها عن المنكر ولله عاقبة الامور)

وقال الشيخ في موضع آخر وأما اتخاذ التصفية والنقا والضرب
بالدفوف والنفخ في الشبابت والاجتماع على ذلك دينا وطريقا الى الله
وقربة فهذا ليس من دين الاسلام وليس مما شرعه لهم نبيهم محمد صلى
الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا استحسنت ذلك أحد من ائمة
المسلمين بل ولم يكن أحد من أهل الدين يفعل ذلك على عهد رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أصحابه ولا تابعيهم باحسان ولا تابعي
التابعين بل لم يكن أحد من أهل الدين من الاعصار الثلاثة لا بالحجاز
ولا بالشام ولا باليمن ولا العراق ولا خراسان ولا المغرب ولا مصر
يجتمع على مثل هذا السماع وإنما ابتدع في الاسلام بعد القرون
الثلاثة ولهذا قال الشافعي لما رأى ذلك خلفت بيئداد شيئاً أحدثته
الزندقة

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يحب السماع
والرقص فانكر عليه رجل فقال هذه الايات

أنكروا رقصا وقالوا حرام * فعايهم من أجل ذلك سلام
اعبد الله يافقيه وصل * والزم الشرع فالسماع حرام
بل حرام عليك ثم حلال * عند قوم أحوالهم لا اتلام
مثل قوم صفوا وبان لهم من * جانب الطور جذوة وكلام
فاذا قوبل السماع بلهو * فحرام على الجميع حرام
أجاب الحمد لله رب العالمين هذا الشعر يتضمن منكرًا من القول
وزورا بل أوله يتضمن مخالفة الشريعة وآخره يفتح باب الزندقة
والاحاد المخالفة للحقيقة الالهية الدينية النبوية وذلك أن قول القائل
مثل قوم صفوا وبان لهم من جانب الطور جذوة وكلام يتضمن تمثيل
هؤلاء بمرسى بن عمران الذي نودي من جانب الطور ولما رأى النار
قال لاهلها امكثوا انى آنت نار العلى آتيكم منها بقبس أو جذوة من
النار لعلكم تصطلون وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق

الرياضة والتصفية ويظنون انهم بذلك يصلون الى أن يخاطبهم الله كما
خاطب موسى بن عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف

صنف يزعمون انهم يخاطبون أعظم مما خاطب به موسى بن
عمران كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بان
الوجود واحد كصاحب الفصوص وأمثاله فان هؤلاء يدعون انهم
أعلى من الانبياء وأن الخطاب الذي يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل
لأبراهيم وموسى وعيسى ومحمد * ومعلوم أن هذا الكفر أعظم من كفر
اليهود والنصارى الذين يفضلون الانبياء على غيرهم لكن يؤمنون
ببعض الانبياء ويكفرون ببعض

والنوع الثاني من يقول ان الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران
كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومتصوفهم الذين يقولون ان
تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال ويقولون ان النبوة
مكتسبة

والنوع الثالث الذين يقولون ان موسى أفضل لكن صاحب الرياضة
قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى ولكن موسى مقصود بالتكليم
دون هذا كما يوجد هذا في اخبار صاحب مشكاة الانوار وكذلك
سلك مسلكه صاحب خلع النعيلين وأمثالهما وأما قوله في أول الشعر
لمن يخاطبه الزم الشرع يا فقيه وصل يشمر بانك أنت تبع الشرع وأما
نحن فاننا الى الله طريق غير الشرع ومن ادعي أن له الى الله طريقا
يوصله الى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث الله بها

رسوله فانه أيضا كافر يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه كطائفة
استمطوا

وزعموا ان العبد يصل الى الله بلا متابعة الرسل وطائفة يظنون ان
الخواص من الاولياء يستغفون عن متابعة محمد صلى الله عليه وسلم
كما استغنى الخضر عن متابعة موسى وجهل هؤلاء ان موسى لم يكن
مبعوثا الى الخضر ومحمد صلى الله عليه وسلم رسول الى كل أحد ظاهرا
وباطنا مع أن قضية الخضر لم تخالف شريعة موسى بل وافقتها ولكن
الاسباب المبيحة للفعل لم يكن موسى علمها فلما علمها تبين أن الافعال
توافق شريعته لا تخالفها

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد الى
المأذنة ينشد آياتا يذكر فيها الفراق والبين وتفرق الاحباب فانكر
عليه رجل فقال له لاتفعل هذا وعليك بالتسبيح والحمد والقصائد
الربانية فهل أصاب أم لا

أجاب رضى الله عنه الحمد لله نعم ينهى المؤذن أن ينشد الايات
التي هي من جنس النياحة والمرأى وكذلك ما كان من جنس الفزل
فان في ذلك مفسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشرع للمؤذن
ولا بأس بالآيات المتضمنة لذكر الآيات والاختبار والتوبة الاستغفار
والله أعلم

(فصل) نافع ان شاء الله لمن تدبره في قوله تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال العلماء من انفسرين والنحاة معناه الزموا واتبعوا دين الله الذي خلق الناس له ولهذا نصب على المصدر ومعنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة وفطر الناس عليها أى لها وهذه الفطرة أضافها الله اليه اضافة مدح لا اضافة ذم فعلم انها فطرة محمودة لا مذمومة يبين ذلك قوله (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) ولهذا نصب على المصدر الذي دل عليه الفعل الاول عند سيديويه وأصحابه فدل على ان اقامة الوجه للدين حنيفا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها مثل قوله كتاب الله عليكم وسنة الله فهو عندهم منصوب بفعل مضمر لازم اضماره دل عليه الفعل المتقدم كانه قال كتب الله عليكم وسنة الله ذلك لكم وكذلك وفطر الله الناس على ذلك

ثم اختلف العلماء والمفسرون في تفسير الفطرة على أقوال وكذلك الخلاف

رسالة في الكلام على الفطرة ومعرفة الله

عن وجيل جمع الشيخ محمد

ابن محمد بن محمد المنبجي

رحمه الله تعالى

في قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه
يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون
فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة أقرؤان شتم (فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لحاق الله) رواه البخاري ومسلم فالفطرة المراد بها الاسلام
قاله أبو هريرة وابن شهاب* وسئل مجاهد عن الفطرة فقار هي الاسلام
وكذلك قاله قتادة ثم قال مجاهد (لا تبديل لحاق الله) قال لا تبديل لدين
الله وقاله سعيد بن جبير وقتادة والنخعي وروى عن ابن عباس
وعكرمة في احدي الروايتين عنهما والقول بان الفطرة الاسلام هو
احدي الروايات عن الامام أحمد وقاله ابن عبد البر في التمهيد وقال
آخرون والفطرة ههنا الاسلام قال وهو المعروف عند عامة السلف
وأهل التأويل قاله في نفسه ير هذا الحديث المتقدم* ثم قال وأما نوله
فطرة الله التي فطر الناس عليها (فقد أجمعوا علي) أن قالوا دين الاسلام
انتهى وليس كما قال وذكر القرطبي في تفسيره أقوالا في الفطرة منها
دين الاسلام وهو المعروف عند عامة السلف الى أن قال ومعني هذا
أن الطفل خلق سلبا من الكفر على الميثاق الذي أحذه الله على ذرية
آدم حين أخرجهم من صلبه وانهم اذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة
أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار انتهى
وقال أبو بكر النقاش اختلف أهل التأويل في الفطرة فقبل على
ملة اراهيم ثم ذكر قريبا مما ذكره القرطبي
وقد احتج لهذا القول بادلة

منها حدث أبي هريرة الذي في الصحيحين وقد تقدم

ومنها ما ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل خلقت عبادي حنفاء مسلمين فاجتالهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا

ومنها ما رواه الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أنتم فاجتالهم عن دينهم فهدوهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا

ومنها ما في الصحيحين خمس من الفطرة أي من فطرة الاسلام وفي مسلم ورواه أحمد وأبو داود عشر من الفطرة وفي لفظ عشر من سنن الاسلام

وقال جماعة من الفقهاء والمفسرين كل مولود يولد على الفطرة التي خلق عليها في المعرفة بربه عز وجل معرفة مخالفة لخلق البهائم التي لا تصل بخلقها الى معرفته والفاطر الخالق وقوله تعالي (وما لي لأعبد الذي فطرني) يعني الذي خلقني ووجهها هذا بقوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني نسالة هل تحسون فيها من جدعاء مقطوعة الاذن قالوا في هذا الحديث تمثيل أولاد بني آدم وأولاد اليهائم لانقص

فيهم

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية يرد على من قال كل مولود يولد

على ما سبق له في علم الله أنه سائر إليه

قال الشيخ ومعلوم ان جميع المخلوقات بهذه المثابة فجميع البهائم هي مولودة على ما سبق في علم الله لها وحينئذ فيكون كل مخلوق مخلوقا على الفطرة وأيضا فلو كان المراد بذلك لم يكن لقوله قابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه معنى قائما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فلا فرق بين اليهود والتتصير

ثم قال بعد أسطر فتمثيله صلى الله عليه وسلم بالبهيمة التي ولدت جماء ثم جدعت يبين ان أبويه غيرا ما ولد عليه

ثم قال بعد ذلك وقواكم خلقوا خاليتين من المعرفة والانكار من غير أن تكون الفطرة تقتضى واحدا منها بل يكون القلب كالموحد الذي يقبل كتابة الايمان والكفر وليس هو لاحدهما أقبل منه للآخر فهذا قول فاسد جدا فحينئذ لا فرق بالنسبة الى الفطرة بين المعرفة والانكار واليهود والتتصير والاسلام وانما ذلك بحسب الاسباب فكان ينبغي أن يقال قابواه يسلمانه ويهودانه وينصرانه فلما ذكر أن أبويه يكفرانه وذكر الملل الفاسدة دون الاسلام علم ان حكمه في حصول سبب مفصل غير حكم الكفر

ثم قال بعد ذلك ففي الجملة كل ما كان قابلا للمدح والذم على السواء لا يستحق مدحا ولا ذما والله تعالى يقول (واقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) فامرهم بلزوم فطرته التي فطر الناس عليها

وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وسلم شبهها بالبهيمة المجتمعة الخلق وشبه ما بطراً عليها من الكفر بمجدع الأنف ومعلوم ان كمالها محمود ونقصها مذموم فكيف تكون قبل النقص لا محمود ولا مذمومة اه
وقد ذكر الخلال في جامعه في كتاب أحكام الملل باب الحكم المترتب على الفطرة

(أنبأ) المروزي أن أبا عبد الله قال في سبى أهل الحرب أنهم مسلمون اذا كانوا صغاراً وان كانوا مع أحد الابوين ويحتج بالحديث وذكر عنه نصوصاً كثيرة في هذا الباب

وقد سئل الزهري عن رجل عليه رقبة مؤمنة أجزيه رضيعاً يعتقه قال نعم لانه ولد على الفطرة وهي الاسلام وقال الزهري بصلى على كل مولود متوفى وان كان لغية لانه ولد على فطرة الاسلام والاسلام هو قول لاله الا الله وذلك في قوله تعالى (أفن شرح الله صدره للاسلام) قال ابن عباس وأكثر المفسرين لقول لاله الا الله ولهذا كان معلوماً بالفطرة أنه لا بد لكل موجود من موجود ولكل مصنوع من صانع كما قال تعالى أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون يقول اخلقوا من غير خالق خلقهم أم خلقوا أنفسهم مع اعترافهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) قل (من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله) الآيات الثلاث

ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقدهم الى الرب قبل علمهم بحاجتهم الى الاله المعبود وقصدهم لدفع حاجتهم العاجلة قبل الآجلة

كان اقرارهم بالله اقرارا فطريا من جهة ربوبيته أسبق من اقرارهم به من جهة ألوهيته ولهذا انما بعث الرسل تدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له فتفاصيل الامر والنهي انما تعرف من جهة الرسل

وأما الرب تعالى فهو معروف بالفطرة (قالت رسالهم أفي الله شك) فالمشركون من عباد الاصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقرون به انه ربهم وخالقهم ورازقهم وانه رب السموات والارض والشمس والقمر وانه المقصود الاعظم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي عمران بن حصين كم تعبد اليوم لها قال ستة في الارض وواحد في السماء قال فأيم أعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء رواه الترمذى قاله تعالى فطر الخلق كلهم علي معرفته فطرة توحيد حتى من خلق تجنوننا مطبقا مصطلما لا يفهم شيئا ما يحلف الاب به ولا يلهج بلسانه بأكثر من اسمه المقدس فطرة بالغة

ولقد حدثنا شيخنا ابن قاضي الجبل عن بعض العلماء لاستحضره قال لو ترك طفل رضيع في بيت لا يكلم وله من يقوم بأمره لعرفه ربه ونطق بالسريانية وكونه نطق بفطرته التي فطر عليها لم يستبد فروع الانسان أشرف من كثير من المخلوقات قال ابن عباس من جميع المخلوقات قاله في قوله (ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) ولا شك انه أنضل من الجمادات وقد فطر الله الجمادات على تسبيحه

وتحميده وتنزيهه نطقا لا يفهما، الا الذي أنطقها به قال تعالى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حايما غفورا) قال شيخنا ابن قاضي الجبل في هذه الآية قال تسبيحها تسبيح حقيقي ولهذا قال انه كان حايما غفورا أى اذا كانت الجمادات التى لا تنتم تسبح بحمد خالقها فهو حليم غفور اذ لم يعاجل المقصرين الذين كتمت النعمة في حقهم بالعقوبة وقال تعالى (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) الآية وقال تعالى (يسبح لله فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) وقال تعالى (يسبح لله فى السموات وما فى الارض) والآيات كثيرة فى هذا الباب وقد أتى بلفظ الماضى الدال على وقوع التسبيح وصدوره بلفظ المضارع الدال على استمرار التسبيح ونجده كل وقت ولا يستنكر معرفتها بخالقها وتسبيحها بحمده اذ قد فطرها عليه كما فطر بنى آدم على الافرار بربوبيته ألسنت بر بكم قالوا بلى لم يخلف منهم أحد وكما أخبر الله عن عباده أنهم يسبحونه بكرة وعشيا فى قوله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) وقال تعالى (فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا) وقال تعالى (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وكذلك أخبر سبحانه عن الجبال فقال تعالى فى حق داود (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق) قال أبو هريرة كان داود اذا سبح أجابته الجبال والطير

بالتسبيح والذكر وقال أبو الفرج ابن الجوزي قد روى أن داود كان
 اذا وجد فترة أمر الجبال فسبحت حتى يشفق هو فيسبح وقد ثبت
 في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بجبل جمدان فقال هذا
 جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون
 الله كثيرا والذاكرات فهذا جبل سبق المفردين بذكر الله الى ذكر
 الله بل قد أخبر سبحانه أنه خاطب الجمادات فقال تعالي (واقدمنا
 داودمنا فضلا يا جبال أوبي معه والطير) والتأويب هو ترجيع التسبيح
 وأخبر سبحانه عن الحجارة ان منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل
 على انها تعرف رها معرفة تليق بها فان الخشية تستلزم العلم بالخشى
 وكذلك قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا
 طوعا أو كرها قلنا أيتنا طائمين) وهذا خطاب من يعرف ربه ويمقل
 أمره وليس هذا خطاب تكوين لمدوم فانه خاطبهما بعد وجودهما
 وكذلك قوله (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) ومعنى أذنت
 أصغت واستمعت لقوله وأمره وكذلك اخباره عن الارض يوم القيامة
 انها يومئذ تحدث اخبارها وفي الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال أتدرون ما أخبرها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل
 عبد بما عمل على ظهرها من خير أو شر وهذه شهادة نطق لما تحملمته
 من الشهادة في هذه الدار لما أوحى لها فانه تعالي قال (بأن ربك أوحى
 لها) وكذلك أخبر سبحانه وتعالى عن سجود المخلوقات له فقال تعالي
 (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس

والقمر والنجوم والحبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ولو كان وجودها هو مجرد دلالتها على الصانع كما يقوله بعض المفسرين لما اختلف بكثير من الناس بل جميع العالم دال على صانعه وأمثال هذا كثير في القرآن وما كان بهذه المثابة كيف يستنكر معرفته لربه ووجوده له وتسيبجه بحمده ولو لم يكن في هذه الآيات الا قوله تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) في أوائل هذه السور فانه سبحانه أتى بلفظ ما المتناولة لغير أولى العلم قطما اما اختصاصا واما تغليباً ولا يصح حمل ما ذكرنا من الآيات على أولى العلم وتخصيصها بهم اذ لو أريد ذلك لحي بلفظ من المختصة بمن يعقل وان كان قد وقع في القرآن ما لم يعقل ومن لا لا يعقل ففيه بحث ليس هذا محل ذكره

والمقصود اذا كانت هذه الجمادات قد فطرت على معرفة ربها وتسيبجه وتزييه والانسان أشرف منها فلأن يفطر على معرفته بربه بطريق الاولى والاخرى لما ركب الله فيه من العقل والتمييز والفضة لاسيما وقد نطق الكتاب والسنة بأنه فطره على الاسلام والاسلام كلمة التوحيد كما تقدم وان كان الاسلام في الاصل هو الاستسلام والالتقاد

(فصل) ومن تمام الكلام على ان معرفة الله تعالى فطرية وتقدم الاستدلال بالآية والحديث فان أول ما يبدأ به في الاستدلال الكتاب والسنة ثم أقوال العلماء والمفسرين وان كان في أصل المسئلة الناس

متنازعون في أصل المعرفة بالصانع هل هي فطرية أو نظرية وان شيخ الاسلام ابن تيمية يفصل فيقول بخلاف باختلاف الناس ولكن الصحيح انها فطرية لانه قد ثبت ان النبي صلي الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة والكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها فتحتمل حينئذ الى النظر فهي في الاصل ضرورية وقد تكون نظرية ثم المعرفة الواجبة لا تتعلق بنظر خاص بل قد تحصل ضرورية فنصفية النفس ورباضتها من اعظم الاسباب في حصول المعرفة الضرورية ولكن قد يحتاج الى امور يجب الايمان بها فيتوقف على النظر فيجب النظر لما طرا على الفطرة من الفساد فان كون هذا العالم لا يد له من صانع وخالق ومدبر فهذا ضروري فيكونه لا يعرف هذا الا بطريق النظر فيه نظر وأي نظر بل هو معلوم عقلا وواجب عقلا وقد اركزه الله تعالى في فطرة مخلوقاته متحركها وساكنها ناطقها وصامتها حيوانها وجماداتها كما تقدم انها متسبحة بحمده عارفة به ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد ومع دلالتها على الوجدانية مسبحة بحمده معترفة به تسجد له وان جميع المخلوقات خلا كقفار الثقلين تسبح بحمده وتسبيح كل شيء بحسبه فلولوا ان كل شيء يسبح بحمده وينزهه ويعظمه بما لانفهمه نحن ولا يعلمه الا الذي انطقه به لما اخبرنا به وانه دال على عظمته

وقد روينا في جزء الزباني في كتاب الذكر له باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الجبل لينادي الجبل مقابله باسمه هل من بك اليوم ذا كر الله عمر وجل فان قال نعم فيقول هنيأ لك لكن مامر

علي اليوم أحد يذكر الله

وروى أيضا بسنده عن أنس رضي الله عنه قال ما من صباح ولا رواح الا تنادى بقاع الارض بعضها بعضها يا جارة هل مر بك اليوم عبد فصلى عليك لله أو ذكر الله عليك فن قائلة لا ومن قائلة نعم فاذا قالت نعم رأت بذلك لها فضلا فكل فطرة سليمة لم تجنأها الشياطين ولم تفسد عليها فطرتها تصدق بذلك وتقربه وتزداد ايمانا ولا يقول هذه أخبار آحاد وآثار لا تنيد شيئا في هذا الباب وانما هذه من باب الفرجة والمطالمة

قلنا يكفي ما تقدم لنا من اخبار الله تعالى في القرآن من الدليل القطعي عن الحجارة ان منها لما يهبط من خشية الله وهذا يدل على انها تعرف ربها معرفة تليق بها والا لما هبطت من خشيته فان الخشبية تستلزم العلم بالخشى وقد تقدم ذلك

قال ابن عبد السلام للعلماء في الحجارة وانما تهبط من خشية الله ثلاث مذاهب قالت الصوفية هي حيوان وفيها جزء حيّ تسبح الله تعالى وتخر له وتسجد له وقال آخرون هذا من مجاز التشبيه وقال الأشعري الله تعالى يخاق لها حياة عند ارادة ذلك منها نحو جبل الطور انتهى كلامه ذكره في النكت

قلت ما ذكره من هذه الاقوال * أما القول الاول فهو قول بعض جهالة الصوفية والا فيكون الحجارة حيوانا كما يعلم بالفطرة بطلانه * وأما القول الثاني كونه من مجاز التشبيه فان هذا مما يشهد

الكتاب والسنة بطلانه أما الكتاب فما تقدم لنا من الآيات على تسبيح كل شئ بحمده وأما السنة فتسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم ثم في كف غيره من الصحابة تسبيحا يسامعه الحاضرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا كان يسلم على قبل أن أبعث فهذا الحجر عرف ربه وعرف رسوله ولو لم ينطق بكلام مسموع مفهوم مخصوص بذكر معين لما أخبر عنه ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن جبل جمدان فقال هذا جمدان يحبنا ونحبه وكذلك أخبر عن أحد أنه يحبنا ونحبه وهذا جبل يبعثنا ونبغضه

قال ابن عباس لما أراد الله تعالى أن تجلي لموسى تطاوت الجبال ليتجلى لها وتواضع زبيراي عني الطور فتجلى له وهذا يدل على انها تعرف ربه

وروى ابن الجوزي عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وجعله دكا قال صار اعظمته ستة أجيال فوقت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقعت بمكة ثلاثة بئير وحرأ وثور

بل هو سبحانه وتعالى قد خاطب الجمادات فقال تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها لانسان) فهذا الالباء والاستعفاء بعد ان عقلت خطابه وفهمته وعلمت عجزها

وليس المقصود ذلك وانما المقصود ان الانسان أشرف عند الله

وأعظم من الجبال حتى من البيت لما روى ابن ماجه عن ابن عمر قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم لم يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك

فمع شرف الانسان لا يركب الله في فطرته وعقله ما يعرفه ربه من غير دلائل نظري يحتاج فهمه الي عسر وقد ينتقض عليه أو يشكك به فيه من هو ألحن بحجته منه

هذا الهدهد طير من الطيور وفي نظرا عديم العقل يصبح كغيره من الطيور قد خاطب سليمان بأعظم التوحيد وأعلمه بغير ذلك (فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين) الي قوله (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) هذا كله كلام الهدهد كما اتفق على ذلك المفسرون فمعرفة الله تعالى فطرية قد فطر الله تعالى عاينها جميع المخلوقات فان أريد بالمعرفة المرفة التامة وهي معرفته بصفات الكمال ونموه الجلال فيما لم يزل ولا يزال ومعرفة أسمائه وما أمر به وما نهى عنه وما أخبر به وما أراد من عبادته شرعا وما كرهه منهم ولم يرضه ولم يرد وقوعه فهذا ما يعلم الا بالسمع من جهة إرسال صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فعبادة الله تعالى والايمان به انما يجب بالسمع ويلزم بالبلاغ

قال الامام أحمد في رواية الروزي معرفة الله تعالى في القلب تفاضل وتزيد وهذا يدل على ان المعرفة أصلها في القلب فطرية ثم انها

تزيد وتمكن بتظاهر الأدلة والقاضى أبو يعلى في الاعتماد - تدل بهذه الرواية على أنها كسبية وقال لانها لو كانت فطرية لم تزدد وقال في رواية يعقوب ان المعرفة لا تزيد ولا تنقص وهذه الرواية عكس الاولي وحملها القاضى على انه أراد بالمعرفة ههنا الاقرار بالاسلام وهو لا يزيد ولا ينقص لانه موقوف على الشهادتين وفيما قلناه نظراته صدر في أول المسألة فقال معرفة الله تحصل بادلته الظاهرة وحججه القاهرة وهي أنفسنا والسماوات والارض وما بينهما وذلك ان آثار الصنعة لازمة لهذه الاشياء فدل على صانع صنعها ومنشئ انشأها ذكره في المعتمد

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الكلام على سورة القلم وذكر أن أول ما أوجب الله على نبيه وأمره به اقراً باسم ربك الذى خلق ثم قال بعد كلام كثير فقد بين ان الاقرار بالاعتراف بالخالق فطرى ضرورى في نفوس الناس وان كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرتة حتى يحتاج الى نظر يحصل له به المعرفة وهذا قول جمهور ائمة وعلماء حذائق النظر ان المعرفة تحصل بالضرورة وقد تحصل بالنظر لمن فسدت فطرتة كما اعترف بذلك خلائق من أئمة المتكلمين انتهى

وقال الشيخ أيضاً فى شرح الاصفهانية وأما طريقة القرآن فى اثبات الصانع فانا قد بينا فى غير هذا الموضع اختلاف الناس فى الاقرار بالصانع هل هو فطرى أو نظرى وبيننا قول من قال انه فطرى وان كل مولود يولد على الفطرة وانه قد يصير نظراً يا بعض الناس لما يمرض له من الشبه ويستدل على ذلك بالأدلة الكثيرة انتهى فاذا قلنا هذا محدث

وكل محدث فلا بد له من محدث أو هذا ممكن وكل ممكن فلا بد له من موجب أو هذا موجود وكل موجود فلا بد له من موجب أو هذا مخلوق وكل مخلوق فلا بد له من خالق أو هذا مصنوع وكل مصنوع فلا بد له من صانع ونحو ذلك فهذا صحيح معلوم بالنظرة وقد يقول من يتخذاق بذهنه ويهم أذهان الناس بالفساد ويركن الى ذهنه وعقله فيقول هذا يدل على محدث مطاق وواجب مطلق وواحد مطاق لا يمتنع تصوره من وقوع الشركه فيه فلماذا يكلمه الله تعالى الى ذهنه وفهمه وعقله فما يرشده الله الى الصواب ومن يضال فلن تجد له وليا مرشدا فن يهد الله فهو المهتد

فن طلب الهداية من الله عز وجل واعترف بالعجز وعرف ربه بالقدرة ونفسه بالعجز وعلم أنه لا بد أن ينتهي الى فاعل قديم لا يكون الا واحدا وواجب بنفسه لا يكون الا واحدا فهو واحد مطلق عندنا أليس هو معنا في نفس الامر وآيات الله سبحانه وتعالى دالة على نفسه المقدسة الشريفة فهذا وأمانه ممن فسدت فطرته لاسيما في معرفة ربه فلا بد من النظر ولهذا قدمنا أنها فطرية وان الشيخ رحمه الله قال وقد يعرض لبعض الناس من الشبه ما يفسد فطرته فلا بد له من النظر وهذا الذي عرض هو ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام ولكن الشياطين أنهم فاجتالهم عن دينهم فمنهم من هودته ومنهم من نصرته ومنهم من مجسته ونقول ومنهم من وسوست له بما تشكك في خالقه وقد أخبر فقال عن رسله أنهم قالوا

لقومهم أني الله شك فاطر السموات والارض يعنى خالق السموات والارض ومالي لأعبد الذي فطرني أي خلقتني أني الخالق شك وقد قال هل من خالق غير الله

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ذهب طوائف من النظار الى أن معرفة الله واجبة ولا طريق اليها الا بالنظر فأوجبوا النظر على كل أحد وهذا القول انما اشتهر في الامة عن المعتزلة ونحوهم ولهذا قال أبو جعفر السمناني وغيره ايجاب الاشعري النظر في المعرفة بقية بقيت عليه من الاعتزال وقد دخل في هذا القول طوائف من الفقهاء من أصحاب الأئمة الاربعة كالقاضي أبي يعلى وأتباعه مثل أبي الفرج الشيرازي وأبي الخطاب وابن عقيل وغيرهم ومع هذا فقد اختلف كلام الاشعري وأصحابه في ايجاب النظر فقال أبو اسحاق الاسفرايني من اعتقد ما يجب اعتقاده هل يكتب في به اختلف الاصحاب فيه ثم ذكر كلامه وكلام الاشعري وأصحابه مطولا وذكر في المسألة قولين عنهم حتى ان أبا اسحاق نفسه اختلف كلامه ثم قال واختلفوا أيضا في النظر في قواعد الدين هل هو من فروض الاعيان أو من فروض الكفايات والذين أوجبوا النظر منهم من قال لا يصح الايمان الا به ومنهم من قال يصح الايمان بدونها لكن تاركه عاص وهذه الاقوال كلها ما يقوم الدليل من الكتاب والسنة الا على بعضها

ورأيت بخط بعض الفضلاء من أصحابنا وقال طوائف من العلماء النظر لا يجب على أحد اما لان الواجب الاعتقاد الجازم دون المعرفة

وذلك لا يحتاج الى نظر واما لان المعرفة لها طرق غير النظر فتحصل ضرورة وقد تحصل الهاما وقد تحصل بالتصفية وهو قول طوائف من النظار والفقهاء وأهل الحديث والصوفية وغيرهم وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والشافعي وغيرهما والله أعلم

وقال بعض الملماء يجب النظر في حال دون حال وعلى شخص دون شخص فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض الاحوال لامن الوازم العامة فيقال كل علم وجب ولم يحصل الا بالنظر وجب النظر وأما اذا حصل ضرورة أو حصل العلم بدون النظر أو لم يكن العلم واجبا لم يكن النظر واجبا

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في موضع من مصنفاته هذا الكلام وقال هذا اعدل الاقوال وكلام الأئمة والسلف انما يدل عليه والذين أوجبوا النظر ليس مهم ما يدل على عموم وجوبه انما يدل على انه قد يجب فانهم قالوا الواجب لا يحصل الا به لقوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تفي الآيات و لنذر) الآية وقوله (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وقوله (فلينظر الانسان ما خلق) فهذه النصوص خطاب مع المتكبرين الجاحدين فأمروا بالنظر ليعرفوا الحق ويقروا به ولا ريب ان النظر يجب على هؤلاء والذين خالفوا في وجوب النظر ومنه ما قالوا الانسليم وجوب المعرفة ولا نسلم انحصار طريقها في النظر

والمقصود أن الذين أوجبوا لله على عباده أن يؤمنوا بالله ورسوله

وأن يطيعوا الله ورسوله فهذا فرض على كل أحد ووجوب الايمان بالله معلوم بالاضطرار من دين الاسلام ونصوص القرآن متظاهرة به فالعلم بمعرفة الله ضروري والالو كان نظريا لكان يجب على الرسل أول ما يدعونهم الى النظر وهذا مما علم فساد من دين الاسلام فان كل كافر اذا أراد لدخول في دين الاسلام أول ما يؤمن بالشهادتين فلو قال أنا أقر بالحق لم يكن بذلك مسلما ولو قال أنا أعرف الله انه رب العالمين ورازقهم ومدبرهم لم يصر بذلك مسلما فمعرفة الله فطرية حاصلة للجمهور الخلق

فان قيل اذا كانت معرفته تعالى فطرية ضرورية وهي ثابتة في فطرة كل أحد وكيف ينكر ذلك كثير من النظار انظار المسلمين وغيرهم وفي زعمهم انهم الذين يقيمون ادلة العقلية على المطالب الالهية فيقال أول من عرف في الاسلام بانكار هذه المعرفة هم أهل الكلام الذين اتفق السلف على ذمهم من الجهمية والقدرية وهم عند سلف الامة من أضل الطوائف وأجهلهم هذا معني ما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية وكذلك ما ركزه الله في فطرة كل أحد انه اذا دعاهم نمت يمنة ولا يسرة بل يجد في قلبه ضرورة تطلب العلو ولهذا قال ساد الحرمين لما أورد عليه معني هذا قال حيرني الهمداني

وأما العلم الذي لا يحصل الا بالنظر فيجب لاجله النظر لانهم القرآن ذي لا يحصل الا بتدبره والنظر فيه وكذلك يجب النظر في مسائل نزاع التي لا يعلم الحق فيها الا بالنظر فاذا أراد معرفة الحق فيها وجب

عليه النظر فاذا اجتهد غاية الاجتهاد وبذل وسعه، وأداه النظر الي غير
الحق فيها نخطؤه مغفور له وله أجر اجتهاده وان أصاب الحق فله أجران
قاله تعالى يلهمنا الرشاد * ويوفقنا للسداد * في أقوالنا وأفعالنا مما يحبه
ربنا ويرضاه ويفعل ذلك باخواننا من المؤمنين آمين انه ولي ذلك
والقادر عليه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي الامي
وآله وصحبه وسلم

رسالة تتضمن أجوبة شيخ

الامام الحافظ ابن تيمية

عن الاحاديث التي

يروىها القصاص

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

سئل الشيخ تقي الدين بن تيمية عن أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يروونها القصاص وغيرهم بالطرق وغيرها فأجاب عنها

* منها ما يروون انه قال (أدنى ربي فأحسن تأديتي)

أجاب الحمد لله المعنى صحيح لكن لا يعرف له اسناد ثابت

* وما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لو كان المؤمن في

ذروة جبل قيص الله له من يؤذيه أو شيطاناً يؤذيه)

أجاب الحمد لله ليس هذا معروفاً من كلام النبي صلى الله عليه

وسلم * وما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لو كانت الدنيا دماً عبيطاً

كان قوت المؤمن منها حلالاً)

أجاب الحمد لله ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا

يعرف عنه باسناده ولكن المؤمن لا بد أن يتيسر له من الرزق

ما يغنيه ويمتنع في الشرع أن يحرم على المؤمن ما لا بد منه فان الله لم

يوجب على المؤمنين ما لا يستطيعونه ولا حرم عليهم ما يضطرون اليه

من غير معصية منهم وتحت ذلك كله قاله وكتبه أحمد بن تيمية

* وما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم عن الله (ما وسعني سمائي ولا

أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)

أجاب الحمد لله هذا مذكور في الاسرائيليات ليس له اسناد

معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم ومعنى وسعني قلبه الايمان بي

ومحبتى ومعرفتى ولا من قال ان ذات الله تحل في قلوب الناس فهذا من
التصاري خصوصا ذلك بالمسيح وحده

ومما يروونه عنه أيضا (القلب بيت الرب)

أجاب الحمد لله هذا كلام من جنس الاول فان القلب بيت الايمان

بالله ومعرفته ومحبته وليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
ومما يروونه عنه أيضا (كنت كنتا لأعترف فأحييت أن أعرف
نخلقت خلقا فمرفتهم بي فمرفوني)

أجاب ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له
اسناد صحيح ولا ضيف

ومما يروونه عنه صلى الله عليه وسلم (أن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلم مع أبي بكر
كنت كالزنجي بينهما الذي لا يفهم)

أجاب الحمد لله هذا كذب ظاهر لم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث
ولم يروه الا جاهل أو ما جد

ومما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (أنا مدينة العلم
وعلى بابها)

أجاب هذا حديث ضعيف بل موضوع عند أهل المعرفة بالحديث
الكن قد رواه الترمذى وغيره ومع هذا فهو كذب

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم (ان الله يعتذر للفقراء
يوم القيامة ويقول وعزتي وجلالى ما زويت الدنيا عنكم لهُوا عنكم على

لكن أردت أن أرفع قدركم في هذا اليوم انطلقوا الى الموقف فمن
أحسن اليكم بكسرة أو سقاكم شربة من الماء أو كساكم خرقة انطلقوا
به الي الجنة)

أجاب الحمد لله هذا الشأن كذب لم يروه أحد من أهل المسلم
بالحديث وهو باطل مخالف للكتاب والسنة بالاجماع

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (انه لما قدم المدينة في الهجرة
خرجت بنات النجار بالدفوف وهن يقان طلح البدر علينا من ثنيات
الوداع الى آخر الشعر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هزوا
كراييلكم بارك الله فيكم)

أجاب أما ضرب النسوة الدف في الزواج فقد كان معروفا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قوله هزوا كراييلكم بارك
الله فيكم فهذا لا يعرف عنه صلى الله عليه وسلم
ومما يروون عنه انه قال (لو وزن ايمان أبي بكر بإيمان الناس
لرجح ايمان أبي بكر على ذلك)

أجاب الحمد لله هذا جاء منه في حديث معروف في السنن ان
أبا بكر رضى الله عنه وزن هذه الامة فرجح

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (اللهم انك أخرجني
من أحب البقاع الى فاسكني في أحب البقاع اليك)

أجاب الحمد لله هذا باطل بل ثبت في الترمذى وغيره انه قال
ملكه والله انك لاحب بلاد الله الى الله وقال انك لاحب البلاد الى

فما خبر أنها أحب البلاد إلى الله وإلى

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (من زارني وزار أبي إبراهيم
في عام واحد دخل الجنة)

أجاب الحمد لله حديث كذب موضوع ولم يروه أحد من أهل
العالم بالحديث

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (فقراؤكم)
أجاب الحمد لله هذا اللفظ ليس مأثورا لكن معناه صحيح وان
الفقراء موضع الاحسان اليهم فهم تحصل الحسنات

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم (البركة مع أكابركم)
أجاب الحمد لله قد ثبت في الصحيح من حديث جبير انه قال
كبر كبر أى يتكلم الاكبر وثبت من حديث الامامة انه قال فان استوتوا
أى فى القراءة والسنة والهجرة فليؤمهم أكبرهم سنا
ومما يروون أيضا (الشيخ فى قومه كائى فى أمته)

أجاب الحمد لله ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وإنما
يقوله بعض الناس

ومما يروون أيضا (لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)
أجاب الحمد لله هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح
ومما رووا عن على رضى الله عنه ان اعرابيا صلى وتقر صلاته
فقال له على لا تتقر صلاتك فقال له الاعرابى لو تقرها أبوك ما دخل النار

أجاب الحمد لله هذا كذب ورووه عن عمر وهو كذب
ومما يروون عن عمر رضى الله عنه أنه قتل أباه
أجاب هذا كذب فإن أبا عمر رضى الله عنه مات في الجاهلية قبل
أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء
والطين وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين

أجاب الحمد لله هذا اللفظ كذب باطل ولكن اللفظ المأثور الذي
رواه الترمذى وغيره أنه قيل يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم
بين الروح والجسد وفي السنن عن العرياض بن سارية أنه قال انى عند
الله لم يكتب خاتم النبیین وان آدم لمنجدل في طينته

ومما يروون أيضا العازب فراشه من النار ومسكين رجل بلا
امرأة ومسكينة امرأة بلا رجل

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولم
أجده مرويا ولم يثبت

ومما يروون أن ابراهيم عليه السلام لما بنى البيت صلى في كل
ركن ألف ركعة فأوحى الله تعالى إليه يا ابراهيم أفضل من هذا سعد
جوعا أو ستر عورة

أجاب الحمد لله هذا كذب ظاهر ليس هو من كتب المسلمين
ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا ذكر ابراهيم
وذكرت أنا فاصلوا عليه ثم صلوا على وإذا ذكرت أنا والانبيا غيرهم

فصلوا على ثم صلوا عليهم

أجاب الحمد لله هذا لا يعرف من كتب أهل العلم ولا عن أحد من العلماء المعروفين بالحديث

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم من أكل مع مغفور له غفر له

أجاب الحمد لله هذا ليس له اسناد عن أهل العلم ولا هو في شيء من كتب المسلمين وإنما يروونه عن سالم وليس معناه صحيحا على الإطلاق فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون

ومما يروون أيضا من أشبع جوعه أو ستر عورة ضمننت له الجنة أجاب الحمد لله هذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم ومما يروون لا تنكروها الفتن فإن فيها حصاد المنافقين

أجاب الحمد لله هذا ليس معروفًا عن النبي صلى الله عليه وسلم ومما يروون سب أصحابي ذنب لا يغفر

أجاب رحمه الله هذا كذب عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويفقر مادون ذلك لمن يشاء

ومما يروون من علم أخاه آية من كتاب الله فقد ملك رقه

أجاب الحمد لله هذا كذب ليس في شيء من كتب أهل العلم

ومما يروون عنه آية من القرآن خير من محمد وآله

أجاب الحمد لله القرآن كلام الله منزل غير مخلوق فلا يشبهه بالمخلوقين

واللفظ المذکور غير مأثور

ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا من العرب وليس العرب مني
أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
ومما يروون عنه أيضا اللهم احبني مسكينا وأمتي مسكينا واحشرتني
في زمرة المساكين

أجاب هذا يروى لكنه ضعيف لا يثبت ومعناه أحبني خاشعا
متواضعا لكن اللفظ لم يثبت

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم عنى حديثا
فأعرضوه على الكتاب والسنة فان وافق فارووه وان لم يوافق فلا
أجاب الحمد لله هذا مروى ولكنه ضعيف عن غير واحد من
الائمة كالشافعي وغيره

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يا على اتخذ لك ناملين
من حديد واقمهما في طلب العلم ولو بالصين
أجاب الحمد لله ليس هذا ولا هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم
ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى لاقوني
بنيانكم ولا تلاقوني بأعمالكم

أجاب الحمد لله ليس هذا اللفظ معروفا عن النبي صلى الله عليه وسلم
ومما يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم من قدم ابريق المتوضى
فكانما قدم جوادا مسرجا ما جوما يقاتل عليه في سبيل الله
أجاب هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف في
شئ من كتب المسامحين المرووفة

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم يأتي على أمتي زمان ما يسلم
 يدينه الا من ينفر من شاقق الي شاقق
 أجاب الحمد لله هذا اللفظ ليس معروفًا عن النبي صلى الله عليه
 وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال حسنات الابرار
 سيئات المقربين
 أجاب الحمد لله هذا كلام بعض الناس وليس هو من كلام النبي
 صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستروا من أصحابي
 هدية القاتل والمقتول في الجنة
 أجاب الحمد لله هذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم
 ومما يروون عنه اذا وصتم الى ماشجر بين أصحابي فامسكوا
 واذا وصلتم الى القضاء والتدر فامسكوا

أجاب الحمد لله هذا مأثور باسناد منقطع وماله اسناده بت
 ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم اذا كثرت الفتن فعليكم
 بأطراف اليمن

أجاب الحمد لله هذا اللفظ لا يعرف
 ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من بات في حراسة
 تكب بات في غضب الرب

أجاب الحمد لله هذا ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم

ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر النساء بالغنج لازواجهن
عند الجماع
أجاب ليس هذا عنه صلى الله عليه وسلم
ومما يروون عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كسر قلبا فعليه جبره
أجاب الحمد لله هذا أدب من الآداب وهذا اللفظ ليس معروفا
عن النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من الكلام يكون صحيحا لكن يمكن
أن يقال عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقدح إذ هذا اللفظ ليس
بمطلق في كسر قلوب الكفار والمنافقين إذ به إقامة الملة والله أعلم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين
وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين

رسالة للمؤانف أيضا في الجواب

عن حنفي صلي بجماعة

ورفع يديه في كل

تكبيرة وغير

ذاك

!

:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سئل شيخ الاسلام ابن نيمية رحمه الله تعالى في رجل حنفي صلى
بجماعة ورفع يديه في كل تكبيرة فأنكر عليه فقيه الجماعة وقال له ان
هذا لا يجوز في مذهبك وأنت مبتدع فيه فهل ما فعله نقص في صلاته
مخالف لسنة وللإمامة أم لا

فأجاب الحمد لله أما رفع اليدين مع كل تكبيرة حتى في السجود
فايست هي السنة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها وليكن الأمة
متفقة على انه يرفع اليدين مع تكبيرة الافتتاح وأما رفعها عند الركوع
والاعتدال من الركوع فلم يعرفه أكثر فقهاء الكوفة كإبراهيم النخعي
وأبي حنيفة والثوري وغيرهم وأما أكثر فقهاء الأمصار وعلماء
الأنار فانهم عرفوا ذلك كما أنه استفاضت به السنة عن النبي صلى الله
عليه وسلم كالاوزاعي والشافعي وإسحق وأحمد بن حنبل وأبي عبيد
وهي إحدى الروايتين عن مالك فإنه قد ثبت في الصحيحين من
حديث ابن عمر وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه إذا
افتتح الصلاة وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع ولا كذلك بين
السجدين وثبت هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من
حديث مالك بن الحويرث ووائل بن حجر وأبي حميد الساعدي في
عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهم أبو قتادة وهو
معروف من حديث علي بن أبي طالب وأبي هريرة وعدد كثير من
المصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر إذا رأى من

يصلي ولا يرفع يديه في الصلاة حصبه وقال عتبة بن عامر له بكل
 اشارة عشر حركات والكوفيون حججهم ان عبد الله بن مسعود لم
 يكن يرفع يديه وهم معذورون فهذا قبل ان تباينهم السنة الصحيحة فان
 عبد الله بن مسعود هو الفقيه الذي بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه
 ليعلم اهل الكوفة السنة ليكن قد حفظ الرفع عن النبي صلى الله عليه
 وسلم خلق كثير من الصحابة وابن مسعود لم يصرح بأن النبي صلى الله
 عليه وسلم لم يرفع الا اول مرة لانهم رأوه يصلي ولا يرفع الا اول
 مرة والانسان قد ينسى وقد يذهل وقد خفي على ابن مسعود التطبيق
 في الصلاة فكان يصلي واذا ركع طبق بين يديه كما كانوا يفعلون اول
 الايام ثم ان التطبيق نسخ بعد ذلك وأمر بالركب وهذا لم يحفظه
 ابن مسعود فان الرفع المنازع فيه ليس من نواقص الصلاة بل يجوز
 ان يصلي بالارفع واذا رفع كان أفضل وأحسن وان كان الرجل متبعاً
 لابن حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد ورأى في بعض المسائل ان
 مذهب غيره أقوى فاتبه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح في عدالته
 ولا دينه بل انزع بل هذا أولى بالحق وأحب الى الله ورسوله فمن
 يتعصب لواحد معين غير النبي صلى الله عليه وسلم كمن يتعصب لمالك
 أو الشافعي أو أحمد أو أبي حنيفة ويرى ان قول هذا المصنف هو الصواب
 الذي ينبغي اتباعه دون قول الامام الذي خالفه فمن فعل هذا كان
 جاهلاً ضالاً بل قد يكون كافراً فانه متى اعتقد انه يجب على الناس
 اتباع واحد بعينه من هؤلاء الائمة دون الامام الآخر فانه يجب أن

يستتاب فان تاب والا قتل بل غاية ما يقال له انه يسوغ أو ينيهي أو
يجب على العاصي أن يقلد واحدا بعينه من غير تعيين زيد ولا عمرو اما
أن يقول قائل انه يجب على الامامة تقليد فلان أو فلان فهذا لا يقوله
مسلم ومن كان مواليا للائمة محبا لهم يقلد واحدا منهم فيما يظهر له انه
موافق لسنة فهو محسن في ذلك هذا أحسن حالا من غيره ولا يقال
لمثل هذا مذذب على وجه الذم وانما المذذب المذموم الذي لا يكون
مع المؤمنين ولا مع الكافرين بل يأتي المؤمنين بوجه والمنافقين بوجه
كما قال تعالى في المنافقين (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا
قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا
مذذبين بين ذلك لالى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد
له سيلا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
بين الغنمين تعير الى هؤلاء مرة والى هؤلاء مرة فهو هؤلاء المنافقون
المذذبون وهم الذين ذمهم الله ورسوله وقال في حقهم (اذا جاءك
المنافقون قالوا اشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون) وقال في حقهم (الم تر الى الذين تولوا قوما غضب
الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون عني الكذب وهم يعلمون)
فهؤلاء المنافقون الذين يتولون اليهود الذين غضب الله عليهم ما هم من
اليهود ولا منا مثل من أظهر الاسلام من اليهود والنصارى
وغيرهم وقلبه مع طائفة فلا هو مؤمن محض ولا هو كافر ظاهرا
وباطنا فهو هؤلاء المذذبون الذين ذمهم الله ورسوله وأوجب على عباده

أن يكونوا لا كفارا ولا منافقين بل يحبون الله ويبغضون الله ويمطون
 الله ويمنمون لله قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
 أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) الى قوله (انما
 وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة
 وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله
 هم الغالبون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم
 أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الآية وقال
 تعالى (لا تجرد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
 ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الآية وقال تعالى (انما المؤمنون
 اخوة فأصلحوا بين أخويكم)* وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه
 وسلم انه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد
 اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر وفي
 الصحيحين عنه انه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك
 بين أصابعه وفي الصحيحين عنه أنه قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا
 يظلمه وفي الصحيحين انه قال والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى
 يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال والذي نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى
 تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أخبركم بشئ اذا فعلتموه تحاببتم
 أفشوا السلام بينكم والله تعالى قد أمر المؤمنين بالاجتماع والائتلاف
 ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا
 الله حق تقاه ولا تتوتنوا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا

ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) الى قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة القائمة الذين هم على منهاج الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والصحابة كانوا مؤتلفين متفقين وان تنازعوا في بعض فروع الشريعة مثل الطهارة والصلاة والحج والطلاق والفرائض وغير ذلك فاجماعهم حجة قاطعة وتنازعهم رحمة واسعة ومن تعصب لواحد بعينه من الائمة دون الباقيين فهو بمنزلة من يتعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقيين كالرافضي الذي يتعصب لعلي دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة وكالحارجي الذي يقدر في عثمان وعلي وهذه طرق أهل البدعة والاهواء الذين ثبت بالكتاب والسنة والاجماع أنهم مذمومون خارجون عن الشريعة والمنهاج الذي بعث الله به رسوله فمن تعصب لواحد من الائمة بعينه فقد شبه بهؤلاء سواء تعصب لمالك أو أبي حنيفة أو أحمد أو غيرهم ثم غاية المتعصب لواحد منهم يكون جاهلا بقدره في العلم والدين وبقدر الآخريين فيكون جاهلا ظالما والله يأمر بالعلم والعدل وينهى عن الجهل والظلم قال تعالى (وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيمًا) وهذا أبو يوسف ومحمد أتبع الناس لابي حنيفة وأعلمهم بقوله وهما خلفاء في مسائل لا تكاد تحصى لما تبين لهما من السنة والحجة ماوجب عليهما

اتباعه وهما مع ذلك يعظمان لآمامهما لا يقال فيهما مذبذبان بل أبو
 حنيفة وغيره من الائمة يقولون القول ثم تبين له الحججة في خلافه
 فيقول بها ولا يقال له مذبذب فان الانسان لا يزال يطالب العلم
 والايان فاذا تبين له من العلم ما كان خافيا عليه اتبعه وليس هذا
 بمذبذب بل هذا مهتد زاده الله هدى وقد قال تعالى (وقل رب زدني
 علما) والواجب على كل مؤمن موالاة المؤمنين وان يقصد الحق ويتبعه
 حيث وجدته و علم ان من اجتهد منهم فأصاب فله أجران ومن اجتهد
 منهم فأخطأ فله أجر الاجتهاد وخصوه مغفور له وعلى المؤمنين أن
 يتبعوا امامهم اذا فعل ما يسوغ فان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما
 جعل الامام ايؤتم به وسواء رفع يديه أو لم يرفع يديه لا يقدر ذلك في
 صلاتهم ولا يبطلها لا عند أبي حنيفة ولا مالك ولا الشافعي ولا أحمد
 ولو رفع الامام دون المأموم أو المأموم دون الامام لم يقدر في صلاة
 واحد منهما ولو رفع الرجل بعض الاوقات دون بعض لم يقدر ذلك
 في صلاته وليس لاحد أن يتخذ قول بعض العلماء شعارا يوجب اتباعه
 وينهى عن غيره مما جاءت به السنة بل كل ما جاءت به السنة فهو واسع
 مثل الاذان والاقامة فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه
 وسلم انه أمر بالالا أن يشفع الاذان ويوتر الاقامة وثبت عنه في
 الصحيح انه علم أبا مخذرة الاقامة شفعما شفعما كالاذان فن شفع
 الاقامة فقد أحسن ومن أفردا فقد أحسن ومن أوجب هذا
 دون هذا فهو مخطيء ضال ومن والى من يفعل هذا دون هذا

بمجرد ذلك فهو مخطئ ضال وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله
 التترعلها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها حتى تجرد
 المنتسب الى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج
 عن الدين والمنتسب الى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي
 وغيره حتى يخرج من الدين والمنتسب الى أحمد يتعصب لمذهبه على
 مذهب هذا أو هذا وفي المغرب تجرد المنتسب الى مالك يتعصب لمذهبه
 على هذا وهذا وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله
 ورسوله عنه وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل المتبعين الظن وما تهوي
 الانفس المتبعين لاهوائهم بغير هدى من الله مستحقون النذم والعقاب
 وهذا باب لا يحتمل هذه الفتيا بسطه فان الاعتصام بالجماعة والاتلاف
 من أصول الدين والفرع المتنازع فيه من فروع الحقيقة فكيف يقدر
 في الاصل بخفض النوع وجمهور المتبعين لا يعرفون من الكتاب
 والسنة الا ماشاء الله بل يتمسكون بأخبار ضعيفة أو آراء فاسدة أو
 حكايات عن بعض العلماء والشيوخ قد تكون صدقا وقد تكون كذبا
 أو كانت صدقا فليس صاحبها معصوما يتمسكون بنقل غير مصدق عن
 قائل غير معصوم ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم وهو
 مانقله الاثبات الثقات من أهل العلم ودونوه في الكتب الصحاح عن
 النبي صلى الله عليه وسلم فان الناقلين لذلك مصدقون باتفاق أئمة الدين
 والمنقول عنه معصوم لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى قد
 أوجب الله تعالى على جميع الخلق طاعته واتباعه وقال تعالى (فلأورثك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا
فيما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن
أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) والله تعالى بوقفنا وسائر
أخواننا المؤمنين لما يجب به ويرضاه من القول والعمل والهدى والنية
والله أعلم * تمت

كتاب مناسك الحج تأليف الشيخ الامام العالم لهلامه
ناصر الاسلام والمسلمين وقامع الشرك والمشركين
تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحلیم
ابن عبد السلام بن تيمية الحراني رضی
الله عنه وأرضاه وعنا وسائر
المسلمين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة ناصر السنة وماحى البدعة تقي الدين ابو العباس أحمد بن شهاب الدين عبد الحلیم ابن الامام مجد الدين عبد السلام ابن عباد بن تيمية رضى الله عنه الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد فقد تكرر السؤال من كثير من المسلمين أن أكتب في بيان مناسك الحج ما يحتاج اليه غالب الحجاج في غالب الاوقات فإني كنت قد كتبت منسكا في أوائل عمرى فذكرت فيه أودية كثيرة ووقدت في الاحكام من اتبعته قبلى من العلماء وكتبت في هذا ما تبين لى من من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مختصرا مبنا ولا حول ولا قوة الا بالله

فصل أول ما يفعله قاصد الحج والعمرة اذا أراد الدخول فيهما أن يحرم بذلك وقبل ذلك فهو قاصد الحج أو العمرة ولم يدخل فيهما بمنزلة الذى يخرج الى صلاة الجمعة فله أجر السعى ولا يدخل في الصلاة حتى يحرم بهاءه وعليه اذا وصل الى الميقات أن يحرم* والمواقيت خمسة ذو الحليفة والجحفة وقرن المنازل ويلملم وذات عرق ولما وقت النبي صلى الله عليه وسلم المواقيت قال من لاهمن ولمن مر عليهم من غير أهلهم لمن يريد الحج والعمرة ومن كان منزله دونهن فهله من أهله حتى أهل

مكة يهلون من مكة فذو الحليفة هي أبعد المواقف بيئها وبين مكة عشر مراحل أو أقل أو أكثر بحسب اختلاف الطرق فان منها الى مكة عدة طرق وتسمى وادي العقيق ومسجدها يسمى مسجد الشجرة وفيها بئر تسمى بها جهال العامة بئر على لظنهم ان عليا قاتل الجن بها وهو كذب فان الجن لم يقاتلهم أحدهم من الصحابة وعلى أرفع قدرا من أن يثبت الجن لقتاله ولا فضيلة لهذا البئر ولا مذمة ولا يستحب أن يرمى بها حجرا ولا غيره . وأما الجحفة فيئنها وبين مكة نحو ثلاث مراحل وهي قرية كانت قديمة معمورة وكانت تسمى مهيمة وهي اليوم خراب ولهذا صار الناس يحرمون قبلها من المسكن الذي يسمى رابعا وهذا ميقات لمن حج من ناحية المغرب كأهل الشام ومصر وسائر المغرب اذا اجتازوا بالمدينة النبوية كما يفعلونه في هذه الاوقات أحرموا من ميقات أهل المدينة فان هذا هو المستحب لهم بالاتفاق فان أخذوا الاحرام الى الجحفة ففيه نزاع وأما المواقف الثلاثة فيبين كل واحد منها وبين مكة نحو مرحلتين وليس لاحد أن يجاوز الميقات اذا أراد الحج أو العمرة الا باحرام . وان قصد مكة لتجارة أو لزيارة فيذنبى له أن يحرم وفي الوجوب نزاع ومن وافى الميقات في أشهر الحج فهو مخير بين ثلاثة أنواع وهي التي يقال لها التمتع والافراد والقران ان شاء أهل بعمره فاذا حل منها أهل بالحج وهو يخص باسم التمتع وان شاء أحرم بهما جميعا أو أحرم بالعمرة ثم أدخل عليها الحج قبل الطواف وهو القران وهو داخل في اسم التمتع في الكتاب والسنة وكلام الصحابة وان شاء أحرم بالحج مفردا وهو الافراد

فصل في الأفضل من ذلك فالتحقيق في ذلك أنه يتنوع باختلاف حال الحاج فان كان يسافر سفرة للعمرة ولا حج سفرة أخرى أو يسافر الى مكة قبل أشهر الحج ويعتمر ويقيم بها حتى يحج فهذا الافراد له أفضل باتفاق الأئمة الاربعة* والاحرام بالحج قبل أشهره ليس مسنوناً بل مكروه واذافعله فهل يصير محرماً بعمرة أو يحج فيه نزاع وأما اذا فعل ما يفعله غالب الناس وهو أن يجمع بين العمرة والحج في سفرة واحدة ويقدم مكة في أشهر الحج وهن شوال وذوالقعدة وعشر من ذى الحجة فهذا ان ساق الهدى فالقران أفضل له وان لم يسق الهدى فالتحليل من احرامه بعمرة أفضل فانه قد ثبت بالنقول المستفيضة التي لم يختلف في صحتها أهل العلم بالحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حج حجة الوداع هو وأصحابه أمرهم جميعهم أن يحلوا من احرامهم ويحلوا عمرة الامن ساق الهدى فانه أمره أن يبقى على احرامه حتى يبلغ محله يوم النحر وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ساق الهدى هو وطائفة من أصحابه وقرن هو بين العمرة والحج فقال ليلىك عمرة وحجاً ولم يعتمر بمد الحج أحد ممن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم الا عائشة وحدها لانها كانت قد حاضت فلم يمكنها لطواف لان النبي صلى الله عليه وسلم قال تقضى الحائض المناسك كلها الا الطواف بالبيت فامرها أن تهل بالحج وتدع أفعال العمرة لانها كانت متممة ثم انها طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يعمرها فأرسلها مع أخيها عبد الرحمن فاعتمرت من التعميم والتعميم هو أقرب الحل الى مكة وبه اليوم المساجد التي تسمى مساجد عائشة ولم تكن هذه على عهد النبي

صلى الله عليه وسلم وإنما بنيت بعد ذلك علامة على المكان الذي
أحرمت منه عائشة وليس دخول هذه المساجد ولا الصلاة فيها لمن اجتاز
بها محر ما لافرضا ولا سنة بل قصد ذلك واعتقاد انه يستحب بدعة
مكروهة لكن من خرج من مكة ليعتمر فانه اذا دخل واحدا منها وصلى فيه
لاجل الاحرام فلا بأس بذلك ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
وخلفائه الراشدين أحد يخرج من مكة ليعتمر الا لعذر لا في رمضان
ولا غير رمضان والذين حجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيهم من
اعتمر بعد الحج من مكة الا عائشة كما ذكر و كان هذا من فعل الخلفاء
الراشدين والذين استحبوا الافراد من الصحابة انما استحبوا أن يحج
في سفرة ويعتمر في أخرى ولم يستحبوا أن يحج ويعتمر عقب ذلك
عمرة مكبة بل هذا لم يكونوا يفعلونه قط اللهم الا أن يكون شيئا نادرا
وقد تازع السلف في هذا هل يكون متمما عليه دم أم لا وهل تجزئه
هذه العمرة عن عمرة الاسلام أم لا وقد اعتمر النبي صلى الله عليه
وسلم بعد هجرته أربع عمر * حرة الحديبية وصل الى الحديبية والحديبية
وراء الجبل الذي بالتعميم عند مساجد عائشة عن يمينك وأنت داخل
الى مكة فصدته المشركون عن البيت فصالحهم وحل من احرامه وانصرف
* وعمرة القضية اعتمر من العام القابل * وعمرة الجمرات وان كان قد قاتل
المشركين بجنين وحنين من ناحية المشرق من ناحية الطائف وأما بدر
فهي بين المدينة وبين مكة وبين الغزوتين ست سنين ولكن قرنتا في
الذكر لان الله تعالى أنزل فيهما الملائكة لنصر النبي صلى الله عليه وسلم

والمؤمنين في القتال ثم ذهب فحاصر المشركين بالطائف ثم رجع
وقسم غنائم حنين بالجمرة فلما قسم غنائم حنين اعتمر من الجمرة
داخلا الى مكة لاخارجا منها للاحرام* وانعمرة الرابعة مع حجته فانه
قرن بين العمرة والحج باتفاق أهل المعرفة بسنته وباتفاق الصحابة على
ذلك ولم ينقل عن أحد من الصحابة انه تمتع تمتعا حل فيه بل كانوا
يسمون القران تمتعا ولا نقل عن أحد من الصحابة انه لما قرن
طاف طوافين وسمي سعيين وطامة المنقول عن الصحابة في صفة حجته
ليست بمختلفة وانما اشبهت على من لم يعرف مرادهم وجميع الصحابة
الذين نقل عنهم انه أفرد الحج كما أشه ابن عمر وجابر قالوا انه تمتع
بالعمرة الى الحج فقد ثبت في الصحيحين عن عائشة وابن عمر باسناد
أصح من اسناد الافراد ومرادهم بالتمتع القران كما ثبت ذلك في
الصحيح أيضا فاذا أراد الاحرام فان كان قارنا قال ليك عمرة
وحجا وان كان متمتعا قال ليك عمرة وان كان مفردا قال ليك
حجة أو قال اللهم اني أوجبت عمرة وحجا أو أوجبت عمرة أو أوجبت
حجا أو أريد الحج أو أريدهما أو أريد التمتع بالعمرة الى الحج فهم ما
قال من ذلك أجزاء باتفاق الأئمة ايس في ذلك عبارة مخصوصة
ولا يجب شيء من هذه العبارات باتفاق الأئمة كما لا يجب التلفظ بالنية
في الطهارة والصلاة والصيام باتفاق الأئمة بل متى ابي قاصدا
للاحرام انعقد احرامه باتفاق المسلمين ولا يجب عليه أن يتكلم
تقبل التابية بشيء ولكن تنازع العلماء هل يستحب أن يتكلم

بذلك كما تنازعوا هل يستحب التلفظ بالنية في الصلاة والصواب المقطوع به أنه لا يستحب شيء من ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع للمسلمين شيئا من ذلك ولا كان يتكلم قبل التكبير بشيء من ألفاظ النية لاهو ولا أصحابه بل لما أمر بضاعة بنت الزبير بالاشتراط قالت فكيف أقول قال قولي ابيك اللهم ليبيك محلى من الارض حيث يحبسني رواه أهل السنن وصححه الترمذي ولفظه النسائي اني أريد الحج فكيف أقول قال قولي ابيك اللهم ليبيك محلى من الارض حيث يحبسني فان لك على ربك ما استئذنت وحديث الاشتراط في الصحيحين لكن المقصود بهذا اللفظ انه أمرها بالاشتراط في التلبية ولم يأمرها أن تقول قبل التلبية شيئا لاشتراطا ولا غيره وكان يقول في تلبيته ليبيك عمرة وحججا وكان يقول لواحد من أصحابه بم أهلت وقال في المواقيت مهل أهل المدينة ذو الحليفة ومهل أهل الشام الجحفة ومهل أهل اليمن يالم ومهل أهل نجد قرن المنازل ومهل أهل العراق ذات عرق ومن كان دونهن فهله من أهله والاهلال هو التلبية فهذا هو الذي شرع النبي صلى الله عليه وسلم التكلم به في ابتداء الحج والعمرة وان كان مشروعا بعد ذلك كما أشرع تكبيرة الاحرام ويشرع التكبير بعد ذلك عند تغير الاحوال ولو أحرم احراما مطلقا جار فلو أحرم بالقصد للحج من حيث الجملة ولا يعرف هذا التفصيل جاز ولو أهل ولي كما يفعل الناس قصدا للنسك ولم يسم شيئا بلفظه ولا قصد بقابه لاتنما ولا افرادا ولا قرانا صح حجه أيضا وفعل واحدا من الثلاثة

فان فعل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه كان حسنا وان اشترط
على أمره خوفا من العارض فقال وان حبسني حابس فمحلى حيث
حبستني كان حسنا فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ابنة عمه ضباعة
بنت الزبير بن عبد المطلب أن تشتري على ربهما لما كانت شاكية نخاف
أن يصدها المرض عن البيت ولم يكن يأمر بذلك كل من حج وكذلك
ان شاء المحرم أن يتطيب في بدنه فهو حسن ولا يؤمر المحرم قبيل
الاحرام بذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم لم فعله ولم يأمر به الناس
ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أحدا بمباراة بعينها وانما يقال
أهل بالحج أهل بالعمرة أو يقال لبي بالحج لبي بالعمرة وهو تأويل
قوله تعالى (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا
فسوق ولا جدال في الحج) وثبت عنه في الصحيحين انه قال من حج
هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهذا
على قراءة من قرأ فلا رفث ولا فسوق بالرفع فالرفث اسم للجماع
قولا وعملا والفسوق اسم للمعاصي كلها والجدال على هذه القراءة
هو المراء في أمر الحج فان الله قد وضعه وبينه وقطع المراء فيه كما
كنوا في الجاهلية يتمارون في أحكامه وعلى القراءة الاخرى قد
يفسر بهذا المعنى أيضا وقد فسروها بأن لا يماري الحاج أحدا والتفسير
الاول أصح فان الله لم ينه المحرم ولا غيره عن الجدال مطلقا بل
الجدال قد يكون واجبا أو مستحبا كما قال تعالى (وجادلهم بالتي هي
أحسن) وقد يكون الجدال محرما في الحج وغيره كالجدال بغير علم

وكالجدال في الحق بعد ما تبين وانظروا الفسوق يتناول ما حرمه الله تعالى ولا يختص بالسباب وان كان سباب المسلم فسوقا فالفسوق يم هذا وغيره * والرفث هو الجماع وليس في المحظورات ما يفسد الحج الا جنس الرفث فلهمذا ميز بينه وبين الفسوق * واما سائر المحظورات كاللباس والطيب فانه وان كان ياتم بها فلا تفسد الحج عند أحد من الائمة المشهورين . وينبغي للمحرم أن لا يتكلم الا بما يعنيه وكان شريح اذا أحرم كانه الحية الصماء ولا يكون الرجل محرما بمجرد ما في قلبه من قصد الحج ونيته فان القصد مازال في القلب منذ خرج من بلده بل لا بد من قول أو عمل يصير به محرما وهذا هو الصحيح من القوالين والتجرد من اللباس واجب في الاحرام وليس شرطاً فيه فلو أحرم وعليه ثياب صح ذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وباتفاق ائمة أهل العلم وعليه أن ينزع اللباس المحظور

﴿ فصل ﴾ يستحب أن يحرم عقيب صلاة اما فرض واما تطوع

ان كان وقت تطوع في احد القوالين وفي الآخر ان كان يصلي فرضاً أحرم عقيبها والافليس للاحرام صلاة نخسه وهذا أرجح * ويستحب أن يغتسل الاحرام ولو كانت نفساء أو حائضاً ان احتاج الى التنظيف كتقليم الاظفار وتف الابط . وحلق العانة ونحو ذلك فعمل ذلك وهذا ليس من خصائص الاحرام وكذلك لم يكن له ذكر فيما نقله الصحابة لكنه مشروع بحسب الحاجة وهكذا يشرع لمصلي الجمعة والعيد على هذا الوجه . ويستحب أن يحرم في ثوبين نظيفين فان كانا أبيضين

فهما أفضل ويجوز أن يحرم في جميع أجناس الثياب المباحة من القطن
والكتان والصوف . والسنة أن يحرم في ازار ورداء سواء كانا مخيطين
أو غير مخيطين باتفاق الأئمة ولو أحرم في غيرهما جاز اذا كان مما
يجوز لبسه ويجوز أن يحرم في الأبيض وغيره من الالوان الجائزة
وان كان ملوناً . والافضل أن يحرم في نعلين ان تيسر وانعمل هي التي
يقال لها التاسومة فان لم يجد نعلين لبس خفين وليس عليه أن يقطعهما
دون الكعبين فان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالقطع أولاً ثم رخص
بعد ذلك في عرفات في لبس السراويل لمن لم يجد ازار أو رخص في
لبس الخفين لمن لم يجد نعلين وانما رخص في المقطوع أولاً لانه يصير
بالقطع كالنعلين ولهذا كان الصحيح أنه يجوز أن يلبس مادون الكعبين
مثل الخنف المكعب والججم والمداس ونحو ذلك سواء كان واجداً
للعين او قدما لهما واذا لم يجد نعلين ولا ما يقوم مقامهما مثل الججم
والمداس ونحو ذلك فله أن يلبس الخنف ولا يقطعه وكذلك اذا لم يجد
ازارا فانه يلبس السراويل ولا يفتقه هذا أصح قولى العلماء لان النبي
صلى الله عليه وسلم رخص في البدل في عرفات كما رواه ابن عمر
وكذلك يجوز أن يلبس كل ما كان من جنس الازار والرداء فله أن
يلتحف بالقباء والجبية والقميص ونحو ذلك ويتغطى به باتفاق الأئمة
عرضاً ويلبسه مقلوباً يجعل أسفله أعلاه ويتغطى بالاحفاف وغيره لكن
لا يغطى رأسه الا لحاجة والنبي صلى الله عليه وسلم نهى المحرم أن يلبس
القميص والبرنس والسراويل والخنف والعمامة ونهاهم أن يغطوا

رأس المحرم بعد الموت وأمر من أحرم في حبة أن ينزعها عنه فما كان من هذا الجنس فهو في معنى ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فما كان في معنى القميص فهو مثله وليس له أن يلبس القميص لا بكم ولا بغيركم وسواء أدخل يديه أو لم يدخلهما وسواء كان سليما أو مخروقا وكذلك لا يلبس الحبة ولا القباء الذي يدخل يديه فيه وكذلك الدرع الذي يسمى عرق جين وأمثال ذلك باتفاق الأئمة وأما إذا طرح القباء على كتفيه من غير ادخال يديه ففيه نزاع وهذا معنى قول الفقهاء لا يلبس الخيط والمخيط ما كان من اللباس على قدر العضو وكذلك لا يلبس ما كان في معنى الخف كالموق والجورب ونحو ذلك ولا يلبس ما كان في معنى السراويل كالتبان ونحوه وله أن يعقد ما يحتاج إلى عقده كالأزار وهميان النفثة والرداء لا يحتاج إلى عقده فلا يعقده فإن احتاج إلى عقده ففيه نزاع والاشبه جوازه حينئذ وهل المتع من عقده ممنع كراهة أو تحريم فيه نزاع وليس على تحريم ذلك دليل إلا ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنه فمنهم من قال هو كراهة تنزيه كابي حنيفة وغيره ومنهم من قال كراهة تحريم وأما الرأس فلا يغطيه إلا بخيط ولا غيره فلا يغطيه بعمامة ولا قلنسوة ولا كوفية ولا ثوب يلقى به ولا غير ذلك وله أن يستظل تحت السقف والشجر ويستظل في الحيمة ونحو ذلك باتفاقهم وأما الاستظلال بالمحمل كالحجارة التي لها رأس في حال السير فهذا فيه نزاع والافضل للبحر أن يضحى لمن أحرم له كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يحجون وقد رأى ابن عمر رجلا ظل

عليه فقال أيها المحرم أضح لمن أحرمت له ولهذا كان السلف يكرهون القباب على المحامل وهي المحامل التي لها رأس وأما المحامل المكتنوفة فلم يكرهها إلا بعض النساك وهذا في حق الرجل وأما المرأة فإنها عورة فلذلك جاز لها أن تلبس الثياب التي تستتر بها وتستظل بالمحمل لكن نهاها النبي صلى الله عليه وسلم أن تنتقب أو تلبس القفازين والقفازان غلاف يصنع ليد كما يفعله حمالة البزاة ولو غطت المرأة وجهها بشيء لا يمس الوجه جاز بالاتفاق وإن كان يمسه فالصحيح أنه يجوز أيضا ولا تكلف المرأة أن تجافي سترتها عن الوجه لابعود ولا بيد ولا غير ذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم سوى بين وجهها وبيدها وكلاهما كبدن الرجل لا كراسه . وأزواجه صلى الله عليه وسلم كن يسدان على وجوههن من غير مراعاة المجافاة ولم ينقل أحد من أهل العلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحرام المرأة في وجهها وإنما هذا قول بعض السلف لكن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها أن تنتقب أو تلبس القفازين كما نهى المحرم أن يلبس القميص والخف مع أنه يجوز له أن يستر يديه ورجليه باتفاق الأئمة والبرقع أقوى من النقاب فلماذا ينهى عنه باتفاقهم ولهذا كانت المحرمة لا تلبس ما يصنع لستر الوجه كالبرقع ونحوه فإنه كالنقاب وليس للمحرم أن يلبس شيئا مما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه إلا الحاجة كما أنه ليس للصائم أن يفطر إلا الحاجة والحاجة مثل البرد الذي يخاف أن يمرضه إذا لم يفظ رأسه أو مثل مرض نزل به يحتاج منه إلى تغطية رأسه فيلبس قدير الحاجة

فاذا استغنى عنه نزع وعليه أن يفقدى اما بصيام ثلاثة أيام واما بنسك
شاة أو باطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من تمر أو
شعير أو مد من بر وان أطعمه خبزاً جاز ويكون رطلين بالعراقي
قريباً من نصف رطل بالدمشقي وينبغي أن يكون مأدوماً وان
أطعمه مما يأكل كالقسماط والرقاق ونحو ذلك جاز وهو أفضل من
أن يعطيه قمحاً أو شعيراً وكذلك في سائر الكفارات اذا أعطاه مما
يقتات به مع ادمه فهو أفضل من أن يعطيه خبثاً مجرداً اذا لم يكن
عاديهم أن يطحنوا بأيديهم ويخبزوا بأيديهم والواجب في ذلك كله
ما ذكره الله تعالى بقوله (اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون
أهلكم أو كسوتهم) الآية فأمر الله تعالى باطعام المساكين من أوسط
ما يطعم الناس أهلكم . وقد تنازع العلماء في ذلك هل ذلك مقدر بالشرع
أو يرجع فيه إلى العرف وكذلك تنازعوا في المنفقة نفقة الزوجة
والراجح في هذا كله أن يرجع فيه إلى العرف فيطعم كل قوم مما
يطعمون أهلهم . ولما كان كعب بن عجرة ونحوه يقتاتون التمر أمره
النبي صلى الله عليه وسلم أن يطعم فرقاً من التمر بين ستة مساكين
والفرق ستة عشر رطلاً بالبغدادى وهذه الفدية يجوز أن يخرجها اذا
احتاج إلى فعل المحذور قبله وبعده ويجوز أن يذبح النسك قبل أن
يصل إلى مكة ويصوم الايام الثلاثة متتابعة ان شاء ومتفرقة ان شاء
فان كان له عذر أخر فعلها والا عجل فعلها واذا لبس ثم لبس مراراً
ولم يكن أدى الفدية أجزأته فدية واحدة في أظهر قولي العلماء

(فصل) فاذا أحرم لبي بتلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ليك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك
 لا شريك لك وان زاد على ذلك لبيك ذا المعارج أو لبيك وسـمـديك
 ونحو ذلك جاز كما كان الصحابة يزيدون ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم يسموهم فلم ينههم وكان هو يداوم على تلبيته ويلق من حين يحرم
 سواء ركب دابة أو لم يركبها وان أحرم بعد ذلك جاز والتلبية هي
 اجابة دعوة الله تعالى لحاقه حين دعاهم الي حج بيته على لسان خليله
 والملي هو المستسلم المتقاد لغيره كما يقاد الذي لبي وأخذ بلبته والمعنى
 انا مجيبوك لدعوتك مستسلمون لحكمتك مطيعون لامرك مرة بعد
 مرة لانزال علي ذلك والتلبية شعار الحج فافضل الحج العج والنج فالعج
 رفع الصوت بالتلبية والنج اراقة دماء الهدى ولهذا يستحـ رفع الصوت
 بها للرجل بحيث لا يجهد نفسه والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع رفيقتها
 ويستحب الاكثار منها عند اختلاف الاحوال مثل أدبار الصلوات
 ومثل ما اذا سمع نثرا أو هبط واديا أو سمع مليها أو أقبل الليل
 والنهار أو التقت الرفاق وكذلك اذا فعل ما نهى عنه وقد رؤى انه من
 لبي حتى تغرب الشمس فقد أمسى مغفورا له وان دعا عقب التلبية
 وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وسأل الله رضوانه والجنة واستعاذ
 برحمته من سخطه والنار فحسن

﴿فصل﴾ وما ينهى عنه المحرم أن يتطيب بهـد الاحرام في
 بدنه أو ثيابه أو يتمد لثم العليب وأما الدهن في رأسه أو بدنه بالزيت

والسمن ونحوه اذا لم يكن فيه طيب ففيه نزاع مشهور وتركه اولي ولا يقلم أظفاره ولا يقطع شعره وله أن يحك بدنه اذا حكه ويحتجم في رأسه وغير رأسه وان احتاج أن يحاق شعر الذكر جاز فانه قد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه وهو محرم ولا يمكن ذلك الا مع حلق بعض الشعر وكذلك اذا اغتسل وسقط شيء من شعره بذلك لم يضره وان تيقن انه انقطع بالغتسل ويفتصد اذا احتاج الى ذلك وله أن يغتسل من الجنابة بالاتفاق وكذلك لغير الجنابة ولا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب ولا يصطاد صيدا برياً ولا يتملكه بشراً ولا اتها ب ولا غير ذلك ولا يعين على صيد ولا يذبح صيدا فاما صيد البحر كالسمك ونحوه فله أن يصطاده ويأكله وله أن يقطع الشجر لكن نفس الحرم لا يقطع شيئاً من شجره وان كان غير محرم ولا من نباته المباح الا الاذخر وأما ما غرس الناس أوزرعوه فهو لهم وكذلك ما يبس من النبات يجوز أخذه ولا يصطاد به صيدا وان كان من الماء كالسمك غلي الصحيح بل ولا ينفر صيده مثل أن يقيمه ليقعد مكانه وكذلك حرم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما بين لابتيها واللاية هي الحرة وهي الارض التي فيها حجارة سود وهو بريد في بريد والبريد أربع فراسخ وهو من عبر التي تور وعبر هو جبل عند المقات يشبه العبر وهو الحمار وثورهو جبل من ناحية أحد وهو غير جبل تور الذي بمكة فهذا الحرم أيضا لا يصاد صيده ولا يقطع شجره الا الحاجة كآلة الركوب والحراث ويؤخذ

عن حشيشه ما يحتاج اليه للاف فان النبي صلى الله عليه وسلم رخص
 لاهل المدينة في هذا لحاجتهم الى ذلك اذ ليس حولهم ما يستقنون به
 عنه بخلاف الحرم المكي واذا أدخل عليه صيد لم يكن عليه ارساله
 وليس في الدنيا حرم لا بيت المقدس ولا غيره الا هذان الحرمان ولا
 يسمى غيرها حرما كما يسمى الجهال فيقولون حرم المقدس وحرم
 الخليل فان هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين والحرم المجمع
 عليه حرم مكة* وأما المدينة فلها حرم أيضا عند الجمهور كما استفاضت
 بذلك الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتنازع المسلمون في
 حرم تلك الا وجاء وهو وادبا لطائف وهو عند بعضهم حرم وعند
 الجمهور ليس بحرم* ولله حرم أن يقتل ما يؤذي بمادته الاس كالحية والعقرب
 والفأرة والفراب والكلب العقور وله أن يدفع ما يؤذيه من الآدميين
 والبهائم حتى لو صال عليه أحد ولم يدفع الا بالقتال قاتله فان النبي صلى
 الله عليه وسلم قال من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه
 فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون حرمة فهو
 شهيد واذا قرصته البراغيث والقمل فله اقاؤها عنه وله قتلها ولا
 شيء عليه والقاؤها أهون من قتلها وكذلك ما يترض له من الدواب
 يقينها عن قتلها وان كان في نفسه محرما كالاسد والفهد فاذا قتله فلا
 جزاء عليه في أظهر قولي العلماء وأما التفرغ بدون التأذي فهو من
 الترفه فلا يفعله ولو فعله فلا شيء عليه ويحرم على المحرم الوطء
 ومقدماته ولا يبطأ شيئا سواء كان امرأة ولا غير امرأة ولا يجمع بقبلة

ومس يد ولا نظر بشهوة فان جامع فسد حجه وفي الانزال بغير
الجماع نزاع ولا يفسد الحج بشيء من المحظورات الا بهذا الجنس
فان قيل بشهوة أو أمذي لشهوة فعليه دم

﴿ فصل ﴾ اذا أتى مكة جاز أن يدخل مكة والمسجد من جميع
الجوانب لكن الأفضل أن يأتي من وجه الكعبة اقتداء بالنبي صلى
الله عليه وسلم فانه دخلها من وجهها من الناحية العليا التي فيها اليوم
باب المعلاة ولم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لمكة ولا للمدينة
سور ولا أبواب مبذية ولكن دخلها من الثانية العليا ثنية كداء بالفتح
والمد المنرفة على المقبرة ودخل المسجد من الباب الاعظم الذي يقال
له باب بنى شيبه ثم ذهب الى الحجر الاسود فان هذا أقرب الطرق
الى الحجر الاسود لمن دخل من باب المعلاة ولم يكن قديما بمكة بناء
يعلم على البيت ولا كان فوق الصفا والمروة والمشرع الحرام بناء ولا كان
يعنى ولا بعرفات مسجد ولا عند الجمرات مساجد بل كل هذه محدثة
بعهد الخلفاء الراشدين ومنها ما أحدث بعهد الدولة الاموية ومنها
ما أحدث بعهد ذلك فكان البيت يرى قبل دخول المسجد وقد ذكر
ابن جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم لم كان اذا رأى البيت رفع يديه
وقال اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابةً وزيرًا وزد
من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفًا وتعظيمًا فمن رأى البيت
قبل دخول المسجد فعل ذلك وقد استحسب ذلك من استحبه عند
رؤية البيت ولو كان بعد دخول المسجد لكن النبي صلى الله عليه وسلم

بعد أن دخل المسجد ابتداء بالطواف ولم يصل قبل ذلك تحية المسجد
 ولا غير ذلك بل تحية المسجد الحرام هو الطواف بالبيت وكان صلى الله
 عليه وسلم يفتسل لدخول مكة كما كان يبيت بذي طوى وهو عند الآبار
 التي يقال لها آبار الزاهر فمن تيسر له المبيت بها والاعتسال ودخول
 مكة نهارا والافليس عليه شيء من ذلك وإذا دخل المسجد بدأ بالطواف
 فبیتدی من الحجر الأسود يستقبله استقبالاً ويستلمه ويقبله إن
 أمكن ولا يؤذى أحداً بالمزاحمة عليه فإن لم يمكن استلمه وقبل يده والآخر
 أشار إليه ثم ينتقل للطواف ويجعل البيت عن يساره وأيسر عليه أن
 يذهب إلى ما بين الركنين ولا يمشي صرخاً ثم ينتقل للطواف بل ولا
 يستحب ذلك ويقول إذا استلمه بسم الله والله أكبر وإن شاء قال اللهم
 إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى
 الله عليه وسلم ويجعل البيت عن يساره فيطوف سبماً ولا يخرق الحجر
 في طوافه لما كان أكثر الحجر من البيت والله أمر بالطواف به
 لا بالطواف فيه ولا يستلم من الأركان إلا الركنين اليمانيين دون الشاميين
 فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما استلمهما خاصة لأنهما على قواعد
 إبراهيم والآخزان هما في داخل البيت فالركن الأسود يستلم ويقبل
 واليماني يستلم ولا يقبل والآخزان لا يستلمان ولا يقبلان والاستلام
 هو مسحه باليد وأما سائر جوانب البيت ومقام إبراهيم وسائر ما في
 الأرض من المساجد وحيطانها ومقابر الأنبياء والصالحين كحجارة نبينا
 صلى الله عليه وسلم ومغارة إبراهيم ومقام نبينا صلى الله عليه وسلم الذي

كان يصلى فيه وغير ذلك من مقابر الانبياء والصالحين وصخرة بيت المقدس فلا تستلم ولا تقبل باتفاق الائمة وأما الطواف بذلك فهو من أعظم البدع المحرمة ومن اتخذ ديننا يستتاب فان تاب والا قتل ولو وضع يده على الشاذر وان الذي يربط فيه أستار الكعبة لم يضره ذلك في أصح قولي العلماء وليس الشاذر وان من البيت بل جعل عمادا للبيت ويستحب له في الطواف الاول أن يرمل من الحجر الى الحجر في الاطواف الثلاثة والرمل مثل الهرولة وهو مسارعة المشى مع تقارب الخطافان لم يمكن الرمل لازمة كان خروجها الى حاشية المطاف والرمل أفضل من قربه الى البيت بدون الرمل وأما اذا أمكن القرب من البيت مع اكمال السنة فهو أولى ويجوز أن يطوف من وراء قبة زمزم وما وراءها من السقائف المتصلة بحيطان المسجد ولو صلى المصلى في المسجد والناس يطوفون أمامه لم يكره سواء مرّ أمامه رجل أو امرأة وهذا من خصائص مكة وكذلك يستحب ان يضطبع في هذا الطواف والاضطباع هو أن يبدي ضبعه الايمن فيضع وسط الرداء تحت ابطه الايمن وطرفيه على عاتقه الايسر وان ترك الرمل والاضطباع فلا شئ عليه* ويستحب له في الطواف أن يذكر الله تعالى ويدعوه بما يشرع وان قرأ القرآن سرا فلا بأس وليس فيه ذكر محدود عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بأمره ولا بقوله ولا بتعليمه بل يدعو فيه بسائر الادعية الشرعية وما يذكره كثير من الناس من دعاء مهين تحت الميزاب ونحو ذلك فلا أصل له وكان النبي صلى الله عليه وسلم

يُحْتَم طَوَافُهُ بَيْنَ الرَّكْنَيْنِ بِقَوْلِهِ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ كَمَا كَانَ يُحْتَم سَائِرَ دَعَائِهِ بِذَلِكَ وَلا يَسُ فِي ذَلِكَ
ذِكْرٌ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الأئِمَّةِ وَالطَّوَافِ بِالبَيْتِ كَالصَّلَاةِ الا أَن اللهُ أَبَاحَ فِيهِ
الكَلَامَ فَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ فَلا يَتَّكِمُ الا بِمَجْزِئِهِ وَهَذَا يُؤَمِّرُ الطَّائِفَ أَن يَكُونَ
مُتَطَهِّرًا الطَّاهِرَتَيْنِ الصَّغْرَى وَالكُبْرَى وَيَكُونُ مُسْتَوْرًا العَوْرَةَ مَجْتَنِبًا
النَّجَاسَةَ الَّتِي يَجْتَنِبُهَا المُصَلِّي وَالطَّائِفُ طَاهِرٌ لَكِن فِي وَجُوبِ الطَّهَارَةِ فِي
الطَّوَافِ نِزَاعٌ بَيْنَ العُلَمَاءِ فَانَّهُ لَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
انَّهُ أَمَرَ بِالطَّهَارَةِ لِلطَّوَافِ وَلا نَهَى المَحْدِثَ أَن يَطُوفَ وَلَكِنَّهُ طَافَ
طَاهِرًا لَكِنَّهُ ثَبَتَ عَنْهُ انَّهُ نَهَى الحَائِضَ عَنِ الطَّوَافِ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنَّاحِ الصَّلَاةِ الطَّهْوَرُ وَنَحْرِيئُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْمِيلُهَا التَّسْلِيمُ
فَالصَّلَاةُ الَّتِي أُوجِبَ لَهَا الطَّهَارَةُ مَا كَانَ يَفْتَتِحُ بِالتَّكْبِيرِ وَيُخْتَمُ بِالتَّسْلِيمِ كَالصَّلَاةِ
الَّتِي فِيهَا رُكُوعٌ وَسُجُودٌ كَالصَّلَاةِ الجَنَازَةِ وَسُجُودِ السُّهُوِّ وَأَمَّا الطَّوَافُ
وَسُجُودُ النَّلاوَةِ فَلَيْسَا مِنْ هَذَا وَالاَعْتِكَافُ يَشْتَرِطُ لَهُ المَسْجِدُ وَلا
يَشْتَرِطُ لَهُ الطَّهَارَةُ بِالاتِّفَاقِ وَالمُتَّكِفَةُ الحَائِضُ تَنْهَى عَنِ اللَّبْثِ فِي المَسْجِدِ
مَعَ الحَيْضِ وَإِنْ كَانَتْ تَابَتْ فِي المَسْجِدِ وَهِيَ مُحْدَثَةٌ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ
فِي مَنَاسِكِ الحَيْجِ لابْنِهِ عَبْدِاللهِ حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يُونُسَ أَنَّ نَاشِئَةَ عَمَةَ عَنِ
حَمَادٍ وَنُصُورٍ قَالَا سَأَلْتُهُمَا عَنِ الرَّجُلِ يَطُوفُ بِالبَيْتِ وَهُوَ غَيْرُ مُتَوَضِّئٍ فَلَمْ
يَرِيَابَهُ بِأَسَا قَالَ عَبْدِاللهُ - أَلْتِ أَبِي عَنِ ذَلِكَ فَقَالَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَن لا يَطُوفَ
بِالبَيْتِ وَهُوَ غَيْرُ مُتَوَضِّئٍ لِأَنَّ الطَّوَافَ بِالبَيْتِ صَّلَاةٌ وَقَدْ اخْتَلَفَتْ
الرِّوَايَةُ عَنِ أَحْمَدَ فِي اشْتِرَاطِ الطَّهَارَةِ فِيهِ وَوَجُوبِهَا كَمَا هُوَ أَحَدُ القَوْلَيْنِ

في مذهب أبي حنيفة لكن لا يخلف مذهب أبي حنيفة انها ليست بشرط ومن طاف في جورب ونحوه لئلا يطا نجاسة من ذرق الحمام أو غطى يديه لئلا يمس امرأة ونحو ذلك فقد خالف السنة فان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين مازالوا يطوفون بالبيت ومازال الحمام بمكة لكن الاحتياط حسن ما لم يخالف السنة المعلومه فاذا أفضى الي ذلك كان خطأ واعلم ان القول الذي يتضمن مخالفة السنة خطأ كمن يجتمع عليه نعليه في الصلاة المكتوبة أو صلاة الجنائز خوفان أن يكون فيهما نجاسة فان هذا خطأ يخالف للسنة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في نعليه وقال ان اليهود لا يصلون في نعالهم فخافوهم وقال اذا أتى المسجد أحدكم فلينظر في نعليه فان كان فيهما أذى فليدلكهما في التراب فان التراب لهما طهور وكما يجوز أن يصلي في نعليه فكذلك يجوز أن يطوف في نعليه وان لم يمكنه الطواف ماشيا فطاف راكبا أو محمولا أجزاء بالاتفاق وكذلك ما يعجز عنه من واجبات الطواف مثل من كان به نجاسة لا يمكنه ازالها كالمستحاضة ومن به سلس البول فانه يطوف ولا شيء عليه باتفاق الاثمة وكذلك لو لم يمكنه الطواف الا حريانا فطاف بالليل كما لو لم يمكنه الصلاة الا حريانا وكذلك المرأة الحائض اذا لم يمكنها طواف الفرض الا حائضا بحيث لا يمكنها التأخر بمكة ففي أحد قولي العلماء الذين يوجبون الطهارة على الطائف اذا طافت الحائض أو الجنب أو المحدث أو حامل لنجاسة مطلقا أجزاء الطواف وعاليه دم اما شاة واما بدنة مع الحيض والجنابة وشاة مع الحدث الأصغر

بمنوع الحائض من الطواف قد يعمل بأنه يشبه الصلاة وقد يعمل بأنها
بمنوعة من المسجد كما تمنع منه بالاعتكاف وكما قال عز وجل لآبراهيم
صلى الله عليه وسلم وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود
فأمره بتطهيره لهذه العبادات فمنعت الحائض من دخوله وقد اتفق
بالعلماء على أنه لا يجب للطواف ما يجب للصلاة من تحريم وتحليل
وقراءة وغير ذلك ولا يبطله ما يبطلها من الأكل والشرب والكلام
وغير ذلك ولهذا كان مقتضى تعاميل من منع الحائض حرمة المسجد
أنه لا يرى الطهارة شرطاً بل مقتضى قوله أنه يجوز لها ذلك عند الحاجة
كما يجوز لها دخول المسجد عند الحاجة وقد أمر الله تعالى بتطهيره
للطائفين والعاكفين والركع السجود والعاكف فيه لا يشترط له
الطهارة ولا نجس عليه الطهارة من الحدث الأصغر باتفاق المسلمين ولو
اضطرت العاكة الحائض إلى لبثها فيه للحاجة جاز ذلك وأما الركع
السجود فهم المصلون والطهارة شرط للصلاة باتفاق المسلمين والحائض
لا تصلح لأداءه ولا أداءه يبقى الطائف هل يلحق بالعاكف أو بالمصل
أو يكون قسماً ثالثاً بينهما هذا محل اجتهاد وقوله الطواف بالبيت
صلاة لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هو ثابت عن ابن
عباس وقد روى مرفوعاً ونقل بعض الفقهاء عن ابن عباس أنه قال
إذا طاف بالبيت وهو جنب عليه دم ولا ريب أن المراد بذلك أنه يشبه
الصلاة من بعض الوجوه ليس المراد أنه نوع الصلاة التي يشترط لها
الطهارة وهكذا قوله إذا أتى أحدكم المسجد فلا يشرك بين أصابعه

فانه في صلاة وقوله ان العبد في صلاة ما كانت الصلاة تمجسه وما دام
ينتظر الصلاة وما كان يعتمد الى الصلاة ونحو ذلك فلا يجوز لحائض أن
تطوف الا طاهرة اذا أمكنها ذلك بانفاق العلماء ولو قدمت المرأة
حائضا لم تطف بالبيت لكن تقف بعرفة وتفعل سائر المناسك كلها مع
الحيض الا الطواف فانها تنتظر حتى تظهر ان أمكنها ذلك ثم تطوف
وان اضطرت الي الطواف فطافت أجزأها ذلك على الصحيح من
قولي العلماء فاذا قضى الطواف صلى ركعتين للطواف وان صلاهما
عند مقام ابراهيم فهو أحسن ويستحب أن يقرأ فيهما بسورتي
الاخلاص قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم اذا صلاهما
استحب له أن يستلم الحجر ثم يخرج الى الطواف بين الصفا والمروة
ولو أجز ذلك الى بعد طواف الافاضة جاز فان الحج فيه ثلاثة أطوفة
طواف عند الدخول وهو يسمى طواف القدوم والدخول والورود
والطواف الثاني هو بعد التعريف ويقال له طواف الافاضة والزيارة
وهو طواف الفرض الذي لا بد منه كما قال تعالى ثم ايقضوا تفهم
وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق والطواف الثالث هو لمن
أراد الخروج من مكة وهو طواف الوداع واذا سمي عقيب واحد
منها أجزأه فاذا خرج للمسي خرج من باب الصفا وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يركب على الصفا والمروة وهما في جانب جبل مكة فيمكبر
ويهلل ويدعو الله تعالى واليوم قد بنى فوقها دكتان فمن وصل الي
أسفل البناء أجزأه المسي وان لم يصعد فوق البناء فيطوف بالصفا

والمروة سيما بتدبير الصفا ويحتم بالمروة ويستحب أن يسبح في بطن الوادي من العلم الى العلم وهما معلمان هناك وان لم يسبح في بطن الوادي بل مشى على هيئته جميع ما بين الصفا والمروة أجزاء باتفاق العلماء ولاشئ ولا صلاة عقيب الطواف بالصفا والمروة وانما الصلاة عقيب الطواف بالبيت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق السلف والائمة فاذا طاف بين الصفا والمروة حل من احرامه كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لما طافوا بهما أن يحلوا الا من كان معه هدى فلا يحل حتى ينجره والمفرد والقارن لا يحلان الا يوم النحر ويستحب له أن يقصر من شعره ليدع الخلاق للحج وكذلك أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحل حل له ما حرم عليه بالاحرام

﴿ فصل ﴾ فاذا كان يوم التروية أحرم وأهل بالحج فيفعل كما فعل عند الميقات وان شاء أحرم من مكة وان شاء من خارج مكة هذا هو الصواب وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انما أحرموا كما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم من البطحاء والسنة أن يحرم من الموضع الذي هو نازل فيه وكذلك للمكي يحرم من أهله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان منزله دون مكة فمهله من أهله حتى أهل مكة يهلون من مكة والسنة أن يبیت الحاج بمنى فيصلون الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ولا يخرجون منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأما الايقاد فهو بدعة مكرهة باتفاق العلماء وانما الايقاد بزدافة خاصة بعد الرجوع من عرفة وأما الايقاد

بمعى أو عرفة فبدعة أيضا ويسيرون منها الى نمرة على طريق ضب من
يمين الطريق ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات من جهة اليمين
فيقيمون بها الى الزوال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسبرون
منها الى بطن الوادى وهو موضع النبي صلى الله عليه وسلم الذى صلى
فيه الظهر والعصر وخضب وهو في حدود عرفة ببطن عرنة وهناك
مسجد يقال له مسجد ابراهيم واما بنى في اول دولة بنى العباس فيصلى
هناك الظهر والعصر قصرا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ويصلى
خلفه جميع الحاج أهل مكة وغيرهم قصرا وجمعا يخطب بهم الامام كما
خطب النبي صلى الله عليه وسلم على بعيره ثم اذا قضى الخطبة أذن
المؤذن وأقام ثم يصلى كما جاءت بذلك السنة ويصلى بعرفة ومزدلفة
وهي قصرا ويقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجتمعون الصلاة
بعرفة ومزدلفة ومضى كما كان أهل مكة يفعلون خاف النبي صلى الله
عليه وسلم بعرفة ومزدلفة ومضى وكذلك كانوا يفعلون خلف أبى بكر
وعمر رضى الله عنهما ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه
أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومضى
أتموا صلاتكم فانا قوم سفر ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ ولكن
المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في غزوة الفتح لما
صلى بهم بمكة وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة
وهناك كان يصلى بأصحابه ثم لما خرج الى منى وعرفة خرج معه أهل
مكة وغيرهم ولما رجع من عرفة رجعوا معه ولما صلى بنى أيام منى

صلوا معه ولم يقل لهم أتموا صلاتكم فانا قوم سفر ولم يحمد النبي صلى الله
 عليه وسلم السفر لابسافة ولا بزمان ولم يكن بمنى أحد ساكنا في زمته
 ولهذا قال متى مناخ من سبق ولكن قيل انها سكنت في خلافة عثمان
 وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لانه كان يرى ان المسافرين من يحمل
 الزاد والمزاد ثم بعد ذلك يذهب الى عرفات فهذه السنة لكن في هذه
 الاوقات لا يكاد يذهب أحد الى نمرة ولا الى مصلى النبي صلى الله عليه
 وسلم بل يدخلون عرفات بطريق المازمين ويدخلونها قبل الزوال
 ومنهم من يدخلها ليلا ويبيتون بها قبل التعريف وهذا الذي يفعله
 الناس كله مجزي معه الحج لكن فيه نقص عن السنة فيفعل ما يمكن من
 السنة مثل الجمع بين الصلاتين فيؤذن أذانا واحدا ويقم لكل صلاة
 والايقاد بمرفة بدعة مكروهة وكذلك الايقاد بمنى بدعة باتفاق العلماء
 وانما يكون الايقاد بمزدلفة خاصة في الرجوع ويقفون بعرفات الى
 غروب الشمس ولا يخرجون منها حتى تغرب الشمس واذا غربت
 الشمس يخرجون ان شاؤا بين العلمين وان شاؤا من جانبيهما والعلمان
 الاولان عرفات فلا يجاوزها حتى تغرب الشمس والميلان بعد ذلك حد
 مزدلفة وما بينهما بطن صرفة ويجتهد في الذكر والدعاء هذه العشية فانه
 مارؤى ابليس في يوم هو فيه أصفر ولا أحقر ولا أغيض ولا أدحض
 من عشية عرفات لما يرى من تنزيل الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب
 العظام الا مارؤى يوم بدر فانه رأى جبريل يزع الملائكة ويصح وقوف
 الحائض وغير الحائض ويجوز الوقوف ماشيا وراكبا وأما الافضل

فيختلف باختلاف الناس فان كان ممن اذا ركب رآه الناس لحاجتهم اليه
أو كان يشق عليه ترك الركوب وقف راكباً فان النبي صلى الله عليه وسلم
وقف راكباً وهكذا الحج فان من الناس من يكون حجه راكباً أفضل
ومهم من يكون حجه ماشياً أفضل ولم يمين النبي صلى الله عليه وسلم
لعرفة دعاء ولا ذكر بل يدعو الرجل بما شاء من الادعية الشرعية
وكذلك يكبر ويهلل ويذكر الله تعالى حتى تغرب الشمس والافتح
لعرفة قدروى في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن
ابن عمر وغيره ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن
أصحابه في الحج الا ثلاثة أغسال غسل الاحرام والغسل عند
دخول مكة والغسل يوم عرفة وما سوى ذلك كالغسل لرمى الجمار
وللطواف والمبيت بمزدلفة فلا أصل له لاعتن النبي صلى الله عليه
وسلم ولا عن أصحابه ولا استحبه جمهور الأئمة لامالك ولا أبو
حنيفة ولا أحمد وان كان قد ذكره طائفة من متأخري أصحابه
بل هو بدعة الا أن يكون هناك سبب يقتضى الاستحباب مثل أن يكون
عليه راحة يؤذى الناس بها فيغتسل لازالتها وعرفة كلها موقف ولا
يقف ببطن عرنة وأما صمود الحيل الذي هناك فليس من السنة
ويسمى جبل الرحمة ويقال له الال على وزن هلال وكذلك القبة التي
فوقه يقال لها قبة آدم لا يستحب دخولها ولا الصلاة فيها والطواف
بها من الكبائر وكذلك المساجد التي عند الجمرات لا يستحب دخول
شيء منها ولا الصلاة فيها وأما الطواف بها أو بالصخرة أو بحجرة النبي

صلى الله عليه وسلم أو ما كان غير البيت العتيق فهو من أعظم البدع
المحرمة

﴿ فصل ﴾ فإذا أفاض من عرفات ذهب الى المشعر الحرام على
طريق المازمين وهو طريق الناس اليوم وإنما قال الفقهاء على طريق
المازمين لانه الى صرفة طريق أخرى تسمى طريق ضب ومنها دخل
النبي صلى الله عليه وسلم الى عرفات وخرج على طريق المازمين
وكان صلى الله عليه وسلم في المناسك والاعباد يذهب من طريق ويرجع
من أخرى فدخل من ائذية العليا وخرج من ائذية السفلى ودخل
المسجد من باب بنى شيبة وخرج بعد الوداع من باب حرورة اليوم
ودخل الى عرفات من طريق ضب وخرج من طريق المازمين
وأتي الى جرة العقبة يوم العيد من الطريق الوسطى التي يخرج منها
الى خارج مني ثم يمطف على يساره الى الجحرة ثم لما رجع الى موضعه
بمنى الذي نحر فيه هديه وحلق رأسه رجع من الطريق المتقدمة التي
يسير منها جمهور الناس اليوم فيؤخر المغرب الى أن يصلها مع العشاء
بمزدلفة ولا يزال الناس بل ان وجد خنوة أسرع فاذا وصل الى
المزدلفة صلى المغرب قبل تبريك الجمال ان أمكن ثم اذا بركوا وصلوا
العشاء وان أضر العشاء لم يضره ذلك ويبيت بمزدلفة ومزدلفة كلها يقال
لها المشعر الحرام وهي ما بين مازمي صرفة الى بطن محسر فان بين
كل مشعرين حدا ليس منهما فان بين صرفة ومزدلفة بطن عرنة وبين
عرندة ومفي بطن محسر قال النبي صلى الله عليه وسلم عرفة كلها

موقف وارفعوا عن بطن عرنة ومزدلفة كلها مواقف وارفعوا عن بطن محسر وفي كلها منجر. وخراج مكة كلها طريق والسنة أن يبدي بمزدلفة الى أن يطلع الفجر فيصلي بها الفجر في أول الوقت ثم يقف بالمشعر الحرام الى أن يسفر جدا قبل طلوع الشمس فان كان من الضممة كالنساء والصبيان ونحوهم فانه يتمجل من مزدلفة الى منى اذا غاب القمر ولا ينبغي لاهل القوة أن يخرجوا من مزدلفة حتى يطلع الفجر فيصلوا بها الفجر ويقفوا بها ومزدلفة كلها موقف لكن الوقوف عند قزح أفضل وهو جبل المقيدة وهو المكان الذي يقف فيه الناس اليوم قد بنى عليه بناء وهو المكان الذي يخصه كثير من الفقهاء باسم المشعر الحرام فاذا كان قبل طلوع الشمس أفاض من مزدلفة الى منى فاذا أتى محسرا أسرع قدر رمية بحجر فاذا أتى منى رمى جرة العقبة بسبع حصيات ويرفع يده في الرمي وهي الجرة التي هي آخر الجمرات من ناحية منى وأقربهن من مكة وهي الجرة الكبرى ولا يرمى يوم النحر غيرها يرميها مستقبلا لها يجمل البيت عن يساره ومنى عن يمينه هذا هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها ويستحب أن يكبر مع كل حصة وان شاء قال مع ذلك اللهم اجعله حججا مبرورا وسعيًا مشكورا وذنبًا مغفورا ويرفع يديه في الرمي ولا يزال يابى في ذهاب من مشعر الى مشعر مثل ذهابه الى عرفات وذهابه من عرفات الى مزدلفة حتى يرمي جرة العقبة فاذا شرع في الرمي قطع التلبية فانه حينئذ يشرع في التحلل والعلماء في التلبية على ثلاثة أقوال منهم من

يقول بقطعها اذا وصل الى عرفة ومنهم من يقول بل يابى بعرفة
وغيرها الى ان يرمى الجرة والقول الثالث انه اذا أفاض من عرفة الى
مزدلفة ابي واذا أفاض من مزدلفة الى منى ابي وهكذا صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم

﴿فصل﴾ وأما التلبية في وقوفه بعرفة ومزدلفة فلم ينقل عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقد نقل عن الخلفاء الراشدين وغيرهم أنهم
كانوا لا يلبون بعرفة فاذا رمى جرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدى
ويستحب أن تنحر الابل مستقبلة القبلة قائمة معقولة اليد اليسرى
والبقر والغنم يضجها على شقها الايسر مستقبلا بها القبلة ويقول
بسم الله والله أكبر اللهم منك ولك اللهم تقبل منى كما تقبلت من ابراهيم
خايلك وكبذبح بنى وقد سبق من الحل الى الحرم فانه هدى سواء
كان من الابل أو البقر أو الغنم ويسمى أيضا أضحية بخلاف ما يذبح
يوم النحر بالحل فانه أضحية وليس بهدى وليس بمنى ماهو أضحية
وليس بهدى كما في سائر الامصار فاذا اشترى الهدى من عرفات وساقه
الى منى فهو هدى بانفاق الملماء وكذلك ان اشتراه من الحرم فذهب
به الى التعميم وأما اذا اشترى الهدى من منى وذبحه فيها ففيه نزاع
فذهب مالك أنه ليس بهدى وهو منقول عن ابن عمر وذهب الثلاثة
أنه هدى وهو منقول عن عائشة وله أن يأخذ الحمى من حيث شاء
لكن لا يرمى بحصى قد رمى به ويستحب أن يكون فوق الحمى ودون
للبنديق وان كسره جاز والتقاط الحمى أفضل من تكبيره من الخيل

ثم يخلق رأسه أو يقصره والحاق أفضل من التقصير وإذا قصره لم يحن
الشعر وقص منه بقدر الأملة أو أقل أو أكثر والمرأة لا تقص أكثر
من ذلك وأما الرجل فله أن يقصره ماشاء وإذا فعل ذلك فقد تحلل
باتفاق المسلمين التحال الأول فيلبس الثياب ويقلم أظفاره وكذلك له
على الصحيح أن يتطيب ويتزوج وأن يصطاد ولا يبقى عليه من
المحظورات إلا النساء ومد ذلك بدخل مكة فيطوف طواف الاقضية
ان أمكنه ذلك يوم النحر والافعله بمد ذلك لكن ينبغي أن يكون في
أيام التبريق فان تأخيره عن ذلك فيه نزاع ثم يسمى بمد ذلك سمي
الحج وليس على المفرد الا سمي واحدا وكذلك القارن عند جمهور العلماء
وكذلك المتمتع في أصح أقوالهم وهو أصح الروايتين عند أحمد وإس
عليه الا سمي واحدا فان الصحابة الذين تمتعوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم لم يطوفوا بين الصفا والمروة الا مرة واحدة قبل التبريق فاذا
اكتفى المتمتع بالسمي الاول أجزاء ذلك كما يجزى المفرد والقارن
وكذلك قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قيل لابي المتمتع كم يسمى بين
الصفا والمروة قال ان طاف طوافين يسمى بالبيت وبين الصفا والمروة
فهو أجود وان طاف طوافا واحدا فلا بأس وان طاف طوافين فهو
أعجب الى وقال أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي عن عطاء
عن ابن عباس أنه كان يقول المفرد والمتمتع يجزئه طواف بالبيت وسمي
بين الصفا والمروة وقد احتفوا في الصحابة المتمتعين مع النبي صلى الله
عليه وسلم مع اتفاق الناس على أنهم طافوا أولا بالبيت وبين الصفا

والمرورة ولما رجعوا من عرفة قيل لهم سموا أيضا به - طواف
 الافاضة وقيل لم يسموا وهذا هو الذي ثبت في صحيح مسلم عن جابر
 قال لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين الصفا والمرورة الا
 طوافا واحدا طوافه الاول وقد روى في حديث عائشة أنهم طافوا
 مرتين لكن هذه الزيادة قبل انها من قول الزمري لا من قول عائشة
 وقد احتج بها بمضهم علي أنه يستحب طوافان بالبيت وهذا ضيف
 والاطهر ما في حديث جابر ويؤيده قوله دخلت العمرة في الحج الى
 يوم القيامة فالمتنع من حين أحرم بالعمرة دخل بالحج لكنه فصل
 بتحلل ليكون أسير على الحاج وأحب الدين الى الله الحنيفة السمحة
 ولا يستحب للمتنع ولا لغيره أن يطوف لاقدم به - التمرين بل
 هذا الطواف هو السنة في حقه كما فعل الصحابة مع النبي صلى الله عليه
 وسلم فاذا طاف طواف الافاضة فقد حل له كل شيء النساء وغير النساء
 وليس بمنى صلاة عيد بل رمى جرة العقبة لم كصلاة العيد لاهل
 الامصار والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصل جمعة ولا عبدا في السفر
 ولا بمكة ولا عرفة بل كانت خطبته بعرفة خطبة منك لا خطبة جمعة ولم
 يجهر بالقراءة في الصلاة بعرفة

﴿فصل﴾ ثم يرجع الى منى فيبيت بها ويرمي الجمرات الثلاث
 كل يوم بعد الزوال يبتدىء بالجمرات الاولى التي هي اقرب الى مسجد
 الحيف * ويستحب أن يمشي اليها فيرميها بجمع حصيات * ويستحب له
 أن يكبر مع كل حصاة وان شاء قل اللهم اجعلها حججا مبرورا وسعيًا

مشكورا وذنبها مغفورا ويستحب له اذا رماها ان يتقدم قلبه الا اليه
 موضع لا يصيبه الحصى فيدعو الله تعالى مستقبلا القبلة رافعا يديه
 بقدر سورة البقرة ثم يذهب الى الجمرة الثانية فيرميها كذلك فيقدم
 عن يساره يدعو مثل ما فعل عند الاولى ثم يرمي الثالثة وهي جرة
 العقبة فيرميها بسبع حصيات ايضا ولا يقف عندها ثم يرمي في اليوم
 الثاني من ايام منى مثل ما رمى في الاول ثم ان شاء رمى في اليوم الثالث
 وهو الافضل وان شاء تعجل في اليوم الثاني بنفسه قبل غروب الشمس
 كما قال تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه الآية فاذا غربت
 الشمس وهو بمنى اقام حتى يرمي مع الناس في اليوم الثالث ولا يتفر
 الامام الذي يقيم لاس المناسك بل السنة ان يقيم الى اليوم الثالث
 والسنة الامام ان يصلي بالناس بمنى ويصلي خلفه اهل المومم* ويستحب
 ان لا يدع الصلاة في مسجد منى وهو مسجد الحيف مع الامام فان
 النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر كانوا يصلون بالناس قصرا بلا
 جمع بمنى ويقصر الناس كلهم خلفهم اهل مكة وغير اهل مكة وانما
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا اهل مكة اتوا صلواتكم
 قانا قوم فرمنا صلى بهم بمكة نفيها فان لم يكن للناس امام عام صلى
 الرجل بأصحابه والمسجد بنى بمد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن تلى
 عهد ثم اذا نفر من منى فان بات بالمحصب وهو الا بطح وهو ما بين
 الحيلين الى المقبرة ثم نفر بمد ذلك فحسن فان النبي صلى الله عليه وسلم
 مات به وخرج ولم يقم بمكة بمد صدوره من منى لكانه ودع البيت وقال

لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهد - بده بالبيت فلا يخرج الحاج حتى
يودع البيت فيطوف طواف الوداع حتى يكون آخر عهده بالبيت ومن
أقام بمكة فلا وداع عليه وهذا الطواف يؤخره الصادر من مكة حتى يكون
بمعد جميع أموره فلا يشغل بعه بتجارة ونحوها لكن ان قضى
حاجته أو اشترى شيئاً في طريقه بمعد الوداع أو دخل الى المنزل الذي هو
فيه - ايحمل المتاع على دابته ونحو ذلك مما هو من أسباب الرحيل
فلا اعادة عليه وان أقام بمعد الوداع أعاده وهذا الطواف واجب عند
الجمهور لكن يسقط عن الحائض وان أحب أن يأتي للملزم وهو ما بين
الحجر الاسود والباب فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه - وكفيه
ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته فعمل ذلك وله أن يفعل ذلك قبل
طواف الوداع فان هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون حال الوداع أو غيره
والصحابه كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة وان شاء قال في دعائه
الدعاء المأثور عن ابن عباس اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمك
حملني على ما سخرت لي من خلقك ويسرني في بلادك حتى باغتنق
بعضتك الي بيتك وأعنتني على أداء نسكك فان كنت رضية عني
فازدد عني رضا والافمن الآن فارض عني قبل أن تنأى عن بيتك دارى
فهذا أوان انصرافى ان أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغباً
عنك ولا عن بيتك اللهم فاصحبنى العافية في بدنى والصحة في جسمى
والعصمة في دينى وأحسن منقلبي وارزقنى طاعتك ما بقينى واجمع
لي بين خيرى الدنيا والآخرة انك على كل شئ قدير ولو وقف عند

الباب ودعا هناك من غير التزام للبيت كان حسنا فاذا ولى لا يقف ولا يلتفت ولا يمشى الفهقرى قال الثعلبي في فقه اللغة الفهقرى مشبهة الراجع الى خلف حتى قد قيل انه اذا رأى البيت رجيع فودع وكذلك عند سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم لا ينصرف ولا يمشى الفهقرى بل يخرج كما يخرج الناس من المساجد عند الصلاة وليس في عمل القارن زيادة على عمل المفرد لكن عليه وعلى المتمتع هدى بدنة أو بقرة أو شاة أو شرك في دم فمن لم يجد الهدى صام ثلاثة أيام قبله يوم التحرر وسبعة اذا رجع وله أن يصوم الثلاثة من حين أحرم بالعمرة في أظهر أقوال العلماء وفيه ثلاث روايات عن أحمد قيل انه يصومها قبل الاحرام بالعمرة وقيل لا يصومها الا بعد الاحرام بالحج وقيل يصومها من حين الاحرام بالعمرة وهو الأرجح وقد قيل انه يصومها بعد التحلل من العمرة فانه حينئذ شرع في الحج ولكن دخات العمرة في الحج كما دخل الوضوء في الغسل قال النبي صلى الله عليه وسلم دخات العمرة في الحج الى يوم القيامة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا متمتعين معه وإنما أحرموا بالحج يوم التروية وحينئذ فلا بد من صوم بعض الثلاثة قبل الاحرام بالحج ويستحب أن يشرب من ماء زمزم ويتصلع منه ويدعو عند شربه بما شاء من الادعية الشرعية ولا يستحب الاغتسال منها * وأما زيارة المساجد التي بنيت بمكة غير المسجد الحرام كالمسجد الذي تحت الصفا وما في سفيح أبي قيس ونحو ذلك من المساجد التي بنيت على آثار

النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمسجد المولد وغيره فليس قصد
شيء من ذلك من السنة ولا استحبه أحد من الأئمة وإنما المشروع
إتيان المسجد الحرام خاصة والمشاعر عرفه ومزدلفة والصفاء والمروة
وكذلك قصد الجبال والبقاع التي حول مكة غير المشاعر عرفه
ومزدلفة وفي مثل جبل حراء والجبل الذي عند منى الذي يقال أنه
كان فيه قبة الفداء ونحو ذلك فإنه ليس من سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بل هو بدعة وكذلك ما يوجد في
الطرق من المساجد المبنية على الآبار والبقاع التي يقال أنها من الآبار
لم يشرع النبي صلى الله عليه وسلم زيارة شيء من ذلك بخصوصه ولا زيارة
شيء من ذلك ودخول الكعبة ليس بفرض ولا سنة مؤكدة بل
دخولها حسن والنبي صلى الله عليه وسلم لم يدخلها في الحج ولا في
العمرة لا عمرة الجمرات ولا عمرة القضية وإنما دخلها عام فتح مكة
ومن دخلها يستحب له أن يصلي فيها ويكبر الله ويدعوه ويدكره
فإذا دخل مع الباب تقدم حتى يصير يده وبين الحائط ثلاثه أذرع
والباب خلفه فذلك هو المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه
وسلم ولا يدخلها إلا حافيا والحجر أكثر من البيت من حيث ينحني
وأما حائطه فمن دخله فهو كمن دخل الكعبة وليس على داخل الكعبة
مأليس على غيره من الحجاج بل يجوز له من المشى حافيا وغير ذلك
ما يجوز لغيره والاكثر من الطواف بالبيت من الأعمال الصالحة فهو
أفضل من أن يخرج الرجل من الحرم وبأنى بعمرة مكة فإن هذا لم

يكن من أعمال السابقين الأولين من المهاجرين والانصار ولا يرغب فيه النبي صلى الله عليه وسلم لامته بل كرهه السلف

(فصل) واذا دخل المدينة قبل الحج أو بعده فانه يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ولا تشد الرحال الا اليه والى المسجد الحرام والمسجد الانصفي هكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو مروى من طرق آخر ومسجده كان أصغر مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الاحكام ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فانه قد قال ما من رجل يسلم على الاراد الله عليّ روي حتى أرد عليه السلام رواه أبو داود وغيره وكان عبد الله بن عمر يقول اذا دخل المسجد السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبا بركة وهكذا كان الصحابة يسامون عليه ويسامون عليه مستقبلي الحجره مستدبري القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة قال يستقبل القبلة فمن أصحابه من قال يستدبر الحجره ومنهم من قال يجملها عن يساره واتفقوا على انه لا يستلم الحجره ولا يقبأها ولا يطوف بها ولا يصلي اليها واذا قال في سلامه السلام عليك يا رسول الله يا نبي الله يا خيرة الله من خلقه يا أكرم الخلق على ربه يا امام المتقين فهذا كله من صفاته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم وكذلك اذا صلى عليه مع السلام

عليه فهذا مما أمر الله به ولا يدعو هناك مستقبل الحجره فان هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك والحكاية المروية عنه انه أمر المنصور أن يستقل الحجره وقت الدعاء ككذب على مالك ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه فان هذا بدعة ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده يدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده فانه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقال لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا على حيثما كنتم فان صلاتكم تباركنا وقال أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وإيلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي فقاتلوا كيف تمرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي بليت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء فاخبر انه يسمع الصلاة والسلام من القريب وانه يبلغ ذلك من البعيد . وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكنه كره أن يتخذ مسجداً أخر جاء في الصحيحين فدفنته الصحابة من موضعه الذي مات فيه من حجرة عائشة وكانت هي وسائر الحجر خارج المسجد من قبله وشرقيه لكن لما كان في زمن الوايد بن عبد الملك عمر هذا المسجد وغيره وكان نائبه على المدينة عمر بن عبد العزيز فأمر أن تسترى الحجر ويزاد في المسجد فدخلت الحجره في المسجد من ذلك الزمان . وبنيت منحرفة عن القبلة مسنمة لئلا يصل أحد اليها فانه قال صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا على القبور ولا تصلوا اليها * رواه مسلم عن أبي

مرئد اغنوى والله أعلم * وزيارة القبور على وجهين زيارة شرعية
 وزيارة بدعية * فالشرعية المقصود بها السلام على الميت والدعاء كما يقصد
 بالصلاة على جنازته فزيارته بعد موته من جنس الصلاة عايه فالسنة أن
 يسلم على الميت ويدعو له سواء كان نبيا أو غير نبى كما كان النبي صلى
 الله عليه وسلم يأمر أصحابه اذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام
 عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون
 ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم
 العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم وهكذا
 يقول اذا زار أهل البقيع ومن به من الصحابة أو غيرهم أو زار
 شهداء أحد وغيرهم وليست الصلاة عند قبورهم أو قبور غيرهم
 مستحبة عند أحد من أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي ليس
 فيها قبر أحد من الانبياء والصالحين وغيرهم أفضل من الصلاة في
 المساجد التي فيها ذلك باتفاق أئمة المسلمين بل الصلاة في المساجد التي
 على القبور اما محرمة واما مكروهة * والزيارة البدعية أن يكون مقصود
 الزائر أن يطاب حوائجه من ذلك الميت أو يقصد الدعاء عند قبره
 أو يقصد الدعاء به فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا
 استحبه أحد من سلف الامة وأئمتها وقد كره مالك وغيره أن يقول
 القائل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهذا النقص لم ينقل عن
 النبي صلى الله عليه وسلم بل الاحاديث المذكورة في هذا الباب مثل
 قوله من زارني وزار أبى ابراهيم في عام واحد ضمننت له على الله الجنة

وقوله من زارني بعد مماتي فكاننا زارني في حياتي ومن زارني بعد-
 مماتي حات عابه شفاعتي ونحو ذلك كلها أحاديث ضعيفة بل موضوعة-
 ليست في شيء من دواوين الإسلام التي يعتمد عليها ولا نقلها امام من
 أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا نحوهم ولكن روى بعضها البزار
 والدارقطني ونحوهما بإسناد ضعيفة ولأن من عادة الدارقطني وأمثاله
 يذكرون هذا في السنن ليعرف وهو وغيره يبينون ضعف الضعيف
 من ذلك فإذا كانت هذه الامور التي فيها شرك وبدعة نهي عنها عند قبره
 وهو أفضل الخلق فالنهي عن ذلك عند قبر غيره أولى وأحرى ويستحب
 أن يأتي مسجد قباء ويصلي فيه فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
 تطهر في بيته وأحسن الطهور ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة-
 فيه كان له كاجر عمرة * رواه احمد والنسائي وابن ماجه وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم الصلاة في مسجد قباء كعمرة قال الترمذي حسن
 والسفر الى المسجد الأقصى والصلاة فيه والدعاء والذكر والقراءة
 والاعتكاف مستحب في أي وقت شاء سواء كان عام الحج أو بعده ولا
 يفعل فيه وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الا ما يقبل في سائر
 المساجد وليس فيها شيء يتمسح به ولا يقبل ولا يطاف به هذا كله ليس
 لاحد الا في المسجد الحرام خاصة ولا يستحب زيارة الصخرة بل-
 المستحب أن يصلي في قبلي المسجد الأقصى الذي بناه عمر بن الخطاب
 للمسلمين ولا يسافر أحد ليقف بغير عرفات ولا يسافر للوقوف بالمسجد
 الأقصى ولا للوقوف عند قبر أحد لامن الانبياء ولا المشايخ ولا غيرهم

باتفاق المسلمين بل أظهر قولي العلماء أنه لا يسافر أحد لزيارة قبر من القبور ولكن تزار القبور بالزيارة الشرعية من كان قريبا ومن اجتاز بها كما أن مسجد قباء زار من المدينة وليس لاحد أن يسافر إليه إليه صلى الله عليه وسلم لم أن أشد الرحال الا الى المساجد الثلاثة وذلك ان الدين مبنى على أصلين أن لا يعبد الا الله وحده لا شريك له ولا يعبد الا بما شرع لا ان يعبد بالبدع كما قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) ولهذا كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعله لغيرك فيه لاحد شيئا وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ايلوكم (أبيكم أحسن عملا) قال أخلاصه وأصوبه قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وقد قال الله تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله والمقصود بجميع العبادات أن يكون الدين كله لله وحده فاقه هو المعبود والمؤل الذي يخاف ويرجى ويسئل ويعبد فله الدين خالصا وله أم لم من في السموات والارض طوعا وكرها والقرآن مملوء من هذا كما قال تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص) الى قوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) الى قوله (أفغير الله تأمروني أعبدونها الجاهلون) وقال تعالى (ما كلن لبشر أن

يؤتبه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله) الآيتين وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يمكن كون كشف الضر عنكم) الآيتين

﴿فصل﴾ قالت طائفة من الساف كان أقوام يدعون الملائكة والانبيا كأن يسبح والعزير فانزل الله تعالى هذه الآية وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول) الآيات. ومثل هذا في القرآن كثير بل هذا مقصود القرآن ولبه وهو مقصود دعوة الرسل كلهم وله خالق الخلق كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فيجب على المسلم أن يعلم أن الحج من جنس الصلاة ونحوها من العبادات التي يعبد الله بها وحده لا شريك له وأن الصلاة على الخنازير وزيارة قبور الاموات من جنس الدعاء لهم والدعاء للخلق من جنس المعروف والاحسان الذي هو من جنس الزكاة والعبادات التي أمر الله بها توحيد سنة وغيرها فيها شرك وبدعة كعبادات النصراني ومن أشبههم مثل قصد البقعة لغير العبادات التي أمر الله بها فإنه ليس من الدين ولهذا كان أئمة العلماء يمدون من جملة البدع المنكرة السفر لزيارة قبور الانبياء والصالحين وهذا في أصح القولين غير مشروع حتى صرح به من قال ذلك ان من سافر هذا السفر لا يقصر الصلاة لانه سفر معصية وكذلك من يقصد بقعة لاجل الطلب من مخلوق هي مندوبة اليه كالتبر وانما أو لاجل الاستماذة به ونحو ذلك فهو شرك وبدعة كما فعله النصراني ومن أشبههم من بدعة

هذه الامة حيث يحملون الحج والصلاة من جنس ما يضلون به من الشرك
والبدع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لما ذكر له بعض أزواجه
كنيسة بأرض الحبشة وذكر له من حسنها وما فيها من التصاوير فقال
أو لئلك اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه
تلك التصاوير أو لئلك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ولهذا نهى العلماء
عنه فيه عبادة لعبر الله وسؤال لمن مات من الانبياء أو الصالحين مثل
من يكتب رقعة ويلقها عند قبر نبي أو صالح أو يسجد لقبره أو يدعو
أو يرغب اليه وقالوا انه لا يجوز بناء المساجد على القبور لان النبي صلى
الله عليه وسلم قال قبل أن يموت بخمس ليال ان من كان قبلكم كانوا
يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن
ذلك * رواه مسلم وقال لو كنت متخذنا من أهل الارض خليلا لاتخذت
أبا بكر خليلا وهذه الاحاديث في الصحاح وما يفعله بعض الناس من
أكل التمر في المسجد أو تعليق الشعر في القناديل فبدعة مكروهة ومن
حمل شيئا من ماء زمزم جاز فقد كان السلف يحملونه وأما التمر
الصيحاني فلا فضيلة فيه بل غيره من التمر البرني والمجوة خير منه
والاحاديث انما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم في مثل ذلك
كما جاء في الصحيحين من تصبغ بسبع تمرات مجوة لم يصبه ذلك اليوم
سم ولا سحر ولم يجبه عنه في الصيحاني نبي وقول بعض الناس انه
صاح بالنبي صلى الله عليه وسلم جهل منه بل انما سمى بذلك ليبسه
بفاته يقال تصوح التمر اذا يبس وهذا كقول بعض الجهال ان عبيد

الزرقاء جاءت معه من مكة ولم يكن بالمدينة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم عين جارية الا الزرقاء ولا عيون حمزة ولا غيرها بل كل هذا مستخرج بعمده ورفع الصوت في المساجد منهي عنه وقد ثبت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى رجلين يرفمان أصواتهم في المسجد فقال لو أعلم انكما من أهل البلد لا وجمتكما ضرباً انما الاصوات لا ترفع في مسجده فما يفعل بعض جهال العامة من رفع الصوت عقب الصلاة من قولهم السلام عليك يا رسول الله بأصوات عالية من أقبح المنكرات ولم يكن أحد من السلف يفعل شيئاً من ذلك عقب السلام بأصوات عالية ولا منخفضة بل ما في الصلاة من قول انصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته هو المنشروع كما ان الصلاة عليه شروعة في كل زمان ومكان وقد ثبت في الصحيح انه قال من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشر لو في المسجد أن رجلاً قال يا رسول الله أجعل عليك ثلاثاً قال اذا بكفيتك الله ثلاثاً أمرك فقال أجعل عليك ثلاثي قال اذا بكفيتك الله ثلاثي أمرك قال أجعل صلاتي كلها عليك قال اذا بكفيتك الله ما أمرك من أمر دينك وأمر آخرتك وفي السنن عنه أنه قال لا تأخذوا قبري عبداً وصلوا على حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني وقد رأى عبد الله بن حسن شيخ الحنابلة في زمنه رجلاً يذتاب قبر النبي صلى الله عليه وسلم للدعاء عنده قال يا هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تأخذوا قبري عبداً وصلوا على حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني فما أنت ورجل

بالاندلس الا سواء. ولهذا كان السائف يكثرزون الصلاة والسلام عليه في كل مكان وزمان ولم يكونوا يجتمعون عند قبره للقراءة ختمة ولا ايقاد شمع واطعام واسقاء ولا انشاد قصائد ولا نحو ذلك بل هذا من البدع بل كانوا يفعلون في مسجده ما هو المشروع في سائر المساجد من الصلاة والقراءة ولذكر والدعاء والاعتكاف وتلايم القرآن والعلم وتعلمه ونحو ذلك وقد تاملوا أن النبي صلى الله عليه وسلم له مثل أجر كل عمل صالح تعلمه أمته فانه صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى فله من الاجر مثل اجور من اتبعه من غير أن ينقص من اجورهم شيئاً وهو الذي دعا أمته الى كل خير فكل خير يعمله أحد من الامة فله مثل أجره فلم يكن صلى الله عليه وسلم يحتاج أن يهدى اليه ثواب صلاة أو صدقة أو قراءة ن كان له مثل أجره يعملونها من غير أن ينقص من اجورهم شيئاً وكل من كان له أطوع وأتبع كان أولى الناس به في الدنيا والآخرة قال تمالى (قل هذه بيدي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وقال صلى الله عليه وسلم ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء انما ولي الله وصالح المؤمنين وهو أنولى بكل مؤمن من نفسه وهو الواسطة بين الله وبين خلفه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيبه فالجلال ماحلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه والله هو المعبود المسؤل المستعان به الذي يخاف ويرجى ويتوكل عليه قال تمالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الصابرون) فجعل الطاعة لله والرسول كما قال تمالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله)

وجعل الحشية والتقوى لله وحده لا شريك له فقال تعالى (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون) فاضاف الايتاء الى الله والرسول كما قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فليس لا حد أن يأخذ الا ما أباحه الرسول وان كان الله آتاه ذلك من جهة لقدرة والملك فانه يؤتى الملك من يشاء ويتزرع الملك ممن يشاء ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول في الاعتدال من الركوع وبعد السلام اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي من آتته جدا وهو البخت والمال والملك فانه لا ينجي به منك الا الايمان والتقوى وأما التوكل فعلى الله وحده والرغبة فاليه وحده كما قال تعالى (وقالوا حسبنا الله) ولم يقل ورسوله وقالوا (إنا إلى الله راغبون) ولم يقولوا هنا ورسوله كما قال في الآية بل هذا نظير قوله (فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) وقال تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) وفي صحيح البخارى عن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين أتى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقد قال تعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أى الله وحده حسبك وحسب المؤمنين الذين اتبعوك ومن قال (ان الله والمؤمنين حسبك فقد ضل بل قوله من جنس الكفر فان الله وحده هو حسب كل مؤمن به والحسب

الكافي كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) والله تعالى حق لا يشركه فيه مخلوق كالمبادات والاخلاص والتوكل والخوف والرجاء والحج والصلاة والزكاة والصيام والصدقة والرسول له حق كالإيمان به وطاعته واتباع سنته وموالاته من يواليه وموادته من يعاديه وتقديمه في المحبة على الأهل والمال والنفس كما قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين بل يجب تقديم الجهاد الذي أمر به على هذا كله كما قال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقال تعالى (والله ورسوله أحق

أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) وبسط ما في هذا المختصر

وشرح مذكور في غير هذا الموضوع والله سبحانه

وتعالى أعلم وصلى الله وسلم على سيدنا

محمد وآله وصحبه وسلم والحمد

لله رب العالمين

آمين

يقول مصححه راجي عفوره الكريم* ابن الشيخ حسن الفيومي ابراهيم

بك اللهم أحمدك حق حمدك يا واحد وأستمطرك غيث عفو كريم واحد
وأستهديك هداية الناكين العابدين وأسلى وأسلم على سيد الخلائق
أجمعين سيدنا محمد الرحمة المهداة لسائر الثقلين وآله وصحبه ومن بهديه
اهتدى صلاة وسلاما دائمين أبدا وبمدي فقد تم طبع مجموع
الرسائل نسبيج امام الأئمة الجهادة الامثال شيخ الاسلام والمسلمين
خادم سنة سيد المرسلين من لاسبيل الى الوقوف له على ناني سيدي
أحمد بن تيمية الحنبلي الحراني قدس الله روحه ونور ضريحه وكان
طبعها الزاهي الزاهر وتمثيل شكلها الفائق الباهر بالمطبعة العاصرة
الشهيرة الشرفية ذات الأدوات الكاملة البهية النبات محل ادارتها
بشارع الحرانفش من مصر المعزية العزبزية للمالكها ومديرها (حضرة

السيد حسين أفندي شرف) تولانا الله واياہ وبنافى كل

الامور لطف آمين وقد بدر بدر التمام وقاح مسك

الختام أواخر الثاني من الربيعين من سنة ١٣٢٤

من هجرة سيد الثقلين عليه صلاة الله

و—لامه مابدا شيء وراق ختامه

وآله وصحبه وسائر جنده

آمين

﴿ فهرست الجزء الاول من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ﴾

صحيفة

- ١ ترجمة للؤام رضى الله عنه
- ٢ رسالة الفرقان بين الحق والباطل وهي الاولى
- ١٤ ذكر معتقدات أهل الضلال والرد عليهم
- ٤٨ فصل وكل من خالف ما جاء به الرسول الخ
- ٦٣ مطلب صرع الحن للانس لاسباب ثلاثة الخ
- ١٨٠ الرسالة الثانية معارج الوصول
- ٢١٨ الرسالة الثالثة التبيان في نزول القرآن
- ٢٣١ الرسالة الرابعة في الوصية في الدين والدنيا الخ
- ٧٤١ الرسالة الخامسة في التوبة في العبادات وفيها مباحث
- ٢٥٧ الرسالة السادسة تتضمن للسؤال عن المرض هل هو كرى أم لا
والجواب عن ذلك
- ٢٦٢ الرسالة السابعة وتسمى الوصية الكبرى بما جاء به الرسول صلى
الله عليه وسلم ويان فضل أمته على سائر الامم
- ٣١٨ الرسالة الثامنة وتسمى الارادة والامر وفيها مباحث مهمة ينبغي
التفطن لها والبحث عنها ومعرفة
- ٣٨٧ الرسالة التاسعة وفيها بيان اعتقاد الفرقة الناجية المتصورة الى
قيام الساعة وهم أهل السنة والجماعة وتسمى المعقيدة الواسطية

- ٤٠٧ الرسالة العاشرة وتسمى للمناظرة في العقيدة الواسطية
٤١٤ الرسالة الحادية عشر وتسمى العقيدة الحموية الكبرى
٤٧٠ الرسالة الثانية عشر تتضمن السؤال عن الاستغناء برسول الله
صلى الله عليه وسلم هل جائزة أو محرمة والجواب عن ذلك

﴿تمت﴾

﴿ فهرست الجزء الثاني من مجموع الرسائل الكبرى لشيخ

الاسلام ابن تيمية رحمه الله ﴾

محيضة

- ٢ الرسالة الاولى وهي المسماة رسالة الاكليل في المتشابه والتأويل.
- ٣٦ الرسالة الثانية في الجواب عن قول القائل اكل الخلال متمذر لا يمكن وجوده في هذا الزمان الخ
- ٥٣ الرسالة الثالثة في قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وفي زيارة بيت المقدس
- ٦٤ الرسالة الرابعة مراتب الارادة
- ٨٠ الرسالة الخامسة في القضاء والقدر
- ٨٧ الرسالة السادسة في الاحتجاج بالقدر
- ١٤٦ الرسالة السابعة في درجات اليقين
- ١٥٢ الرسالة الثامنة بيان الهدى من الضلال
- ١٦٧ الرسالة التاسعة في سنة الجمعة
- ١٨٠ الرسالة العاشرة تفسير المعوذتين
- ٢٠٣ الرسالة الحادية عشر بيان العقود المحرمة
- ٢١٧ الرسالة الثانية عشر في معنى القياس
- ٢٨٨ الرسالة الثالثة عشر في حكم السماع والرقص
- ٣١٨ الرسالة الرابعة عشر في الكلام على الفطرة

مخبرفة

٢٣٦ الرسالة الخامسة عشر في الكلام علي القصاص

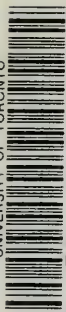
٣٤٦ الرسالة السادسة عشر في الكلام علي رفع الامام الخنفي يديه

في الصلاة

٣٤٥ الرسالة السابعة عشر في مناسك الحج

﴿ تمت ﴾

UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 01641775 0